كيونغ-سوك شين

صاحبة رواية
أرجوك اعتني بأمّي

فتاة كتبت العزلة

#903

ترجمة عن الكورية محمد نجيب

مكتبة

التنوير

كيونغ-سوك شين

فتاة كتبت العزلة

مكتبة | سُر مَن قرأ

الكتاب: فتاة كتبت العزلة، رواية
تأليف: كُيونغ سُوك شِين
ترجمة: محمد نجيب
عدد الصفحات: 429 صفحة
الترقيم الدولي: 978-614-472-182-7
الطبعة الأولى: 2021

مكتبة
t.me/t_pdf

31 7 2022

هذه ترجمة مرخصة لرواية:
외딴 방
تأليف: 신경숙

Copyright © Kyung-sook Shin, 2001
All rights reserved
Originally published in Korea by Munhakdongne Publishing Group, Korea
This Arabic edition is published by Dar Altanweer, Cairo in 2021 by arrangement with KL Management, Seoul Korea
This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea)

جميع الحقوق محفوظة لدار التنوير © دار التنوير 2021

الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر

مصر: القاهرة 2- شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن سيتي
هاتف: 002022795557
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com
تونس: 16 الهادي خفشة - عمارة شهرزاد - المنزه 1 - تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com
لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية فارس قاسم (سارة بنما) - الطابق السفلي
هاتف: 009611843340
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
موقع إلكتروني: www.daraltanweer.com

كيونغ-سوك شين

مكتبة | سُر مَن قرأ

فتاة كتبت العزلة

رواية

#903

ترجمة عن الكورية

محمد نجيب

إلى أخي الأكبر، وابنة خالي...

إلى كل اللاتي حضرن برنامج التعليم الخاصّ بعاملات المصانع في مدرسة ثانوية **يونجدونجبو** للفتيات من العام 1979 حتى العام 1981...

إلى معلم فنون اللغة **تشوي هونغ**-**إي**...

وإلى أوني **هِي**-**جاي** التي لطالما بقيتُ على قيد الحياة، فلن تصبح أبدًا جزءًا من الماضي.

الجزء الأول

«في حياة كلّ إنسان، لا سيما في مهدِها، لحظةٌ تحدّد كلَّ شيءٍ بعدها».
جان غرينير[1]

(1) جان غرينير (1898–1971): فيلسوف وكاتب فرنسي، درّس لفترة في الجزائر، حيث كان له تأثير كبير على الشاب ألبير كامو.

لا أظن أنَّ ما أنا بصدد كتابته سيكون حقيقة تمامًا، أو مُتخيَّلًا تمامًا، بل شيءٌ وسطٌ بين الاثنين. لكن هل يمكن تسميته أدبًا؟! أتأمّل فعل الكتابة وأنا أسأل نفسي: ما الكتابة بالنسبة إليَّ؟

ها أنا هنا على سطح جزيرة.

الوقت ليلٌ، والنور المُنبعث من قوارب الصيد الطافية فوق بحر الليل يتدفّق إلى الداخل عبر النافذة المفتوحة. فجأة إذْ أجدني هنا، في هذا المكان الذي لم آتِ إليه من قبل، أفكر في ذاتي ذات السادسة عشرة ربيعًا. أراني في السادسة عشرة، فتاة عادية بوجه مُكتنز، لا تختلف في أي شيء عن أي فتاة أخرى في أي مكان من بلادنا. كان العام هو 1979عندما أعلن جيمي **كارتر** رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، الذي لم يمضِ على تقلُّدِه منصبه سوى عام واحد فقط، قرب نهاية نظام **يوشين**[1]، خطة من أجل انسحاب تدريجي للقوات الأمريكية من الأراضي الكورية، وعبّر نائب وزير الخارجية **وارن كريستوفر**[2] علانيةً عن رغبة أمريكا القوية في بناء علاقات دبلوماسية مع كوريا الشمالية وبلدان أخرى، مما أثار سخط الرئيس **بارك تشونغ هي**[3]. حينها كنتُ، فتاة في السادسة عشرة، أجلسُ في

---

(1) دستور يوشين: دستور جديد ارتبط بتأسيس الجمهورية الرابعة، دعا لكتابته الديكتاتور بارك تشونغ-هِي بعد انتخابه لولاية ثالثة، بمقتضاه كان يسمح لرئيس الجمهورية بأن يرشّح نفسه لمدد رئاسية تصل إلى ستٍ، كما كان يُسهل فرض قانون الطوارئ العسكري. بدأ العمل به في أكتوبر 1972.

(2) وارن كريستوفر (1925-2011): سياسي أمريكي مخضرم، شغل منصب نائب وزير الخارجية الأمريكية في حكومة الرئيس جيمي كارتر قبل أن يصبح وزيرًا للخارجية في حكومة الرئيس بيل كلينتون.

(3) بارك تشونغ هي (1915-1979): تولى رئاسة كوريا الجنوبية خلال الفترة من 1962 أثر انقلاب عسكري كان هو قائده حتى اغتياله العام 1979. كانت فترة حكمه

الشرفة الخشبية لبيت مزرعة، مثل أي بيت آخر يمكنكَ رؤيته في أي مكان في أرجاء البلاد، وأستمعُ إلى الراديو في انتظار وصول البريد.

ماذا ينبغي أن أفعل حين ترحلين فجأة...

تنبعث من الراديو أصوات أعضاء الفرقة الموسيقية الفائزة بالجائزة الكبرى في المهرجان الوطني للغناء على مستوى الجامعات، من بعيد كأنها قادمة من أرض الضياع.

لا. لا، رجاءً لا ترحلي...

في مكان ما حيث بيتي الريفي، كنتُ، فتاة في السادسة عشرة، عاجزة عن تحمّل تكاليف المدرسة الثانوية، أستمع إلى أغنية «**ماذا ينبغي أن أفعل**»[1]، بينما تجتاح المدينة رياحٌ جديدة أملًا في تغيير العالم. أيام الربيع اليانعة قد مضت، والصيف يدنو.

اليوم حين تقارن أغنية «**ماذا ينبغي أن أفعل**»، بأغنية مثل أغنية الراب «أنا أعرف» لـ«**سيو تايجي**»[2] ، تكاد تبدو الأغنية كلاسيكية، لكن حين أسمعها لأول مرة عبر الراديو، أنكمش من الصدمة وأغلق الراديو. كانت مختلفة تمامًا عن الأغاني التي كنتُ أسمعها حينها. لكن أنا التي كنتُ في السادسة عشرة، وأعيش في مكان مختلف عن مكان هذه الأصوات في العالم الخارجي، الذي ينادي بوضع نهاية لنظام **يوشين** وقانون الطوارئ،

رغم ما شهدته من ثورة هائلة في اقتصاد كوريا فيما يعرف بـ«معجزة نهر الهان»، مشوبة بظلال الديكتاتورية والقمع والاستبداد.

(1) ماذا ينبغي أن أفعل: أغنية لفرقة «الحصى الرملية»، وهي فرقة تشكّلت في كلية الزراعة وعلوم الحياة في جامعة سول، وفازت بالجائزة الكبرى في المهرجان الوطني للغناء على مستوى الجامعات العام 1977، ثم صارت لها بعد ذلك شعبية كبيرة. تعتبر من أهم أغاني الروك في تاريخ كوريا.

(2) سيو تايجي أو جونغ هيون-تشول: مغنٍ وموسيقي وكاتب موسيقى كوري من مواليد 1972. ترك مدرسته الثانوية ليبدأ مشواره الموسيقى ويصبح من أهم الأسماء البارزة والمؤثّرة في المشهد الموسيقي الكوري.

الذي فرضه **بارك تشونغ هي**، أنا التي كنتُ لا أمتلك شيئًا آخر لأفعله سوى الاستماع إلى الراديو طوال اليوم، أعيد تشغيله، فتنبعث منه أغنية «**ماذا ينبغي أن أفعل**» مجدّدًا. ربما غزت أغنية «**ماذا ينبغي أن أفعل**» المدينة كلّها. ففي كل محطّة تشغّل الموسيقى، تصدح أغنية «**ماذا ينبغي أن أفعل**». بعد أن استمعت إلى الأغنية عدة مرات، ها أنا أغني معها.

كيف استطعتِ أن تفعلي بي ذلك؟ وقد كنتِ يومًا محبّة جدًّا... وقد كنتِ يومًا رقيقة جدًّا.

أغني مع الأغنية ووجهي يخلو من أي تعبير. يصل ساعي البريد عادة في حوالى الساعة الحادية عشرة.

في ذلك الوقت كنت أحلم بشيء من هذا القبيل: أن أغادر هذا المكان المملّ، وأن أذهب للعيش مع أخي الأكبر في المدينة. أن أقابل شخصًا ما هناك، وأن أسمعه وهو يقول إنه مسرور بأن الفرصة قد سنحت له كي يتعرّف عليّ، لكن اليوم أيضًا لا يمرُّ ساعي البريد علينا.

***

مكتبة
t.me/t_pdf

ها أنا هنا على جزيرة **جيجو-دو**[1].

إنها أول مرة أكتب فيها بعيدًا عن البيت.

في ما يتعلّق بطقوس الكتابة، فإن الطقوس الخاصّة بي كانت تقتضي مني دائمًا العودة إلى البيت كي أكتب حتى لو كنت في الخارج، حتى لو كنت قد انطلقت في رحلة. كنت أتحسّر بشكل غريزي من حقيقة أنني لست في البيت حين تنتابني تلك الرغبة الملحّة في الكتابة. أفكر بأنَّ عليَّ التوجّه إلى البيت في الحال بينما اندفع لجمع حاجياتي، تحفّزني العبارات التي تطفو إلى السطح في مكان غير مألوف لي. هل كانت الكتابة

(1) جزيرة جيجو: تقع في مقاطعة جيجو في كوريا الجنوبية، وتعد من أهم المقاصد السياحية نظرًا لاعتدال الطقس وجمال الطبيعة، من شواطئ وشلالات وجبال وكهوف وغيرها.

بيتًا بالنسبة لي؟ أينما كنت في لحظة الإلهام تلك، فإن الجمل التي تتدفّق عبر جسدي، تدفعني دفعًا كي أهرول إلى البيت. عندما أكتب، لا بد أن تكون الأشياء التي تجدها يداي مريحة وعيناي معتادتان عليها موجودة من حولي - الأعواد القطنية كي أبقي أذنيَّ نظيفتين، وفرشاة أسناني على الرف بجوار حوض الحمام. يجب ألّا تكون الروائح من حولي غريبة، وأن تكون بجواري قمصان وسراويل أرتديها بشكل دائم. وأن تتواجد جوارب نظيفة يمكنني أن استبدل بها الجوارب التي أرتديها في أي لحظة. لا بد أن يسير روتيني اليومي على نحو دقيق تمامًا كوجود لساني داخل فمي، ووجود الحوض البلاستيكي أسفل الصنبور.

بعض الجمل أشبه بجنود كامنين، يقفزون خارجين من وراء أجمة بداخلي في يوم خريفي مثل هذا، بينما أسير في الشارع كي ألحق بموعد ما. تقهر الواقع في لحظة، وتملأني بإثارة تبدو وكأنها محاطة بهالة من الَضوء. يأسرني أولئك الجنود -الجمل- طواعية من دون مقاومة مني. استسلم لسطوتها، وألتفت متغاضية عن موعدي لأعود أدراجي إلى البيت.

لكن هذه المرة الأمر مختلف. هجرت عاداتي كلّها، وهجرت البيت.

هجرت البيت ووصلت إلى هنا على هذه الجزيرة، ورحت أفكّر في موطني. في طفولتي تحت سقف القش، قبل أن تستبدل حركة **قرية جديدة**[1] القشّ بألواح خرسانية. في عائلتي. في ذلك المنزل ذي سقف القش. في توالي الفصول: الربيع والصيف والخريف والشتاء بحيوية تامّة فوق سقف القش ذاك.

أفكر في كل ذلك وآخذ نفسًا عميقًا.

***

أرقدُ -أنا ذات الستة عشر عامًا- على بطني فوق السطح الأصفر اللون للورق المطلي الذي يغطى الأرضية، أكتبُ رسالة.

---

(1) حركة قرية جديدة: مبادرة سياسية أطلقها الرئيس بارك تشونغ-هِي كجزء من الثورة الصناعية عام 1970 لتحديث الاقتصاد في ريف كوريا الجنوبية

أخي العزيز،
رجاءً، أسرع. تعال وخذني من هنا...

أمزّق الرسالة قبل أن أفرغ منها. لقد حلّ شهر يونيو بالفعل، وزراعة بذور الأرز في الحقول في أوج ذروتها. قش الشعير آخذٌ في التحلل داخل كومة السماد. تتساقط أشعة الشمس الحارّة على مؤخّرة عنقي، تلسعها. تبرز بتلات زهرة الصباح[1] النامية بجوار البوابة إلى الخارج كأنها وجوه عابسة. سئمت من الشمس وزهرة الصباح. أسحب المذراة من تجويف جدار داخل السقيفة. أجرُّ المذراة متجهة إلى كومة السماد لأنقّب في قشّ الشعير المتحلّل. تتدفّق أشعة الشمس إلى أسفل وتلسع جبهتي. تأخذ يدي في العمل بسرعة مع الوقت. ماذا حدث بالضبط؟ أعتقد بأنني أرى المذراة تومض في ضوء الشمس في لحظة، ثم في اللحظة التالية تسقط المذراة لتخترق باطن قدمي. أُصعق. لا أجرؤ على نزع المذراة المحشورة في باطن قدمي. باطن قدمي المجروح لا ينزف حتى. أخرُّ أرضًا. لا يمكنني أن أستشعر الألم بعد ولا أبكي أيضًا. أرقد والمذراة محشورة في باطن قدمي، فوق قشّ الشعير. تنعكس السماء الزرقاء على وجهي. تمضي برهة وتعود أمي وهي تصيح: «ماذا حدث؟!».

أمي...

فقط حينما أستشعر وجود أمي، أطلق العنان لدموعي. حينها فقط أحسّ بالرعب، بالألم. تهتف أمّي مصدومة: «أغمضي عينيكِ، اغمضيهما بإحكام». أغلق عينيّ، أغلقهما بإحكام. من عينيّ المغلقتين بإحكام تواصل دموعي الانهمار. تقبض أمي على المذراة بقوة وهي تصيح مجدّدًا: «لا تفتحي عينيّك حتى أسحب المذراة من باطن قدمك».

---

(1) زهرة الصباح: من النباتات مغطيات التربة، لا يتعدى ارتفاعها 20سم. لأزهارها ألوان ساطعة. تتفتّح فقط تحت أشعة الشمس الساطعة، لهذا تكون مغلقة في الصباح الباكر وقبيل الغروب.

أفتح عينيّ قليلًا، واختلس نظرة عابرة، فألمح نظرات أمي. لا بد أنها تجد الموقف كلّه مُخيفًا. عيناها بدورها مغلقتان، بينما تقبض بيدها على المذراة من قمّة مقبضها. من دون تردّد تحكم أمي قبضتها على المذراة بقوة وتسحبها خارج قدمِي. لا بد أن أعصاب قدمي قد أُصيبت بالخدر لدرجة أن قدمي لم تنزف قطرة دم واحدة حتى بعد أن أُخرجت المذراة.

«يا لك من فتاة عنيدة». تلقي أمي المذراة بعيدًا وترفعني عن الأرض. «كيف تكتفين بالاستلقاء هنا وذلك الشيء محشور في قدمك؟! من دون حتى أن تصرخي طلبًا للمساعدة!».

صفعت يد أمي الضخمة واللزجة ظهري. تُرقِدني أمي على الأرضية الخشبية لشرفتنا، وتضع بعضًا من روث البقر في الفجوة في قدمي، ثم تلفها بالبلاستيك. أستلقي على بطني فوق الأرضية وروث البقر في باطن قدمي، وأشرع في كتابة رسالتي مرة أخرى.

أخي العزيز، أسرع! رجاءً تعال وخذني بعيدًا من هنا...

***

تعاقب الفصول... الربيع والصيف والخريف، وخاصّة الشتاء... الحقول الشاسعة الباردة، وهجمات الرياح المحمّلة بالصقيع، والانهمار الكثيف للثلوج الذي قد يتواصل لأيام -مع هذا، لسببٍ أجهله-، لا أتذكّر الشتاء في الريف على أنه بارد. كانت القفازات التي حاكتها أمي من الخيوط التي فكّتها من كنزة أخي الأكبر الصوف، بالية جدًا لدرجة أنها تعجز عن منع تسلل الرياح إلى داخلها، مما يجعل أطراف أصابعي جامدة خَدِرة. أحيانًا لا تمتلك أمي الوقت لرتق جواربي، فأضطرّ للتجوّل في الأرجاء بأقدام باردة مرتدية جوارب يبرز منها كاحلايَ العاريان كالبطاطا. إذًا، كيف لا أمتلك أي ذكرى لشعوري بالبرد في ذلك الوقت؟ الشتاء يلاحق الجميع، ذكرًا كان أم أنثى، صغيرًا كان أم كبيرًا، في الحقول الشاسعة وحتى داخل حجرات

البيوت. في تلك الحجرات يرغم الشتاء الجميع على شيِّ حبّات الكستناء على الموقد، وإخراج ثمار الكاكي الناضجة الملساء من برطمانات الأرز، وجلب ثمار البطاطا الحلوة من مخزن المؤن، ليقذفوها من الباب الخلفي إلى الثلج، وينزعوا قشرتها المتجمدة بسكين. خلال شتاء مثل ذلك رأيتها.

لسبب ما كنت أقف بجوار جدول ماء، أتأمّل حقول الشتاء الممتدة وراء الجدول. أسفل الجليد الأبيض البعيد، أسفل الريح الجليدية التي بدأت في الهبوب مجددًا من اتجاه طريق السكة الحديدية، الطريق الوحيد الذي يفضي إلى الأراضي الأخرى، كانت الحقول تعج بقطعان من البط البري. بعد أن حَرمها الشتاء من بذور الحشائش وثمار الأشجار والحشرات اللافقارية، بدت أسراب البط البري التي تبحث الآن عن سنابل الأرز وسط الجليد جميلة جدًا بالنسبة إليّ. تلك القطعان الجائعة التي تدثّر حقول الشتاء الشاسعة الممتدة إلى اللانهاية...

بينما أكتب رسالتي، وروث البقر على قدمي وبطني تلامس الأرضية، أرفع جسدي إلى أعلى، وأجرَّ نفسي تجاه السقيفة. منذ اللحظة التي ثُقِبت فيها قدمي، أشعر كأنَّ المذراة تطاردني بنظراتها أينما أذهب. أسحب المذراة من مكانها في جدار السقيفة. أجرّ المذراة عبر الفناء حتى البئر، ولا يزال شعور أنها تحدق بي يلازمني، ثم من دون تردّد أقذفها عميقًا بداخلها. تتناثر المياه لحظة الارتطام. أحدّق لبرهة طويلة في البئر العميقة المظلمة التي ابتلعت المذراة، ثم عادت بسرعة إلى هدوئها وسكونها فاتحة ذراعيها للسماء كأن شيئًا لم يحدث.

***

الكتابة. هل من الممكن أن يكون سبب تعلّقي الشديد بالكتابة كونها الشيء الوحيد الذي يسمح لي بالفرار من الإحساس بالاغتراب، بأنني -وجودي، والعدم سواء؟

ذات يوم كنت أقف خارج قصر **ديوكسو**[1]، وقد أسرتني جملة راحت تمور في صدري. قفزت داخل سيارة أجرة متّجهة إلى البيت. لمحت عبارة مؤطّرة وموضوعة على لوحة عدادات السيارة تقول: «فليكن اليوم يومًا سالمًا أيضًا». فوق هذه الكلمات مباشرة لوحة الطفل المنقذ مرتديًا الأبيض، جاثيًا على ركبتَيْه في قلب عمود نور يتدفّق ساقطًا عليه، ويداه مضمومتان معًا. بجوار لوحة النبي **صموئيل** وهو يتضرّع إلى الرب: «فليكن اليوم يومًا سالمًا أيضًا» صوَر لأفراد أسرة سائق سيارة الأجرة -زوجته وأطفاله-. لم تكن هذه قطعًا المرة الأولى التي أرى فيها مثل هذا التنسيق في لوحة قيادة سيارة، لكن لسبب ما في هذا اليوم، فإن لوحة **صموئيل** وصور العائلة أرغمت جُمَلي غير الواقعية على الانكماش بداخلي، وملأت قلبي بإحساس ملموس بالواقع. حينها فقط بدأت أتساءل لماذا أسرع عائدة إلى البيت، متخلّفة عن موعدي مع الشخص الذي لا بد وأنه يقف الآن خارج قصر **ديوكسو** في انتظاري.

بعد أن هربت الجُملة مني، أخبرت سائق سيارة الأجرة أن ينعطف بالسيارة ويعيدني إلى قصر **ديوكسو**.

في أبريل الماضي، في أحد الأيام وبعد نشر روايتي الأولى بفترة وجيزة، وبينما أغط في قيلولة، تلقيت مكالمة هاتفية. أتاني صوت عميق لامرأة يطلب الحديث معي. صوت غير مألوف. ظننت لحظتها أنني لم أسمع ذاك الصوت من قبل. حين علمت أن الشخص الذي يحادثها هو الشخص الذي تسأل عنه، سكتت لبرهة ثم عبّرت عن سرورها الذي

(1) قصر ديوكسو: أحد القصور الخمسة الكبرى التي بناها ملوك مملكة جوسون. وهو عبارة عن مجمع من القصور المحاطة بسور سكنها أفراد العائلة الملكية الكورية خلال عصر مملكة جوسون حتى احتلال اليابان لكوريا العام 1910. بالإضافة للقصور، يحتوي المجمَّع على حدائق شاسعة، وتمثال للملك سيجونغ العظيم مخترع لغة الهانغل الكورية، ومتحف الفن الوطني.

انعكس بوضوح في تغيّر نبرة صوتها، وهي تسأل إنْ كنتُ أتذكّرها قبل أن تقدم نفسها إليّ: «إنها أنا، ألا تتذكّرينني؟ أنا **ها جي-سوك**».

«**ها جي-سوك؟**».

في مناسبات أخرى مشابهة، حين يذكر الشخص عبر الهاتف اسمه أكثر من مرة متحدّثًا كما لو كان يعرفني حقًا، فإنني أغمغم: «أجل... أجل». في محاولة مني ألّا أدع ذلك الشخص يستشعر أنني في الحقيقة لا أتذكّره. لكن في ذلك اليوم أجبت على الهاتف ولا يزال النعاس يغلبني، وانتهى بي الأمر وأنا أتساءل باندفاع ومن دون أي تفكير: «**ها جي سوك؟!**». لا بد أنها قد ارتبكت لعدم قدرتي على تذكّرها لكنها تمالكت نفسها بسرعة، وتصرفت كأن الأمر لم يزعجها، وشرعت على الفور في التعريف بنفسها.

«كنتِ و**مي-سيو** صديقتَيْن في أيام الدراسة، أتتذكّرين؟ وكنتُ أنا صديقة **لمي-سيو** أيضًا. كنتُ -كما تعلمين- مكتنزة قليلًا». هنا انفجرت ضاحكة ربما لأن جسمها المكتنز قد صار الآن سمينًا. «وكنتُ أصل إلى المدرسة كل يوم متأخّرة ساعة كاملة».

حين بلغَت هذا الحَدّ من حديثها، كنت قد استفقت تمامًا من نعاسي. عندما قالت: «في أيام الدراسة»، تساءلت أن كانت تعني المدرسة الإعدادية أم الثانوية أم الجامعة، لكن حين قدّمت نفسها على أنها كانت تتأخّر عن المدرسة ساعة كاملة كل يوم، انفتح باب في مخيّلتي، باب فصل مدرسة **يونجديونجبو** الثانوية للبنات التي كانت تقع خلف مدرسة **جانغهيون** الثانوية في ضاحية **سينداببانغ-دونغ**. **يونجديونجبو**... هذه الفتاة، **ها جي-سوك**.

بدأت الحصة بالفعل. وها هي الفتاة بزيّ المدرسة، والبابيون وحقيبة المدرسة الوردية الموضوعة على أرضية الممر، وفخذاها مسحوبان قليلًا إلى الوراء تفتح الباب في مؤخرة الفصل خلسة. الفتاة ذات الشفة السفلى القرمزية. خدّاها المكتنزان وشعرها المتموّج وعيناها اللتان تبدوان كأنهما تقولان لنا: «آسفة».

الآن، العام 1994. تقابلنا أول مرة العام 1979. هاتفتني الفتاة بعد كل تلك السنين كأنما تؤنّبني على الاستمتاع بقيلولتي، قائلة: «إنها أنا، ألا تتذكّرينني؟». والآن تدفع باب الفصل لتفتحه... ذلك الباب الذي يرجع إلى ست عشرة سنة.

تضمّن جدولنا اليومي أربع حصص. كانت شفة **ها جي-سوك** السفلى تبدو دائمًا أكثر احمرارًا من شفتها العليا، وحين تصل متأخّرة ساعة وتفتح الباب في مؤخّرة الفصل، تزداد شفتها السفلى احمرارًا. كم كانت تبدو شديدة الحمرة! هذه الفتاة. عيناها، وأذناها وفمها كلّها انمحت من ذاكرتي، ولم يتبقَ معي سوى صورة شفتها السفلى الحمراء.

وبفضل هذه الشفة السفلى، عادت الفتاة، **ها جي-سوك** إلى الحياة في داخل ذاكرتي. ذات نهار حين وصلت متأخّرة كعادتها وفتحت الباب خلسة وانسلّت داخل الفصل، همست **مي-سيو** في أذني.

«إنها تعمل لصالح هذه الشركة المتعسّفة حقًّا. تصرف كل الشركات الأخرى عاملاتها في موعد يسمح لهن بالوصول إلى المدرسة باكرًا، لكن هذا المكان يحدّد ساعات العمل، بحيث تفوّت الطالبات الحصة الأولى. أتعرفين لماذا شفتها السفلى حمراء هكذا دائمًا؟ لأنها في كل مرة تبلغ باب الفصل متأخّرة ساعة، تقف خارج الباب تعضّ شفتها في توتر، إلى أن تسنح لها الفرصة للدخول خلسة».

حين أدركت أن المرأة على الهاتف هي الفتاة التي اعتادت أن تفتح باب الفصل خلسة، أنها إحدى الفتيات اللواتي ارتدن المدرسة معي بين العامين 1979 و1981. هذه المرة تغيّرت نبرة صوتي أنا: «يا إلهي! من كان ليتخيّل أنني سأسمع صوتك مجدّدًا».

***

هنا على سطح جزيرة، انتابني شعور كأنني استرددت إحساسي بالطبيعة، التي ظننت بأنني قد انفصلت عنها منذ طفولتي. قضيت عدة أيام أتمشّى في أرجاء الجزيرة. عثرت على متجر كتب أثناء تجوالي في البلدة

في اليوم الأول. واجهة المتجر المتواضعة جعلتني أتوقّف أمامه وأبتسم. تنسدل على الباب الزجاجي المنزلق للمتجر ستائر مزخرفة بزهور صغيرة. بسبب هذه الستائر، ما كنتُ لأخمّن أنه متجر كتب لولا اللافتة. دفعت الباب وخطوت إلى الداخل، وقد غمرتني بهجة مفاجئة لمصادفة متجر كتب في مكان غير مألوف كهذا على الرغم من عدم بحثي عن كتاب معيّن. وجدت نفسي مرغمة على الابتسام مجدّدًا. المتجر ضيّق بالنسبة حتى لمتجر كتب، مع هذا ثمة أمواس حلاقة وأدوات مدرسية - أقلام رصاص وممحاة وأقلام حبر مدبّبة الرأس معروضة في إحدى الزوايا، ورقائق من الأرز والبطاطا الحلوة في زاوية أخرى. كان مالك المتجر -على عكس ما قد يتوقّعه المرء-، امرأة شابة جميلة المحيّا، وهو ما جعلني ابتسم إلى نفسي. ثم علت وجهي ابتسامة أخرى، فها هو بين المئة ونيف كتاب على رف الكتب، الكتاب الذي دفع **ها جي-سوك** لمهاتفتي: روايتي.

التقطت كتاب ترانيم من إحدى زوايا رفّ الكتب، ودفعت ثمنه قبل أن أغادر المتجر. لم أكن من رواد الكنيسة، لكن كانت تراودني تساؤلات عن الطريقة التي تُنَظَّم بها الترانيم، وأردت أن أتحرّى عن الأمر أكثر. لكن في المدينة ليس من السهل أبدًا أن تنجز شيئًا ما عدا تلك الأشياء التي تقتضي أن تتعامل معها مباشرة. أيامي تُستهلَك دائمًا في مهمة ما، أو في أخرى تشغلني تمامًا، ولطالما كانت لديَّ قائمة طويلة من الكتب التي يجب عليّ شراؤها. من فينة إلى أخرى يخطر في بالي أنني أرغب في قراءة كتاب ترانيم، وفي كل مرّة أخبر نفسي فيها أنه عليّ شراء واحدٍ في الزيارة القادمة إلى متجر كتب ثم أنسى ذلك. كانت الفكرة تعبر رأسي لسنوات عدّة، وفي النهاية كان هذا هو المكان الذي اشتريت منه كتاب ترانيم.

واصلت السير في أرجاء الجزيرة لساعات طويلة، وكتاب الترانيم تحت ذراعي. كان المنظر الطبيعي الذي اعتادته عيناي في صغري هو السهول التي تشكّل المنطقة الداخلية لشبه الجزيرة، وتتابع الفصول الأربع عليها. لكن الآن أقف أمام امتدادٍ من نباتات الجزيرة غير المألوفة بالنسبة إليّ،

الدفلى والنخيل والزنبق، وصفوف لا نهائية من موج أزرقٍ داكن. يبزغ ببالي فجأة إدراك مفاده أن الطبيعة بالنسبة إلينا جميعًا غذاء غنيّ للروح، وأن الطبيعة هي ما تدفعنا إلى السفر بالزمن إلى الوراء، إلى طريق بعيد بداخل قلوبنا. فهناك في المدينة المصمَّمة بحيث لا نمتلك أدنى فرصة كي نخطو فوق التراب، كنتُ لأدع المزيد من السنوات تمضي قبل أن أشتري كتاب الترانيم هذا الذي لا أحتاجه الآن حالًا.

كانت مكالمة **ها جي-سوك** الأولى بداية سلسلة من المكالمات التي تلقّيتها من أناس عرفتهم في تلك الفترة من حياتي. بعد مكالمتها، بدأت فتيات من تلك الأيام في الاتصال بي من حين إلى آخر ليسألنني إذا كنتُ الفتاة نفسها في ذلك الفصل في تلك المدرسة. حين كنتُ أؤكّد أنني الشخص نفسه، كن يقلن: «إنها أنتِ حقًّا». ثم يكشفن عن هويتهنّ. إنها أنتِ حقًا... أنا **نام جيل-سون**. أنا **تشوي جونغ-بون**. ثم يستطردن، لقد رأيتكِ في ذاك الإعلان في الصحيفة. ذُكِر اسمكِ، وكان الوجه في الصورة المرفقة بالإعلان يشبه وجهكِ، لكن لم أظن أنها أنتِ حقًّا. مع هذا راودتني الشكوك واتصلت بالناشر. لم يعطوني رقم هاتفكِ أول الأمر، لهذا كان عليّ أن أتوسّل إليهم. قالت معظم المتّصلات إنهن شاهدنني في إعلان في صحيفة، وإنهنّ سعيدات من أجلي، كما لو أن الإنجاز يعود إليهن.

أخبرتني إحداهن، اسمها كما قالت **لي جونغ- ري**، أنها ذكرت لزوجها، وهي تشير إلى صورتي في الصحيفة، إن المرأة في الصورة كانت صديقتها، وإنها شعرت بالفخر. لكن صوتها صار باكيًا في نهاية المكالمة وهي تقول: «أعلم أنها كانت مجرّد مدرسة، لكن لأن عقد علاقتنا قد انفرط بعد ذلك، سألني زوجي ذات مرة: «هل أنتِ متأكّدة أنك قد ارتدت المدرسة الثانوية». ذكر الأمر عَرضًا وباقتضاب، لكن كلماته كان لها وقعٌ قويّ عليَّ، تعرفين... كيف يجرؤ على قول ذلك وقد عملت بكدٍ كي أنال ذلك الدبلوم؟ جرحَتني كلماته وتركتني مع ذلك الألم في أحشائي، ولعدّة

أيام كنت أنام وقد أوليته ظهري. لهذا حينما رأيتُ صورتك في الصحيفة، ووجدت نفسي قادرة على أن أقول له باعتزاز: «هذه هي صديقتي في المدرسة الثانوية». تخيّلي مدى الفخر الذي انتابني».

أُفلتت ضحكة مني، وأنا أستمع إلى كلماتها القادمة من النهاية الأخرى للخط. لكن بعد أن انتهت المكالمة، تركت بداخلي ألمًا دفينًا أجبرني على البقاء جالسة في مكاني لبرهة ويدي تداعب سمّاعة الهاتف. لا يقتصر الأمر عليكِ... فالأمر سيان معي. ذلك صحيح. لقد كنت ذات يوم طالبة في المدرسة الثانوية، لكنني لم يعد لي صديقة من تلك الفترة أيضًا. حين تتحادث نساء في منتصف العمر في مسلسل درامي ركيك عن اجتماع لمّ الشمل بصديقات المدرسة الثانوية، أحدّق إلى شاشة التلفاز ببلاهة. حتى الآن حين تقدّم إحداهن المرأة الجالسة إلى جوارها في إحدى اللقاءات قائلة: «صديقتي من المدرسة الثانوية»، أتلعثم وأمعن النظر إليهما وقد ألجمني الصمت.

العبوس الذي يعلو محيّاكِ حين تتعرّف صديقتكِ على صديقة جديدة، والضغط على ورقة شجر متساقطة حتى تجف لتكتبي اسم صديقتكِ على ظهرها، والخروج للتنزه بالدرّاجات مع صديقاتكِ، وكتابة رسالة خلال الليل، وانتهاز الفرصة كي تدسّيها بين صفحات كتابها - كل هذه الأشياء لم أحظَ بها لا أنا ولا صديقاتي اللاتي هاتفنني. لم تسنح الفرصة لنا للعبوس ولا للضغط على الورق... لم نمتلك أيًّا من ذلك.

الشيء الذي تشاركناه هو التجمعات في مصانع النسيج، والإلكترونيات، والثياب، ومعالجة الطعام.

كان قدَري أن أُحرم من رعاية والديّ في مرحلة مبكرة من الحياة. شتى أشكال العلامات أشارت إلى هذا المصير، بما في هذا خدمة للتكهّن بالمستقبل عبر الإنترنت، جرّبتها من أجل المتعة. كانت نبوءتها بأن قدَري أن أغادر مسقط رأسي، وأن أمرَّ بالمصاعب في سنوات حياتي المبكرة.

أحيانًا أفكر مليًّا متى بالتحديد تنتهي سنوات الحياة المبكرة؟! أفكّر في

ذلك بالتركيز ذاته حين أسأل نفسي: «ما الأدب؟». قبل أن أستنتج أن عمر الثلاثين سيكون مناسبًا. أنا الآن في الثانية والثلاثين، مما يعني أن مصاعب سنوات حياتي المبكرة لا بد قد ولّت. في عمر السادسة عشرة عندما ثقَبت باطن قدمي بالمذراة أثناء جلوسي في شرفة منزلي ذي البوابة الزرقاء بينما أنتظر وصول رسالة أخي الأكبر، سَرى بداخلي إدراك مبهم بأن الحياة مصنوعة بالأساس من جروح متوحّشة. وكي أتقبّل ذلك التوحّش، وأمضي في الحياة، كان عليّ أن أصون في داخل قلبي شيئًا واحدًا نقيًّا، أن أؤمن بهذا الشيء وأعتمد عليه للنجاة. وإن فشلتُ، فسأحكم على نفسي بوحدة مُهلكة. أدركت أنني إذا واصلت الحياة ببساطة، فإنني يومًا ما سوف أثقب قدمي بمذراة مرة أخرى.

***

أنا في السادسة عشرة من عمري، وفي آخر أيام زرع الأرز، أركب على متن قطار الليل تاركة المنزل والبئر التي ابتلعت المذراة ورائي.

تخبرني أمي بأن أذهب إلى المتجر الذي يديره أبي عند طرف القرية في الجهة المقابلة لطريق السكة الحديدية، كي أودعه ثم أركب الحافلة من هناك. وأنها ستلحق بتلك الحافلة لاحقًا حين تمر في وسط القرية.

قبل أن أغادر البيت، ألقي نظرة طويلة على أخي الأصغر ذي السبع سنوات، الذي راح في النوم بعد عشاء مبكر. منذ لحظة ولادته، صار أخي الأصغر ملتصقًا بظهري كسلحفاة. كانت تساوره الشكوك، ويملأه الخوف من احتمال اختفائي. بالنسبة إلى أخي الأصغر الذي كبر ملتصقًا بظهري مستنشقًا رائحتي، كنتُ الشخص الوحيد الأثير إليه. بالنسبة إليه، كانت المدرسة هي المكان الوحيد الذي من أجله قد يطلق سراح أخته الكبرى. حين أقول إليه: «سأذهب إلى المدرسة وسأعود سريعًا». حينها يرد أخي الأصغر: «أجل، سوف تعودين». حتى وهو منهمك في اللعب بالخارج، فإنه ينادي بمجرّد أن تغرب الشمس، هاتفًا: « أختي الكبرى!»، ثم يهرول عائدًا إلى البيت. أينما قد يكون، يهتف: «أختي الكبرى!»، سواء

أكان يجلب البيض أو يتبرز أو يجمع ثمار الكاكي. ذات مرة بينما هو في الخارج يسير في الطريق الرئيسي المُعبّد حديثًا، ارتطمت رأسه بشاحنة. حتى حينها لم يتخلّف عن الهتاف: «أختي! أختي! أختي!»، بينما يُنقل إلى المستشفى. «أين أنتِ يا أختي؟ أريد الذهاب إلى أختي!». مستسلمة للأمر الواقع، أتوجه - أنا التي كنت أدرس حينها في السنة الرابعة الابتدائية، من المدرسة مباشرة إلى المستشفى وأنا أحمل حقيبتي المدرسية. أنام في المستشفى مع أخي الأصغر وأتناول وجباتي في المستشفى، ثم أذهب في الصباح إلى المدرسة من المستشفى.

الفكرة هي أن أخي الأصغر غير مستعدٍّ على الإطلاق للافتراق عني. إذا هممت بإخباره أنني سأرحل إلى المدينة، فسوف ينفجر باكيًا، لهذا لم أجرؤ على أن أخبره أنني راحلة، واكتفيت بالتحديق مليًّا إلى وجهه النائم. يفتح الأخ الأصغر عينيه قليلًا، ويتطلع إليّ. لا بد أنه يجد غرابة في ارتدائي ثيابًا للخروج بينما الوقت ليلًا، فيطلب مني تفسيرًا على الرغم من نعاسه.

«هل ستذهبين إلى مكان ما؟».

أقول لا، لن أذهب إلى أي مكان. مطمئن البال، يغمض أخي الأصغر عينيه. أتحسّس بيدي الندبة التي لا تزال ظاهرة على رأس أخي النائم، وأنا أتخيّل الجلبة التي سيحدثها حين يستيقظ في الصباح ويكتشف الحقيقة.

***

قبل حتى أن أعبر قضبان السكة الحديدية ألمح أنوار الحافلة. لقد قضيت وقتًا طويلًا أمعن النظر في وجه أخي الأصغر النائم. أنا في السادسة عشرة من عمري وتداهمني فجأة نوبة توتّر، بينما تدنو أضواء كشافات الحافلة.

أصيحُ: «يا أبي!». يندفع أبي خارجًا من المتجر في اللحظة التي تصل فيها الحافلة إلى الموقف. «أبي، إني راحلة!»، وهكذا من دون أن أودّع أبي وداعًا لائقًا، أصعد على متن الحافلة. أركض إلى مؤخّرة الحافلة وأشرئبّ بعنقي لأنظر خارج النافذة. يقف أبي متسمّرًا في مكانه وقد غلّفه الظلام.

وجهه غير مرئي، فقط ظلّه يتراءى أمامي خاويًا من أي تعبير وبلا حراك. منذ ذلك الحين لم تسنح لي الفرصة أبدًا كي أعيش في البيت ذاته مع أبي. حتى بالنسبة إلى أمي أو أخي الأصغر، لم نقض خمسة أيام سويًا تحت السقف نفسه مرة أخرى.

تلحق أمي بالحافلة في وسط القرية وتسألني: «هل ودّعت أباكِ؟».

أجيبها باقتضاب: «أجل».

لكن هل يُعتبر ذلك وداعًا؟ مجرّد الهتاف صوب المتجر: «يا أبي، إني راحلة». من دون أن يتيح لي الوقت فرصة إلقاء نظرة على وجه أبي. كان يجدر بي الانطلاق من البيت أبكر قليلًا. يومض أمام عينيّ ظلُّ أبي بينما يندفع خارج المتجر، ويقف ساكنًا في الظلام ووجهه خاوٍ من أي تعبير. لكن الأوان قد فات والحافلة تشقّ طريقها بالفعل مغادِرةً القرية. ما حدث قبل خمس دقائق بات بالفعل شيئًا من الماضي.

ترتدي أمي زيًّا تقليديًا، هانبوك برتقالي. وفوق بلوزتها معطفٌ مخطّطٌ، أحكمت ربطه بدبوس مزخرف على شكل زهرة أقحوان بدلًا من الشرائط. حين أجيل النظر في الدبوس المزخرف، تقول أمي: «لقد اشتريتِه من أجلي عندما ذهبتِ في تلك الرحلة المدرسية». الياقة البيضاء الرفيعة لبلوزتها متّسخة. حين تلاحظ أنني أحدّق في ياقتها المتّسخة، تقول أمي: «لقد كنت أنوي حياكة أخرى جديدة لكنني انشغلت كثيرًا».

تقابلنا ابنة خالي التي ستصحبني إلى المدينة في محطة قطار البلدة. ساقاها طويلتان ونحيلتان. تقف ابنة خالي وهي تحمل حقيبة ضخمة إلى جانب أمها، زوجة شقيق أمي، والتي أصبحت شديدة الهزال، عظمًا على لحم. ابنة خالي فتاة رشيقة القوام في التاسعة عشرة. أشم الرائحة الخام للسمك، بينما تمسِّد الخالة خدّي. ثم تُبعد يدها عن خدي لتمسك يد ابنتها. أثناء تبادلهما الوداع، تتمسك الأم بيد ابنتها.

«لا تدخلي في أي جدال أو شجار».

بينما تحرّر الخالة يد ابنتها، تترقرق عيناها بالدموع. تحين لحظة ختم

تذاكرنا، فتطلب من ابنتها ألا تتأخّر في الكتابة إليهم. أدخل مع أمي وابنة خالي داخل المحطة والخالة في الخارج منهكة. أضغط كفيّ على نافذة عربة القطار وأطوف ببصري في رصيف المحطة.

وداعًا قريتي. أغادركِ لأبحث عن حظي في الحياة.

حتى في قطار الليل لا تتحدّث أمي. بالكاد امتلكت الوقت طوال النهار كي ترفع ظهرها، بينما تفرغ من زراعة الأرز، مع هذا لا تغفو أمي حتى. من حين إلى آخر تتطلّع نحوي حيث أجلس إلى جانبها. لحظات الوداع تجبر المرء على التحديق بتركيز في عينيّ الشخص الآخر، وتجعل المرء يدرك أشياء فجأة - *هذا* هو شكل عينيّ *هذا الشخص، الذي لم ألاحظه من قبل أبدًا.*

***

واظبت على طلب الغداء إلى المائدة نفسها لعشرة أيام متواصلة، قبل أن تتشجّع مالكة المطعم وتبدأ محادثةً معي. كان ذلك في الثانية بعد الظهر وقد مضت ساعة الذروة. بطريقة ما تَصادَف قدومي إلى المطعم في هذا الوقت من بعد ظهيرة كل يوم، وبدأ يتسلّل إليّ إحساس بالذنب أنني أرغم هذه المرأة في تلك الساعة، حيث تتأهب على الأرجح لأخذ استراحة بعد انتهاء زحام فترة الغداء، على العودة إلى المطبخ مُجدّدًا. أحضرت المرأة طعامي ثم بعد أن غسلت وجهها، تحدّثت معي وهي تضع كريمًا على بشرتها.

«من أين أنتِ؟».

«أتيتُ من سول».

«قطعتِ مسافة طويلة!».

ابتسمتُ عوضًا عن الإجابة. كنت قد وضعت شريحة من الكيميتشي في فمي، فلم أستطع الإجابة حتى لو رغبت في ذلك. قالت لي المرأة لو كنتُ قد أخبرتها من البداية أنني سأرتاد مطعمها كثيرًا هكذا، لكانت جهّزت قائمة طعام خاصّة، مكوَّنة من أطباق تعدّها خصيصًا لعائلتها

وبسعر أرخص. حدّقت في قائمة الطعام على الجدار وفكّرت، إلى أي مدى سيكون الطعام أرخص؟ السعر مدوّن أسفل كل طبق. سعر طبق من حساء الكيميتشي أربعة آلاف وون. حساء معجون الفاصوليا المطبوخ مع آذان البحر أو المحار أو السلطعون بخمسة آلالاف وون. حساء اللحم البقري الحار بثلاثة آلاف ونصف الألف وون.

«هل أتيت وحدكِ؟».

تنفّسَت قبل أن تستطرد: «امرأة، بمفردها؟!».

«نعم».

«سائحة؟».

«لا».

«هذا ما خمّنته. لا يمكث سائح هنا لفترة طويلة عادة».

ابتسمت مُجددًا.

«إذًا أنتِ هنا من أجل العمل؟».

في تلك اللحظة انتابتني الحيرة. هل يمكنني القول إنني هنا من أجل العمل؟ هل أتيت من أجل العمل؟ كنت عاجزة عن الإجابة، فقلتُ: «حسنًا، نوعًا ما». ثم ابتسمتُ مرة ثالثة.

لا بدّ أن المرأة قد فهمت ابتسامتي على أنها: «نعم، لقد أتيت من أجل العمل».

أزاحت شعرها المجعّد إلى الوراء فوق أذنيها ثم أحضرت ثلاث ثمرات مندَرين في طبق.

«ما نوع العمل الذي تقومين به؟».

لم أستطع متابعة تناول غدائي. وضعت ملعقتي وقشَّرت إحدى ثمار المندرين. تسلّلت إلى أنفي الرائحة الحمضية، طازجة ودافئة. جلبت المرأة الجريدة من فوق المائدة الأخرى. ربما تذكّرت أنني أتصفّح الجريدة بعد تناول الطعام كل يوم. البقعة على الجريدة التي لمستها يدها حملت شذا الكريم الخاص بها. كرم ضيافتها جعلني أشعر بالإحراج من

عدم إجابتي على سؤالها، فوجدت نفسي أقول لها: «إنني كاتبة». حالما قلت ذلك، أشرق وجه المرأة حيث استقرّت عدة بقع داكنة بفعل العمر أشبه بالخريطة على خدَّيها.

«حقًا؟! يا له من شرف!».

شرف؟! طغى الخجل عليَّ، فتركت ابتسامة هادئة تعلو محياي. كانت أول مرة أشير فيها إلى نفسي على أنني كاتبة أمام غريب - شخص في مكان غير مألوف...

***

أمّي. عينا أمي داكنتان كعينَيّ بقرة. خطرت تلك الفكرة في رأسي للمرة الأولى تلك الليلة. ثم بقيت هناك من دون تغيير، حينها أو الآن. كيف حتى هذه اللحظة بعد إنجاب ستة أبناء، لا تزال أمي تمتلك عينين صافيتين إلى هذا الحد. ثمة لحظات دفعتني فيها عينا أمي إلى تفكير عميق.

إنه أول الصيف في عامي السادس عشر وعلى متن قطار الليل، وعينا أمي تترقرق بالدموع. تلك هي المرة الثانية التي تركب فيها أمي القطار إلى سول. منذ مدة طويلة، احتاج أخي الأكبر بعض المستندات من أجل التسجيل في الجامعة، لكن لسبب ما وصل خطابه قبل الموعد المحدد لتسليم المستندات بيوم واحد. بات الوقت متأخّرًا جدًا لإرسال المستندات بالبريد لهذا تولّت أمي مهمة البريد. صعدت على متن القطار وبجعبتها المستندات. كان كل ما يجول في عقل أمي هو ضرورة أن توصل المستندات التي يحتاجها ابنها في اليوم التالي، تلك الليلة بأي طريقة. الشيء الوحيد الذي كانت تعرفه أمي عن سول أن ابنها يعمل في مركز **يونجمون–دونغ** للخدمات الاجتماعية.

في كل مرة تخبرني فيها أمي بقصّة زيارتها الأولى إلى سول، تكرّر مقولة أن ثمة الكثير من الأخيار في هذا العالم.

كان يجلس إلى جواري ذلك الشاب، عمره يقارب عمر أخيك. أخرجت المظروف الضخم من حقيبتي وقلت: «الأمر أن ابني يحتاج إلى

هذه المستندات غدًا، لو كان مُقدَّرًا له الالتحاق بالجامعة، لكنني لا أعرف أين أذهب؟ وما ينبغي عليّ فعله؟». هذا الشاب ترجّل معي في المحطة، وعلى الرغم من أننا كنا في وقت متأخّر من الليل، فقد رافقني طوال الطريق حتى مركز الخدمات الاجتماعية في **يونجمون-دونغ**.

لم يكن سائق سيارة الأجرة يعرف الطريق، لكن الشاب ظل يسأل هنا وهناك حتى أوصلني إلى المكان. كان المبنى مظلمًا، لكن الشاب قال: «هذا هو». طرقت على الباب المقفل بكل عزمي عدة مرات حتى خرج أخوكِ. لقد تكبّد ذلك الشاب الكثير من المتاعب كي يُوصلني إلى هناك، لكنه، التفت ببساطة، وقبل أن أتمكّن من أن أشكره بشكل لائق، اختفى.

لقد تعاملت أمي مع رحلتها الأولى إلى سول بشجاعة منقطعة النظير، لكن الآن في الطريق كي تأخذني إلى أخي الأكبر، ها هي عيناها تفيضان بالدموع. أشيح بعينيّ بعيدًا عن عينيّ أمي الدامعة، وأحدق في الظلام القابع خارج النافذة، التي تعكس اللون البرتقالي لرداء الهانبوك الخاصّ بأمي. أحدّق في ابنة خالي الجالسة هناك مثل زهرة صباح يتيمة مزروعة بمفردها. تمد أمي ذراعها وتربّت على شعري. تبعد ابنة خالي ناظريها عنا، فقد ودّعت الخالة عند المحطة بالفعل.

«تريدين بعضًا منه؟».

تُخرج أمي بَيضًا مسلوقًا من حقيبتها. أهز رأسي نفيًا. بينما تلتقط ابنة خالي البيضة المقشَّرة من أمي، تخرج كتابًا من حقيبتها وتناوله إليّ كي ألقي نظرة عليه.

«أي نوع من الكتب؟».

«كتاب صور فوتوغرافية». تتحدّث ابنة خالي إليّ بصوت منخفض، بينما يلتصق فتات من البيض المسلوق بشفتيها. «أرغب في أن أصبح مصوّرة فوتوغرافية».

مصوّرة فوتوغرافية؟ أكرّر كلمتها. يخطر ببالي أن كل المصوّرين الذين رأيتهم في استديوات التصوير كانوا رجالًا. ألتفت إلى ابنة خالي وأخبرها

بذلك. تطلق ابنة خالي ضحكة وهي تقول، بينما تقلّب صفحات الكتاب الموضوع في حضني الواحدة تلو الأخرى: «لا أقصد ذلك الشخص الذي يلتقط تلك النوعية من الصور الفوتوغرافية، بل هذه النوعية من الصور». كل صفحة تقلّبها ابنة خالي تحوي بين ضفتيها منظرًا طبيعيًا خلّابًا. الصحراء والشجر والسماء والبحر. عندما تصل إلى صفحة معيّنة، تتوقّف وتهمس إليّ، انظري إلى هذه. ليل داخل غابة، والنجوم قد استقرّت فوق قمم الشجر بيضاء ومتلألئة.

«إنها طيور».

تملّكتني الدهشة، فقرّبت وجهي أكثر من الكتاب في حضني. نظرة عن قرب أظهرت لي أن تلك الأشياء المتلألئة والجاثمة فوق الشجر في غابة الليل ما كانت نجومًا، بل طيور بلشون أبيض. استقرّت طيور البلشون الأبيض على الأفرع الرفيعة هنا وهناك فوق أغصان الغابة المرتفعة، بيضاء لامعة يغلّفها الظلام.

«إنها نائمة. أليست جميلة؟».

أومأت. تحت سماء الليل البعيدة، نامت الطيور البيضاء، رقيقة ومسالمة، غطاء بديع يدثر الغابة.

«أرغب في التقاط صور الطيور لا البشر».

تملّكتني الدهشة وأنا أحدّق مباشرة إلى وجه ابنة خالي. بينما تخبرني عن رغبتها في تصوير الطيور، تورّدت وجنتاها كما لو كان قد غمَرها الأريج الطازج الذي يفوح من أجمة الشجر، أو طمي التربة، أو أوراق الغابة حيث تغفو طيور البلشون.

«حين أبدأ في كسب المال، فسيكون أول ما سأشتريه هو كاميرا».

يتقدّم القطار ببطء، يهدر محرّكه في سكون الليل، حاملًا حلم ابنة خالي معه. أكفّ عن الإنصات إلى همسات ابنة خالي، وأُمنّي قلبي بمنظر طيور البلشون النائمة، رقيقة ومسالمة جدًّا، غطاء بديع فوق الغابة في عتمة الظلام تحت سماء الليل البعيدة. يومًا ما سوف أذهب وأرى بنفسي تلك

الطيور البيضاء فوق الأغصان العالية. أرى بنفسي جمالها ورقّتها بينما تنام ووجوهها صوب النجوم.

لا يمكنني أن أنسى رؤية مبنى شركة **دايوو** للبناء والإلكترونيات في ساعات النهار الأولى. أطول مبنى تقع عليه عيناي منذ أن ولدت. حينها لم أعرف أن للمبنى اسمًا: **دايوو**. بينما أتبع أمي إلى الساحة خارج محطة سول فجرًا، أجري كي ألحق بها، وهي تسير متقدّمة عني ببضع خطوات، ثم ألصق جسدي إلى جانبها. كما لو أن ذلك غير كافٍ، أبحث عن يد أمي وأقبض عليها بقوّة.

«ما الخطب؟».

«إنه يخيفني». أشعر كأن مبنى **دايوو** الرابض هنالك وحش عملاق سيسحق كل شيء في طريقه إلينا، ثم يبتلعنا، أمي وابنة خالي وأنا. تبدو ابنة خالي ذات التاسعة عشرة سنة رابطة الجأش، حتى في وجه وحش عملاق. حين تدرك رعبي، تخبرني أمي أنه لا شيء.

«إنه لا شيء. لا شيء سوى هياكل خرسانية».

على الرغم من كلمات أمي، أخطو خطواتي الأولى إلى داخل المدينة في عمر السادسة عشرة، وأنا أحدّق بخوف نحو مبنى **دايوو** العملاق المتوحّش في ضوء الفجر، نحو الأنوار القزَحية المُضاءة بالفعل، نحو السيارات التي تسرع إلى وجهة ما في هذه الساعة المبكرة.

لا يزال أخي الأكبر لا يمتلك حجرة خاصة به بعد كل هذا الوقت في سول، لهذا وجب علينا القدوم على متن قطار الليل لأن المكان الوحيد في سول الذي يمكننا النوم فيه هو نُزُل لا نستطيع تحمل أجرته. قد لا يمتلك أخي الأكبر حجرة لكنه يتمتّع ببشرة ناصعة البياض. أظافر يده نظيفة، وقميصه الأبيض زاهٍ. عيناه وأذنه وفمه كأنها نُحتت بدقّة فائقة في وجهه الطويل وبشرته الملساء.

يعمل أخي في مكتب الصحّة العامة التابع لمركز الخدمات الاجتماعية نهارًا، ويدرس القانون في كلّيّة ليلية لكن لا يستطيع أحد تخمين ذلك ما لم

يذكره أخي الأكبر. مظهره يعطى انطباعًا أنه لا يعرف أي شيء عن مصاعب الحياة، ويعكس صورة شاب قضى طفولته في كنَف بيتٍ موسر ماديًا. هذا الشاب يرحّب الآن بأخته الصغرى وأمه وابنة خاله اللاتي وصلن إلى سول على متن قطار الليل، بأن يقدّم لهنّ بعضًا من حساء براعم الفاصولياء الدافئة، في مطعم في الشارع على الجانب المقابل لمركز الخدمات الاجتماعية. سَكَنُ أخي هو حجرة المناوبة الليلية داخل مبنى المركز. منذ أن بدأ العمل في مركز الخدمات، ما عاد موظفو المركز يناوبون ليلًا. لم تعد ثمة حاجة إلى ذلك لأن أخي الأكبر ينام هناك كل ليلة. قريبًا سيرافقني وابنة خالي إلى مركز التدريب المهني. اليوم أول أيام تدريبنا.

«سيتطلّب التدريب منكما عملًا شاقًّا».

يتحدّث أخي الأكبر كما لو أننا بصدد مواجهة مشقّة أكبر من المستقبل الصعب الذي ينتظرنا.

«لكن بمجرد أن تنهيا التدريب هنا، وتحصلا على وظيفة في المجمّع الصناعي، ستتمكنان من حضور المدرسة. ثمة فصول خاصة من أجل عاملات المصانع ستبدأ بالعمل السنة القادمة». ما يضيفه أخي يبدو كتبرير أو سلوان. «لو لم تسلكا هذا الطريق، فإن المدارس الوحيدة التي يمكنكما حضورها هي المدراس المهنية، وهي مخصّصة للوافدين الجدد من الريف، لكنها ليست مدارس نظامية».

يقع مركز التدريب المهني قرب بوابات مجمّع جيرو الصناعي. نغادر المطعم ونستقل الحافلة إلى بوابات المجمع الصناعي. في الملعب الرياضي لمجمّع التدريب المهني أنا وابنة خالي نودّع أمّي. أتذكّر الملعب الرياضي في ذلك اليوم. اللون البرتقالي لرداء هانبوك أمّي، هذا الظل البرتقالي يبتعد ويبتعد. يد أمي الضخمة تمسك بيدي وباليد الأخرى التي لا تمسك بيدي تضع أمي ورقة بألف وون في كف ابنة خالي.

«عندما تجوعان، لا تتركا معدتَيْكما فارغتَين. اشتريا لنفسيكما بعضًا من مشروب حليب البودرة».

تدمع عينا ابنة خالي. نسير تجاه البوابات المعدنية لمركز التدريب تاركتَيْن أمي خلفنا. تواصل خطوات أمي الابتعاد. تبدو أمي كبقعة برتقالية وسط الملعب الرياضي الشاسع. البقعة تستمر في الابتعاد قبل أن تدنو مرة أخرى. تعود أمي إلينا، وتجعلني وابنة خالي نمسك كل واحدة بيد الأخرى، وأن نقول إن على كل منا الاعتماد على الأخرى.

«أنتما الاثنتان بمفردكما الآن. لا تسبّبا المتاعب لأخيكما الأكبر. يجب أن تعتمدا على بعضكما البعض، أتفهماني؟».

تبتعد البقعة البرتقالية من جديد. يمشي أخي الطويل متقدّمًا عنا بخطوة، وعيناه مثبتتان على الأرض.

نقف -أنا وابنة خالي- بين مجموعة الأشخاص الذين اختيروا للتدريب المهني. أستمر في التحديق إلى البقعة البرتقالية وظهر أخي الأكبر اللذان يتضاءلان باطراد حتى يتلاشيا. أحكُّ الأرض بباطن حذائي لسبب أجهله. أنا فتاة في السادسة عشرة. هكذا تبدأ حياتي في سول. لكن لا تزال أمامي فترة طويلة حتى ألتقي **ها جي-سوك** والأخريات. ما كان لقاؤهنّ سهلًا.

***

ما الذي يفصل بيننا وبين هؤلاء الذين لم نقابلهم في الحياة بعد؟

كان ذلك صعبًا لكن في البداية فقط. بدأت أتحدّث و**ها جي-سوك** عبر الهاتف كثيرًا. ثم ذات يوم قالت لي: «إنكِ لا تكتبين عنّا».

عاودني شعور مألوف بالمرارة.

«لقد بحثت عن كتبكِ وقرأتها كلّها ما عدا الكتاب الأول. فالكتاب ليس متوفّرًا في متاجر الكتب في الحيّ حيث أسكن، ومن الصعب بالنسبة إليّ أن أجد الوقت كي أذهب إلى المتاجر الكبرى. هذا هو الكتاب الوحيد الذي لم تصل إليه يدي. يبدو أنك تكتبين كثيرًا عن طفولتك وعن الجامعة وعن الحب، لكن لا شيء عنا».

التزمت الصمت.

«تساءلت إذا كان ثمة أي شيء عنّا، تعرفين، ودقّقت في كل صفحة بينما أقرأ».

لم أردّ. كان صوتها عميقًا ومنخفضًا: «ألأنك ربما تشعرين بالعار؟ تجاه تلك الفترة من ماضيكِ؟».

توتّرتُ وحرَّكت سمّاعة الهاتف لأنقلها إلى الأذن الأخرى.

أخطأت **ها جي-سوك** تفسير صمتي العصبي على أنه تحفُّظ، فتحوّلت نبرة صوتها المُبهجة المرحة إلى نبرة كئيبة: «تبدو حياتك الآن مختلفة عنا».

لو أجبتها في تلك اللحظة، وقلت إن هذا عارٍ من الصحّة، هل كان هذا ليجعلها تشعر أفضل؟ لكن عجزت عن منحها ذاك الجواب. كنت عاجزة عن أن أقول، لا هذا ليس صحيحًا. ما شعرت بالفخر أبدًا، لكنني لم أشعر بالعار أيضًا. لكن لم أستطع قول هذا. ربما كانت ثمة لحظات شعرتُ فيها بالعار. لكن كانت لحظات عابرة غير مهمّة. أو ربما الأصدق أن أقول إنني لم أمتلك الوقت أبدًا كي أعير انتباهًا لتلك الأفكار أو المشاعر.

لم تتوفر لديَّ رفاهية تأويل موقفي على أنه صعب أو مؤلم. لم أتمكّن من التفكير مليًا في كل يوم يمضي. كان عليَّ أن *أعيش* -مجرّد *أن أعيش* - *كل* يوم بيومه. كان اليوم عصيبًا على الدوام من الصباح حتى المساء من دون أي وقت متاح للتفكير في أي شيء سوى المهمات العاجلة والضرورية التي يجب أن أفرَغ منها قبل أن أخلد إلى النوم في الليل بسرعة، ثم أستعيد يقظتي في الصباح بسرعة، لتبدأ عجلة يوم جديد بالدوران. فقط بعد أن اقتربت من الثلاثين أتيحت لي الفرصة للتفكير كيف لا بد أنني كنت منهكة ومستنزَفة خلال تلك الفترة.

ذات يوم بينما كنت على وشك بلوغ الثلاثين، شعرت بأنني متعَبة تمامًا. أدركت في لحظتها أن جذور تعبي تعود إلى تلك السنين. في الحقيقة لقد بلغت الثلاثين أو حتى الثانية والثلاثين منذ سنوات عديدة. ما جعلني أدرك ذلك لم يكن سوى الكتابة، وهو ما أصابني بدهشة عارمة.

أهكذا يسير الأمر مع الكتابة؟ طالما تكتب، لا يمكن اعتبار أي وقت جزءًا من الماضي بشكل كامل؟ أهذا هو المصير الذي ينتظر كل الكتَّاب - الانسياب إلى الوراء في زمن حاضرٍ إلى فترة زمنية مؤلمة في الماضي كأسماك السلمون التي تهاجر إلى أعلى، سابحة ضد التيار عائدةً إلى الوراء إلى حيث بدأت، تشقّ طريقها عبر شلالات لا تكف عن تحطيم وتمزيق زعانفها؟ تعود أسماك السلمون دائمًا شاقةً طريقها عبر شلالات المياه وهي تحمل جرحًا غائرًا في بطنها، مخاطِرة بحياتها. تعود سالكةً الطريق نفسه إلى الوراء، متعقّبة الأثر الذي تركته من قبل، مسافرةً في مسار أُحاديّ لا تحيد عنه.

***

أنا في مركز التدريب المهني.

أستيقظ في السادسة صباحًا في مهجع النوم. أحيانًا حين أستيقظ، أتذكّر المذراة التي قذفتُها داخل البئر. كيف تبدو في الأسفل هناك، تقبع ساكنة في القاع العميق؟ لكن لا وقت لمثل هذه الأفكار التافهة. أسمع قرع الجرس يستدعينا إلى الملعب الرياضي حيث نقف في صف، ونؤدّي تدريبات بدنية روتينية وسط لحن مُبهج. ثم ننظف المناطق المخصّصة لنا، ثم ننتظر في صف لنغتسل قبل أَن نتناول الفطور. لم أرَ من قبل هذا النوع من صواني الطعام، صينية واحدة تحوي مساحات مخصّصة لوضع الأرز وكل الأطباق الجانبية. بالنسبة إلى عينيّ ولساني في السادسة عشرة سنة، بدت الصينية غير مألوفة ومذاق الكيميتشي غريبًا. واجهت صعوبة في تناول الطعام بسبب الصينية الغريبة المظهر والكيميتشي غريب المذاق. حين تسألني ابنة خالي لماذا لا آكل، ألوم الكيميتشي: لا يمكنني تذوّق طعم صلصة سمك غريب في الكيميتشي. تستخدم أمي صلصةً مصنوعةً من سمك **النعاب الأصفر** فقط. أما بالنسبة إلى الصينية فلم أجد الكلمات الصحيحة للتعبير عما أجده غير مريح فيها، لهذا لم أشِر إليها. في بيتنا الريفي، يرقد طبق الأرز والحساء الخاص بي مقلوبًا لا يُستخدم فوق رف المطبخ. تشتري ابنة خالي فطيرة من أجلي من مقصف الوجبات الخفيفة.

ابنة خالي في التاسعة عشرة وأنا في السادسة عشرة، لذا تبذل قصارى جهدها للتسرية عني، لكنها تنبّهني قائلة:

«لا يمكننا مواصلة تبذير المال على المعجَّنات هكذا. لا نمتلك سوى القليل من المال ولن نجني أي مال حتى نجد وظيفة وننال أجرًا مقابل ذلك».

يلين موقفي وآخذ ملء معلقة من الحساء من الصينية الغريبة وأضعها في فمي. أتذكّر مجدّدًا أطباقي فوق رفّ مطبخ أمي فتدمع عيناي. أرى طافيًا فوق سطح الحساء داخل الصينية الغريبة وجه أخي الأصغر ذي السبع سنوات، الغارق في النوم يوم غادرت البيت، وهو يسألني ببراءة: «أين ستذهبين يا أختي الكبرى؟». أتناول ملعقة كبيرة من الأرز. احتسي الحساء. أمضغ الكيمتشي الدبق غريب المذاق ثم أبتلعه.

***

يشير المعلمون جميعًا إلينا بـ«القوى العاملة الصناعية». حتى في فصول تعلم مهارات اللِّحام، نُذَكّر بأننا هنا كجزء من **القوى العاملة الصناعية**. تعلو أبواب مهاجع النوم في مركز التدريب لافتات تحمل اسم زهور، كما في فصول الحضانة. ماذا كان اسم مهجعي؟ وردة؟ ليلك؟ كل ما أتذكّره هو وجود خزانة مثبتة إلى أسرّتنا الخشبية. بعد عدة أعوام كان يُبثُّ في التلفاز مسلسل كوميدي مشهور اسمه «**توقّف عن الحركة!**»[1]، حرصت على مشاهدته كلما عُرِض، لأن داخل الثكنات العسكرية في المسلسل يشبه كثيرًا المهجع حيث كنت أنام في مركز التدريب. الاختلاف الوحيد أن في حجراتنا علّية يمكن الصعود إليها باستخدام سلم. تنام خمسة منا في كل طابق. نساعد أنا وابنة خالي بعضنا البعض كما أخبرتنا أمي، ونصعد إلى العلّية حيث الأسرّة المخصّصة إلينا.

---

(1) مسلسل كوميدي تدور حوادثه حول مواقف هزلية داخل فرقة في الجيش الكوري. أذيع في الفترة ما بين 1988–1991

في الليالي التي لا أستطيع النوم فيها، وأرقد محدّقة إلى السقف في الظلام، أجدني أسرح بأفكاري في المذراة داخل البئر، تمامًا كما أفعل حينما أستيقظ في ساعات الفجر الأولى. يؤلمني باطن قدمي كلما فكّرت في سكون المذراة المغمورة عميقًا تحت الماء، مما يرغمني على التقلّب والالتفات بجسدي، ومدّ يدي لأتحسّس جبهة ابنة خالي وعينيها في العتمة. إن بدت لي نائمة، أهزّها لأوقظها.

«ماذا هناك؟».

أكاد أخبرها بقصة المذراة لكنني أحجم عن ذلك. مع هذا لا أرغب في الرقود مستيقظة بمفردي، لهذا أستمر في تحسّس جبهة وعينيّ ابنة خالي حتى تصفع يدي بكفها.

تضع ابنة خالي كريمًا مُعطّرًا على يديها. حين أعود إلى الحجرة العامة بعد أن أغسل وجهي، تستخدم قطعة قطن لتضع بودرة مُفتّحة للجلد حول بشرتي وتضغط برفق. ثم تحادثني في همس: «السيد كيم، أحد معلمينا، أليس وسيمًا؟».

أومئ. يدرِّس السيد كيم مادة الفنون الحرّة[1]. أسمع منه عن الحياة الكامنة في الكلمات بدلًا من «**القوى العاملة الصناعية**». شيء لم أسمع به منذ وصولي إلى مركز التدريب. اعتاد أن يخبرنا أنَّ الحياة جميلة. هل أخبرنا ما الذي يجعلها جميلة؟ لا أستطيع التذكّر. قال ببساطة: «الحياة شيء جميل». لكن ماذا سيقدِّم لنا جمالها وماذا سيسلب منا؟! فاته قول هذا. الحياة جميلة ببساطة، هذا كل ما يقوله.

***

يتحوّل كل شيء إلى الأبيض داخل رأسي.

---

(1) مادة الفنون الحرة: اسم يطلق على المناهج الدراسية التي تمنح معارف عامة، وتطوّر الفكر العقلاني والقدرات الفكرية بشكل عام من دون تخصّص. تشمل دراسة الأدب واللغة والفلسفة والرياضيات والعلوم.

أفكّر في مدخل المجمّع الصناعي. أقف أمامه وبجانبي ابنة خالي. أين ذهبوا جميعهم وتركونا أنا وابنة خالي بمفردنا هنا؟

كنا عشرين فتاة نتشارك حجرة عامة واحدة، لكنني أعجز عن استحضار وجهٍ واحدٍ. فقط تتراءى فجأةً أمامي نظّارات ثم تتلاشى ثانية. السبب الوحيد أنني أتذكّر هذا الوجه لأنه الوحيد الذي كان يستعمل نظارات، ليس فقط ضمن رفيقات حجرتنا بل في مبنى المهجع كلّه. يمكن القول إنني أتذكّر النظارات لا الوجه نفسه. نظارات ذات إطار بلاستيكي تعلو وجهًا شاحبًا. ولا أتذكّر سوى اسم واحدٍ: **كيم جونغ-ري**. في هذه الحالة الاسم فقط هو ما أتذكّره، الوجهُ قد انمحى. كل ما بقي في ذاكرتي هو انطباع باهت بأن وجهها كبير جدًا مقارنة بجسمها. **كيم جونغ-ري**. ينتمي الاسم إلى يتيمة. كل يوم سبت، حين نُعطى الأذن بقضاء الليلة خارج المهجع، تغادر صاحبة الاسم مركز التدريب المهني وتذكر أنها سوف تزور دار الأيتام التي تربَّت فيها. خلال يوم سبت عندما ذهبت **كيم جونغ-ري** إلى دار الأيتام، اندلع شغب داخل المهجع.

«لقد اختفى الخبز».

«سُرقَت محفظتي».

«ثيابي!».

مكتبة
t.me/t_pdf

فتحنا خزانة **كيم جونغ-ري** فاكتشفنا أنها قد أفرغتها من محتوياتها.

هل كانت **كيم جونغ-ري** يتيمةً حقًّا؟ أيًا كانت الحقيقة، فقد اتضح أنها استولت على كريم ابنة خالي، وأنها لم تعد حين أتى موعد نداء تفقّد الحاضرات ليلة الأحد. لقد هجرت مركز التدريب للأبد. اكتشفت أيضًا اختفاء سبعة من سراويلي الداخلية ومناديلي القماشية الجديدة التي اشترتها أمي في قريتنا، وطوَتها من أجلي على هيئة مربَّعات صغيرة كي أحزمها مع أشيائي الأخرى.

حتى في عطلة الأسبوع، ما كان لديَّ وابنة خالي مكان لنذهب إليه. نجهل حتى إلى أين تقود الطرقات على الجانب الآخر من جدران المركز.

هؤلاء اللاتي لم يمتلكن أي مكان للذهاب إليه كن يلعبن الكرة الطائرة في الملعب الرياضي. ننضم أنا وابنة خالي إليهن في ملاحقة الكرة. حين نتعب، نستحم في الحمام المشترك داخل المركز حيث تدعك كل منا ظهر الأخرى. في أيام التدريب، يجب أن ننتهي من الاغتسال خلال وقت محدَّد. لكن بعد أن يغادر المدرّبون المركز في عطلة نهاية الأسبوع، نستطيع أن نقوم بكل شيء بشكل أبطأ وأيسر. بعد الاستحمام، تستلقي ابنة خالي على بطنها فوق أرضية الخشب الصلبة للحجرة، وجهها مغطى بكريم للوجه، وتشرع في كتابة رسالة إلى الخالة. أرقد بجوارها وأحدّق في السقف بينما أحرّك قدميّ لاهية. تواصل قدماي لكز ابنة خالي. يثير عبثي حنقها، فتقترح أن أحاول أنا أيضًا كتابة رسالة. أتدحرج على بطني وأهمس في أذن ابنة خالي:

«سوف أكتب شيئًا آخر غير الرسالة».

تحدّق ابنة خالي إليَّ، سِنّ قلمها الجاف لا يزال على ورقة الرسالة.

«مثل ماذا؟».

أهمس في أذنيها بسِرّي. أمر لم أخبر به أي أحد طوال سنوات عمري الست عشرة.

«شيء مثل قصيدة شعر أو رواية».

اتسعت عينا ابنة خالي. «تعنين أنك ترغبين في أن تصبحي كاتبة».

مذعورة من أن تستهزئ بما قلته، أستمرّ في الكلام مجتهدة في شرح أن ذلك هو ما رغبت في فعله منذ وقت طويل، وأنه لا شيء آخر أودّ فعله. تميل ابنة خالي برأسها وترفع قلمها من فوق ورقة الرسالة إلى مستوى ذقنها.

«اعتقدت أن الكتّاب ومن على شاكلتهم يُولدون مختلفين، تعرفين؟».

يزعجني التفكير في أنها قد تقول: «لهذا لن تصبحي كاتبة أبدًا». لهذا تابعتُ الحديث: «لا يولدون مختلفين بل يفكّرون بشكل مختلف».

لا تقول ابنة خالي أي شيء وتسرح في أفكارها. أسحب جسمي نحوها أكثر، وجهي متورّد خوفًا من أن تعجز عن استيعاب ما أقوله: «الأمر لا

يختلف عن رغبتكِ في أن تصبحي مصوّرة فوتوغرافية، تلتقط صورًا لتلك الطيور».

تطوي ابنة خالي رسالتها وتضعها في خزانتها ثم ترقد حيث أتمدّد على ظهري، وعيناي مثبتتان على السقف. ترفع ابنة خالي ساقيها نحو السقف واضعة قدمًا فوق الأخرى.

«عن ماذا سوف تكتبين؟».

للحظة تطوف صورة المذراة في قاع البئر أمام عينيّ.

«ذلك ما لا أعرفه بعد».

كانت ابنة خالي رقيقة معي فتشجعت وأخبرتها كيف أصبت قدمي بالمذراة، وأريتها باطن قدمي حتى.

«انظري. لقد التأم الجرح تمامًا الآن، لكنه لا يزال يؤلمني حين أسير طويلًا كما لو أن وتري مشدود».

تحدّق ابنة خالي إلى قدمي: «ما شأن هذا برغبتك في الكتابة؟».

لا أستطيع العثور على الكلمات لأجيب عن سؤالها. كيف أشرح ذلك لها، أنه لو لم أحتفظ بشيء نقيّ بداخل قلبي، فإنني عاجلًا أم آجلًا سوف أطعن قدمي بمذراة مرة أخرى؟ لكنني اكتفي بأن أقول لها: «الكتابة فقط سوف تحميني».

أشعر بالسخافة حيال كلماتي المفرطة بالثقة، فأضيف: «لا حاجة للقلق بشأن المذراة لأنني قذفتها في البئر».

تعتدل ابنة خالي في جلستها: «ماذا قلتِ؟».

«المذراة. قلتُ إنني قد قذفتها داخل البئر».

تحدّق ابنة خالي فيّ كما لو أنها لا تستوعب شيئًا مما أقوله.

«قذفتِها عمدًا؟».

أومئ.

«لماذا فعلتِ ذلك؟».

لا أستطيع الردّ. لا أعرف كيف أشرح لها أنني كنت مرعوبة. كيف

أنني كنت مرعوبة من أنه سيأتي يوم سوف ألتقط فيه المذراة لأقلب علف الشعير وأجرح قدمي ثانية. تتحدّث ابنة خالي إليّ بنبرة وقورة، والحيرة لا تزال تعلو وجهها.

«حين نعود إلى البيت في زيارة، ينبغي عليكِ أن تخبري خالي كي يستخرج المذراة من البئر وينقّي مياهه».

لا أستطع الحديث.

«لا بد أن مياه البئر كلّها قد تلوثت الآن. ألم تفكري في حقيقة أن الناس تشرب من البئر؟».

المياه؟ تُخرِسني كلماتها، لم أفكّر أبدًا بأن المذراة سوف تلوّث المياه.

***

حين يأتي أخي الأكبر في إحدى زياراته ويرافقنا إلى مخبز قرب مدخل المجمع الصناعي، تعلن ابنة خالي بصوت مرتفع وهي تشير إليّ: «تقول إنها سوف تصبح كاتبة».

«كاتبة؟ أنتِ؟».

يتطلّع أخي الأكبر إليّ مندهشًا من نظرة الامتعاض التي أرمق بها ابنة خالي.

«ما الأمر؟ لا أعتقد بأنه سرٌّ كبيرٌ يجب أن يُكتَم».

يصحبنا أخي الأكبر إلى مطعم صيني لتناول شعيرية **الجاجانغميون**(1). ثم يسير معنا في طريق العودة إلى مركز التدريب المهني حيث يودّعنا وهو يناولنا حقيبة قماشية مليئة باللبن والمعجّنات وأشياء أخرى. يسير عابرًا الملعب الرياضي وعيناه على الأرض وظهره الشاهق منحنٍ، ثم يختفي مجتازًا بوابة المركز.

***

(1) شعيرية كورية-صينية، تصنع مع صلصة سميكة من الفاصوليا الحلوة سوداء اللون. وقد يُضاف إليها الخضراوات ولحم الخنزير، وأحيانًا المأكولات البحرية.

في النهاية أخذَت جُمَلي في التشكّل. قصيرة، وبسيطة. الماضي مصاغ في زمن مضارع، والحاضر في زمن ماض. جمَلٌ واضحة كصورة. اتركي باب الحجرة المنفردة يُغلق من جديد. اتركي الجُمل تُعبّر عن وحدة أخيكِ الأكبر وهو يمشي تجاه بوابة المركز وعيناه على الأرض.

عندما استمعت إلى **ها جي-سوك** تقول بوضوح: «تبدو حياتكِ الآن مختلفة عن حياتنا»، أدركت أن قلبي هو مصدر الوخز الذي شعرت به. قلبي يتوجّع. هنالك شخص آخر قال لي هذا أيضًا، لم يستخدم كلمات **ها جي-سوك** بالضبط لكن بالمعنى ذاته، *أنتِ مختلفة عني*. كان ذلك الشخص هو أمي.

بعد مضي ستة عشر عامًا على بلوغي عمر السادسة عشرة، أنا كاتبة الآن وأعمل على نَصٍّ كي ألحق بموعد تسليم عاجل. أمي تزورني في سول ولا تكفّ عن الحديث إليّ. ألتقط أحد كتبي من فوق رف الكتب، وأناوله لها.

«لماذا لا تقرئين هذا لبعض الوقت. سأفرغ من الكتابة قريبًا».

حين أنتهي من عملي، أجد أمي وقد استغرقت في النوم وكتابي يغطي وجهها.

«أمي!».

يبدو عليها الندم لأنها غفت بدلًا من قراءة كتابي، وتقول وهي تناولني الكتاب: «أنتِ الآن مختلفة عني». تبدو كلماتها في ذلك الوقت بديهية ومفروغ منها. بالطبع نحن مختلفتان. أمي مولودة في الثلاثينيات وأنا مولودة سنة 1963. لهذا أوّلت قصد أمي بكلمة «مختلفة» بأنها تشير إلى الفجوة بين جيلين مختلفين. لكن لم يكن هذا هو الأمر. كان هناك شيء ما كنت أعرف به مطلقًا. إن الحروف الوحيدة التي تستطيع أمي قراءتها هي الحروف في كتاب صلواتها، وإنها ربما تصلّي والكتاب مفتوحٌ في حضنها، لكنها تحفظ كل الصلوات في ذاكرتها عن ظهر قلب. علمت من أخي الأصغر في العام التالي فقط أنه يعلّم أمي كيف تقرأ وتكتب. ما عرفت أن أمي أمّية قبل ذلك أبدًا.

طوال الربيع والصيف، فرّت مني كلماتي ولم يبقَ سوى هذا الصوت، يقطر كقطرات مياه، داخل قلبي:

«لا يبدو أنكِ تكتبين عنا»...

« ألأنكِ ربما تشعرين بالعار من تلك الفترة من ماضيكِ؟»...

«تبدو حياتك الآن مختلفة عن حياتنا».

كلما أفقت من غفوة مريحة، يتحوّل صوتها دائمًا إلى مياه مثلجة تتساقط في قطرات من السقف لترتطم بجبهتي... لا... يبدو... إنك... تكتبين... عنا... ألأنكِ... ربما... تشعرين... بالعار... من... تلك... الفترة... من ماضيك؟ تبدو... حياتكِ... الآن... مختلفة... عن... حياتنا...

***

يأتي أخي الأكبر في زيارة.

ها هو يحدّق إلى ورقة بيضاء مكتوب عليها أسماء المصانع التي أصبحنا مؤهلات للتقدّم من أجل العمل فيها بعد اكتمال فترة تدريبنا. بعد أن يطيل النظر إلى أسماء المصانع لبرهة، يضع أخي الأكبر دائرة حيث كُتب اسم «شركة دونجنام المتّحدة للإلكترونيات».

«يُفترض أن يكون العمل في شركة إلكترونيات منظمًا على الأقل». أتطلّع إلى أخي الأكبر وهو يناولني الورقة التي أحاطها بدائرة.

«سمعت أنني صغيرة جدًّا كي أتقدّم للعمل هناك، لهذا يجب عليّ أن أقدّم أوراقي تحت اسم شخص آخر».

«كم عمركِ؟».

«ستة عشر».

«ستة عشر». يردّد أخي الأكبر وقد علا التجهّم ملامح وجهه.

«لا تقلقي. سأعتني بالأمر». ينهض أخي الأكبر من على المقعد عند مقصف الوجبات الخفيفة، وينفض الغبار عن ثيابه بيديه.

***

ضمن المتدرّبات في المركز، اختيرت نحو عشرين فتاةً للعمل في

شركة **دونجنام** المتّحدة للإلكترونيات. لم تجمعنا أي روابط سابقة لكن حقيقة أننا تدرّبنا سويًا، وأننا سوف نغادر إلى المكان نفسه يمنحنا إحساسًا بالقرب. تجلس مجموعتنا المكوَّنة من نحو عشرين فتاةً معًا في حلقة، نفكّر في شركة دونجنام للإلكترونيات. كيف يبدو هذا المكان وماذا سيحدث هناك حين نشرع في العمل.

في اليوم الذي نغادر فيه مركز التدريب المهني، يكتب معلمنا السيد **كيم** قصيدة شعر على السبورة السوداء داخل قاعة الشرح.

كم من الجميل/ أن تراقب من الخلف/ شخصًا يرحل/ شخصًا يعرف بوضوح متى ينبغي عليه الرحيل.

يمتلك السيد **كيم** شَعرًا مجعّدًا. يمسك الطباشير بيده اليمنى ويسراه تدعمها من أسفل. كم كانت قصيدة حزينة. تترقرق عينا ابنة خالي بالدموع. يلقي السيد كيم القصيدة علينا ثم يودّعنا: «أنتنّ أمل صناعة أمَّتنا...». حتى السيد صاحب الشعر المجعّد يسمح في النهاية لكلمة «صناعة» أن تخرج من فمه». الآن آن الأوان كي ترحلن عن هذا المكان وتبدأن حياتكنّ العملية. ستكون أماكن عملكنّ أساس حياتكنّ».

لقد عشنا سويًا كمتدرّبات لشهر واحد، لكننا نتبادل أسماءنا وأسماء الشركات التي سنعمل لصالحها. نفترق ونحن نردّد لأنفسنا:

كم من الجميل/ أن تشاهد من الخلف/ شخصًا يرحل/ شخصًا يعرف بوضوح متى ينبغي عليه الرحيل.

***

تقع شركة **دونجنام** المتّحدة للإلكترونيات داخل مجمع **جيرو** الصناعي رقم 1. نخطو -نحو عشرين متدرّبة اختيرت للعمل في شركة **دونجنام** للإلكترونيات- من مدخل المجمع الصناعي إلى داخل أراضي المجمع.

بعد أن عُيِّنّا في الشركات، مُنحنا إجازة لمدة أسبوع. يصحبنا أخي الأكبر إلى الحجرة التي أستأجرها في مبنًى سكني في المجمع الصناعي رقم 3 قرب محطة مترو الأنفاق.

ألا يزال المنزل هناك؟ المنزل الذي لم أعُد إليه أبدًا منذ غادرته. الحجرات السبع والثلاثون في ذلك المنزل. لم أعُد أبدًا لا إلى البيت ولا إلى الحجرة المنفردة، ولا حتى إلى المنطقة التي يقع فيها. مع هذا، فإن المنزل واضح الملامح في ذاكرتي كصورة محفوظة بعناية، ويتجلّى في رأسي بحيوية شديدة. وكذلك الحجرة في ذلك المنزل.

بعد أن يجتاز محطة قطار الأنفاق في هذه الضاحية، فإن القطار المتجه إلى **سو–وون** يدخل مقاطعة **جيونغجي**. إنْ كنت متجهًا إلى **سو–وون** عبر قطار الأنفاق، فإن هذه المحطة هي المحطة الأخيرة في سول. هذا ما دوّنته منذ ست سنوات. محطّة قطار الأنفاق التي تجتازها القطارات المتجهة إلى **سو–وون** تمثّل بداية الضاحية. عند محطة قطار الأنفاق، يتشعّب الطريق إلى ثلاث طرق. مع هذا فإن أي طريق ستسلكه من الثلاث سيقودك إلى المجمّع الصناعي. الطريق جهة اليسار الذي كان يقود إلى البيت، يتفرّع إلى زقاق بين متجر الصور ومقهى شاي «**حقل الشعير**». على جانبَيّ الزقاق تنتشر البيوت. حين تغادر الزقاق حيث البيوت، وتعبر طريق المشاة الصاعد (المعبر الفوقي) الذي يقود إلى السوق، ستجد نفسك على الجانب الآخر من السوق أمام المجمّع الصناعي. المنزل بحجراته السبع والثلاثين يقع داخل متاهة، حين تصعد السلالم وتأخذ الممر المُلتفّ عميقًا داخل ركن ما، حيث يتراءى لك ألّا شيء يمكن أن يتواجد هنا، ستعثر على حجرة أخرى ملحق بها مطبخ صغير داخل هذا المنزل المبني من الطوب الأحمر والمكوَّن من ثلاثة طوابق.

«هذا هو».

يصحبنا أخي الأكبر عبر البوابات المفتوحة. يسري صوت أخي الأكبر داخل أذنيّ الآن كما سرى حينها. تلك هي، حجرتنا المنفردة، واحدة من بين السبع والثلاثين حجرة.

البيت محاط من الأمام والخلف ببيوت أخرى، يحوي كلٌ منها العدد نفسه من الحجرات. عندما نفتح نافذتنا، نشاهد عددًا لا يحصى من البشر

يتدفقون خارج محطة قطار الأنفاق. الجسر العلوي الذي يقود إلى المتجر في زاوية الزقاق، أو السوق مزدحم بالبشر على الدوام فما السر في هذا؟ متى فكرت في الأمر حينها أو الآن، فإن أول سؤال يخطر ببالي: ما السر في هذا؟ لماذا كانت حجرتنا منعزلة جدًّا؟! لقد عشنا في هذا المكان المُوحش، منعزلين ووحيدين.

***

ها أنا أكتب من جديد.

أتخيّل نفسي واقفة على مسافة ثلاثة أمتار من الدرج المفضي إلى الطابق الثاني، وألقي نظرة من أعلى على فناء المنزل. ثمة صنبور مياه وسط فناء المنزل المُغطّى بالإسمنت. على يسار الدرج بابان خشبيان صفراوان. النافذة الزجاجية في الأبواب الخشبية تعلوها طبقة من الغبار. نُقش تحت الغبار بدهانٍ أبيض الرموز الصينية للذكر والأنثى، الين واليانغ. كل صباح يتظاهر الساكنون بالارتباك في حضرة الآخرين، كأن كلًا منهم ينتظر أمرًا مغايرًا تمامًا، وهم يقفون حول صنبور المياه. هذا هو الوقت الوحيد الذي يمكن لكل منهم رؤية وجه الآخر. ينهمكون في الاغتسال من دون أي ابتسامة أو اعتراف بوجود الآخر. خلف الباب الثاني جهة اليمين، عاشت **هِي-جاي** هناك بمفردها.

هي-جاي، الاسم الذي برز في رأسي فجأة. نشكّل أنا وابنة خالي وهِي-جاي عناصر لوحة من **الرسم النوعي** للقوى العاملة الصناعية في السنوات الأخيرة من نظام **يوشين**. أتأمل مجموعة من رسومات **كيم هونغ-دو**[1] النوعية. حين كان **كيم هونغ دو** يجلس على مقعد يواجه الشوارع أو رصيف المرسى، أو مدرسة أو حانة أو ساحة مصارعة أو

---

(1) كيم هونغ دو: ولد في سنة 1745 ومات في 1806 أو 1814، وهو أحد أشهر رسامي مملكة جوسون الكورية القديمة. تميز كيم برسوماته التي شملت شتى المجالات لا سيما تصوير الحياة اليومية للناس من حوله.

البقعة التي تغسل عندها النساء الثياب بجوار جدول مياه، ويرفع فرشاته ببساطة. من المذهل كيف يبدو البشر من القرن الثامن عشر أكثر واقعية في رسومات **كيم هونغ-دو** من الواقع نفسه. كيف يصل إنسان إلى هذا المستوى من البراعة الفنية التي أشاد بها الجميع وصفّقوا لها بإعجاب. أتساءل كيف كان **كيم هونغ**-**دو** سيجسّد **هِي-جاي** في إحدى لوحاته؟

ستجسّد معظم الشخصيات في هذه اللوحة النوعية في حالة حركة لكن هِي-جاي ستجسّد في صورة ابتسامة شاحبة. أفكر في الرسومات النوعية التي تعود إلى زمن مملكة جوجيوريو[1]. جداريات المقابر واللوحات التي تجسّد مشاهد الصيد، والمعارك والرقص ومباريات المصارعة والألعاب البهلوانية وطواحين الحبوب ومتاجر الجزارة والإسطبلات وزرائب المواشي. لا يمكن أن نُوضع أنا وابنة خالي وهِي-جاي داخل أجواء حركة دؤوبة، ترسمها ضربات فرشاة قوية. فقد كان مكاننا أمام أحزمة النقل المتحرّكة باستمرار أو أمام إبرة لا تتوقّف عن الحياكة، منكَبّات فوق ماكينة الخياطة، عيوننا منهكة، ومضيَّقة دائمًا. من رابع المستحيلات أن نتواجد كانعكاسات مبهجة ورقيقة للحياة اليومية، منغمسات في روح دعابة مرحة، بل سنتواجد كظلال شاحبة بالكاد تسنح لها الفرصة للاستلقاء على الأسطح، ننعم بدفء الشمس في وقت راحة الغداء. من وجهة نظر تاريخ الأزياء، سنكون مرتديات ثياب العمل الزرقاء.

أنهض من فوق مقعدي عاجزة عن التحمّل أكثر.

أركض هاربة. أمسكُ بنفسي بينما أهرب. اجلسي، لا يمكنك مواصلة الفرار بعد الآن. الآن ولاحقًا وأبدًا. لذا اجلسي.

في أيام العزلة تلك كثيرًا ما أستحضر بصعوبة في رأسي صورة الطيور في كتاب الصور الفوتوغرافية الذي أرتني إياه ابنة خالي في الليلة التي أتينا فيها إلى المدينة. الطيور النائمة تواجه النجوم تحت سماء الليل البعيدة،

---

(1) يصوّر الرسم النوعي جوانب الحياة اليومية من خلال تصوير الأشخاص العاديين وهم يمارسون أنشطتهم.

عالية وجميلة. أبذل مجهودًا حثيثًا كي أعد نفسي بأنني يومًا ما سوف أذهب وأراها بأم عينيّ، بينما أعيش حياتي داخل لوحة نوعية. لاحقًا حتى حين تعصف بي الوحدة وسط إرهاق الحياة اليومية وغياب علاقات ذات مغزى، لم أكن أتخلّى أبدًا عن فكرة أنني سوف أذهب يومًا ما كي أرى الطيور في كتاب صور ابنة خالي بأم عينيّ. سوف أرى طيور البلشون الأبيض في الغابة بعد انسدال الليل، أسراب البلشون الأبيض تميل مقتربة من بعضها البعض في عناقيد، تدثّر الغابة أثناء نومها بغطاء خَلاب كما لو أنها قد صفحت عن كل شيء في هذا العالم. ذات يوم، وعدت نفسي بإصرار يزداد قوةً في الأيام المليئة بالإحباط والوحدة، سوف أشقّ طريقي إلى ما وراء قمم الجبال التي تحجب رؤيتي وذراعي يستند إلى حافة نافذة عربة القطار.

مرّت ست عشرة سنة على هذا الوعد.

لم أقم بعد برحلتي كي أرى الطيور. لا لأنني قد نسيت الأمر. على العكس... مع مرور كل سنة، يزداد عدد الأيام التي أذكّر نفسي فيها بهذا الوعد، وتتجلّى فيها طيور البلشون الأبيض بروعة أعظم داخل قلبي. حتى حين كنتُ أدلك قدميّ المتعبتين، أفكّر في الغابة التي لم أزُرها بعد، وأسراب البلشون الأبيض النائمة ووجوهها صوب النجوم. أفكّر فيها فأتمكن بطريقة ما من الحفاظ على رباطة جأشي في وجه الألم الذي يسبّبه لي الإرهاق، وحتى في وجه المسرّات النادرة التي تجد طريقها إليّ، والمآسي المريرة، وفترات الوحدة الباردة التي تعصف بي لأيام كالمطر - بطريقة ما تبدو كلّها تافهة وعابرة، ويمنحني هذا التفكير القوة لاستقبال يوم جديد والمضيّ في الحياة.

لكن الآن هذا الاسم، هِي-جاي يطاردني - هل طارت أسراب البلشون الأبيض إلى الحزن البعيد الذي ناءت به سنوات الماضي، إلى ذلك الزمن الذي شهِدَ غيابها؟ هل كنتُ قادرة حينها على تذكير نفسي بوعدي بأن أذهب يومًا ما لرؤية الغابة؟

***

أنا في السادسة عشرة، أخطو داخل الحجرة المنفردة المنعزلة. أفتح النافذة. تتسع عيناي. هل وصل القطار إلى المحطة في اللحظة نفسها التي فتحت فيها النافذة؟ النافذة تطلّ على محطة قطار الأنفاق في الجهة المقابلة لقطعة الأرض الفارغة. يتدفّق سيل متقطّع من الرؤوس، لا شيء سوى رؤوس أجساد البشر بينما يصعد البشر درجات محطة قطار الأنفاق ويندفعون خارجين كمدّ جارف إلى نهر الطريق، لا يُرى منهم سوى رؤوسهم. لكن في غضون أقل من خمس دقائق، يتفرّقون بعيدًا كل إلى مكان ما ويصبح نهر الطريق خاليًا تمامًا. كل هؤلاء البشر، أين ذهبوا؟ يبدو المشهد كما لو كان حلمًا، هؤلاء البشر الذين ملأوا المكان ثم أفرغوه في خمس دقائق فقط. أقف أتأمّل الطريق وأنا أستمع إلى ابنة خالي تفتح النافذة الصغيرة في المطبخ. نمسح وننظف حجرتنا ثم نزيل الآثار التي خلّفها المستأجر السابق ونرميها في صندوق القمامة: نلتقط كسرة من طوب أحمر يبدو أنها استُخدِمت لموازنة الخزانة، ونتخلّص من قطع المناديل الورقية المبعثرة في العلية وموقد الكيروسين العتيق المهجور.

يضع أخي الأكبر بعض النقود في يديّ ابنة خالي.

« استدِلّا من مالكة المنزل عن مكان السوق، واذهبا لشراء الحاجيات التي ستلزمنا كي نطهو الطعام».

بعد أن يغادر أخي الأكبر، أرقد وابنة خالي على بطنينا فوق أرضية الحجرة ونكتب على ورقة بيضاء الحاجيات اللازمة لطهو الطعام. تمامًا كما قال لنا. قِدر ومصفاة وصحن كبير لنقع الأرز وثلاثة صحون صغيرة وثلاثة أطقم من المعالق وعيدان الأكل، وثلاثة أطباق وموقد كيروسين وثلاثة صحون للأرز وأخرى للحساء...

نسير أنا وابنة خالي بطول الزقاق حتى السوق الذي قيل لنا إنه يقع في الجانب الآخر من الطريق، واشترينا مستلزمات المطبخ المدوّنة في القائمة. شُحِنت متعلّقات أخي الأكبر من حجرة المناوبة الليلية في مركز الخدمة الاجتماعية في يونجسان إلى حجرتنا المنفردة، مكتب ومقعد.

بالإضافة إلى المجموعة الكاملة لشرح القوانين الأساسية الستة، وكتب عن القانون الجنائي موضوعة داخل حقيبة سفره. أفتح حقيبة صغيرة فأجد لفافة تحوي ثياب أخي الداخلية والتي تحتاج إلى الغسيل. بعد أن يتفقّد أخي الأكبر الحجرة والمطبخ، يغادر ثانية ويعود مع دولاب ملابس بلاستيكي وصوانٍ صغيرٍ وكيس أرز. يوصّل العوارض المعدنية لينصب دولاب الملابس بجوارٍ المكتب، ويقول لنا أن نخرج ثيابنا من حقائبنا ونعلقها داخل الدولاب. نغادر ثانية لنبتاع أفرشة النوم. يمشي أخي إلى السوق بالهيئة نفسها التي عبر فيها الملعب الرياضي كي يغادر مركز التدريب المهني، عيناه مثبتتان على الأرض. تندفع تنهيدة متقطّعة من فمه بين الفينة والأخرى. نشتري مراتب أرضية، وأغطية من المِنك، وثلاث وسادات، ونوزّع الحاجيات في ما بيننا لنحملها في طريق العودة. لا يتفوه أخي الأكبر إلا بما هو ضروري ولا يبتسم حتى.

«دعونا نتناول الطعام اليوم في الخارج».

يصحبنا أخي الأكبر إلى الزقاق خارج حجرتنا المنفردة، ويشتري لنا عشاء من ضلوع لحم الخنزير المشوي. لا يأكل. يبدو أنه ساخط للغاية أو ربما منهك جدًّا، يجلس هناك فقط يراقبنا ونحن نلتهم الضلوع المشوية.

لا يشيخ المرء دائمًا وفقًا لتسلسل الأرقام المتعارف عليه. يمكن للمرء أن ينتقل من عمر السادسة عشرة إلى عمر الثانية والثلاثين في يوم واحد فقط. حدث هذا في ذلك اليوم في المطعم. حينها أصبحت أنا، ذات السادسة عشرة عامًا، فجأة في الثانية والثلاثين. ذلك اليوم حين شاهدت أخي الأكبر يجلس هناك وقد أضناه التعب وسط أدخنة ضلوع لحم الخنزير، يقدّم لي ولابنة خالي عشاء من الشواء من دون أن يتناول هو قضمة واحدة، أؤمن أنني قد أصبحت في الثانية والثلاثين، ذلك هو عمري الآن.

***

قضينا خمسة أيام من إجازتنا الممتدة لأسبوع في الريف. كانت المرة الأولى التي نسافر فيها عائدتين إلى الريف من سول. لأنني وابنة خالي

لا نعرف سوى الطريق بين مركز التدريب وحجرتنا المنعزلة، يأتي أخي الأكبر ليشتري لنا التذاكر ويصحبنا حتى مقاعدنا داخل عربة القطار، ويشتري لنا حفنة من المعجّنات والمشروبات لنتناولها على متن القطار.

هنا في الحاضر، بعيدًا عن الكتابة، أشعر بغصة في قلبي.

حينها كان توفر الطعام مسألة عويصة، لهذا كان أخي الأكبر يحرص على شراء الطعام لنا. في المطعم على الجانب الآخر من مركز الخدمة الاجتماعية، يبتاع لنا حساء براعم الفاصوليا. في مقصف الوجبات الخفيفة داخل مركز التدريب المهني، يشتري لنا المعجّنات واللبن. وخارج حجرتنا المستأجرة، يشتري لنا أضلاع لحم خنزير. كان أخي الأكبر -مجرد شاب في الثالثة والعشرين، عليه أعباء كثيرة، العمل نهارًا في مركز الخدمات وارتياد كلية الحقوق ليلًا.

تصعد ابنة خالي على متن القطار أولًا، فيضع أخي الأكبر بعض المال في يدي ويخبرني أن أشتري صندوق سجائر إلى أبي ولوح لحم بقري، وكعكًا مُحلّى من أجل أخي الأصغر وأحملها معي إلى البيت.

كانت أمي تهم بالخروج وهي تحمل سلة غداء من أجل أبي الذي يعمل على الجانب الآخر من سكة الحديد. حينما تراني أمي أسير عبر البوابة، تسقط سلة الغداء من يدها. حالما يسمع صوت أخته الكبرى من مكانه داخل إحدى الحجرات، يدفع أخي الأصغر الباب ليفتحه وهو يهتف: أختي!!

يركض أخي الأصغر ذو السبع سنوات خارجًا وهو حافي القدمين ويتعلّق بذراعي: «أين كنتِ؟!». تترقرق مقلتا أمي بالدموع.

«لا رحيل بعد الآن، عديني بذلك؟!».

يقفز أخي الأصغر إلى أعلى ويتسلّق ظهري.

«انزل، سوف تؤذي ظهر أختكَ». لكن أخي الأصغر يعاند.

«لا رحيل بعد الآن، حسنًا؟».

يلف أخي الأصغر ذراعيه الضئيلتين حول عنقي. تلتقط أمي سلة الغداء.

«بعد أن غادرتِ، أحدث جلبة كبيرة، راح يبكي ويولول، ويسأل أين رحلتِ. كيف سنتجاوز كل ذلك مرة أخرى؟».

أتوجه إلى الخارج وراء أمي لأرى أبي وأنا أحمل أخي الأصغر على ظهري.

«بعد رحيلك، أغلق أبوك المتجر لثلاثة أيام، واكتفى بالاستلقاء داخل حجرته».

أذلك ما فعله أبي؟! يُذكّرني ذلك بتلك الليلة وأنا أشاهد أبي يقف في الظلام بوجهٍ خالٍ من أي تعبير، فشعرت بوخزة في أنفي. لكن أبي لم يُظهِر أيًا من هذا حين يراني، «إنها أنتِ». هذا كل ما يقوله. حينها تتلاشى الغصّة التي أحسست بها في قلبي. في المساء يعود أبي إلى بيتنا في قلب القرية. ذهبت أمي إلى بيت زوجة أخيها من أجل طقوس تقديم القرابين الخاصّة بذكرى جدّتي. أبي طاهٍ جيّدٍ على الرغم من أنه لا يطهو كثيرًا. بحسب كلام أمي، لطبخ أبي مذاق طيّب لأنه كريم في إضافة التوابل، ولا يحاول أن يقتصد في استخدامها عند الطهو.

«في كل مرّة يدخل فيها أبوكِ المطبخ، تختفي كميّة من التوابل تكفي عادة لعشرة أيام. كيف لا يكون لطبخه مذاق جيد وهو يستخدم الكثير جدًّا من التوابل».

يغمس أبي قطعًا طويلة من لحم الخنزير في صلصة حمراء أعدّها من البصل الأخضر والثوم وبودرة الفلفل الأحمر الحار وبذور وزيت السمسم، ويطهوها على الشواية من أجلنا. أصبح أخي الثاني الآن تلميذًا في كلية حربية، بينما يمكث أخي الثالث في سكن للمغتربين في **جونغ-جو**. كصغار طيور السنونو، ننقضّ أنا وأخي الأصغر وأختي الصغرى على الطعام، ونمضغ لحم الخنزير المتبّل الذي شواه أبي من أجلنا. يقول أبي إنه سيطهو شعيرية **الجاجانغميون** من أجلي غدًا.

أقول: «لا تُرهق نفسك». فيردّ أبي: «وجهك ضامر للغاية».

لم يعرف أبي الذي قابلته بعد ست عشرة سنة ذلك أبدًا. ذات مرة بينما

يطهو الأرز المسلوق مع الكيميتشي في مطبخ شقتي، سرحت بأفكاري فيه. أخرج أبي بعض الكيميتشي الرطب من ثلاجتي وقطع الخس إلى شرائح رفيعة، ثم أذاب مكعّب زبدة في مقلاة على النار. قال وهو يقرب أصبعين من بعضهما: «أحتاج إلى شرائح من اللحم البقري بهذا السُمك بالضبط». بينما أُخرج اللحم البقري من الفريزر، أفلتت مني قهقهة مكتومة. توقّف أبي أثناء قلي اللحم البقري في المقلاة وسألني ما الذي جعلني أقهقه.

أجبت: «الأمر فقط... الأمر فقط أنني سعيدة».

فقط حين ينهمك أبي في الطهو، يكفّ عن التفكير في رأي الآخرين فيه.

الآن، في هذه اللحظة، تجعلني الكتابة سعيدة.

فقط حين ينهمك أبي في الطهو، يكفّ عن التفكير في رأي الآخرين فيه. أكتبُ وأحسّ بالسعادة. لأنني ربما الوحيدة في عائلتي التي تستطيع وصف أبي هكذا. لو اكتشفت أمي أنني وصفت أبي بهذه الطريقة، فربما ترمقني بنظرة جانبية عابسة.

كانت لتقول: «ألن ينظر الناس باحتقار إلى أبيك لو بلغهم أنه كان في المطبخ يطهو؟».

***

أتبع المسار الضيق لحياة عائلتنا في القرية. حياة تتطابق مع الحياة في أي قرية ريفية، في أي مكان في أنحاء البلاد. في هذا المسار، أواجه شعورًا غريبًا بالسكينة. لا يخطر ببالي ولو للحظة أن أسرتي فقيرة. لم أشعر أبدًا أننا موسرون لكننا لسنا فقراء أيضًا. كلما ذهبت بعيدًا في هذا المسار الضيّق، كلما قلَّ إحساسي بالفقر. في العطلات تُخرج أمي دائمًا ملابس جديدة قد جهّزتها من أجلنا (يوجد الكثيرون من الأطفال الذين لا يحصلون على أي ملابس جديدة في العطلات)، وتشتري لنا دائمًا أحذية رياضية جديدة (الكثيرون من الأطفال كانوا يسيرون في الأرجاء بنعال مطاطية)، وتبقيني بعيدة عن العمل في الحقول (عمل الكثيرون من الأطفال في الحقول،

وصبغت الشمس وجوههم بالسمرة)، وتفعل كل ما بوسعها كي نواصل دراستنا في المدرسة (ارتاد الكثيرون من الأطفال المدرسة الابتدائية فقط). لهذا كانت أمهات القرية ينعتن أمي أحيانًا بأنها مُبذّرة بشكل غريب، قائلات إنها لا ترضى أبدًا بقسمتها في هذه الدنيا.

على الرغم من كل هذا، فإن بذل كل ما بوسعها كي تحاول أن تمنحنا هذه الأشياء، كان معيار أمي للسعادة، وتطلّب الأمر الكثير كي تتخلى أمي في النهاية عن المحاولة.

كنتُ أنا من أسبِّب لها التعاسة دائمًا. ما كان الأمر خطأ أمي ولا خطأي. الأمر أنني حينما تخرّجت من المدرسة الابتدائية ورغبت في الالتحاق بالمدرسة المتوسّطة، تصادف أن أخي الثاني كان على وشك دخول المدرسة الثانوية، وهو ما وضعنا في موقف محرِج حيث إننا لا نمتلك مالًا إلا لتغطية نفقات تعليم طفل واحد. مع هذا ألحقتني أمي بالمدرسة بأن باعت الخاتم اليتيم الذي تزيّن به أصبعها. ثم عندما حان الوقت لدخولي المدرسة الثانوية، كان أخي الثالث يستعدّ من أجل امتحان دخول الجامعة، وأختي الصغرى على وشك بدء الدراسة في المدرسة المتوسطة.

يعلن أخي الأكبر بعد مداولات طويلة أنه سيصحبني معه إلى سول. فأخذًا بالاعتبار أن إخوتنا الصغار سوف يأتون إلى سول قريبًا من أجل الجامعة، فمن الأفضل له أن يستقرّ بشكل جيد في سول قبل قدومهم من خلال تدبير شؤون الحياة معي كبداية. وهكذا في سن لا يتعدّى الثالثة والعشرين، اكتشف أخي الأكبر كيف يمنع أمي من التخلّي عن سعادتها في وقت مبكر جدًا.

***

طوال فترة إجازتي أحوم حول البئر كلما سنحت لي الفرصة لذلك. أريح ذراعيّ فوق حافّة البئر، وأمعن النظر في داخله. البئر عميقة، عميقة جدًّا، لا يمكنني رؤية المذراة التي غاصت تحت الماء. لا أستطيع تناسي ما قالته ابنة خالي عن أن المياه قد أصبحت مُلوّثة، لكنني لا أقوى على

حمل نفسي على إخبار أبي أنني قذفت المذراة داخل البئر، وأن المياه يجب أن تضخ خارج البئر لتحلّ محلها أخرى نظيفة.

يلاحظ أخي الأصغر بغريزته علامات عودتي الوشيكة إلى المدينة. فيجرّ قدميه وراء كل خطوة أخطوها.

بحثًا عن أمي التي خرجت إلى حقول الخضراوات، أرافق أخي الأصغر ونتوجه إلى الجبال. تطغى على الجبال التي غسلتها الأمطار رائحة الشجر. أشجار البندق والصنوبر والسنديان والكستناء. تلتصق التربة الصفراء بباطن قدمي.

لقد كبرتُ عند قدم هذا الجبل، في مواجهة تلك السهول. نما طولي وسط سيول الصيف وثلوج الشتاء الغزيرة. حتى الآن لا يمكنني استيعاب الأمر حين يتحدّث أحدهم عن كيف يملأ التعامل المباشر مع الطبيعة قلب المرء بالحرية والسلام. بالنسبة إليَّ، فإن الطبيعة مُجهِدة من ناحية، ومخيفة من ناحية أخرى. كانت الطبيعة تلازمني. حين أحفر لأستخرج حبات البطاطا، تزحف الديدان خارجة، وحين أتسلّق شجرة كستناء، تلدغني اليرقات. انغرزت أغصان الأشجار القصيرة في ذراعي، وتسبّب الجدول في القرية في انزلاق قدمي. استهوتني الكهوف وتلّات القبور، لكن حين أدخل كهفًا، تفرد الوطاويط أجنحتها وتنذر نظراتها بالشرور. وحين أستلقي فوق تلة قبر لوقت طويل، تلسعني أشعة الشمس فتتقرّح بشرتي.

على الرغم من كل هذا، كنت أفضّل التواجد في قلب الطبيعة على الخروج إلى الشارع، أو البقاء في البيت، لأن التواجد في الطبيعة يجعل قلبي يخفق أكثر من البيت. ثمة أشياء أكثر مُحرّمة في الطبيعة عن تلك التي في البيت. وفي مكان يعج بالمحرّمات، تكمن دائمًا الجروح ممتزجة بإحساس بالإغراء. قد يتأقلم ساعد أو ركبة مع الجروح لكن لا يتأقلم أبدًا مع الطبيعة. الأعاصير والسيول قد تبيد في غضون دقائق حقول الأرز والمزارع التي زرعها أبي وأمي، والأمطار الغزيرة قد تصدّع وتجرف

الأشجار العالية في الجبال. القدرة البشرية تصير عديمة القوى بين لحظة وانقضائها. تسري رائحة العفن الوحشية عبر روح الطبيعة المنتصرة. الخوف الذي يكمن داخلي، عاجزة عن تحرير قلبي بشكل كامل في وجه منظر الطبيعة المهيب، منظرٌ يشدّني إلى أسفل بينما أقاتل كي أحلّق عاليًا. الطبيعة تذكّرني بأنني إنسانة. الطبيعة تذكّرني بأنني كائن ضعيف، أقف بقدميَّ فوق هذه الأرض المحفوفة بالمخاطر.

مع هذا، أستمتع بالمشي في الممرات تجاه حقول الذرة والوديان، عبر قطع الأرض الصغيرة الممتدة بين الصخور. لا أعرف أبدًا متى قد أصادف ثعبانًا سامًّا، لكن ذراعي تتذكّر الإحساس المنعش الذي يلامس جلدي عندما تهبّ الريح على حقول السمسم.

***

أعرض ظهري على أخي الأصغر لأحمله، قدماه لا تزالان صغيرتين، لكنه يهزّ رأسه. ومع هذا يرفض أن يتخلّى عن يدي. يعتقد بأنه إذا تبعني في كل مكان، فلن نفترق مرة أخرى.

هناك، ما وراء الرياح، تقف أمي. تزرع شتلات الفلفل في الحقول عند قدم الجبل المنحدر. لا بد أن الطبيعة تخشى أمي. حتى حين تترك عاصفة جذور نباتات الأرز اليافعة عارية طوال الليل، فإنه بمجرد أن ينقطع المطر، تسحب أمي وترفع وتربط سيقان الأرز واحدة تلو الأخرى، كي تعدّل من وضعها وتستعيد اتزانها من جديد.

مهما كانت قذرة رائحة التعفّن التي تفوح من النباتات الفاسدة، تقطعها أمي وتجفّفها في الشمس لتستخدمها كسماد. ومهما كانت أشعة الشمس المنسكبة على أمي حارقة، فإن أمي تتحمّل وهجها وهي تجمع حبات الفلفل الحمراء الناضجة.

***

اليوم الذي عزمت فيه على العودة إلى المدينة، تأخذ أمي أخي الأصغر الذي كان مصمّمًا على ألّا يفترق عني، إلى بيت عمتي.

«انتظر هنا قليلًا. ستذهب ماما لإحضار أختكَ». تترك أمي أخي الأصغر وراءها في بيت عمتي وتعود لتودّعني: «أسرعي وامضِي في طريقكِ الآن». أتوجّه إلى البلدة، وأنا أحمل الأمتعة التي حزمَتها أمي من أجلي. ألقي نظرة سريعة حيث يعيش **تشانغ**. الأجواء بيننا مشحونة بالتوتر. ربما لم يكن سبب هذا التوتر هو انتقالي المفاجئ إلى المدينة، بل وضعي الاجتماعي فيها. في الريف كانت لعائلتنا ميزة استضافة الكثير جدًّا من طقوس تقديم القرابين للأسلاف، ولهذا كانت تمتلك وفرة من الطعام أكثر من أي عائلة أخرى. كان بيتنا في قلب القرية، وملحق به أوسع فناء في القرية، وأكبر عدد من الفراخ والبط والدراجات وأواني الصلصات الفخّارية في شرفة المنزل. لكن في المدينة أنتمي إلى الطبقة الدنيا. واجه أخي الأكبر هذا التناقض أولًا، والآن سوف أخطو بقدميّ داخله بدوري.

***

الشركة ضخمة. يعمل فيها ما يقارب الألف عامل. حين تنظر إليها من أمام البوابة الرئيسية، تتراءى لك المباني واقفة على هيئة أسنان مشط. المبنى المؤلّف من ثلاثة طوابق الذي يشبه المدرسة يضم قسم إنتاج أجهزة التلفاز، والمبنى المؤلف من طابق واحد يضم قسم إنتاج الأجهزة الستيريو (الصوتية). قُسِّم الوافدون الجدد من مركز التدريب المهني إلى مجموعتين. نقف أنا وابنة خالي في صف، واحدة وراء الأخرى مباشرة كيلا نفصل عن بعضنا. قبل توزيعنا على مواقعنا، يعلن مدير العمليات الإنتاجية أن رئيس قسم الإدارة سوف يلقي كلمة ترحيب رسمية. بعد أن يفرغ رئيس قسم الإدارة، رجل عريض المنكبين، من كلمات الترحاب، يضيف أنه يحظّر علينا الانضمام إلى الاتحاد العمالي. يقول أيضًا إننا يجب أن نبلغه فورًا إذا علمنا بانضمام أحد زملائنا إلى الاتحاد.

اتحاد؟! لم أسمع هذه الكلمة من قبل أبدًا، لكن ربما بسبب نبرة صوته، تُخيفني هذه الكلمة. ما الذي يفعلونه هناك في الاتحاد، ويجعله يقول إنه يحظّر علينا الانضمام إليه، وإنه يجب علينا أن نبلّغ إذا انضمَّت إحدانا إليه؟!

كما تمنينا، أبقى وابنة خالي سويًا حيث أُلحِقنا معًا بقطاع إنتاج أجهزة الستيريو. يوجد ثلاثة خطوط إنتاج فيٍ قطاع أجهزة الستيريو: خط ألف وخط باء وخط جيم، بالإضافة إلى خطِ التجهيزات. أقف أنا وابنة خالي يدًّا بيد، مصممتين على ألا نوزَّع على خطّين مختلفين. أُلحِقنا بالخط ألف. أثناء وقوفنا تمسّكت كل منا بيد الأخرى، لا يتوقّف الحزام الناقل عن الدوران أبدًا. أُمنح الموقع رقم 1 على خط الإنتاج ألف، وابنة خالي الموقع رقم 2. يجلس كبير العمال بجوار مقعدي ويعلّمني ما ينبغي عليّ فعله في الموقع رقم واحد. كانت مهمتي هي جلب الألواح الإلكترونية المتعلّقة بالأجزاء الداخلية للجهاز الصوتي من خط التجهيزات، وربط سبعة براغ مسؤولة عن تثبيت الغطاء الخارجي البلاستيكي في مكانه باستخدامٍ مفك هوائي. لأن كل فجوة يلج فيها برغي مختلف الحجم، كان لزامًا عليّ حفظ أين يُوضَع هذا البرغي وأين يُوضع ذاك. في كل مرة أربط فيها برغي، تذهلني دفقة الهواء المندفعة من المفك الكهربائي، وهو ما يبطئ معدل سرعة عملي البطيئة بطبيعتها. فقط حينما أنهي مهمتي عند الموقع رقم 1، يمكن للعاملة في الموقع رقم 2 بطول الحزام الناقل أن تشرع في أداء عملها. يفصلني عن ابنة خالي في الموقع رقم 2 مسافة نحو مترين. يخبرني كبير العمال أنه يجب عليّ أن أسرّع من نسق عملي كي تواصل الألواح بعد تثبيت البراغي في مكانها، التدفّق عبر تلك المسافة من دون انقطاع. في يومي الأول أبذل قصارى جهدي كي أحافظ على نسقٍ ثابتٍ، وأن أثبت البرغي الصحيح في المكان الصحيح إلى درجة أنني لاً أسمع قرع الجرس في ختام يوم العمل.

لأنني أعمل ببطء وكثيرًا ما أضع البرغي في المكان الخطأ، فإنّ أحد العمال المهرة في خط إنتاجي، والذي يجب عليه توصيل جزء آخر بالبراغي التي أثبّتها أنا، يواصل إحضار الألواح التي فرغت منها إليّ، وهو يشير إلى البراغي المثبّتة بشكل خاطئ. ينفد صبر رئيس العمال ويقف

ورائي باستمرار مراقبًا عملي. وقوفه وراء ظهري يراقبني يجعلني أعمل ببطء أكبر.

ينفد صبر كبير العمال فينتزع المفك الهوائي مني ويوصّل البراغي بنفسه، أو يذهب بنفسه لإحضار الألواح من خط التجهيزات ويراكمها بجواري، لكن على الرغم من كل هذا، فإن عدد الأجهزة الصوتية التي تصل بنجاح إلى قسم الاختبار أقل بعشرة أجهزة على الأقل مقارنة بالأيام الأخرى. لأن ناتج عملنا أقل من ناتج عمل الخط باء أو جيم، يوجّه مدير العمليات كلمات التوبيخ إلى الخط ألف.

تصل رسالة من **تشانغ** في القرية. حينما أرى أن المرسِل هو **تشانغ**، يتورّد وجهي فجأة. **تشانغ** هو الصبي الذي يعيش في نهاية الطريق المعبّد حديثًا في قريتنا. خارج بوابة بيت **تشانغ**، تتفتّح زهور مختلفة في كل فصل: زهور فورسيثيا، والأزاليا، والقسموس وشب الليل.

يكتب **تشانغ**:

علمتُ من أختكِ الصغرى أنكِ قد انتقلتِ إلى سول، وأنه قد مضى شهران على رحيلك وأنكِ زرتهم مرة بعد انتقالكِ. لقد لاحظت أنني لم أرك في الأرجاء، لكن لم أمتلك أي فكرة أنكِ قد غادرت إلى سول. لو أخبرتني أنكِ راحلة، لكنتُ و**إيك-سو هيونغ** قد نظّمنا من أجلكِ حفلة وداع أو شيئًا كهذا. شيء يدعو للأسف.

شعرت بأن رسالتي غير المتوقّعة ستفاجئك. طلبت من **إيك-سو هيونغ** أن يذهب إلى بيتك ويعرف عنوانكِ. أمكِ لا تحبّني لكنها ودودة مع إيك-سو **هيونغ**. ولأنكِ و**إيك-سو** قريبان، خمّنت أنها سوف تعطيه عنوانكِ. أتمنّى أن نستطيع تبادل الرسائل. الأشياء التي حدثت في الماضي قد ولّت، وأتمنّى أن نظل صديقين مقرَّبَيْن من الآن فصاعدًا.

أسعدني للغاية استلام رسالة **تشانغ**، فلم أستطع البقاء ساكنة. تذكّرت الأشياء التي حدثت في الماضي التي أشار إليها **تشانغ** في الرسالة.

كنتُ و**تشانغ** صديقين منذ كنا صغارًا، لكن حين التحقنا بالمدرسة المتوسطة، أصبح وجهانا يتورّدان حمرة من دون سبب في كل مرة نرى فيها بعضنا البعض. لم ترُق لأمي صداقتي بـ**تشانغ**. لم أعرف لماذا كرهت صداقتي به، لكن عدم رضاها عنه دفعني لسبب ما إلى التقرب أكثر من **تشانغ**. لأن **تشانغ** يعلم امتعاض أمي منه، ما عاد يمرّ على بيتنا لينحني أمام والديّ في رأس كل سنة جديدة. قد أذهب لزيارة بيت **تشانغ** أحيانًا، لكنه انقطع تمامًا عن القدوم إلى بيتنا. ذات ليلة أثناء عودتي إلى البيت، صادفت **تشانغ**. كان يقود دراجته وأنا أمشي. ترجَّل **تشانغ** عن دراجته وربط حقيبة المدرسة الخاصة بي إلى ظهر دراجته وسرنا سويًا. فوق الجسر، حيث يمكن مشاهدة الأنوار المنبعثة من القرية، أوقف **تشانغ** دراجته وقال: دعينا نتحدّث هنا قليلًا. مع هذا ظل **تشانغ** صامتًا في الظلام. تلمع النجوم في السماء. خطر ببالي أن ضوء النجوم أزرق.

«أتعرفين لماذا لا تحبني والدتكِ؟». كان صوت **تشانغ** كئيبًا.

«لا».

«السبب هو...». يهمّ **تشانغ** بقول شيء، لكنه يسكت. يسكت قبل أن يبدأ الكلام من جديد. «السبب هو أبي».

«ماذا عن أبيكَ؟».

«أبي على قيد الحياة».

ألتفت لأنظر إلى **تشانغ** في الظلام. في الظلام الكثيف أعجز عن تبيّن التعبير المرتسم على وجه **تشانغ**. يعيش **تشانغ** مع والدته. لم أسمع أبدًا أي شيء عن والده، لكني خمّنت أنه قد قضى نحبه. أعرف أنه عندما يموت البشر، يعجزون عن الحياة معنا.

«أين هو؟».

يجيب **تشانغ**: «**جيونجسانغ**-دو. مقاطعة **جيونجسانغ**؟ أين يقصد بـ«**جيونجسانغ-دو**»؟

«أين بالتحديد في **جيونجسانغ-دو**؟».

«ذلك ما لا أعرفه. تأبى أمي إخباري. قالت فقط، **جيونجسانغ-دو**».

«لماذا لا يعيش معكما؟».

لا يقول **تشانغ** شيئًا ولا أنا. حينما بدأ الصمت يبدو مُربكًا، تحدّث **تشانغ** مجددًا: «لا يستطيع أبي العيش معنا».

«لمَ لا؟».

«يعاني من مرض يمنعه من العيش معنا».

مرض؟ ازدادت حيرتي ولم أتفوّه بكلمة. تذكّرت فجأة أن أمي في محاولتها التعبير عن سبب اعتراضها على صداقتي بتشانغ، قالت إن ذلك المرض وراثي. أخرج **تشانغ** مظروفًا أبيضَ من جيبه.

«أيمكنكِ الاحتفاظ بهذا من أجلي؟».

«ما هذا؟».

«رسالة من أبي. الأمر شديد الغرابة بالنسبة إليّ. لا أكف عن التفكير فيه ولا أستطيع التركيز في دراستي. قد أرسب في امتحان دخول المدرسة الثانوية إذا استمررت على الحال نفسه. هلا احتفظت بهذه من أجلي على أن تعيديها إليّ عندما أصبح في المدرسة الثانوية؟».

أكتفي بالصمت.

«لقد وعدتني أمي بأنه إنْ اجتزت الامتحان فسوف تخبرني بمكان أبي، وتدفع لي ثمن الرحلة كي أستطيع الذهاب إليه ورؤيته»

عندما أمد يدي وآخذ الرسالة، يتحدّث **تشانغ** مجددًا: «رجاء حافظي عليها. يجب ألّا تضيعيها. إنها مهمّة جدًّا بالنسبة لي». أومئ برأسي.

«هل يمكنني قراءتها؟».

يقول **تشانغ** إن بإمكاني ذلك.

بدأنا السير من جديد ببطء حتى وصلنا القرية. كانت أمي تنتظرني في

الخارج إلى جانب الطريق المُعبّد حديثًا. حينما تراني أمشي بجوار **تشانغ**، تختطف يدي كما لو أن **تشانغ** ليس هناك. عندما نبلغ البيت، تستجوبني أمي عن **تشانغ**، تسألني أين بالضبط بدأنا المشي سويًا.

«التقينا على الجسر».

«اتفقتما على اللقاء هناك؟».

أجبت: «لا، لقد التقينا صدفة. كان يقود دراجته وكنت أسير عائدة إلى البيت».

تتنهد أمي وتقول: «لا تصادقي **تشانغ** مرة أخرى».

ردة فعل أمي غير مفهومة. لا بد أن **تشانغ** قد شعر بإحراج شديد عندما انتزعت أمي يدي على الطريق. أشعر بالذنب والأسف تجاه **تشانغ**. عندما لا أرد على أمي، ترفع أمي صوتها وهي تقول: «كم أنتِ عنيدة!». لكني أرفض الإجابة.

فتحت الرسالة التي أعطاني إياها **تشانغ** في وقت متأخّر من تلك الليلة. لا بد أنه قد حمل الرسالة في جيبه لمدة طويلة، فقد كانت الرسالة مجعّدة تمامًا. وجدت لطخات منتشرة على ورقة الرسالة، ففكرت أن يدي **تشانغ** هي التي أحدثتها. كتابة قديمة على ورق عتيق. لطخات دموع ذرفتها عين من كتب الرسالة أو قرأها – من المستحيل الجزم بذلك. بسبب البقع التي تلطخها، كانت الرسالة مبهمة ما خلا جملة واحدة. تقول الجملة: دعنا نحاول ونكسب الكثير من المال كي نحيا معًا حياة سعيدة تحت سقف واحد. طويت الرسالة ودسستها داخل صفحات كتاب ثم وضعت الكتاب داخل الدرج السفلي لمكتبي.

أعارت أختي الصغرى الكتاب، جاهلة بوجود الرسالة بداخله، إلى صديقة تضيّع الكتاب.

في كل مرة بعد ضياع الكتاب أصادف فيها **تشانغ** في الشارع، ينهار قلبي. يتبعني صوت **تشانغ** في كل مكان وهو يرجوني أن أحافظ على الرسالة، وألّا أفقدها أبدًا، ويخبرني أنها مهمّة جدًا بالنسبة له.

استمررت في تجنّب **تشانغ** حتى بعد انقضاء امتحانات دخول المدرسة الثانوية. أخيرًا ذات ليلة، ونحن جالسان على قضبان السكة الحديدية، اعترفت له بأنني قد أضعت الرسالة. بمجرد أن انهيت الحديث، شرع **تشانغ** في السير مبتعدًا في خطوات كبيرة ليتركني بمفردي فوق قضبان السكة الحديدية. ظننت أنه سوف يعود بعد قليل لكنه لم يعُد. أصبحت الأمور متوتّرة بيننا. حتى حين نلتقي بالصدفة في الطريق المعبّد حديثًا، كنا نشيح بوجهَيْنا بعيدًا. هكذا كان هو الحال بيننا عندما انتقلت إلى المدينة.

***

داخل اللوحة النوعية يتدلّى المفك الهوائي أمامي في الفراغ. عندما أمسك البرغي الذي سيتصل بالغطاء البلاستيكي في يدي اليسرى ثم أسحب المفك الهوائي وأضغط، يدخل البرغي في مكانه مصحوبًا بدفقة هواء. يجب على ابنة خالي في الموقع رقم2 أن تربط أيضًا أكثر من عشرة براغ، الاختلاف الوحيد أن المفك الخاصّ بي يتدلى في الهواء بينما المفَك الخاص بها مثبّت إلى جانبها. أثبّت البراغي في المركز بينما تثبّتها ابنة خالي في الجهة الأمامية. في البداية تُبقي ابنة خالي فمها مغلقًا بإحكام وتحدّق إلى أسفل نحو الحزام الناقل. تستاء لأنها تشعر بأن سحب المفك الهوائي المتدلّي إلى أسفل وتثبيت البراغي عمل خشن.

«أفضّل اللحام. هذا يبدو كعمل رجل».

لا أردّ. أكره دخان اللحام بالقدر نفسه. بينما نصبح أنا وابنة خالي مع مرور الوقت عاملتين ماهرتين، يتلاشى اسمانا. أغدو «رقم 1» على الخط ألف في قسم أجهزة الستيريو وابنة خالي «الرقم 2». هذا ما ينادينا به كبير العمال.

«رقم 1 ورقم 2، ماذا تفعلان؟ إنكما تعطلان العمل».

حتى لو لم أدعَ « رقم 1»، ما عاد لاسمي وجود. الاسم الذي دُعيت به لست عشرة سنة لا يمكنه أن يلازمني خلال عملي في الشركة لأنني في السادسة عشرة. كوني في السادسة عشرة يجعلني غير مُؤهّلة لأن أكون

عاملة في شركة دونجنام المتحدة للإلكترونات. يجب على الشخص أن يكون في الثامنة عشرة على الأقل كي يُعيَّن عاملًا هناك. لا أعرف كيف رتّب أخي الأكبر الأمر، لكن بطريقة ما تمكّن من ملء وثائقي تحت اسم **لي يون-مي**، فتاة في الثامنة عشرة ربيعًا. وهكذا، حتى لو لم ينادَ على «رقم1»، فأنا **لي يون-مي في العمل**. آنسة **لي يون-مي!** عندما ينادي أحدهم على هذا الاسم، لا أتنبّه فورًا أنني من يتحدّثون إليها وأفشل في الردّ. فقط حينما تذكّرني ابنة خالي، أرفع رأسي وأجيب بـ«نعم» بطيئة.

سواء كان المفك الهوائي يتدلّى في الهواء أو مثبّتًا إلى الجانب، فقد كنا أنا وابنة خالي سيئتين في التعامل معه، ومهما حاولنا أن نسرّع من نسق العمل، كان الموقع رقم 3 على الحزام الناقل فارغًا. في المساء بينما نمشي من المجمّع الصناعي رقم واحد إلى حجرتنا في المجمّع الصناعي رقم ثلاثة، تدلّك كل منا كتفيّ الأخرى.

«أشعر بأن عضلاتي تتيبّس». تبدو ابنة خالي كما لو أنها على وشك البكاء. نحصل على أجرة يومية نحو سبعمائة وون. يقول كبير العمال إن أجرنا سيزداد خمسمائة وون ليصبح ألف ومئتي وون. وبعد ثلاثة شهور أخرى سيزداد مئتين وون وهكذا...

لا شك أن هذا هو مقدار ما كنا نجنيه لكن حين أفكر في الأمر اليوم، لا يمكنني أن أصدّق هذا وأشكّك في ذاكرتي. في تلك الفترة تلقى عمال المصانع أجرًا يوميًا لذا باستبعاد أيام الأحد ونصف أيام السبت، يصبح ما يجنيه العامل، دعنا نقول، 1280 وونًا مضروبًا في 24 أو 25، ثم اطرح تكلفة وجبات الغداء - كم كنتُ أكسب حقًّا من عمل المصنع؟

هل أتذكّر الأمور على النحو الصحيح؟ يدفع العامل بذلك المبلغ الشحيح إيجار السكن، ويرسل بعضًا منه إلى الأهل وأحيانًا يكون عليه أن يقدّم الدعم إلى إخوته الصغار الذين يعيشون منه. دفعني عدم الاقتناع إلى بعض البحث هنا وهناك حول الأوضاع العمالية عام 1978. وضعت الإدارة العمالية حدًّا أدنى للأجور لوظائف المصانع المُخصصة للمتدربين

والمتدربات -كانت فتيات صغار يشغلن معظمها- أربعة وعشرين ألف وون، لكن عند خصم تكلفة الغذاء والتنقّل، يصبح متوسط الأجر الشهري تسعة عشر ألفًا وأربعمائة وون وفقًا للسجلات. كنا نسير على الأقدام من منزلنا في المجمع الصناعي رقم ثلاثة إلى المصنع في المجمع الصناعي رقم واحد، لهذا لم نضطر إلى صرف المال على التنقل. تلقينا بدل عمل إضافي مكافأة على ساعات العمل الإضافية طوال الليل، والعمل أيام الأحد، فهل يعني ذلك أننا كنا نكسب فقط أكثر قليلًا من 19400 وون؟

***

طوال الربيع والصيف، منذ اليوم الذي تحوّل فيه صوت **ها جي-سوك** إلى ماء مُثلج راح يتساقط في قطرات على جبهتي، بدأ جسدي يسقم بلا سبب. في البداية شعرت كأن كتلًا ساخنةً من الفحم الأسود تحترق بداخل صدري، ثم أشعر بالكتل تندفع إلى أعلى حتى تصل إلى مؤخرة لساني، تكاد تندفع خارج فمي قبل أن تزحف عائدة من حيث أتت. داخلي يحترق ويغطي العرق جبهتي. ذات نهار، بعد ليلة قضيتها أصارع أربع أو خمس هجمات على الشاكلة نفسها، لم أستطع تحمّل الأمر أطول من ذلك فذهبت إلى المستشفى. علّق الطبيب الأشعة السينية أمامي، وقال إنه لا خطب في صدري. لكن مع مرور الأيام، حل محلّ الشعور بالاحتراق بلغمًا يتدفق حتى حنجرتي. فغيّرت الطبيب بآخر وصف لي دواء لمدة أسبوع لكن البلغم لم يختفِ. قرّرت السفر بعيدًا عن البيت، يرافقني البلغم. في حقيبتي عبوة أخرى من الدواء تكفي لأربعة أيام، مزجته أختي الصغرى الصيدلانية من أجلي. لأنني أسعل بلغمًا في كل مرة تتصل فيها أختي الصغرى، سألتني ما الخطب. عندما عجزت بعد تردّد عن الإجابة، انتظرت حتى تُغلق الصيدلية في التاسعة مساء، ثم حملت طفلها ذا السنة الواحدة على ظهرها، وأتت لزيارتي مع عبوة الدواء. كان تشخيصها أن أعراضي مرتبطة بتوتر نفسي.

«ماذا يلتهمك من الداخل؟ تعانين مما كان يسميه الناس في الأيام

الخوالي «مرض حرقة القلب». اخرجي كل شيء بداخل قلبك، حينها فقط ستتحسّنين».

كي أتجنّب صوت **ها جي-سوك**، حزمت حقائبي وغادرت البيت. أفكر في أبعد مكان عن البيت داخل حدود هذا البلد يمكنني الذهاب إليه. أستقل طائرة. في نهاية المطاف ها أنا أجلس هنا أتأمّل الأنوار المنبعثة من قوارب الصيد الطافية فوق بحر الليل. وأكتب هذا الكتاب الذي أؤمن أنه لن يكون عندما أفرغ منه حقيقة تمامًا، ولا متخيَّلا تمامًا، بل وسطٌ بين الاثنين. أتساءل إذا كان من الممكن تسميته أدب. أفكّر في فعل الكتابة. ماذا تعني الكتابة بالنسبة إليّ؟

أتساءل إذا كان من الممكن تسميته أدبًا. أفكّر في فعل الكتابة. ماذا تعني الكتابة بالنسبة إليّ؟ ذلك ما أكتبه. هل سأستطيع أن أفتح باستخدام الكلمات، ذلك المنفذ إلى عمر السادسة عشرة، ذلك الباب الذي أبقيته موصدًا طويلاً جدًا؟ خاصة هنا، المكان الذي لذت إليه هربًا من تدفّق الجمل، بعيدًا عن عادة العودة إلى البيت أينما كنت كلّما خطرت جملة في ذهني. هنا، حيث كل الطقوس اليومية غير مألوفة تمامًا، لا شيء مألوفًا كاللسان داخل الفم. هنا حيث لم أكن من قبل أبدًا، هنا حيث أواجه بحر الليل الهادر. هنا حيث ممرٌّ مظلم يقبع وراء الباب، هنا حيث لا شيء ملكي ولا حتى منشفة واحدة.

من دون توقّف أجمع لحظات معيّنة باستخدام الكلمات في محاولة لحبسها داخل الورق كصوَر فوتوغرافية، لكن كلما حاولت، تضخّم شعوري باليأس. الحياة تتدفّق خارج الكلمات. كلّما كتبت أكثر، يزداد الألم الذي أشعر به لإدراكي صعوبة إثبات أن الأدب يمضي نحو الأمل وما هو صحيح. لو يتفجّر الأمل في داخلي ويسمح لي بالتحدّث عنه بحميمية، سيسعدني ذلك أيضًا. لكن الأدب على النقيض، محكوم عليه أن ينبع من «معضلة الحياة»، ومعضلة الحياة قليلًا ما تهتم بالأمل وما هو صحيح، وكثيرًا ما تهتمّ بالتعاسة وما هو خاطئ. ففي نهاية المطاف، ألا

تدور الحياة حول مواصلة العيش حتى عندما يقع الإنسان داخل شرك التعاسة من دون ذرّة أمل؟

أحيانًا يجعلني مثل هذا الإدراك أتخلّى عن «مشرطي الجراحي» في الكتابة. وأختار في النهاية شبكة المعنى متعدّدة الطبقات على التصدي لنقطة محددة. وأخبر نفسي أنه ينبغي عليّ الاقتراب من ذلك السُمك ككل ومواجهته، إنها ليست مهمّة الكاتب بل على القارئ أن يميط اللثام عن كل طبقة على حدة، ويلاحظ ما يكتشفه من خلال ذلك. بمعنى آخر، أليس من الأفضل أن يقود ما أكتبه عشرة قرّاء إلى عشرة اتجاهات فكرية مختلفة؟ ألا يفترض أن تأخذ الحياة أشكالًا وصورًا متنوّعة؟ ألا يحيا بعض البشر حياة لا تسمح للأدب بأن يتدخّل فيها؟

***

ذلك اليوم، بعد أن قالت لي **ها جي-سوك**، «حياتكِ الآن تبدو مختلفة عن حياتنا»، لو كنتُ قد أخبرتها «سبب عدم قدرتي على الكتابة عنكنّ أن قلبي لا يزال ينبض بالألم»، أكان هذا ليكون عذرًا مقبولًا؟ أنني لم أقوَ على الكتابة عنهنّ لأن مجرّد التفكير سوف يملأ صدري بالوجع؟ لو أخبرتها أنني آسفة، أنني كنت مجرّد فتاة في السادسة عشرة وقتها؟ ليس الأمر أنني أشعر بالخجل منهنّ بل إنني لم أرحل عن ذلك المكان بطريقة طبيعية. لقد فررت من ذلك المكان مذعورة من تحولات حياة تنذر بالسوء. من دون أن أعي ما أفعله، خطوت إلى الجانب الآخر من الرصيف لكن لا يمكنني القول إنني قد عبرت حقًا إلى الجانب الآخر. أينما كنت في أي نقطة من الزمن، عاشت الوحدة بداخلي، شاغلة المساحة نفسها التي شغلتها القرية حيث ولدت وكبرت لكن بمعنًى مضاد. السبب الوحيد لعدم قدرتي على ذكرهنّ مباشرة من خلال كتابتي، لأن ذلك لم يسمح لي بالشعور، ولو حتى بذرَّة من السعادة التي أحصل عليها حينما أفكّر في القرية حيث ولدت. لم تسمح الكتابة عنهنّ سوى بنافذة على ذكريات الحجرة المنفرَدة الضيّقة التي أُرغمت على مشاركتها مع أخي الأكبر وابنة خالي، ذكريات

الإحساس بالهجر كما لو أنني محبوسة في العلية، أو صوت خطوات أقدام ثقيلة لا تصدر عن المرء إلا حين يكون الشيء الوحيد الذي يبقيه سائرًا هو الإصرار على مواصلة الحياة - وأخيرًا هنالك **هِي-جاي** التي تسدُّ طريقي.

طالما كانت **هِي-جاي** هناك، وتلك النظرة في عينيها، لا أستطيع معرفة طريقة للعودة إلى ذلك المكان أو كيف يمكنني التعامل مع هؤلاء الفتيات اللاتي كنَّ يومًا صديقاتي.

***

كنتُ في السادسة عشرة عندما خطوت داخل تلك الحجرة المنفردة وفي التاسعة عشرة عندما فررت هاربة منها. لا أستطيع أن أجد طريقة لعقد سلام مع تلك السنوات الأربع من حياتي. لم أعرف كيف أتقبّل قيود الحياة التي تكبّلني، أنا التي خرجت من الطبيعة مباشرة إلى المصنع من دون أي جسور تربط بينهما. ولم أستطع أيضًا أن أتقبّل الشابّات في أعمار مقاربة لسنّي، ربما أكبر مني بخمس أو ست سنوات، اللاتي قابلتهنّ هناك... وهذه المدينة حيث نَفَس الطبيعة لا يستطيع أن يصل إليها.

أتذكّر استراحة غداء أول يوم عمل لنا. يسلّمنا كبير العمال تذاكر الوجبات الموسومة بكلمة «غداء». تقع الكافيتيريا فوق السطح. أصعد وابنة خالي الدرج جنبًا إلى جنب. تُشكل عاملات بقمصان زرقاء موحّدة طابورًا يمتد من داخل الكافيتيريا حتى خارجها فوق السطح. تفوح رائحة توابل قوية من المطبخ. بعد طول انتظار، أتسلّم صينية طعام تحوي حفنة من الأرز صُبّت فوقها مادة غريبة عليّ.

«ما هذا الشي؟».

«صلصة الكاري». نطقت ابنة خالي الكلمة بصوت مرتفع «الكاري»، وهي تحدّق نحوي ونظراتها تسألني ما المشكلة. كاري؟ لم أسمع بهذا الطعام من قبل. ما نوعية الطعام الذي يبدو هكذا؟ يراودني الشك

بخصوص لونها الأصفر الباهت. أملأ الملعقة بكمية صغيرة منها وأضعها في فمي فتثير غثياني.

«لا يمكنني تناول هذا». أُنزل الملعقة.

«قد يبدو مذاقها هكذا في البداية لكن ستتعلّمين أن تحبيها بعد بضع محاولات. حاولي أن تحتمليها».

أحاول تناول ملعقة أخرى لكن أشعر بأنني قد أتقيأ الطعام الذي تناولته على الفطور.

«سيكون عليك أن تنهي الطعام بمفردك».

غير قادرة على احتمال الجلوس طوال فترة الغداء بسبب الرائحة، أفرغ الصينية في سلّة قمامة الطعام، ثم أعيد الصينية وأغادر الكافيتيريا. أقف في ركن فوق السطح لبرهة، ثم أعود أدراجي إلى خط الإنتاج. أجلس على المقعد عند الموقع رقم 1، وأريح رأسي على الحزام الناقل الذي توقّف عن الدوران خلال استراحة الغداء. بعد فترة تهزّ ابنة خالي كتفي.

«تناولي هذه إذًا». كعكة محلاة محشوّة بالفاصولياء الحمراء.

«من أين حصلت عليها؟».

«ماذا تعتقدين؟ ذهبت إلى الخارج واشتريت واحدة».

تفضّ ابنة خالي الغلاف الورقي وتضع الكعكة في يدي. «أنت غريبة الأطوار حقًّا. تصنعين جلبة كبيرة على شيء تافه».

***

مكتبة
t.me/t_pdf

حياة مختلفة عن حياتنا...

شخص مختلف عنا...

عندما سمعتُ **ها جي-سوك** تقول تلك الكلمات، حياتك الآن مختلفة عن حياتنا، شعرت بخواء تام، وخطرت أمّي في ذهني. هل شعوري بالخجل كما سألتني **ها جي-سوك**، ينبع من سنوات المدرسة الثانوية أو من أمي الأمّيّة؟ ربما كان بمقدوري أن أعرف في وقت أبكر أن أمي لا تستطيع القراءة. لكنني لم أبذل أي جهد حقيقي كي أكتشف ذلك لأنني

ربما لم أرغب في أن أعرف. أقول لنفسي: «انظري، كتاب الصلوات مفتوح أمامها». أو «إنها تقرأ الإنجيل»، بينما أدسّ أو أخفي أجزاء منها في شخصيات الأمهات التي تظهر في كتابتي. في تلك الأثناء، في الحياة الحقيقية، غمرت أمي بمحبة بالغة، أحيانًا مبالَغ فيها لدرجة قد تحيّرها، كطريقتي الخاصّة للاعتذار إليها. ربما ذلك ما كنت أفعله. على الأقل مع أمي، كنت أبذل جهدًا بينما أستمرّ في فتح وغلق قلبي، لكن ماذا عن أعوام المدرسة الثانوية؟ الطريقة التي تعاملت بها مع تلك السنوات في الواقع كانت شاذّة. في الحقيقة، لم أكن حتى أدرك أنني غريبة الأطوار في تعاملي مع تلك الفترة من الماضي حتى تأتي لحظة معيّنة وتعلن: «أنت تتصرّفين بغرابة».

عندما قالت لي صديقة شاعرة تكبرني ببضع سنوات، بعد أن قرأت نبذة عن حياتي في مستهل كتابي الأول: «لقد تخرّجتِ من مدرسة يونجديونجبو الثانوية للبنات! لم أكن أعرف ذلك. لقد ذهبت إليها أيضًا. نحن خريجتا المدرسة نفسها». كان سرورها صادقًا لكنني توتّرت. انتابني القلق من أن تشرع في سؤالي عن الفصل الذي كنت فيه ومع من درست مادة آداب اللغة. غادرت بمجرد أن سنحَت لي فرصة.

لقد جعلتني سنوات المدرسة الثانوية أتعامل مع نفسي على أنني شخص يخفي سرًّا دفينًا، وحوّلني من متفائلة بفطرتي إلى شخص متوحدّ يرفض الحديث عن تلك السنوات إلا مع أشخاص مقرَّبين جدًا. والآن **ها جي-سوك** تلومني صراحة على أمر التكتّم الذي فرضته على نفسي، وهي تخبرني أنه يبدو أنني لا أكتب عنهنّ.

حياتكِ الآن مختلفة عن حياتنا!

***

بعد أن أنهيت المكالمة، رتّبت حجرتي لأُخرج غضبي الموجه إلى **ها جي-سوك** بداخلي. كيف تجرؤ على معاملتي كما لو أنني شخص قد أوصد الباب في وجه حبّه الأول كي يعيش حياة مختلفة. لكن **ها جي-**

سوك محقّة في النهاية. لم أكتب عنهنّ. حاولت الكتابة عنهنّ مرة واحدة فقط. نُشرت كآخر قصّة ضمن مجموعتي القصصية الأولى، الكتاب الوحيد الذي لم تقرأه **ها جي-سوك** بعد. لكن حتى إنْ قرأته، فلن تفكّر بأن القصّة تتحدّث عنا في تلك الأيام الخوالي. لم أكن صريحة. بذلت قصارى جهدي كي أتصنّع البراءة في ما يخصّ شبابي، وكينونتي. إغفال للحقيقة ارتكبته بسبب الألم النابض، طغى على القصة في ظل غياب الذات. هذا خيال، أخبر نفسي لأطمئنها، لكن طوال الوقت لم يتوقّف قلبي عن التألّم بما يكفي لقتلي. كي أقمع هذا القلب الموجوع، ختمت القصة بنهاية متسرّعة، وبوثبة سريعة بالزمن لما حدث بعد عشر سنوات من بدء حوادث القصة. غير متيقّنة من قدرتي على المواجهة وجهًا لوجه، أغلقت غطاء الصندوق المفضي إلى تلك الفترة بسرعة. حينها أدركت الحقيقة. أدركت أنني لم أتجاوز تلك السنوات تمامًا. أنني قد حملت تلك السنوات على ظهري كسنام جمل. أدركت أنه لوقت طويل، ربما طالما كنت هنا، ستظلّ تلك السنوات جزءًا من حاضري.

مرّت الآن ست سنوات أخرى، وأثناء ذلك الوقت، متى حاولت تلك السنوات القفز من قمقمها إلى الخارج عبر جُمَلي، آخذ نفسًا عميقًا وأدفعها دفعًا إلى أسفل حيث كانت، وأوصد ذلك الغطاء. لم يكن السبب في ذلك أنني أحيا الآن حياة مختلفة عن الناس الذين عرفتهم وقتها. ما كنت أعرف حتى نوعية الحياة التي يعيشونها كي أتمكّن من الحكم على الأمر. الأمر أنه حتى لو تلاشت تلك السنوات التي تفرّقنا خلالها بطريقة أو بأخرى، لا علم لي على الإطلاق أين ينبغي أن أكون بينهنّ الآن. مهما كان كنه ما تفعل، بمجرّد أن تفقد ثقتك بما تفعل، يصبح من العسير استعادتها.

عندما بات إغلاق الغطاء لا ينجح، فررت من البيت. لكن تبعني صوت **ها جي-سوك** بعناد إلى هنا، وأسقَط قطرات ماء مثلج على جبهتي، قطرة تلو الأخرى، وهمس في أذني، مهما كان العذر الذي قد تخترعينه،

فالحقيقة أنك تشعرين بالعار. بالعار منّا. حتى الآن حين أحاول رفع الغطاء الموصد، بينما أتأمل قوارب الصيد الطافية في بحر الليل، لا تعود ثقتي إليّ. لا أستطيع أن أعرف الشكل الذي ستتخذه هذه الكتابة عندما أفرغ منها. هنا أجلس وجهًا لوجه مع الماضي، لكن حتى بينما أكتب، يساورني شعور بأنني قد أواصل الفرار. ينتابني شعور أنني عند كل فرصة تتاح أمامي، قد أحاول القفز إلى قصة أخرى. لاحظ كيف أنني مستعدّة للتخلي عن نمط الحكي التقليدي. ماذا أحاول أن أفعل حين أهجر أكثر أنماط الحكي استخدامًا؟ الحقيقة أنني لا أحاول فعل أي شيء. كل ما يمكنني تخمينه هو أنني بينما أستمر في الهروب من الماضي والعودة إليه، انخرط طواعية في دائرة مغلقة من الهروب والعودة المتكرّرة كما لو أن كتابة هذا الكتاب ستكتمل من تلقاء نفسها بطريقة ما في تلك الأثناء.

كان هذا شيئًا يختمر بداخلي لوقت طويل إلى درجة لم يكن لديَّ ما أضيفه إليه أو أنتزعه منه. في الوقت الذي أستريح فيه بين محاولات هروبي، أتخيل خيوط الحكاية تلتحم معًا وأتأمل الحاضر مليًا. في هذه الأزمنة، حيث الأشياء بسيطة جدًّا كأغاني الآن السريعة جدًا إلى درجة يكاد من المستحيل الغناء معها، ما «الحاضر» الذي يجب أن أتمسك به؟ أودّ أن أتجاوز الأشياء، لكن هل بإمكاني حقًّا تجاوز أي شيء؟ إلا إذا كان ذهن الكاتب منصَبًّا منذ البداية على كتابة قصة تدور حوادثها في المستقبل أو عالم مُتخيّل، أليست الكتابة في جوهرها هي النظر إلى الماضي؟ في الأدب على الأقل أليس كل تلك الذكريات التي حدثت قبل هذه اللحظة -لحظة الكتابة- معّرضة للفحص والتمحيص؟ أليس الأدب نبش الماضي الذي يتدفّق إلى الحاضر؟ أليس الغرض من الأدب اكتشاف لماذا أنا هنا في هذه اللحظة من الزمن، واكتشاف ما الذي أحاول فعله هنا والآن؟ وأن اليوم سيستحيل إلى ماضٍ سيتدفّق إلى المستقبل. أليس هذا هو السبب الذي يُمكّن الأدب من مواصلة الجريان؟

التاريخ مسؤول عن تنظيم الأشياء، والمجتمع مسؤول عن تعريفها.

وكلما حقّقنا نظامًا أكبر، كلما ازدادت الحقيقة المدفونة وراء ذلك السطح الدقيق ظاهريًا. الحقيقة في الأغلب الأعم تحيا تحت السطح المُنظم. أؤمن بأن الأدب يسري في مكان ما، مستترًا وراء النظام والتعريف، وسط كلّ ما لا يزال مُبهَمًا بلا حل. ربما جوهر الأدب هو القذف بكل ما هو مُعرَّف إلى فوَضى وإعادة تنظيمه، كي يتدفّق جديدًا بالنسبة إلى أولئك القابعين في مؤخّرة التاريخ: الضعفاء والمتردّدين. الأدب هو خلق فوضى من الأشياء. أليس ذلك في نهاية المطاف مسعًى إلى خلق نظام أيضًا؟

هل حانَ أواني كي أنظر إلى الماضي؟

***

كان الأجر الذي تلقيناه في نهاية شهرنا الأول، الذي كان في حقيقة الأمر أقل من شهر ببضعة أيام، أكثر قليلًا من عشرة آلاف وون كما أتذكّر. أذهب وابنة خالي إلى السوق لنشتري سراويل داخلية من أجل والدَيْنا ونرسلها إلى القرية.

إنه شهر سبتمبر. نصبح الآن سريعتين في التعامل مع المفك الهوائي. أحيانًا بعد إنجاز مهمّات عملنا بسرعة، يمكننا أن نتبادل أطراف الحديث بينما تنهي العاملة عند الموقع رقم 3 العمل. أصبحنا عاملتين خبيرتَيْن.

تهمس ابنة خالي في أذني: «نحن محظوظتان جدًّا لأنه لم تُوكل إلينا مهمّات اللحام».

لم أفهم ماذا تقصد فسألتها: «لماذا تقولين ذلك؟».

«انظري إلى وجه رقم 13».

مددت عنقي وحدّقت إلى رقم 13 التي عُينت في شركة **دونجنام** للإلكترونيات معنا من مركز التدريب المهني. يتصاعد دخان فوق رأس رقم 13 مع صوت أزيز. باتت بشرة رقم ثلاثة عشر المشرقة بعد ثلاثة شهور من العمل، شاحبة مُصفرّة.

«أتساءل إنْ كان هذا بسبب تسمّم الرصاص».

أتفحّص وجهي في المرآة. أصبحت بشرتي أفتح منذ بدأت أشرب ماء

الصنبور هنا، هكذا قالت لي مالكة منزلنا. بينما أنظر إلى المرآة، ينسل وجه رقم 13 الأصفر الباهت كغيمة فوق وجهي الفاتح البشرة. أوافق ابنة خالي أننا محظوظتان لأننا لم نعيَّن في موقع لحام الرصاص.

بعد العمل، نتوقّف في السوق لشراء مستلزمات البيت، وبعد عودتنا إلى الحجرة، نشرع في إعداد العشاء على موقد الكيروسين. اليوم دوري في الطهو وغدًا دور ابنة خالي. من لا يقوم بواجب الطهو، يغسل الملابس وينظّف الحجرة.

الإفطار هو الوقت الوحيد الذي نتناول فيه الطعام مع أخي الأكبر. قبل أن نغادر إلى العمل في الصباح، ننظّف صحون الإفطار ونجهّز الطاولة مرة أخرى من أجل العشاء في المساء. يتوجّه أخي الأكبر مباشرة من عمله في مركز الخدمات الاجتماعية إلى الكلية المسائية ويتناول عشاءه عند رجوعه إلى الحجرة في وقت متأخر من الليل. مهما يكن مُنهكًا، لا يدخل إلى الحجرة إلا بعد أن يغسل وجهه وقدميه بطشت ماء في المطبخ الضيّق، ثم يغسل جواربه بالماء نفسه ويعلّقها على حبل الغسيل. حتى عندما أعرض عليه أن أغسل جواربه بدلًا منه، يرفض قائلًا: «إنها عادة ألفتها». وهو منهمك بالفعل في فرك الجوارب بالصابون.

غسل جواربه كل ليلة وتعليقها لتجفّ عادة اكتسبها أخي الأكبر في المدينة، بينما امتناعه عن تناول اللحم من دون حساء عادة غرستها أمي فيه مذ كان في الريف؛ وجبات أمي تشمل دائمًا خنّة وحساء. مضطرًا للاختيار بين الخنة والحساء، لا يجد أخي الأكبر مفرًّا من اختيار الأخير. يمكنه الاستغناء عن الخنّة لكن لن يتناول اللحم من دون حساء. عندما نطهو أنا وابنة خالي الخنّة، نضع في اعتبارنا دائمًا أن نطهو الحساء ونقدّمه إلى أخي الأكبر. عندما يبدو الأمر عبئًا زائدًا، يتجهّم وجه ابنة خالي قائلة: «أخوك مدمن حساء».

في الليل تنام ابنة خالي بجوار النافذة، وينام أخي الأكبر ملاصقًا للحائط، وأنا في الوسط بينهما. نستغرق أنا وابنة خالي عادة في النوم أولًا،

بينما يجلس أخي الأكبر على مكتبه حتى يأوي إلى الأرضية لينام، لكن لا أعرف أبدًا متى بالتحديد. يدفع أخي الأكبر الإيجار، نحو عشرين ألف وون شهريًا، بالإضافة إلى المائتي ألف وون العربون المودَع في البنك، كما أنه يعطينا المال من أجل الطعام والنفقات. نحاول أن نكون مقتصدتَيْن بقدر الإمكان، لكن المال لا يكفي أبدًا فنقتطع بعضًا من أجرنا لنساهم في نفقات البيت أيضًا.

تُقْدم المزيد والمزيد من العاملات على ترك الوظيفة بسبب الأجور المتدنية، مما يؤدّي إلى استقدام المزيد والمزيد من العاملات الجديدات، وتغيّر متكرّر في الأفراد الجالسين بامتداد الحزام الناقل. يغادر الناس في اللحظة التي أبدأ فيها الاعتياد على وجوههم، وتأتي وجوه جديدة. متى يبدأ عاملون جدد العمل، يحذّرهم مدير الإدارة: «تأكّدوا من عدم الانضمام إلى الاتحاد العمالي. رسوم الاتحاد لا تُستخدم سوى للإبقاء على قادة الاتحاد في مقاعدهم.».

بينما أكتب الآن، تتسبب كلمتا «أجر متدنٍ» في غصة تسري في قلبي. أجر متدنٍ. أجر متدنٍ، أيمكن أن تكون ذاكرتي عن أجورنا صحيحة؟

***

عندما علمت مالكة المطعم أنني كاتبة، قالت إنها ستسألني سؤالَيْن فقط، «سؤالين فقط»، مما جعل قلبي يغوص في أعماقي. ما الذي تودّ سؤالي عنه ولماذا هذا القصر: «سؤالين فقط»؟

«السؤال الأول...». كان سؤالها الأول عن المستوى الذي أكتب به. ماذا تقصد بـ«مستوى؟»».

«آسفة، لا أفهم قصدكِ».

أمالت مالكة المطعم رأسها جانبًا، ثم حاولت جاهدة أن تشرح.

«ترين، لقد أهداني أحدهم كتابًا ذات مرة، المرة الوحيدة التي أهداني فيها أحدهم كتابًا. كانت قريبة لي أعطتني الكتاب، وقد بذلت قصارى جهدي لإنهائه لأنه هدية. لكن لم أستطع قراءته. لم أفهم ما يريد قوله على

الإطلاق. مضت أربع سنوات على حصولي على الكتاب ولا زلت لم أنتهِ منه. لا بد أن بعض الكتب في العالم تقتصر قراءتها على المتعلّمين من ذوي المعرفة. لهذا تساءلت عن المستوى الذي تكتبين به. تملّكني الفضول إن كنتِ تكتبين أشياء يمكن لامرأةٍ مثلي أن تقرأها أم أشياء مستواها أعلى».

نظرت إليّ المرأة في انتظار جوابي. بدا أنه ينبغي عليّ تقديم جواب سريع لكنني تلعثمت ببساطة: «حسنًا، ما يمكنني قوله هو...».

عندما استمررت في تكرار «حسنًا»، قالت المرأة: «سؤالي الآخر هو...». ومضت في السؤال عن الشيء الثاني الذي تريد الاستفسار عنه. أصبحت عصبية فجأة. عليّ أن أجيب هذه المرة. تمنّيت في أعماقي أن تسألني سؤالًا هيّنًا، سؤالًا يمكنني الإجابة عليه.

«هل تقرّرين اسم الكتاب أولًا، أم تبدئين في الكتابة أولًا؟».

تنهّدت في ارتياح: «أحيانًا أضع العنوان في ذهني ثم أشرع في الكتابة، وأحيانًا أخرى لا يمكنني التفكير في عنوان حتى بعد أن أفرغ من الكتابة، وأتعذّب لوقت طويل كي أجده».

أومأت المرأة وقالت: «لا يمكنك التفكير في عنوان، أليس الأمر كذلك؟ من الصعب جدًّا متابعة مجرى حوادث روايات اليوم. لا أفهم عما تتحدّث. أتمنّى لو يجعل الكتّاب الروايات سهلة كي يتمكّن أناس مثلي قراءتها أيضًا».

سهلة؟ كان هذا طلبًا صعبًا.

***

يو تشاي-أوك، كبيرة عاملات قطاع التجهيزات، وسوف تجسّد في لوحتي النوعية بأسلوب ديناميكي، باستخدام ضربات فرشاة قوية.

ذات يوم أُوقِفت الآنسة **تشوي** من الخط رقم جيم عن العمل لأنها عادت إلى البيت من دون العمل ساعات إضافية في الليلة السابقة. يطالب مدير الإنتاج الآنسة **تشوي** بتقديم استقالتها. تهب **يو تشاي-أوك** للدفاع عن الآنسة **تشوي**، قائلة إن من غير المنطقي أن يطالبها بالاستقالة لأنها

لم تعمل ساعات إضافية. فالساعات الإضافية تقع خارج نظام العمل الاعتيادي. ألا نحصل على أجر أضافي لهذا السبب؟ أحيانًا لا يستطيع العمال العمل ساعات إضافية لظروف شخصية. ومن العبث أن تُجبَر على تقديم استقالتها بسبب ذلك. يرتفع صوتا يو **تشاي-أوك** ومدير الإنتاج بسبب الآنسة **تشوي**. يرمي مدير الإنتاج **يو تشاي-أوك** بكلمات جارحة. «هذا خط الإنتاج. ما يحدث هنا يقع تحت سلطتي. مَنْ تظنين نفسك، وأنت تملي عليّ بأن أفعل هذا وذلك؟! كم أنتِ وقحة!».

تصيح **يو تشاي-أوك** في وجهه بنبرة مشابهة: «هل نحن آلات؟! لماذا تسيء معاملتنا هكذا؟ أيّ معنى في طلبك من الآنسة **تشوي** تقديم استقالتها لأنها ذهبت إلى بيتها وأنفها ينزف بعد خمسة أيام متواصلة من العمل الإضافي؟!». تتوقف، ثمّ تواصل الصياح: «لقد شكّلنا اتحادًا لحماية حقوقنا وفقًا لقوانين العمل. مهما حاولت الإدارة التدخّل، فسوف نمضي في مراسم تشكيل الاتحاد».

بينما يواصل مدير الإنتاج و**يو تشاي-أوك** الشجار موجهين أصابع الاتهام إلى بعضهما البعض، تنفجر الآنسة **تشوي** في البكاء.

يقفز رئيس الإدارة إلى الشجار ويصرخ في **يو تشاي-أوك**: «أنتِ أيتها العاهرة الجاحدة».

تحدجه **يو تشاي -أوك** بنظرة ساخطة: «لم أتلقَ معروفًا واحدًا منك!».

***

تستدعينا الآنسة **لي** من خط التجهيزات إلى ركنٍ منزوٍ. الآنسة **لي** قصيرة القامة بشكل ملحوظ وتبقي شعرها دائمًا مصفوفًا على هيئة كعكة صغيرة. تهرول دائمًا بخطوات سريعة متّصلة. مشيتها النشطة تلفت الانتباه دائمًا. تجعلها مشيتها النشطة تبدو دائمًا كما لو كانت بصدد تسليم رسالة، وهو ما يرغم الناس من حولها على التوقّف وتتبعها بأعينهم، حتى حين تكون ببساطة متوجّهة إلى الحمام بخطواتها النشطة. تحيينا الآنسة **لي** بابتسامة ودودة وتسحب استمارة من جيبها.

«هذه استمارة التقدّم إلى الاتحاد».

أتناول الورقة في يدي.

«نمتلك بالفعل مئتين وسبعة وعشرين فردًا يخطّطون للانضمام إلى الاتحاد».

التزم بالصمت. تستطرد الآنسة لي: «تقول الشركة دائمًا إنها ستضعهم في القائمة الحمراء، لكن هذا مصنع صادرات ضخم. علينا أن نتّحد وننتزع حقوقنا وندافع عن مصالحنا. علينا أن نتمسّك بزيادة أجرنا ونطالب بإجازة مدفوعة الأجر خلال فترة الحيض. يضعون ذلك تحت بند الإجازة غير مدفوعة الأجر. لكنها حقٌّ من حقوقنا، منصوصٌ عليه في قوانين العمل. وعلينا أن نتلقّى أجرًا مع عدم العمل في تلك الأيام. حين نتأخّر عن العمل دقيقة واحدة فقط، توسم بطاقاتنا بختم تأخير، وهو ما يفضي إلى خصم أجر ساعة من أجرنا. لا عجب في أننا لا نجني سوى القليل جدًا بعد كل الخصومات هنا وهناك. وذلك لأننا نسمح للشركة بفعل ما يحلو لها من دون مقاومة».

حين لا نتفوّه أنا وابنة خالي بكلمة، تتحدّث الآنسة لي مجددًا: «الاتحاد لصالحنا جميعًا. أتعتقدان أن **يو تشاي-أوك** تتكلّم فقط من أجل مصلحتها؟ نحتاج إلى قوة منظّمة. علينا أن ننضم إلى الاتحاد ونقدّم يد العون إلى **يو تشاي-أوك**».

بينما نجلس سويًا لتناول العشاء في وقت متأخر من تلك الليلة، تخبر ابنة خالي أخي الأكبر عن **يو تشاي-أوك** والآنسة لي. بينما تتحدّث ابنة خالي، يطلق أخي تنهيدة مسموعة أشبه بالتأوه.

«ماذا يجب أن نفعل؟ ننضم؟».

يسأل أخي الأكبر عن ردة فعل الإدارة.

«الإدارة في حالة غليان. يبدو أنهم لن يتراجعوا عن فصل العمال بمجرّد انضمامهم إلى الاتحاد».

يحدّق أخي الأكبر إلى استمارة الاتحاد.

«إذًا ماذا يجب أن نفعل؟».

بعد برهة طويلة، يتكلّم أخي الأكبر أخيرًا: «سوف تبدآن الدراسة قريبًا، وقد تصبح الأمور معقّدة لو بدأت الإدارة في التفكير فيكما على نحو سيئ...».

***

استشعرنا في اليوم التالي أجواء مضطربة تسود أرجاء المصنع. تسري الهمسات بيننا.

«لقد استدعى مدير الشركة **يو تشاي-أوك**».

«لماذا؟».

«وفقًا لما سمعته، أبلغها المدير أنه يمتلك اتصالات في كل مكان، إدارة العمال، مجلس المدينة، المخابرات المركزية، مكتب مشرف العمال، المقر الرئيسي للأمن القومي، وإنه مهما استمتنا في محاولتنا، سيكون من الصعب تشكيل اتحاد، لذا من الأجدر بنا أن نستسلم».

«وماذا حدث بعد ذلك؟».

«لم ترضخ **يو تشاي-أوك**، فقذف المدير منفضة سجائره نحوها وهو يصيح: «حسنًا، لا يمكنك تشكيل اتحادٍ من دون شركة». وقال إنه سيغلق الشركة لو مضينا في تشكيل الاتحاد».

تدنو الآنسة لي منا مهرولة. «هل فكرتما في الأمر؟». أعجز وابنة خالي عن الإجابة. «الجميع تقريبًا في الخط ألف قدّمن استمارات للاتحاد، ماذا عنكما أنتما الاثنتين؟».

«...».

«لقد أعلمنا الإدارة بتاريخ تشكيل الاتحاد. تتصرّف الإدارة بهذه الطريقة بسبب عاملات مثلكما. لا بد أن نتصرّف بانسجام تام. لو اتحدنا كواحد، سوف نمتلك الشجاعة لإقامة الاتحاد هنا على أرض الشركة، ونعلّق صحيفة الاتحاد على البوابة الرئيسية للمصنع».

بعد أن طلبت منا الآنسة لي أن نفكّر في الأمر مرة أخرى واستدارت مبتعدة، تقدّم كبير العمال إلينا.

«ماذا أخبرتكما الآنسة لي؟».

يخفق قلبي كما لو أنني قد اقترفت خطأ، بينما تتمكّن ابنة خالي بصعوبة من إخباره أنها لم تقل أي شيء لنا. يحدّق كبير العمال بانشداه وذراعاه معقودتان إلى ابنة خالي التي تتظاهر بالبراءة وهي تقول: «صدقًا، لم تقل أي شيء».

«لقد كنتما تتحدّثان مع الآنسة لي للتو، وتقولين إنها لم تقل أي شيء؟!».

تحاول ابنة خالي مرة أخرى: «لقد سألتنا فقط إن كنا نجد العمل صعبًا جدًّا...؟».

«حسنًا، وماذا ستفعل إن كان العمل صعبًا جدًّا بالنسبة إليكما، هل ستجعله سهلًا لكما؟! هل ستدفع لكما من جيبها الخاص». يكتسي صوت كبير العمال بنبرة تهديد: «اتحاد؟! يا لها من أضحوكة. لن يُسمح أبدًا بتشكيل اتحاد. لقد تحدّث المدير بالفعل مع سلطات عدّة. مهما حاولت **يو تشاي-أوك**، متجوّلة هنا وهناك بتلك الطريقة، كل هذا بلا طائل. إذا أردتما أنتما الاثنتان ألا تصل إلى الإدارة فكرة مغلوطة عنكما، لا تفكران حتى في الانضمام إلى الاتحاد. لن يحصل أعضاء الاتحاد على أي علاوة، هذا ما أكده المدير».

عندما يرحل كبير العمال، تأتي إلينا الآنسة لي من جديد. حين تبتعد، يعود إلينا مرة أخرى، وهكذا دواليك. بعد نهار كامل قضيناه عالقتين بين الاثنين، تهمس ابنة خالي في أذني على الغداء: «سوف أنضم إلى الاتحاد. ماذا عنك؟».

أحدّق إلى ابنة خالي: «إذا انضممتِ إلى الاتحاد، فسوف أفعل أيضًا».

«لكنك سوف تذهبين إلى المدرسة الثانوية؟».

«ألن تذهبي أنتِ أيضًا؟».

«لا، لن أذهب».

أملأ استمارة التقدّم إلى الاتحاد بجوار ابنة خالي التي تأخذ استمارتَيْنا إلى الآنسة لي قبل أن تطلق زفرة عميقة.

***

مرّت عدة أيام وأنا أتقلّب في فراشي من دون العودة إلى ما كنت أكتبه. احترق قلبي بالألم كما لو أنه قد خُدِش بشظية حادة من الخزف. ساورتني الشكوك باستمرار. هل سأستطيع أن أنهي هذا الكتاب؟ أين كل هؤلاء البشر الآن، وماذا يفعلون؟ **يو تشاي-أوك**، والآنسة **لي**، وكبير العمال، ومدير الإدارة؟ لقد ضمّت الشركة أكثر من ألف عامل لذا لا بد أن منهم من رحل عن هذا العالم لسببٍ أو آخر.

هنا على الجزيرة، أتناولُ وجبة واحدة فقط في اليوم. أتناول الآن عصيدة آذان بحر في المطعم قرب الشاطئ بعد الانتهاء من التمشية. حين فرغت من تناول نصف وجبتي تقريبًا، خطا رجل رثّ المظهر يبدو في حوالى الستين من عمره إلى داخل المطعم. سأل الرجل الرث المظهر إن كان حساء اللحم الحار في قائمة الطعام يُطهى بلحم الخنزير أم البقر. حين تخبره مالكة المطعم أنها تستخدم اللحم البقري، يطلب الرجل الحساء. عندما قُدّم الحساء إليه، يسحب الرجل زجاجة من السوجو من داخل معطفه. عندما تنظر مالكة المطعم إليه باستغراب، يقول الرجل إنه يتمنى لو لم تكن تمانع ذلك. أجابته المالكة أنهم يقدمون مشروبات كحولية، لكن يبدو أنه قد أحضر مشروبه معه. فرد الرجل الرثّ المظهر أنه ظنّ بأنهم ربما لا يقدّمون الكحول. قالت له المالكة بنبرة توبيخ، من يعرف مطعمًا لا يقدّم السوجو؟!

أتساءل إذا كان بحارًا.

حتى بعد أن وبّخته مالكة المطعم، ثرثر معها الرجل الرث المظهر عن القوارب. القوارب التي اعتادت على الإبحار في البحر انطلاقًا من جزيرة جيجو قبل العبّارات الحديثة بزمن طويل، وربما قبل حتى أن أولد. تحدّث

كيف أنه في الأيام العاصفة مثل اليوم، كانت القوارب العتيقة والخفيفة تنقلب في قلب البحر الهائج آخذة أرواح الكثيرين. بدا كأنهما قد نسيا تمامًا العبّارات الجديدة التي تبحر اليوم، وحقيقة أنهما يجلسان في مطعم، وركّزا بكل حواسّهما في محادثتهما عن القوارب العتيقة والخطرة من الأيام الخالية. كانا مركّزَين على قوارب الماضي العتيقة إلى درجة أنني قد شعرت كأنهما يجلسان على سطح جزيرة بعيدة لا أستطيع الاقتراب منها على الرغم من أنني أجلس على بعد موائد قليلة منهما.

في تلك اللحظة، أصابتني حيرة مفاجئة. أمن الممكن أن الحجرة المنفردة قد أضحت الآن جزيرة بعيدة لا يمكنني الاقتراب منها؟

بينما أجلس في هذا المطعم الغريب، أتناول وجبة غير مألوفة وأستمع إلى حديث غريب بين شخصين غريبين، أفكّر أنّ عليّ أن أغادر الآن. لكن هذا شيء لا ينبغي عليّ الفرار منه. لا يجب أن اعتبر حياتي داخل تلك الحجرة المنعزلة مختلفة بأي شكل.

***

منذ تشكّل الاتحاد، لم تنعم الإدارة قط بيوم سلام. يقدّمون الوعود إذا تخلّى الأعضاء عن الاتحاد. ثم في اللحظة التالية يتوعّدون الأعضاء طالما استمروا في أنشطة الاتحاد. يعرضون على **يو تشاي-أوك** ترقية إلى منصب مديرة إنتاج إذا تنحّت عن قيادة الاتحاد. يعرضون أيضًا أن يوكلوا إليها إدارة مقصف الوجبات الخفيفة التابع للشركة.

نلتفت جميعًا إلى **يو تشاي-أوك**. يسري القلق حتى بيننا أنا وابنة خالي من أن تغيّر **يو تشاي-أوك** موقفها. رغم التشهير والاعتداء اللفظي، ورغم كل العروض الاسترضائية، تصمد **يو تشاي-أوك** حتى تتلقّى ختمًا رسميًا من مجلس المدينة بالموافقة على خطاب تسجيل اتحاد عمال شركة **دونجنام** للإلكترونيات. الآن تتهمها الإدارة بأنها مُطارِدة عمياء للمناصب الكبيرة وتطالبها بالتنحي عن قيادة الاتحاد وترك المنصب لمدير الإنتاج.

يطلب الاتحاد تشكيل لجنة مشتركة تتكوّن من العمال والإدارة، لكن

الإدارة ترفض. يعبر كبير العمال خط الإنتاج بخطوات سريعة ويداه مطويتان خلف ظهره.

يسألنا: «إذًا فقد انضممتما إلى الاتحاد أيضًا كما أسمعُ؟». كانت نبرة كبير العمال باردة وهو يعطينا الأوامر بأن ننجز العمل بشكل أسرع. «أنتنَّ لا تعرفن مكانتكنّ الحقيقية في هذا العالم». تندفع كلماته من فمه مصحوبة برذاذ بصاقه.

ثم في أحد الأيام، يطلق الاتحاد حملة لتحسين جودة الإنتاج وكميته. تعطي **يو تشاي-أوك** شارات مكتوب عليها «تحسين الإنتاج» إلى كل أعضاء الاتحاد، وتجعلنا نثبتها على صدورنا. تتلقّى ابنة خالي صفعة من مدير الإدارة لارتدائها إحدى تلك الشارات على صدرها.

«لماذا ضربني؟!»، تحدّق ابنة خالي بتعبير جامد إلى مؤخّرة رأس مدير الإنتاج وهي تدعك خدها المعتدى عليه. طوال اليوم، تلقّى الأفراد الذين ارتدوا الشارات المكتوب عليها «تحسين الإنتاج» وابلًا من الشتائم والركلات. خوفًا من أن أُضرب، أنزعُ الشارة بسرعة وأمسكها في يدي. قال قادة الاتحاد إن خلع الشارات يعني الهزيمة، وحثّوا الأعضاء على الاستمرار في وضع الشارات على صدورهم، لكن في اليوم التالي كان قادة الاتحاد الوحيدين الذين واصلوا وضعها.

ربما كانوا ليخلعوا الشارات أيضًا، لكنهم ما عادوا مجرّد أفراد بل رموز. الاضطهاد يؤلّف بين المضطَهدِين دائمًا، هكذا تقول القاعدة. لأنهم لو لم يبقوا متّحدين، سيتسلّل عدم الأمان إليهم.

يحين وقت تدريبات الدفاع المدني. يُمسك مدير الإنتاج قائمة بأعضاء الاتحاد الذين غفوا خلال التدريب من شدة التعب، ويحثّهم على التقدّم باستقالتهم. استقالة؟ بسبب النوم خلال تدريب الدفاع المدني؟ عندما لم يرضخ له الأعضاء، ينقلهم مدير الإدارة إلى أقسام مختلفة كي يفرّقهم.

ثم يخرج إلى العلن خبر رسم الاتحاد، ثلاثمائة وون. يحدث ذلك ضجّة أخرى. يطلب الاتحاد من إدارة الشركة اقتطاع الرسم بشكل تلقائي

من رواتب العمال، لكن الطلب يُرفض. في يوم دفع الرواتب، يحاول قادة الاتحاد جمع الرسوم في موقع العمل، لكن يبوء ذلك بالفشل بسبب تدخّل الإدارة. في النهاية ينشب شجار بين **يو تشاي-أوك** وباقي قادة الاتحاد وأفراد إدارة الشركة. في اليوم التالي تحاول الإدارة إقناع **يو تشاي-أوك** مُجدّدًا بترك الاتحاد. عندما ترفض، يبدأ مدير الإدارة بالصياح: «في تلك الحالة، اعتبري نفسك مفصولة من هذه اللحظة».

بينما يندلع جدال بين مدير الإدارة **ويو تشاي-أوك** التي تحتج على هذا القرار، يبدأ فصل جديد من الشجار بين الإدارة وأعضاء الاتحاد، وتتشابك الأيدي. على أثر ذلك يدخل مدير الإدارة إلى المستشفى مدعيًا أن **يو تشاي-أوك** وأعضاء الاتحاد قد اعتدوا عليه. يتدخّل رئيس الشركة في المشهد. يعرض على **يو تشاي-أوك** أن يلغي إقالتها ويرقّيها إلى منصب إداري إذا تركت الاتحاد. عندما ترفض، تعلن الإدارة إقالة رئيسة الاتحاد **يو تشاي-أوك** وبضع وخمسين من أعضاء الاتحاد من العمل متعلّلةً بأفراد الإدارة الراقدين على أسرة المستشفى.

***

أكتب رسالة إلى **تشانغ**:

اليوم أوقفت الإدارة الإنتاج، وسلمتنا استمارات من أجل إنشاء اتحاد عمال جديد، مؤكّدة على ضرورة وجود اتحاد على وفاق مع الإدارة. عدد محدود فقط من العمال ملأوا الاستمارة. تلقّى من لم يفعلوا التوبيخ. أخبرونا أننا سوف نندم على ذلك. قالوا لنا إن أعضاء الاتحاد الجديد سوف يحصلون على زيادة مقدارها مائة وون على أجرهم اليومي.

أصف **يو تشاي-أوك** بالتفصيل إلى تشانغ. كم هي شجاعة وجديرة بالثقة.

أثق في **يو تشاي-أوك** كما أثق في أخي الأكبر، لكن أعتقد بأنها قد مُنيت بالهزيمة على يد الإدارة.

حتى مع غياب يو تشاي-أوك، يشكّل الاتحاد «لجنة دفاع لاتحاد عمال شركة **دونجنام** التابعة لاتحادات عمال المصانع الكورية»، التي بدأت عملها بعقد اجتماع عام حضره العديد من الشخصيات البارزة. ترسل اللجنة خطاب مناشدة إلى عدة دوائر. ينادي الخطاب بالإجراءات التالية:

أولًا: السماح الفوري لرئيسة الاتحاد التي أقيلت بشكل ظالم بالعودة إلى وظيفتها.

ثانيًا: إعادة أعضاء الاتحاد المُقالين إلى عملهم والتوقف عن قمع نشاط الاتحاد الشرعي.

ثالثًا: إعادة كافة العمال الذين نُقلوا على نحو تعسّفي، بسبب مشاركتهم في نشاط الاتحاد، إلى مواقعهم الأصلية.

رابعًا: إلزام الإدارة بالقبول الفوري لاتحاد العمال وضمان الحماية لكافة أعضائه.

***

تحضر الآنسة لي لرؤيتنا مجدّدًا لتحصل على توقيعنا. ينادي الالتماس الذي وقّع عليه جميع العمال في قسم الإنتاج إلى زيادة 50٪ على الأجور، وجمع التبرّعات من أجل العمال المُقالين، ووضع نهاية لاضطهاد العمال ودفع التعويضات للعمال الذين يعملون خلال الإجازات القانونية والعطلة السنوية، وإنهاء التمييز بين أفراد الإدارة وعمال المصنع. بعد تسليم الالتماس إلى الإدارة، يُضرِب العمال جميعًا عن العمل لساعات إضافية. عندما بدأت المسألة تُحدِث صدًى خارج جدران الشركة، توافق الإدارة، التي لم تعترف بالاتحاد حتى هذه اللحظة، أخيرًا على عقد اجتماع بين أفراد الإدارة وعمال المصنع لرفع الحد الأدنى للأجور إلى ثمانمائة وثلاثين ونًا. يوافقون على السماح بتعليق لوحة إعلان اتحاد العمال داخل الشركة وعلى دفع علاوة بمقدار 200٪ على مدار السنة، وتوفير مكتب للاتحاد يشغله عاملان بدوام كلّي، وتنفيذ القرار المُعلّق الذي اتخذته اللجنة القومية لتنظيم العمل بشأن عودة رئيسة الاتحاد المُقالة إلى العمل.

مع هذا لم نرَ أنا وابنة خالي **يو تشاي-أوك** مرة أخرى أبدًا. لم تعُد إلى العمل. في اللوحة الإعلانية نفسها التي أُعلنت فيها قائمة العمال المُقالين في الماضي، أُلصق تنويه جديد يدعو الراغبات في التقدّم إلى فصول المدرسة الثانوية المخصّصة لعاملات المصانع. يقول التنويه إنه يجب على العاملات الراغبات أن يحصلن على استمارات التقدّم من مكتب الإدارة وملئها وتسليمها لأفراد الإدارة. تذهب ابنة خالي إلى الإدارة للحصول على استمارة من أجلي. يخبر أخي الأكبر ابنة خالي بأنه يجب عليها ملء استمارة أيضًا. تقول ابنة خالي إنها لا ترغب في ذلك.

«لماذا؟».

لا تقول ابنة خالي أي شيء.

«لماذا لا ترغبين في ذلك؟».

«كيف يمكنني العودة إلى المدرسة في مثل هذا العمر؟».

«أي عمر؟».

«التاسعة عشرة».

«ليس عمرًا كبيرًا جدًا».

«إنه كبير. كل صديقاتي يتخرّجن الآن».

ينظر أخي الأكبر إلى ابنة خالي في صمت. مرعوبة من نظرات أخي، تصمت غاضبةً.

«تقصدين أنك تريدين أن تكوني عاملة مصنع طوال حياتكِ؟».

تغلق ابنة خالي فمها بإحكام. «أيروق لكِ مناداة الناس عليك بفتاة مصنع؟».

تطبق ابنة خالي فمها أكثر.

«لا يمكنك أن تتحرّري من تلك الحياة إنْ لم تذهبي إلى المدرسة».

لا تفتح ابنة خالي فمها المُطبَق بإحكام.

«أذلك ما تريدين؟».

تطأطئ ابنة خالي رأسها.

«أليس كذلك؟».

«الجميع يحيا بتلك الطريقة!»، كانت تلك هي إجابة ابنة خالي على سؤال أخي الأكبر.

«الجميع؟ من هم؟! قد تعيشين بتلك الطريقة، لكن الأُخريات يذهبن إلى المدرسة الثانوية ثم الجامعة سعيًا وراء الأشياء التي يُرِدن فعلها».

بينما يواصل أخي ضغطه عليها، توشك ابنة خالي الآن على البكاء. مع هذا لا يتراجع أخي الأكبر.

«إذًا أنت تقصدين أن تخبريني أنك ستتابعين الحياة هنا هكذا إلى الأبد، صحيح؟».

«ماذا تعني بالأبد؟! سوف أدّخر المال كي اشتري كاميرا، وسوف أتزوج أيضًا».

يخفّف أخي الأكبر من نبرة صوته ويطلق ضحكة قصيرة: «لماذا تريدين كاميرا؟!».

أتدخّلُ للإجابة بعد مشاهدتهما يتكلّمان طوال هذا الوقت: «تريد أن تصبح مصوّرة فوتوغرافية».

يقول أخي الأكبر: «حلم بعيد المنال». ثم يضيف بنبرة اعتذار لا تخلو من حزم: «الأمر نفسه بشأن الزواج. إذا كنت تعملين في مصنع، فلن تستطيعي العثور سوى على شخص في المستوى ذاته. كي تعيشي حياة كريمة في هذه البلد، أول شيء تحتاجينه هو إكمال دراستك».

عندما لا تقول ابنة خالي إنها سوف تعود إلى المدرسة، يرتفع صوت أخي من جديد: «لماذا قطعت كل هذه المسافة إلى هنا؟ لماذا لا تذهبين للعمل في مصنع قريب من القرية؟ إذا كنت لا تخطّطين للذهاب إلى المدرسة، احزمي أغراضك وعودي إلى القرية». يتجهّم وجه ابنة خالي فجأة. تلتقط استمارة التقدّم إلى المدرسة وقد جُرّدت من أي خيار آخر.

تلتفت إليّ وتقول: «لماذا ستذهبين أنتِ إلى المدرسة؟».

يبيضّ وجهي إثر سؤال ابنة خالي. لقد فكّرت ببساطة بأن هذا ما ينبغي

على المرء فعله. كانت ابنة خالي أول شخص يسألني لماذا. عاجزة عن الإجابة لماذا سأذهب إلى المدرسة، أتهرّب قائلة إنه سيكون من اللطيف أن نرتاد المدرسة سويًا. بالإضافة إلى أنه إذا قُبلنا في المدرسة، فسوف تدفع الشركة نفقات الدراسة.

تزمجر ابنة خالي: «تعتقدين بأن الشركة تحاول أن تصنع معروفًا لنا؟ يفعلون ذلك من أجل الضرائب. ولو ذهبنا إلى المدرسة، فلن نستطيع العمل لوقت إضافي. في الحقيقة سنضطرّ إلى مغادرة العمل ساعة قبل موعد انتهاء دوام العمل الرسمي، وبالطبع ستنتهز الشركة الفرصة لخصم أجر ساعة من راتبنا اليومي. إذًا متى سأدّخر مالًا كافيًا لشراء كاميرا؟!».

***

بعد أن تملأ استمارتها إذعانًا فقط لإصرار أخي الأكبر، تتحمّس ابنة خالي أكثر للالتحاق بالمدرسة. يقبلون فقط خمس عشرة طالبة من المتقدّمات المائة والستين. عُلِّق إخطار آخر بأن الاختيار سيكون بناء على تاريخ عمل المتقدّمة في المصنع بالإضافة إلى اختبار منفصل. وسيشرف رئيس الاتحاد على إجراء الاختبار.

لا أزال لا أفهم الأمر. كيف تفكّر الإدارة في إيكال عملية اختيار الطلاب من عاملات المصنع إلى الاتحاد؟ أتساءل إن كانت تلك بادرة ترضية لإغلاق صفحة معارضتها الصارمة لعودة **يو تشاي -أوك** إلى وظيفتها.

رغم ممانعتها السابقة، عندما نعلم بعدد المتقدّمات الكبير، وأن تاريخ العمل في المصنع عامل مهمٌّ في الاختيار، وما تبع ذلك من إعلان موعد الاختبار، يبدو القلق جليًا على ابنة خالي.

«ماذا سوف نفعل؟ نعمل هنا منذ أقل من ستة أشهر فقط».

«الأداء الجيّد في الاختبار سيشفع لنا عن ذلك».

تعبس ابنة خالي وتقول إنها لا تعتقد بأنها ستنجح. ثم تعود لتسأل مرة أخرى: «ماذا سوف نفعل؟».

لماذا تعتقد بأنني أمتلك جوابًا؟! أقول إنه علينا التركيز للحصول على

درجة جيّدة في الاختبار، لكننا لا نستطيع حتى المذاكرة لنتحضّر له. لا نمتلك الكتب.

«ماذا سنفعل في حالة رسوبنا؟».

«لن نرسب».

« لقد مضت ثلاث سنوات منذ تخرّجي من المدرسة المتوسّطة. الأمر مختلف بالنسبة إليّ!».

أحاول أن أهدّئ من قلقها: «تخرّجت الأخريات منذ خمس أو ست سنوات. نحن ضمن أصغر المتقدّمات. كلّهن في الثالثة والعشرين، الرابعة والعشرين، والخامسة والعشرين حتى».

تغمغم ابنة خالي ولا يزال عدم الاقتناع باديًا عليها. «لكن سيكون الأمر مُحرجًا للغاية إن رسبنا». ثم بعد التفكير مليًا، تقترح أن نكتب خطابًا.

«إلى من؟».

«إلى رئيس الاتحاد».

في مقابل التخلّص من **يو تشاي-أوك**، أقامت الإدارة مكتبًا للاتحاد فوق السطح بجوار الكافيتيريا، وأصبح رئيس الاتحاد المنتخب مؤخّرًا يعمل هناك بدوام كامل.

«ماذا سنكتب؟».

«إننا نرغب بشدّة في الالتحاق بالمدرسة».

«والأخريات! ألا ترغبن في ذلك؟».

«للأخريات أسبابهنّ ولنا أسبابنا. لو أتت نتيجة الاختبار متقاربة، فقد يختاروننا بسبب خطابنا».

عندما أفكّر في الأمر، يبدو أن لديها وجهة نظر. يبدو أن ابنة خالي مقتنعة بكلماتها، تلمع عيناها، وتقول لي:.

«فلتكتبيه. قلتِ إنكِ ترغبين في أن تكوني كاتبة».

«ينبغي أن يكتب كل منا خطابًا لنفسه. لا يكتب الناس خطابًا مشتركًا».

«ما جدوى هذا؟ اكتبيه ثم نوقّع عليه سويًا. ذلك يبدو منطقيا».

أجلس على مكتب أخي الأكبر في اليوم السابق للاختبار، وأكتب كيف أننا نرغب بشدّة في الالتحاق بالمدرسة. في البداية لم أمتلك أدنى فكرة عمّا يجب أن أقول، لكن سرعان ما أصبح الخطاب طويلًا. أكتب أن ارتداء زي المدرسة حلم كبير بالنسبة إلينا، وأنه إذا أتيحت لنا الفرصة لإتمام الدراسة، فأتمنّى أن أصبح كاتبة وأن تصبح ابنة خالي مصوّرة فوتوغرافية. وأننا لن ننسى فضل رئيس الاتحاد لو مُنِحنا هذه الفرصة. نكتب التاريخ واسمَيْنا في ذيل الخطاب قبل أن نضعه في مغلَّف. سوف تتولّى ابنة خالي تسليم الخطاب إلى مكتب رئيس الاتحاد في الصباح التالي.

يعود أخي الأكبر إلى الحجرة في المساء حاملًا عيدانًا من حلوى الطّوفي المُغطاة ببودرة بيضاء، ويتمنّى لنا حظًّا طيبًا، «أتمنّى أن تؤديا جيدًا».

كانت عيدان الطوفي التي جلبها أخي الأكبر لنا حلوة المذاق. نشير ضاحكتين إلى خدودنا التي لطّختها بودرة الحلوى الدبقة، وتساعد كل منا الأخرى على إزالة أثرها. يطلب أخي الأكبر أن ننظّف أسناننا ونخلد إلى النوم مبكرًا. لكن يصيبنا الأرق، نتقلب في مرقدنا ونحن نستمع إلى شخير أخي المرهَق.

في يوم الاختبار، يجب علينا الذهاب إلى العمل ساعة قبل الموعد المعتاد، وبالنسبة لي وابنة خالي كان يجب علينا الذهاب أبكر من ذلك كي نضع خطابنا على مكتب رئيس الاتحاد. بينما نؤدّي الاختبار، أطال رئيس الاتحاد النظر إليّ. يتفحّص اسمي على ورقة الإجابة ويبتسم ابتسامة عريضة. يذكر اسم ابنة خالي ويسألني أين تجلس. أشير إلى حيث تجلس على مبعدة في صفٍ مختلف. يربّت رئيس الاتحاد على كتفي ويمضي في السير.

عندما تُعلّق قائمة الطالبات المقبولات في الكافيتيريا، أرى اسمي على رأس القائمة ثم يليه اسم ابنة خالي. حين نذهب إلى مكتب الاتحاد لنتسلّم خطاب قبولنا، نشكر الرئيس الذي يجيب: «لا يجب عليكما شكري. لقد نلتما أعلى الدرجات»، ثم أضاف: «لقد أسعدني خطابكما كثيرًا».

***

ذات يوم يستدعيني رئيس الاتحاد إلى مكتب الاتحاد. كان يجلس إلى مكتبه يرتدي زيًا رماديًا. حين أخطو داخل المكتب، يطلب مني أن اقترب قبل أن يسألني: «كيف لا تتوافق بياناتك في وثائق الشركة وأوراق القبول في المدرسة».

أتردّد عاجزة عن الإجابة.

«أيمكنك إخباري سبب ذلك؟».

«حسنًا، في الحقيقة...».

أتلعثم وأنا أخبره أنني في الحقيقة في السادسة عشرة من عمري لا الثامنة عشرة، وأن اسمي ليس **لي يون-مي**.

«السادسة عشرة؟!».

يبدو عدم الاقتناع على وجه رئيس الاتحاد وهو يجيل النظر في طولي. لقد وصلت إلى طول سن البلوغ في عمر الرابعة عشرة. طولي الآن هو طول فتاة في ذلك العمر.

«ومن هي **لي يون-مي** إذًا؟».

لا أعرف أي شيء عن ذلك. كل ما أعرفه هو: لأن العاملين في إلكترونيات دونغنام يجب أن يكونوا في الثامنة عشرة على الأقل وهو ما لا يؤهّلني للعمل هنا، كان عليّ أن أقدّم الأوراق التي رتّبها أخي الأكبر من أجلي. لا بد أن أخي الأكبر يعرف من هي **لي يون-مي**. لقد أخذت الأوراق من أخي الأكبر ولم أسأله أبدًا عمن هي **لي يون-مي**. يتحدّث رئيس الاتحاد مُجدّدًا بعد صمت طويل.

«نعاني من نقص في العمال، لذا لا توجد مشكلة بخصوص عملك في المصنع في الوقت الحالي. كما أنك قد عملت بالفعل هنا لعدة شهور. لكن لا يمكنك حضور المدرسة تحت اسم **لي يون-مين** لذا احضري أوراقك الحقيقية».

كان يتحدّث بلطف، لكنني شعرت كما لو أنه يشكّك في مصداقيتي. ربما لاحظ شعوري هذا لأنه أضاف: «احرصي على الاجتهاد في دراستك لا تتاح الكثير من الفرص للدراسة في حياة المرء».

بفضل رئيس الاتحاد، استُعيد اسمي الحقيقي في سجلات الشركة. وبفضله بات مظروف الراتب يحمل اسمي بدلًا من اسم **لي يون-مي**، اسم لا أعرف عنه أي شيء. وبفضله، لم أعد مضطرّة للشعور بالحيرة حين يناديني أحدهم: «آنسه **لي يون-مي**؟». لأجيب متأخرة: «أجل، أجل!». يناديني الناس الآن باسمي.

***

رئيس الاتحاد. لو لم انسَ اسمه، كنت لأود أن أكتب اسمه بيديَّ هاتين ولو لمرة واحدة فقط. ربما نسيت اسمه لكن لم انسَ مظهره أبدًا. قامة قصيرة، وصوت رقيق، وبشرة يدين خشنة.

كان يأتي إلى العمل، يقود دراجته. يسلك الطريق نفسه الذي نسلكه أنا وابنة خالي أثناء عودتنا إلى حجرتنا المنفردة. وحين نقابله على ذلك الطريق، كان يترجّل عن دراجته ويسير بجانبنا دافعًا دراجته. أحيانًا كان يدعونا إلى حجرته المستأجرة في الطابق الثاني من بيت قريب من السوق، حيث يعيش مع زوجته وابنهما ذي الثلاث سنوات، لتناول بعض الفاكهة أو احتساء شاي ليمون ساخن. في أحيان قليلة، كان يقودنا بدراجته ليقصّر المسافة علينا إلى حجرتنا المنفردة. تركب ابنة خالي أمامه وأنا في الخلف. حين أشعر أثناء انهماكي في العمل بيدٍ تربّت على كتفي، أنظر خلفي فأجده يقف ورائي. يرى عينيّ المتعبتين، فيمدّ يديه عفويًا كما لو كان سيدعكهما من أجلي، لكنه يسحبهما بسرعة.

روح دافئة... لكنها روح ختنتها.

***

يأتي الشتاء ويزور أخي الثالث الذي لم يُقبل في إحدى جامعات الصف الأول، سول ليؤدّي اختبارات الالتحاق بكليات الصف الثاني. في الحجرة المكتظة حيث يعيش ثلاثتنا، يجلس أخي الثالث مسندًا ظهره إلى الحائط ويحدق إليّ متجهّم الوجه. يرجو أخي الأكبر أخي الثالث أن يتقدّم إلى برنامج مسائي في إحدى جامعات الصف الثاني، ويؤدّي اختبار الخدمة المدنية كما فعل هو. لا يجيب أخي الثالث بشعره الذي لا يزال يحتفظ

بقصة الشعر الإلزامية الخاصّة بالمدرسة الثانوية. يكتفي أخي الثالث بأداء اختبار الجامعة فقط ويعود إلى القرية من دون أن يودّعنا. لم يُجِب أبدًا إذا كان سيتبع ما قاله له أخي الأكبر، لكن يجد اسم أخي الثالث طريقه إلى قائمة الطلبة المقبولين في البرنامج المسائي لدراسة القانون. حين يأتي مرة أخرى من أجل المقابلة الشخصية في الجامعة، لا يبتسم أخي الثالث حتى. وعلى مائدة العشاء، يتجاهل أخي الثالث طعامه ويتذمّر كيف سوف يعيش أربعة أشخاص في هذه الحجرة، نبرته فظّة كما لو أن كل شيء خطأ أخي الأكبر.

تقترح ابنة خالي: «يمكنني النوم في العلية». فأضيفُ: «وأنا أيضًا».

يقول أخي الأكبر ألّا داعي لذلك. حين تصبح الحجرة المجاورة متاحة، فسوف نستأجرها. لكن أعلم وابنة خالي حق العلم أننا لا نقدر على تحمل إيجار حجرتين. عندما يصل الربيع وأبدأ وابنة خالي الدراسة، لن نستطيع العمل ساعات إضافية وسيتقلّص ما نكسبه أكثر. يبدو أن اقتراحنا بالنوم في العلية قد أثار حنق أخي الثالث أكثر، فيحدّق مباشرة إلى أخي الأكبر. يغوص قلبي في مكانه وقد تلقّى ضربة قاصمة. لم يحرّم علينا أحد أن نفعل ذلك، لكن لم يرمق أي أحد من إخوتي أخي الأكبر بنظرة تحدٍ هكذا. لم يخبرنا أحد أننا لا نستطيع ذلك، لكن لسبب ما كبرنا معتقدين أننا علينا ألّا نفعل ذلك. حتى أخي الثالث الذي يصغر أخي الأكبر بعامين فقط، لم يقف ندًا في وجه أخي الأكبر ولو مرة. لا في الطفولة ولا ذلك الوقت، ولا حتى الآن. تلك خصلة في أخي الأكبر. لم يكن مقاتلًا ولا شخصًا يتعجل استخدام القوة، لكن بالرغم من ذلك، يمتلك شيئًا يمنع الآخرين من التصرّف معه باستخفاف أو اختلاق مشاجرة معه. كان شخصًا وقورًا بشكل زائد إلى درجة تجعل ذلك الوقار يبدو نقطة ضعف أيضًا. حتى حين كان صبيًّا، كان مؤدّبًا مع أمي وأبي، واجتماعيًّا مع الآخرين، ويركز دائمًا على درسه. كما كان مهندَمًا ونبيل المظهر، لهذا حين كان أبي وأمي يوبّخاني وإخوتي: «لماذا لا تحاولوا أن تكونوا مثل أخيكم الأكبر». نشعر بالضآلة لعجزنا عن دحض ذلك أو تقديم الأعذار. كان شخصًا يبذل قصارى جهده

دائمًا. ليس فقط في دراسته بل في معاملته الدمثة لأبي وأمي ومعاملته الأخوية لأشقائه الأصغر. كان يحاول أقصى جهده دائمًا أينما كان موقعه.

لكن الآن يرمقه أخي الثالث بنظرة غاضبة.

يستقبل أخي الأكبر نظرة أخي المثبتة عليه من دون أن يرمش، ويقول: «فلتتناول طعامك». ثم يقول: «سوف تحضر أختك المدرسة المسائية بعد انتهاء دوامها في المصنع. أتعرف؟ تقول إنها ترغب في أن تصبح كاتبة». حينها فقط ينظر أخي الثالث بعيدًا ويلتقط ملعقته ليأكل. تظلّل الكآبة وجهه. ونروح نتناول طعامنا في صمت.

بعد أن نغسل الصحون في المطبخ، أشعر بالحرج من العودة إلى داخل الحجرة، فأتوجّه إلى السطح حيث أجد أخي الثالث يقف بجانب الدرابزين، ينظر إلى أسفل نحو الصفوف غير المنتظمة لمداخن المصانع. يمتلك أخي الثالث كبرياء قويًا. يرفض أن يخسر من أي أحد. لم يكن ذلك من فراغ. الأدقّ أن أقول إنه كان بارعًا في الكثير من الأمور. في القرية لم يكن هناك أي طفل لا يخشاه. كان رياضيًا جيدًا، وله حضور طاغ، وقارئًا نهمًا، وهو ما أكسبه معرفة واسعة. أينما ذهب، يكون قائدًا. لكنّ الآن قد فشل في الالتحاق بجامعة مرموقة من الصف الأول، وعلى وشك أن يصبح طالبًا في كليّة مسائية. حين ألتفت لأهبط إلى أسفل بغية ألّا أقطع عليه أفكاره وهو يحدّق إلى مداخن المصانع، ينادي على اسمي. اقترب منه فيمد أخي الثالث يده ليمسّد رأسي.

«أصحيح ما يقوله أخي الأكبر؟».

«عن ماذا؟».

«إنك ترغبين في أن تصبحي كاتبة؟».

لأن أخي الثالث من يطرح السؤال، أفقد ثقتي.

هو من يجدر به أن يكون كاتبًا لا أنا. كان هو من يلتهم الكتب بشغف عظيم، بينما أختلس النظر من فوق كتفه إلى كتبه المفتوحة. كان هو من عرّفني على كل الكُتّاب تقريبًا الذين أصبحت معجبة بهم، وأعطاني

الكتب التي قرأتها حتى تلك اللحظة. في الحقيقة لم يكن قارئًا نهمًا فقط، بل طالبٌ نجيبٌ مثل أخي الأكبر، وأكثر انفتاحًا منه بكثير، محاطًا دائمًا بالأصدقاء. كان يفوز بالمرتبة الأولى في كل مسابقات الجري المدرسية، ويعزف على الطبلة في فرقة موسيقية، ويلعب في فريق المدرسة لكرة اليد، وعُيّن رئيسًا لمجلس الطلبة، عامًا تلو الآخر. إذا كان ثمة جانب في شخصيته يختلف عن أخي الأكبر، فهو أنه لم يكن طالبًا مثاليًا بالشكل المتعارف عليه. فقد كان مشاغبًا مثيرًا للمشكلات. لم يستخدم أبي العصا مع أي منا لكن كان أخي الثالث الاستثناء الوحيد. كان يختلس عبوة كاملة من شعيرية الراميون سريعة التجهيز من المتجر، أو يسرق دجاجة من بيت جارنا بمساعدة صبيان الحي. لكن في الوقت نفسه كان ينتهز كل فرصة ليكتب في مفكرته، يمسح ويكتب ويمسح من جديد من دون توقّف. أيًا كانت الصفحة التي ستفتحها في مفكّرته، فستجدها مليئة بحروف صغيرة غائمة كالضباب. ولعه بالكتابة كان شديدًا جدًا إلى درجة جعلتني أتعجّب لماذا اختار دراسة القانون لا الأدب. لأن هذا ما كانه، لم أمتلك الشجاعة لأخبره أنني أرغب في أن أكون كاتبة.

«تمتلكين الاتزان العقلي». عندما لا أجيبه، يكمل: «تمتلكين الاتزان العقلي ورباطة الجأش، لذا سوف تصبحين كاتبة جيدة. أريدك أن تتبنّي طموحي السابق بأن أكون كاتبًا أيضًا. أما أنا فسوف أصبح مدّعيًا عامًّا وأساعد في تحسين ظروف عائلتنا».

***

في يوم أحد، أذهب وابنة خالي إلى متجر خياط قرب المدرسة التي سنلتحق بها، ونطلب حياكة زيّنا المدرسي. لابنة خالي خصر نحيف. أحاول اختلاس نظرة إلى خصرها لكنها تلاحظ نظراتي. تعبس في وجهي فينتابني الذعر للحظة قبل أن ننفجر ضاحكتين. لأنها الكبرى، تصحبني ابنة خالي إلى سوق في **جاريبونغ-دونغ** وتشتري لي شعيرية راميون تعلوها طبقة وافرة من شرائح كعك الأرز للاحتفال بزيّنا المدرسي الجديد. لقد

كنتُ أنا المتحمّسة جدًّا للذهاب إلى المدرسة، لكن الآن أصبحت أنا الهادئة بينما ابنة خالي التي لم تكن تعبأ بالأمر كثيرًا، تملأها إثارة عارمة بخصوص زيّنا الجديد، وجنتاها متورّدتان وهي تتجرّع الحساء بنهم.

«بعد حفل الاستقبال في المدرسة، دَعينا نذهب إلى القرية في زيارة ونحن نرتدي زينا المدرسي».

حين لا أجيبها، تسألني ابنة خالي من جديد: «موافقة؟». تواصل إلحاحها عليّ فأوافق في النهاية.

***

أبلغ السابعة عشرة وتبلغ ابنة خالي العشرين. نحن في شهر يناير 1979، ومع بداية عام جديد تزدحم الحياة بالمشاغل. يتخرج أخي الأكبر من الجامعة ويبدأ أخي الثالث عامه الجامعي الأول.

يتقدّم أخي الثالث إلى اختبار الخدمة المدنية كما أوصاه أخي الأكبر، لكنه يجعل نتيجة الاختبار غير ذات جدوى بتخلفه عن حضور المقابلة الشخصية. عوضًا عن ذلك يعِد أخي الأكبر بأنه سيضع جل تركيزه على الدراسة كي يتمكّن من نيل منحة دراسية واجتياز اختبار مزاولة المحاماة. يرمق أخي الأكبر الذي سيلتحق بالخدمة العسكرية الإلزامية عما قريب، أخي الثالث بنظرة مُتعبة.

«سوف أخدم كضابط مقيم في الجيش. لن أستطيع بعد الآن أن أساهم في إيجار البيت. بات مطلوبًا منكم أن تتمكّنوا من تدبر أموركم إلى أن يتم تسريحي من الخدمة العسكرية».

***

يبدو أن الاتحاد والإدارة يعيشان فترة من الوئام. لكن مع قدوم العام الجديد، يتفرق الاثنان، كل في اتجاه مغاير. تخبرنا الآنسة لي: «عليكما أن تتفقّدا إعلاننا التلفزيوني. إنه مهم حقًّا».

لا نمتلك راديو حتى، فما بالك بتلفاز. ذات أحد، بينما نحن في المتجر لنشتري مسحوق غسيل، تجذب ابنة خالي ذراعي فجأة، وهي تصرخ: «ها هو!».

على شاشة تلفاز في حجرة المتجر الخلفية، تقف امرأة حسناء طويلة الشعر ترتدي سترة جلدية وتضع سماعات أذن، وتغني مع أغنية أجنبية ثم تبتسم وهي تقول: «جهاز ستريو **دونجنام!**» بينما يتردّد صدى الكلمات «جهاز ستريو **دونجنام**»، يملأ الجهاز الصوتي الذي ركبناه وجمعنا أجزاءه معًا بالبراغي، الشاشة بفخامة.

بينما تفتح عبوة مسحوق التنظيف، تقول ابنة خالي: «تعرفين الأغنية التي استمعنا إليها الآن؟».

«أي أغنية؟».

«الأغنية التي كانت المرأة التي تضع سماعات الأذن تغنيها منذ قليل وهي تروج لمنتجنا».

أصبحنا من الآن فصاعدًا نقول: «منتجنا» بدلًا من «جهاز ستريو».

«ماذا عن الأغنية؟».

«إنها إحدى أغاني «**سموكي**[1]»، أغنية «**ماذا أستطيع أن أفعل!**».

«من هم «**سموكي**»؟».

«الفرقة التي أحبّها. لهم أيضًا أغنية أخرى «**الباب المجاور لأليس**»، أغنية حزينة جدًا. تتحدّث عن فتاة تدعى أليس تعيش في الشقة المجاورة لرجل عشقها سرًّا لأربع وعشرين سنة. اكتفى بمشاهدتها من على مبعدة، غير قادر على إخبارها بمشاعره لكن في يوم ما أتت سيارة ليموزين فارعة وأخذت أليس بعيدًا».

تضع ابنة خالي المنظّف على الأرض وتهتف مقلّدة المرأة في الإعلان: «جهاز ستريو **دونجنام!**... ماذا أستطيع أن أفعل!».

***

---

(1) فرقة سموكي: فرقة روك بريطانية تأسست سنة 1964 في برادفورد، يوركشاير. أغنية «الباب المجاور لأليس» التي صدرت سنة 1972 هي أكثر أغاني الفرقة نجاحًا.

ظل موعد دفع أجورنا يؤجَّل شهرًا تلو الآخر. في البداية تأخّر موعد الدفع يومين، ثم في الشهر التالي خمسة أيام، ثم عشرة أيام في الشهر الذي تلاه. تلقي الإدارة باللوم على تدنّي معدل الإنتاج. تثور الآنسة لي: «تدنّي الإنتاج؟! أيقنعكما هذا التبرير؟».

لا يقنعنا. كل نهار يجمع رئيس الإنتاج العمال في قسم الإنتاج في صف ويحدّد معدل الإنتاج اليومي المنشود، وفي كل يوم كان المعدل المنشود يرتفع. بغية الوصول إلى الهدف، زادت سرعة الحزام الناقل وخفّضت دقائق راحتنا العشر في الصباح والظهيرة إلى النصف. الآن وقد أصبحتُ عاملة ماهرة، ألتقط المفك الهوائي بإتقان وأربط البراغي بسلاسة من دون لحظة تفكير. لكنهم يدَّعون أن الإنتاج ينخفض.

«الأمر لا يتعلّق بانخفاض الإنتاج، بل لأن الإدارة ستفتتح فرعًا آخر للشركة. ذلك ما يؤخّر أجورنا. لا مشكلة في إطلاق فرع آخر، لكن لماذا عليهم تأخير دفع أجورنا للقيام بذلك؟».

لا أحد يعرف لماذا. كل ما نعرفه أنه مع تأخير دفع أجورنا ستتحوّل حياتنا إلى جحيم، فأجرنا هو مصدر عيشنا الوحيد. لو تأخّر، فسوف نتأخّر في دفع إيجار حجرتنا، ولن نمتلك أي مال كي نرسله إلى عائلتنا في القرية، ولا أي مبلغ يمكننا أن نوفّره كي نضيفه إلى مدّخراتنا.

***

يشرع الاتحاد في مناقشة احتمال إضراب جماعي عن العمل الإضافي.

أتذكر الآنسة **ميونغ** من إدارة الشركة. كانت أكثر من تحقد عليها ابنة خالي في الشركة كلّها. فبدلًا من اللحام واستخدام المفك الهوائي، تجوب الآنسة **ميونغ** المصنع وهي تحمل وثائق تحت إبطها أو تتفقّد بطاقات عملنا المثقّبة. تحتفظ داخل أدراج مكتبها بمفاتيح حجرة المعدات. شعرها مجعّد يتراخى بلطف فوق كتفيها، وعيناها صافيتان، وبشرتها لامعة. عندما تقف الآنسة **ميونغ** في ضوء الشمس وتبتسم، يرتفع حاجباها الدقيقان، وتتلألأ أسنانها البيضاء. وحين تسير الآنسة **ميونغ** مجتازة حديقة

الزهور في فناء المصنع وهي تحمل ملفًا أصفر تحت إبطها، تتحرّك ساقاها الناعمتان بحيوية أسفل تنورتها. ابنة خالي معجبة بكل شيء يخصّ الآنسة ميونغ لا سيما حقيقة أنها تعمل في الإدارة لا الإنتاج.

في أحد الأيام تطلب الآنسة ميونغ رؤيتي وابنة خالي. لا أمتلك أي فكرة لماذا تريد الآنسة ميونغ، التي لم نتحدّث إليها أبدًا وكنا فقط نشاهدها من على مبعدة، رؤيتنا مع هذا يخفق قلبي بقوة.

«لم نقترف أي جريمة أو أي شيء». تحاول ابنة خالي جاهدة الحفاظ على ثباتها.

«لم نتأخر أبدًا في الصباح. ولم نغادر العمل مبكرتَيْن أبدًا».

تستقبلنا الآنسة ميونغ بابتسامة ودودة، وتسألني وابنة خالي إذا كنا قد سلمنا استمارة الانضمام إلى الاتحاد. حينها فقط أدركت لماذا خفق قلبي بقوة عندما طلبت الآنسة ميونغ رؤيتنا.

«أنتما عضوتان في الاتحاد أيضًا، أليس كذلك؟». تضع الآنسة ميونغ ابتسامتها الودودة على وجهها مرة أخرى. نجد صعوبة في الإجابة. تسألنا الآنسة ميونغ مُجددًا: «ولا تزالان تخطّطان لحضور المدرسة؟».

نحوّل نظراتنا نحوها. عما تتحدّث؟ أنخطّط لحضور المدرسة؟! أليس هذا أمرًا مفروغًا منه؟ لقد جهّزنا زينا المدرسي وكل شيء. تتكلّم الآنسة ميونغ من جديد بصوت منخفض وهي تقلّب في الوثائق أمامها.

«يرى المدير أن الشركة لن تستطيع توفير المال لأعضاء الاتحاد كي يلتحقوا بالمدرسة».

نتسمّر في مكاننا، نحدّق في وجه الآنسة ميونغ في ذهول. يمضي بعض الوقت قبل أن تستأنف الآنسة ميونغ الحديث: «وهو ما يعني أن عليكما الاستقالة من الاتحاد إذا كنتما ترغبان في الذهاب إلى المدرسة».

نغادر مكتب الإدارة ونمشي تجاه قسم الإنتاج برؤوس منكّسة. حالما نخطو داخل قسمنا، يرفع جميع الجالسين على خط الإنتاج عيونهم إلينا في اللحظة نفسها. فجأة ترمقنا عيون كل العاملين في خط الإنتاج بارتياب.

تهرول الآنسة لي التي حثّتنا من قبل على إكمال استمارات انضمامنا إلى الاتحاد نحونا وتسألنا: «ماذا قالت لكما الآنسة ميونغ؟».

نتردّد في الإجابة. خلال تردّدنا، رحنا نفكّر في رئيس الاتحاد الذي كتبنا إليه خطاب التوصية. لم نفعل أنا وابنة خالي أي شيء لصالح الاتحاد منذ انضمامنا إليه سوى تدوين اسمَيْنا وعنواننا على ورقة. لم نعرف بعد ما هو «الاتحاد» وماذا يحاول أن يحقّق، لكننا حدسْنا أن الاستقالة من الاتحاد تعني خيانة رئيسه.

استدعاء الآنسة ميونغ المفاجئ لنا جعلنا نشعر بالذنب تجاه الآنسة لي ورئيس الاتحاد.

***

البرد القارص يجعل السّيْر إلى البيت بعد العمل جحيمًا.

يقع مصنعنا في المجمع الصناعي رقم واحد، لهذا استأجر الكثيرون من العمال حجرات قريبة منه، لكن حجرتنا المنفردة تقع قرب المجمَّع الصناعي رقم ثلاثة، حيث محطة قطار الأنفاق لأن أخي الأكبر وأخي الثالث يحتاجان إلى ركوب قطار الأنفاق يوميًا، الأول كي يصل إلى مركز الخدمة الاجتماعية، والأخير إلى جامعته.

في ذلك اليوم يبدو طريق العودة إلى حجرتنا المنعزلة أطول وأبرد. سيبدأ أعضاء الاتحاد إضرابهم عن العمل الإضافي في اليوم التالي، فماذا يفترض أن نفعل أنا وابنة خالي؟ تسري القشعريرة في جسدَيْنا. ترتطم كلمات الآنسة ميونغ وهي تسألنا إذا كنا لا نزال نخطّط لحضور المدرسة، بطبلتي أُذنينا كما ترتطم الرياح بأعمدة الكهرباء. لو انضممنا إلى أعضاء الاتحاد في الإضراب، هل يعني ذلك أننا لن نستطيع الذهاب إلى المدرسة؟ أمامنا شهر حتى بداية المدرسة. رأسي مشوَّش وقلبي يعتصره الألم. تسحب ابنة خالي يدها من دفء جيبها وتحيط بها يدي ثم تضع يدي داخل جيبها الكبير والمتسع حيث تمسك بقوة يدي المتشابكة بيدها.

«أين قفازَيكِ؟».

لا أجيب. أفكر ماذا ستجدي القفازات وسط كل هذا البرد.

«أضعتهما؟!».

بالكاد أومئ.

«هل فقدت رشدك أم ماذا؟ لقد فقدت وشاحكِ، والآن قفازيك أيضًا؟!».

أحدق إلى ابنة خالي في قلب الريح المحمّلة بالثلج. يبدو أنني على حافة البكاء.

«تبكين دائمًا على أهون الأشياء».

أردت أن أصيح في وجهها: «وأنتِ أيضًا!». لكنني أبقيت الكلمات حبيسة بداخلي.

بعد أن نمشي لبرهة وهي تمسك بيدي بقوة داخل جيبها، تصحبني إلى السوق وتشتري لي زوجًا من القفازات وتلبسني إياهما.

«لا تضيعيها. حين تبدأ المدرسة، سيشتد علينا البرد مع قدوم مارس أثناء عودتنا إلى البيت ليلًا. قد نحتاج إلى ارتداء القفازات حتى نهاية أبريل».

عند المعبر الذي يجب علينا اجتيازه كي نصل إلى حجرتنا المنفردة في المجمّع الصناعي رقم ثلاثة، وكان جسدانا يرتعشان ويهتزان من شدة البرد، تسألني ابنة خالي عمّا يجب علينا أن نفعل في اليوم التالي. أزفر نفسًا أبيضَ يصطدم بوشاح ابنة خالي قبل أن أجيب. أخاطبها بـ«أختي» للمرة الأولى في حياتي، «سوف أفعل ما تقررينه يا أوني».

تواصل ابنة خالي السير وجسدها يرتجف وسط الريح القارصة. «لا علم لي أيضًا بما ينبغي أن نفعل».

طوال النهار التالي، يلازمنا التوتّر والقلق. تأتي إلينا الآنسة لي لتنقل إلينا رسالة مقتضبة حازمة: «لا عمل لساعات إضافية بدءًا من اليوم».

حين نصل إلى الكافيتيريا وقت الغداء، ندرك أننا لسنا المتوترتين

الوحيدتين، فالتوتر يعلو وجوه كل العاملات الخمس عشرة اللواتي قُبلن في المدرسة. تساءلنا في ما بيننا عما يجب أن نفعل. أحتلّ وابنة خالي الموقعين رقم1 و2على التوالي. لو لم نبدأ العمل، فسيُترك الحزام الناقل فارغًا. إذا توقّفنا عن العمل لساعات إضافية، فسيلاحظ الجميع ذلك في الحال. بعد معرفتهم بخطة الاتحاد، راح أفراد من قسم الإدارة والإنتاج يحومون حول موقع العمل طوال الظهيرة مثل سرب من طيور الحدأة السوداء.

يقترب كبير العمال مني وابنة خالي ويقول بودٍّ أكثر من المعتاد إننا سنحصل على أجورنا في اليوم التالي. يقول إنه إذا رفض العمال العمل لساعات إضافية، فلن نستطيع تصنيع كمية الأجهزة المطلوبة في عطلة نهاية الأسبوع، وإذا حدث ذلك فإن عملية تصدير الأجهزة المقرّرة حتى شهر مارس لن توضع موضع التنفيذ. وفي حالة حدوث ذلك فلن تعاني الشركة من خسارة فادحة فقط، بل ستتأثّر أجور العاملين في الشهر التالي أيضًا. ولأننا سنبدأ الدراسة في الشهر التالي، حيث سنغادر العمل في الخامسة مساء، ساعة قبل موعد انتهاء العمل الاعتيادي في السادسة، فلن يكون بوسعنا العمل لساعات إضافية حتى لو أردنا ذلك.

إذا قرّرنا العمل لساعات إضافية، فيجب أن نتناول العشاء، لكن ذلك سيفضح قرارنا أمام أعضاء الاتحاد. أجد وابنة خالي نفسَينا عاجزتين عن الامتناع عن العمل الإضافي وعن الذهاب إلى تناول العشاء. حين يقرع الجرس ليعلن نهاية ساعات العمل الاعتيادي، يتوجّه أعضاء الاتحاد إلى خزانة الملابس عوضًا عن الكافيتيريا لتغيير ثياب العمل ومغادرة المصنع. لأننا عاجزتان عن المغادرة معهم، نتوارى عن الأنظار فوق السطح. يتحدّث أعضاء الاتحاد إلينا ويسألوننا: «ألن تتوقّفا عن العمل؟!».

عندما نعود إلى خط الإنتاج، نجده خاليًا. العاملون القليلون الباقون في مواقعهم، إمّا الذين سيلتحقون بالمدرسة أو المقرَّبون من كبير العمال. على الرغم من أن الحزام الناقل يواصل الدوران، ومن أنني وابنة خالي

في موقعَيْنا، لا يوجد عدد كافٍ من العمال للإبقاء على العمل دائرًا. ليس بوسع الباقين سوى مشاهدة الحزام الناقل وهو يتحرك في صمت.

«هكذا يبدو العار». تتجمّع الدموع في عيني ابنة خالي التي جاهدت للحفاظ على رباطة جأشها وهي تكرّر: «هكذا يبدو العار».

***

في الصباح التالي تبدو خطوات أقدامنا أثناء سيرنا إلى العمل كأنها تزن ألف طن. للمرة الأولى منذ بدأنا العمل هنا، تختم بطاقة عملنا المثقبة بحروف حمراء «متأخر عن العمل». في اللحظة التي نصل فيها إلى موقع الإنتاج، يرمقنا جميع الذين رفضوا العمل لساعات إضافية معًا. نشعر بالعار. نعم هكذا يبدو العار. غير قادرتين على تحمّل النظرات اللاذعة، نتوجّه إلى الحمام بدلًا من الجلوس في موقع عملنا. المرآة فوق الصنابير تعكس وجهينا. ثم فجأة أندفع قائلة: «سوف أصبح كاتبة!».

يدق الجرس معلنًا عن بدء يوم العمل، لكننا نظلّ واقفتَيْن هناك، تنظر كل منا إلى الأخرى في المرآة. أتابع: «لا يشغلني شيء آخر سوى الكتابة. حتى في هذه اللحظة، لا أشعر بأي قدر من العار. ولو حتى ذرة واحدة!».

تقول ابنة خالي لي: «لا تعضّي شفتيك. ألا يؤلمك ذلك؟».

تقترب ابنة خالي من الصنبور وتفتحه. تتلقّى الماء المندفع بين يديها وترشّه على المرآة، ثم تمسح المرآة بيديها محدثة صريرًا حادًّا. تواصل ابنة خالي جمع الماء في يديها ورشّه على المرآة ثم مسحه من دون توقّف حتى ينادي كبير العمال علينا من الخارج: «رقم1! رقم2!»، كي يرغمنا على الخروج من الحمام.

***

أتى أبي ليحضر تخرّج أخي الأكبر وقد جلب معه نفقات دراسة أخي الثالث الذي عجز عن توفيرها بالكامل. وهو يجلس في إحدى زوايا حجرتنا، ترتسم على وجهه نظرة مُعذَّبة. أبي يسأل أخي الأكبر. هل نستأجر الحجرة بوديعة كاملة أم بإيجار شهري؟ وكم يبلغ الإيجار الشهري؟ بعد الجلوس لبرهة طويلة بوجهه المكروب، يغادر أبي إلى

تشيونغ-جو ليطلب قرضًا من أحد أعمامه، في سبيل الحصول على عقد إيجار بوديعة كاملة لحجرتنا الحالية على الأقل، حتى لو لم يتمكّن من تدبير حجرة أخرى من أجلنا وذلك كي يخفّف الحمل على أخي الأكبر، الذي لن يستطيع كسب المال في الوقت الحالي.

يرجع أبي في المساء بعد أن فشل في تأمين قرض. يعتري أبي عذاب أعظم الآن. تجلس أمي بجوار أبي وتعبّر عن مرارتها تجاه العم في **تشيونغ-جو**، الذي رفض منحه القرض. تقول امي إنه حين ارتاد ذلك العم، ابن أرملة، المدرسة بعيدًا عن الديار، باع أبي محصول الأرز ليرسل إليه نفقات الدراسة. لهذا يقول الناس إن النيّة الطيّبة عديمة الفائدة. يخبرها أخي الأكبر ألا تقلق، وأننا سنتدبّر أمورنا بطريقة أو بأخرى. في تلك اللحظة ينهض فجأةً أخي الثالث الذي كان يحدّق إلى الأرضية، ويغادر الحجرة. يرقد أبي ويداه فوق جبهته ويطلق آهة، بينما يجلس أخي الأكبر على مكتبه بجوار خزانة الثياب وظهره منتصب، وهو يحاول التركيز في صفحات مرجع في القانون الجنائي.

حين تشرع أمي، وقد طغى عليها الإحباط والأسى، في البكاء، أجلس القرفصاء إلى جانبها وأشاركها البكاء. تبدأ ابنة خالي في البكاء أيضًا.

لم تستطع أمي نسيان هذا اليوم أيضًا. حتى الآن تتذكّر أمي ما حدث قبل ست عشر سنة في كل مرة يأتي عم أبي من **تشيونغ-جو** لزيارة مقبرة العائلة، في كل مرّة تجد نفسها مضطرة إلى إعداد الطعام من أجل أحد طقوس تقديم القرابين للأسلاف نيابة عن زوجته.

«لا تعرفين ما الذي تكبّده أبوكِ - وأنت تعرفين أي نوع من الرجال هو، كي يقطع كل تلك المسافة إلى **تشيونغ-جو**. مجرّد التفكير في ذلك اليوم يجعل مؤخّرة عنقي تتيبّس».

***

إلى أن يحين موعد بداية المدرسة، كنت وابنة خالي نجلس في موقع

عملنا عند خط الإنتاج، في كل مرة يقرّر فيها الاتحاد الامتناع عن العمل لساعات إضافية ورؤوسنا منكّسة إلى أسفل.

في المرة الثالثة التي تستدعينا فيها الآنسة ميونغ، تطلب منا التوجه إلى مكتب رئيس الإدارة. استُدعَيت كل الذاهبات إلى المدرسة. يقول رئيس الإدارة: «الشركة على حافّة الانهيار بسبب الاتحاد». يدفع نفسه لينهض من فوق مقعده الدوّار، جسده يتّخذ وقفة متخاذلة تشي بأنه لا يستطيع تحمّل الأمر بعد الآن.

«لا يمكنني أن أصدّق أنه في وسط هذا كلّه، لا تزال المقبولات في المدرسة بدعم من الشركة، أعضاء في الاتحاد. إذا لم توقّعن على استمارات الاستقالة من الاتحاد الآن، فسوف يتم إلغاء قبولكنّ في المدرسة».

نجلس وظهورنا متقابلة، ونملأ استمارات الاستقالة التي تُعلّق على لوحة إعلانات الشركة. إلى جوارها قائمة بالمزايا التي سيحصل عليها المستقيلون من الاتحاد. سوف تكون لهم الأولوية في الحصول على الأجور وسوف ينالون علاوة و...

***

أصبحت وابنة خالي نتجنّب رئيس الاتحاد. لا يمكننا النظر في عينيه. عندما يتملّكني العار حين أشيح بنظري بعيدًا عنه، أفكّر في طيور البطّ البري التي تبحث عن سنابل الأرز في حقول الشتاء المدّثرة بالثلج. أذكّر نفسي بالعهد الذي قطعته ذات يوم بأن أذهب لمشاهدة الطيور البيضاء الغافية ووجوهها موجهة نحو النجوم... أنا مجرد فتاة في السابعة عشرة ولست في موقع يسمح لي بأن أرفض العمل لساعات إضافية، أسحب ورقة وأضعها فوق الحزام الناقل وأكتب إلى تشانغ:

لا أبالي بالانضمام إلى الاتحاد من عدمه. لا أبالي بتبعات التوقيع على استمارات الاستقالة. لو أستطيع فقط الانضمام

إلى الآخرين عندما يمتنعون عن العمل الإضافي، أعتقد بأنني سأشعر بشيء من الرضا. لا أستطيع النظر إلى عينيّ رئيس الاتحاد، رجل عاملني بطيبة بالغة. عندما نلمحه يقف هناك، أتوقّف وابنة خالي في مكاننا، أو نلتفت من دون أن نفعل ما كان يجب علينا أن نفعله. عندما نلمح دراجته في السوق، نلتفت بسرعة تجاه شارع آخر. عندما نشاهده يقف في الطابور في الكافيتيريا وقت الغداء، نتخلّى عن الرغبة في تناول الطعام ونمشي عائدتَيْن من حيث أتينا...

***

عدت من الجزيرة. مرّ عشرون يومًا على رجوعي إلى البيت.

بعد أن حجزت رحلة الطيران في صباح اليوم التالي، وأثناء توجّهي إلى غدائي الأخير على سطح الجزيرة، توقّفت عند متجر الكتب الذي رسم ابتسامة على محيّاي حين اكتشفت وجوده عند وصولي. إذا كان كتابي لا يزال على رف المتجر، رغبت أن أهديه إلى مالكة المطعم التي قدّمت لي طعام الغداء لخمسة وعشرين يومًا ولم أصَب أبدًا بالإعياء. كان الكتاب لا يزال في المكان ذاته. بدا الأمر غريبًا أن أدفع مالًا من أجل كتاب أنا كتبته.

بعد أن تناولت خنّة الكيميتشي التي طهتها مالكة المطعم، أحضرت لي بعض القهوة. انتهزت الفرصة وقدّمت إليها الكتاب فأشرق وجهها.

«يا لكرمكِ...»، تفوّهت المالكة بهذه الكلمة في تعجّب ثلاث مرات قبل أن تقول: «لا أعرف إذا كنت أستطيع قبول... كتاب، شيء غالي الثمن إلى حدٍّ ما».

ما يقلقني هو أنها قد تترك الكتاب قابعًا على رفها لأربع سنوات عاجزة عن قراءته. عندما أخبرتها أنني سأرحل عن الجزيرة الآن، سألتني إن كنت قد أنهيت ما كنتُ أكتبه. أجبتها أنني لم أفعل، وأنني سوف أغادر لأنني لا أستطيع السيطرة على زمام أفكاري. بدت المالكة حزينة حقًّا لرحيلي،

ودَعتني للقدوم على العشاء. قالت إنها سوف تعدّ لي وجبة طيّبة جدًّا، وَرجَتني أن آتي إلى مطعمها مرة أخرى أخيرة. منذ وصولي إلى الجزيرة، كنت استعيض عن الوجبات الرئيسية باستثناء الغداء بوجبات خفيفة بسيطة مثل الفاكهة والخبز والراميون سريع التحضير والحساء، ولم يكن لدي خطط لتناول العشاء في الخارج مع هذا قلتُ: «حسنًا، سوف آتي».

عندما حلّ المساء، تذكّرت دعوة مالكة المطعم العاطفية، وفكّرت للحظة أنه ربما ينبغي عليّ الذهاب لكنني لم أفعل. بدلًا من ذلك، أخرجت كتاب التراتيل الذي اشتريته ولم أقلّب صفحاته حتى، وفتحته. طُبع على الغلاف الأسود من الداخل صلاة الرب. تأملت طويلًا سطرًا في النص المطبوع، «وستتحقّق مشيئة الرب على الأرض، كدا تتحقّق في السماوات».

لم تهتم أمي الشابة التي رافقتني وأنا في السادسة عشرة إلى سول بتعلّم صلاة أو أي شيء مشابه. كان لدى أمي دائمًا جبل من العمل ينتظرها. شجيرات بيريلا لتغرسها في الأرض، وطقوس تقديم القرابين للأسلاف لتعد لها، وحقول أرز لتشذّبها، وحساء لتطهوه من أجل إخوتي الكبار، وأطفال صغار لتهتم بشؤونهم، وطعام لتحمله إلى المزارعين في الحقل، وأرضيات تحتاج للمسح. الآن تستطيع أمي العجوز أن تحفظ كل شيء بدءًا من صلاة الرب حتى مذهب الحواريين.

اعطنا خبزنا كفاف يومنا، واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا، كما نحن نغفر أيضًا لمن اخطأ واساء الينا، ولا تدخلنا في التجربة، ولكن نجنا من الشرير. قلّبت الصفحة ورأيت أن الكتاب ربما كان معدًّا كهدية حيث ثمة سطر في أعلى الصفحة، «إلى...»، وآخر متروك لكتابة التاريخ. من دون تفكير، التقطت قلمًا وملأت الفراغ: «إلى أوني هِي-جاي»، قبل أن أغيّره إلى «إلى أمي». ثم أضفت التاريخ: «الثالث من أكتوبر 1994».

من الطائرة التي تحملني إلى المدينة، جلت بعينيّ في العالم. أبصرت مجرًى مائيًا. جدول المياه يتدفّق إلى النهر والنهر يتدفق إلى البحر. كان

ذلك يحدث حقًّا. ألهمني ذلك المنظر التفكير لو أن ساعات اليوم يمكنها التدفّق إلى الأمس، والأمس إلى اليوم السابق له، لو كان بوسع الزمن أن يتدفّق إلى الوراء بتلك الطريقة، إلى الوراء حتى يصل إلى تلك الحجرة المنعزلة العام 1979 وأن يضع كتاب التراتيل هذا في حضن **هِي-جاي**. لو فقط كان ذلك ممكنًا، لكنت شعرت بوحدة أقل بشأن مواصلة هذه الحياة.

***

مكتبة
t.me/t_pdf

الجزء الثاني

«وعظتني نفسي فعلمتني وأثبتَتْ لي أنني لست بأرفع من الصعاليك ولا أدنى من الجبابرة... أما الآن فقد علمتُ أنني كونت فردًا مما كون البشر منه جماعة، فعناصري عناصرهم، وطويَّتهم طويَّتي، ومنازعي منازعهم، ومحجتي محجتهم.».

جبران خليل جبران

مضى شهر منذ عودتي من الجزيرة.

حين فتحت النافذة عند رجوعي إلى المنزل ونظرت إلى الخارج، كانت أوراق الشجر الملوّنة تنتشر منحدرةٍ فوق سفح الجبل على مبعدة. شغّلت الراديو بدافع العادة. أدرت مؤشر الموجات لأضبط القناة على محطة الراديو التي كان ينبعث منها في منتصف الخريف سلسلة **شوبرت** الغنائية «**رحلة الشتاء**»[1]. بجوار البئر خارج حدود السور تربض شجرة زيزفون. بينما تغفو الشجرة مستظلّة بظلّها، ترسل إليّ رؤى جميلة. أستمع إلى الموسيقى وأنا أمسح إطار النافذة المترّب، وأستبدل المصباح بداخل الثلاجة حين أكتشف أنه لا يعمل.

في جذع شجرة الزيزفون أنحت رسائل محبة: *ملذاتي وأحزاني التي بُوركت من السماء. عليّ أن أجتاز اليوم وأعبر سواد الليل* بسلام. تنحني أغصان الشجرة وتحدث حفيفًا كما لو كانت تناديني، تعالي إلى هنا، تعالي إلى هنا يا رفيقتي، لأكون ملاذك.

أعيد توصيل خط الهاتف. أغسل شعري وأدهن بشرتي بالكريم. أحمل إلى المائدة الصغيرة في الشرفةالصندوق الموضوع خارج باب بيتي والذي يحوي كومة من الرسائل جمعها جاري في المنزل المجاور من أجلي، وأرتب المراسلات القديمة. تسقط رسائل وبطاقات بريدية وفواتير من الكومة. بينها ألمح كتابة مألوفة. كان خط يد امرأة تدعى **كيم مي-جين**، كانت تكتب لي من وقت لآخر منذ الربيع الماضي. تعرّفت على خط يدها لأنها تكتب رسائلها بقلم ريشة تغمسه في الحبر، وهو شيء نادر هذه الأيام.

---

(1) سلسلة من 24 مقطوعة غنائية، لأحد أشهر الموسيقيين الكلاسيكيين في تاريخ الموسيقى «فرانز شوبرت». من روائع الأعمال الموسيقية الغنائية. تحكي قصّة عاشق هام على وجهه من فرط حبه.

أفتح المظروف باستخدام المقصّ، وأسحب الرسالة. يتجمّد قلبي أثناء قراءتي فحوى الرسالة. كتبت أنها سوف تنتحر. وأنها تكتب هذه الرسالة في مكان عملها. وأن الوقت الآن هو التاسعة ليلًا. وأنها سوف تأخذ الرسالة بعد أن تنتهي من كتابتها إلى صندوق البريد ثم تعود إلى المكتب وتقتل نفسها. هذه الرسالة التي أرسلتها إليّ كانت كلماتها الأخيرة في هذا العالم.

تفقّدت التاريخ على ختم البريد. التاسع عشر من سبتمبر. لقد أُرسلت الرسالة منذ شهر. كانت الرسائل التي وصلتني منها حتى تلك اللحظة سوداوية ومليئة باليأس. لكن لأنها لم تكتب أي شيء عن سبب شعورها هذا، لم يكن بيدي شيءٌ لأفعله. الأمر نفسه هذه المرة. قالت إنها تنوي أن تقتل نفسها لكن لا شيء عن السبب. ولا أي شيء أيضًا عن لماذا ترسل إليّ أنا بالتحديد رسالة انتحارها.

عندما استيقظت في الصباح، كانت أوراق الخريف الملوّنة قد قطعت شوطًا أكبر في رحلة هبوطها خلال الليل. وحين استيقظت في اليوم التالي، كانت قد قطعت شوطًا آخر. مضى شهر على هذا المنوال. عندما وصلت تلك الأوراق عند قدم الجبل، بدأت الأوراق فوق قمة الجبل في التساقط وهكذا دواليك. الأوراق التي غيّرت لونها تساقطت وتناثرت مع هبوب أخف ريح. استبدلت غطاء مائدة الشرفة الدانتيل بآخر أخضر من خيوط القنب من أجل الشتاء.

بينما أتوجّه إلى البيت في وقت متأخّر من الليل، على متن حافلة أو سيرًا على الأقدام في زقاق، فكّرت في كيم مي-جين. هل ماتت حقًّا؟

***

1979. يتذكر جسدي ذلك العام من خلال ذكرى مذاق مشروب السوجو. الرائحة اللاذعة للمشروب المُقطّر ينساب عبر حلقي.

تتحدّث الآنسة لي إلى ابنة خالي: «عليكِ أن تحترسي»، تبقى ابنة خالي صامتة. «عينا كبير العمال مثبتتان عليك». تنظر إليها ابنة خالي بحيرة.

«حينما يضع عينيه على شخص ما، تعرفين كيف يصبح عنيدًا في

مطاردته؟! وحين لا يحصل على ما يبتغيه، يتحوّل إلى شخصٍ مؤذٍ. هذه هي شخصيته».

لا تزال ابنة خالي تنظر إلى الآنسة لي بتعبير جامد. «إنه أحمق ومجنون. لكن على الأقل يمتلك عينين تحسنان الرؤية».

وفقًا للآنسة لي، فإنه في ذلك اليوم كانت عينا كبير العمال تطاردان ابنة خالي، لكن لسبب لا أعلمه، يعطيني أنا هدية. أفضّها لأجد صندوقًا. عندما أزيل غطاءه، أجد بداخله قلم حبر، وملاحظة تقول إنه لا يوجد عمل إضافي اليوم، وإنه يطلب مني لقاءه في مقهى شاي **إيونها** عند مدخل المجمّع الصناعي. تقول أيضًا إنه يجب أن أخفي الأمر عن ابنة خالي. سيطر الارتباك عليّ طوال فترة بعد الظهيرة. عندما تسألني ابنة خالي ما الخطب، أحدّق إلى وجهها أو أنظر بعيدًا عنها من دون أن أتفوّه بكلمة. في طريق عودتنا إلى البيت، أسير وراء ابنة خالي مباشرة. أحيانًا اقترب منها إلى درجة أن أقدامنا تتصادم. نصل إلى السوق على هذه الشاكلة. تتوقّف ابنة خالي وتدير جسمي لأواجهها.

«ماذا يحدث؟».

«ماذا تقصدين؟».

«أخبريني!». صاحت ابنة خالي ساخطةً. «ما الأمر؟! لقد سألتكِ!».

«عما تتحدّثين؟».

«هل ترغبين في أن تقولي لي إنك تتصرّفين بشكل طبيعي؟ لماذا تسيرين ملتصقة بي إلى درجة أنني لا أستطيع المشي حتى؟ هل يلاحقكِ أحدهم؟ انظري إلى حالك، جسدك يرتعش. إنك تتصرّفين هكذا طوال بعد الظهيرة!».

لا أقول أي شيء. «ما الأمر؟!». حينها فقط أُخرج هدية كبير العمال كي تراها ابنة خالي.

«ما هذا؟».

«قلم حبر».

«قلم حبر؟! لماذا سيعطيك كبير العمال قلم حبر؟!».

لا أمتلك إجابة. بعد قراءة رسالة كبير العمال التي يطلب فيها لقائي في مقهى شاي **إيونها**، ترمي ابنة خالي الرسالة والقلم في حاوية قمامة خارج السوق.

«إنه أحمق مجنون! دعيه ينتظر بقدر ما يحلو له».

تسير ابنة خالي خطوات قليلة، ثم كما لو أن فكرة ما قد خطرت ببالها، تلتفت عائدة إلى حاوية القمامة وتلتقط القلم والرسالة.

«لديَّ فكرة». أنظر إليها متسائلةً. «دعينا نقابله معًا».

«لا أريد ذلك».

«سنلتقيه معًا ونورّطه».

«كيف؟».

«سنطلب منه أن يدعونا إلى الشاي ويأخذنا لتناول العشاء والبيرة».

«ثم ماذا سنفعل؟!».

«ماذا تعنين بماذا سنفعل؟ بهذه الطريقة سنجعله يدفع ثمن وقاحته. هذا ما سنفعله».

تجرّني ابنة خالي لنعود من حيث أتينا. كان الوقت قد تجاوز الموعد الذي حدّده للقاء بنصف ساعة. يجلس كبير العمال لي خلف غيمة من دخان سجائره. قالت ابنة خالي إن الخطة هي توريطه، لكن بمجرّد أن تجلس أمام كبير العمال لي، تُخرج من جيبها القلم الحبر والملاحظة التي استعادتها من حاوية القمامة. يغوص قلبي في مكانه بينما أراقبها.

«هل لديك دراية حتى بعمرِها؟!».

يعمّ الصمت لبرهة.

«إنها في السابعة عشرة فقط». المزيد من الصمت. «لم تحِض بعد!». يمتقع وجهي من المفاجأة. «ألا تمتلك أختًا صغيرة مثلها؟ كيف تجرؤ على التودّد إليها بهذه الطريقة؟».

«إنها مثل أخت صغيرة بالنسبة لي، لهذا أردت أن أدعوها إلى العشاء بمناسبة قرب بداية المدرسة. هذا كل شيئ! لماذا تضخّمين الأمر؟».

«لدينا أخٌ يدعونا إلى العشاء».

تمسك ابنة خالي يدي وتقودني إلى خارج مقهى شاي **إيونها**.

«ربما كان يرغب في دعوتي إلى العشاء وحسب، كما قال».

«أنت ساذجة. إنه يتودّد إليك بعد أن باءت طرقه في التقرّب منّي بالفشل».

«هل فعل الشيء نفسه معك؟!».

«حسنًا، لم يهدِني قلم حبر، هذا مؤكّد، لكن عوضًا عن ذلك حاول أن يُقبّلني!».

«متى؟».

«في ذلك اليوم بينما كنا نعمل لساعات إضافية، تتذكّرين الفتاة من قسم الإدارة التي أتت وقالت إن كبير العمال يستدعيني؟».

أحدق في ابنة خالي مصدومة.

«إنه وغد».

«لماذا لم تخبريني حينها؟».

«وماذا لو أخبرتك، فماذا كنت ستفعلين؟».

أعجز عن الردّ.

«لا تعطيهِ أي اهتمام. تعرفين الآنسة **تشوي** التي كانت تعمل في الخط جيم؟ لقد ضاجعها وتسبّب في حملها مما أوقعها في مأزق كبير، حين علمت زوجته بالأمر، لاحقتها وشدّتها من شعرها».

«ماذا حدث إذًا للآنسة **تشوي**؟».

«كيف لي أن أعرف؟ لقد قدّمت استقالتها ورحلت».

في طريق عودتنا، سمعنا أغنية تنبعث من جهاز تسجيل داخل عربة خشبية تجوب ساحة السوق.

يا محبوبي العزيز، هل ستهجرني حقًّا؟!

«كان باستطاعة ابن العاهرة، الذي لا يمتلك ذرة خجل، أن يبقي الموضوع طي الكتمان ويكتفي بإبعادها لكنه اتهمها بسرقة الإبر».

«سرقة الإبر؟!».

«تتذكّرين أن الآنسة **تشوي** كانت تعمل بجوار عمال مراقبة الجودة من قسم المراقبة، حيث كانت مسؤولة عن تركيب الإبر الدوّارة وطلاء الإطار الخارجي للأجهزة الصوتية بعد أن تتجاوز الفحص بنجاح؟».

أتذكّر حركة الآنسة **تشوي** أثناء عملها الحثيث وهي تُلمّع أجهزة الستريو بعد تركيبها، بقطعة قماش ناعمة مغموسة في دهان أبيض. الآنسة **تشوي** بشعرها المفروق بعناية عند المنتصف والمجدول في ضفيرتين.

«كيف علمتِ بكل هذا؟».

«أنتِ الوحيدة التي لا تعلمين. جميعنا يعرف الأمر».

أنا الوحيدة التي لا تعلم؟! تواصل أغنية **لي ميونغ-هيون** الانسياب من ساحة السوق المغلّفة بدوامة من الروائح الفواحة، حساء كعك السمك، والفطائر الدبقة ومعجنات الأرز.

عزيزي، رجاء أخبرني بشيء واحد قبل أن ترحل. أخبرني أنك قد أحببتني، وأنك لم تحب سواي.

«أكان من الضروري أن تخبريه بشيء كهذا».

«أي شيء؟ إنكِ لم تحيضي بعد؟».

أكتفي بالتحديق إلى ابنة خالي من دون أن أنبس بكلمة.

«حسنًا، أنت لم تحيضي حقًّا. هل أنا مخطئة؟».

«سواء جاءني الحيض أم لا، ما الداعي لإخباره بذلك؟».

«لم أفكر في الأمر مليًا. لقد خرجت الكلمات من فمي بغتة من دون تفكير».

«لقد كنت في غاية الحرج».

تدسّ ابنة خالي يديها داخل جيبيها وقد بدا كأنها نسيت بالفعل كل شيء يخصّ كبير العمال، وتردّد كلمات أغنية **لي ميونغ هيون**. تتوقّف فجأة عن

الغناء وتلكزني في جانبي، وتتحدث بصوت خفيض: «أتساءل لماذا لم تحيضي بعد. لقد أتاني الحيض أول مرة عندما كنت في السنة الثانية في المدرسة المتوسطة كما تعرفين».

***

في أحد أيام مارس 1979، في الساعة الخامسة بعد الظهر، نستقلّ أنا وابنة خالي - رقم1 ورقم2 على خط الإنتاج ألف في شركة إلكترونيات دونجنام، الحافلة خارج المصنع، ونمضي متجاوزتَيْن مدخل المجمّع الصناعي حتى مدرسة يونجدونجبو الثانوية للفتيات في سينجيل-دونغ.

بينما نخطو إلى داخل بوابة المدرسة، تقع عينانا على تمثال أبيض يتوسّط بستان زهور في نهاية المنحدر، يواجه الملعب الرياضي. أدنو أكثر وأحدّق في التمثال، تمثال فتاة في زي مدرسة صيفي، شعرها مقصوص أسفل الأذن مباشرة. التحقت بالفصل الرابع الخاصّ بطالبات السنة الأولى وابنة خالي بالفصل الثالث.

وقفنا في طابور على أرض الملعب الرياضي وقت الغروب من أجل مراسم الاحتفال ببدء العام الدراسي. يتملّكني مزاج وقور لسبب أجهله بينما نغني النشيد الوطني. أمسّد شارة المدرسة التي تتّخذ شكل زهرة توليب على ياقة زيي المدرسي الشتوي. طوال العام المنصرم كان حلمي أن أصبح طالبة في زيها المدرسي مرة أخرى. يقف ناظر المدرسة على المنصة أمام الواجهة الخلفية لمبنى المدرسة الرئيسي ذي الثلاثة طوابق، وأمامه أشجار الليلك المزروعة في بستان الزهور، ويتحدّث عن رئيس الجمهورية: «هذا البرنامج التعليمي الخاصّ من أجل عاملات المصانع قد أبصر النور بفضل محبّة الرئيس الكبيرة لمحارِباتنا في المصانع... «تكريمًا لروحه العظيمة...»». وتتواصل خطبة الناظر المسنّ تحت ضوء الشمس الغاربة.

عندما ندخل إلى الفصل، يكتب المعلم المشرف على فصلنا اسمه، **تشوي هونغ-إي**، على السبورة السوداء بحروف صينية. تلمع عدسات

نظاراته تحت أضواء مصابيح الفلورسنت. تتضمّن لائحة الحضور أسماءنا وأرقام الطالبات وأسماء الشركات. يرفع عينيه عن اللائحة ويحدّق مليًا في وجوهنا وهو ينادي على كل منّا. بعد أن يفرغ من أخذ الحضور، يوزّع نظراته علينا وهو يستند بذراعيه إلى منضدة القراءة. يقول من دون سابق إنذار إن كل ما تفوّه به الناظر غير صحيح.

«الشخص الذي يجب أن تكنّ ممتَنّات له ليس الرئيس بل آباؤكنّ وأمهاتكنّ».

أشرئبّ بعنقي في مكان جلوسي بعيدًا في مؤخرة الفصل وأنظر إليه بحرص شديد. لماذا تبدو كلماته أشبه بطبقة رقيقة جدًّا من الجليد؟ عيناه وأذناه وأنفه تنبض بالنشاط، متوسّط الطول ونحيف. يعدّل من وضع نظاراته الجالسة على أنفه الحادّة. يستقر إصبعه النحيل فوق إطار نظارته الأسود. يتحرّك فمه مجدّدًا:

«لقد عملتنَّ طوال اليوم في المصنع؛ هذا وحده سببٌ كافٍ كي تتواجدن في هذه المدرسة».

***

أيقظني رنين الهاتف في الحجرة الممتلئة بأكوام من الكتب. تفتح «هـ»، التي نامت بجواري فجرًا في وقت مقارب للوقت الذي غفوتُ فيه، عينيها في دعة ثم تغلقهما، جسدها ملتف حول نفسه بإحكام. تنام دائمًا ملتفة حول نفسها أو مفرودة الجسم كليًا. يبدو شعرها الكثيف والمتموّج وكأنه يصرخ: «الجو بارد، بارد جدًا». حتى وهي تغطّ في النوم. أفترض أن المتكلّم سوف يغلق الخط إذا لم أردّ. لقد نزعت سلك الهاتف في حجرة النوم لهذا كان عليّ أن أتكبّد عناء فتح الباب والسير إلى حجرة المكتب في هذا الوقت كي أجيب. سحبت البطانية لأغطي جسد «هـ» وتكوّرت بجسمي في المكان نفسه. تواصل الرنين بإلحاح.

«من يتكلّم في هذه الساعة؟».

مطّت «هـ» جسدها الملتفّ بإحكام كي تدفعني بعيدًا عنها، كما لو

كانت تتوسّل إليّ كي أفعل شيئًا حيال ذلك الصوت. بينما أصارع كي أرفع جسمي وأسحب مقبض الباب، أصدمت رأسي بوجه **سيمون دي بوفوار**، تقرأ كتابًا، في الصورة التي علّقتها على الباب. التقطت سماعة الهاتف بإحدى يديّ وأنا لا أزال بين اليقظة والنوم، ودلّكت خدي بالأخرى.

«ألا تزالين في الفراش؟».

«...؟».

«هل أيقظتكِ؟».

كان أخي الأكبر. لماذا يهاتفني في هذه الساعة؟

أضأت مصباح الفلورسنت بيدي الحرّة وتفحّصت الساعة. كانت السابعة صباحًا. لم يتفوّه أخي الأكبر بأي كلمة بعد سؤاله هذا. شعرت برعشة تسري في مؤخرة عنقي بينما تتسلّل رياح نوفمبر الباردة عبر عتبة باب الشقة.

«أوبا؟!»، صمت. «أوبا، ما الأمر؟ هل طرأ أمر ما؟». ثمة شيء غريب يتعلّق بصمت أخي الأكبر. ما هذا الشيء؟ شعرت بشيء داخل صدري ينكمش فجأة. مكالمة من عائلتك في ساعة متأخّرة، أو مبكرة جدًا، تجعل قلبك يغوص في مكانه. أخبار يكون على فرد من العائلة أن يخبر آخر بها في مثل هذه الساعة لا بد وأن تكون مشؤومة. ربما ألمّ المرض بأبي؟

«أوبا؟». سكون. « ما الأمر؟ من أين تهاتفني؟».

«من البيت. هل أنتِ في الصحيفة».

«...».

«اتصلتُ بكِ وأنا أقرأ الصحيفة».

«إذًا أبي بخير». بمجرّد أن استعدت رشدي، باغتتني هذه الخاطرة، ما الذي قرأه في الصحيفة وجعله يتّصل بي في هذه الساعة؟! لأنني لم أطّلع على الجريدة بعد، لم أردّ. لقد هاتفني من قبل عدة مرات ليخبرني أنه قرأ عنّي في مكان ما، لكن ليس في هذه الساعة أبدًا. صوته مختلف بشكل واضح عن المرّات السابقة التي كان صوته يشي فيها بالفخر. عندما

نُشِرت روايتي الثانية وبدأ الناس يتحدّثون عني بصفتي كاتبة، كان صوت أخي باسمًا. قال إنه رأى كتابي في كل مكان، حتى في متجر الكتب الضيّق في البناية التي يعمل فيها، وأنه قد قدّم نفسه إلى صاحبة المتجر على أنه شقيق الكاتبة، وهو يطلب منها أن تعطيه نسخة من الكتاب. بعد أن أخبرني أن زملاءه في العمل يودّون لقائي، صحبني معه للتنزّه على الأقدام معهم في يوم العطلة، ورسم ابتسامة عريضة على وجهه طيلة اليوم، وهو يتباهى بي أمامهم. صُعقت وأنا أراقب أخي الأكبر الذي يقارب عمره الأربعين، يلتقط الصور لي ويناولني شرائح من اللحم المشوي، ويلتقط ورقة علقت في شعري بعد سقوطها من شجرة. في الماضي كان تصوّر أنني شخص يرغب أخي الأكبر في التباهي به أمام الناس ضربًا من الخيال. ابتسمت لرؤية أخي الأكبر يبتسم. وقفت أمام الكاميرا بجوار أخي الأكبر في حقل قصب، وحين كان زملاؤه في العمل يمطرونني بالأسئلة عن هذا وذاك، كنت أبذل قصارى جهدي للإجابة.

لكن الآن لم يكن صوت أخي الأكبر على الجانب الآخر من الخط باسمًا على الإطلاق.

«يبدو الأمر واقعيًا جدًا».

حالما يقول هذا، اندفعت الكلمات من فمي من دون تروٍ: «أوبا! لا أعرف ماذا تقول الصحيفة لكن ذلك ليس الأسلوب الذي كتبته بها».

«لم أقل أي شيء عن الأمر».

بعد أن انتهت المكالمة، لم أستطع أن أضع السماعة وتسمّرت في مكاني لبرهة، استمع إلى إشارة انقطاع الخط، بيب، بيب، بيب... ذلك ليس الأسلوب الذي كتبت به ماذا؟!

لم تكن الكلمات التي اندفعت مني موجّهة إلى أخي، بل إليّ أنا. ماذا كان ذلك؟ ما هو الشيء الذي لم أكتبه بذلك الأسلوب؟

فتحت الباب الأمامي والتقطت الصحيفة وعدت أدراجي إلى الحجرة. غرقت «هـ» في النوم من جديد في وضعية مستوية. فتحت الصحيفة. باب

كتب وقضايا. أطل عليّ وجهي الذي بدا منتفخًا من الصحيفة واسمي مكتوب إلى جانبه ببنط عريض.

كاتبة تنشر رواية سيرة ذاتية عن سنوات المراهقة

قرأت المقال متوتّرة من أن تستيقظ «هـ» النائمة في الفراش في أي لحظة. حينما فرغت من قراءته، نزعت الصفحة التي تحوي صورتي من الصحيفة، طويتها كي أتأكّد أن «هـ» لن تستطيع قراءتها ثم دسستها تحت السرير.

***

إنه وقت الغداء.

تهبط ابنة خالي معي من الكافتيريا مستمتعة بأشعة الشمس، وتجلس على المقعد الخشبي خارج قسم إنتاج أجهزة التلفاز. في الملعب الرياضي يلعب عمال المصنع الذكور كرة القدم. أسير حتى خط الإنتاج لأحضر الكتاب الذي تركته في موقع عملي. خط الإنتاج معتم وقد أُطفئت كل الأضواء في موقع العمل. يقع قسم الفحص في نهاية خط الإنتاج جيم. بينما أمشي بخطوات متهادية، ينفتح باب قسم الفحص ويخرج منه كبير العمال. أسير باتجاهه ويسير نحوي. ألقي عليه التحيّة مع إيماءة وأهمّ بالسير لأتجاوزه عندما ينادي: «آنسة شين!». في اللحظة التي التفتّ لمواجهته، يخطو نحوي ويدفع جسدي في مقابل جدار حجرة المخزن المكدّسة بالستيروفوم المستخدم في التغليف، ويرفع وجهي إلى أعلى بالإكراه واضعًا يده أسفل ذقني.

« لماذا كل هذا التمنّع؟ ألم يكن قلم الحبر كافيًا؟ تدوّنين شيئًا طوال الوقت لهذا أعتقدت بأن قلم حبر سيؤدّي الغرض».

أشعر برعشة خوف تسري في بدني كلّه.

«ماذا تفعل لها؟!». تصل ابنة خالي إلى المشهد، وتقذف كبير العمال بكتلة من الستيروفوم.

«من تظنين نفسكِ؟!». يلتفت كبير العمال ويصفع ابنة خالي على خدها قبل أن تتمكّن من الابتعاد لتفادي ضربته.

تجلس ابنة خالي منكمشة على أرضية حجرة تغيير الملابس بعد أن تلقّت صفعة على خدها وأذنها من كبير العمال بسببي.

«أرغب في الموت».

أجلس إلى جانبها، أحدّقُ في الأرضية. يقرع جرس العمل. أنهض وأشرع في خلع ثياب العمل. تتوقّف ابنة خالي عن النحيب بخديها المتورّمين وتسألني: «ماذا تفعلين؟!».

«سأعود إلى البيت».

«ثم ماذا؟».

«أنا ذاهبة».

في منتصف اليوم لا أثر للبشر في شوارع المجمّع الصناعي. فقط عمود من دخان أسود يندفع صاعدًا إلى السماء. أمشي بتثاقل بمحاذاة جدران المصنع. افتقد تشانغ. لو كان بوسعي رؤيته، ربما لكان يبدو كل ما يجري الآن وكأنه لا شيء. أسير متجاوزة البوابة المفتوحة التي تقبع وراءها سبع وثلاثون حجرة، واتجه نحو المتجر. عندما ألتقط زجاجة سوجو من فوق الرف، يرمقني مالك المتجر بنظراته.

«لم تذهبي إلى العمل اليوم؟».

«لقد غادرت مبكرة».

«لماذا؟ سيزوركِ أحدهم؟».

«نعم».

«من؟».

اكتفي بالابتسام، وأدفع ثمن زجاجة السوجو. بعد فترة وجيزة، أجد نفسي جالسة القرفصاء فوق أرضية المطبخ. أنزع السدّادة وأصب نصف زجاجة السوجو داخل صحن أرز. أغمض عينيّ بإحكام وأتجرع المشروب. يزحف مذاق مثير للغثيان حتى حلقي، ويرغمني على الانهيار

راكعة متّخذة وضعية الجنين. أعيد السدّادة فوق الزجاجة مجددًا وأدسها داخل كيس بنّي وأضعها داخل خزانة الزجاجات.

***

رن الجرس ثانية. غير راغبة في تكبّد مشقّة مغادرة الحجرة، أعيد وصل الهاتف داخل حجرة النوم وأرفع السماعة. أتاني صوت امرأة غير مألوف يطلب الحديث معي. حين سألت من المتحدثة، بادرَت بالسؤال: «هل أنتِ هي؟». ذكر الصوت اسم مجلة نسائية ثم طلب إجراء حوار صحافي. عندما لم أنطق بكلمة، كرّرت سؤالها إنْ كنتِ الشخص الذي تريده. لم أجب. فقالت إنها اطلعت على الصحيفة الصباحية وأنها تودّ محاورتي. أخبرتها أنني سأغادر في رحلة. سألت: متى؟

«الآن. كنتُ في طريقي إلى الخارج». سألتني عن موعد عودتي. «سأسافر لنحو شهر».

«شهر... هذا يعقِّد الأمر».

انهيت المحادثة بسرعة: «آسفة. وداعًا».

أغلقت الخط وشغلت جهاز الرد الآلي. بصوتٍ أجشّ تسألني «هـ»، الآن وقد استيقظت، عما يجري. بعد أن ألقيت نظرة على «هـ» التي لا تزال تتغطّى بالبطانية، سحبت الورقة التي كنت قد دفعتها تحت السرير وقذفتها إليها.

«اتصال من مجلة نسائية بعد أن قرأوا هذا».

«ما هذا؟».

«اقرئيه».

تأمّلت الشعر المنسدل على مؤخرة عنقها، بينما تقرأ «هـ» الورقة. رن الهاتف من جديد. من فضلك اترك رسالة وسوف أعاود الاتصال بك. بمجرّد أن دوت صفارة التسجيل، سمعت صوت شخص عرَّف نفسه على أنه من مجلة نسائية أخرى. أرغبِ في طلب حوار صحافي معكِ.

رجاءً عاودي الاتصال بي على هذا الرقم. بينما يستمر شريط التسجيل في الدوران، خطوت نحو الهاتف وأطفأت مفتاح الصوت.

«لقد وجدوا شيئًا مثيرًا للحديث عنه». أطلقت «هـ» ضحكة قصيرة مكتومة.

«لقد خشيت في الحقيقة أن تقرئيها فأخفيتها تحت السرير».

«إذًا ما ردة الفعل على الفصل الأول من الكتاب؟».

«أنّى لي أن أعرف؟!».

بعد أن تطوي الورقة وتجلس ساكنة لبرهة، تسألني «هـ»: «هل تعرفين هيونغ-سو؟».

«من؟».

«صديق جاب-تاي».

«الرسّام؟».

«نعم، أيمكنك تصديق ذلك؟ لقد خضع لعملية جراحية لإزالة سرطان في المعدة».

«...».

«لقد عانت زوجته من مغصٍ في المعدة فأخذها كي تجري بعض الاختبارات، وارتأى أن يخضعَ بدوره للاختبارات نفسها بما أنه في المستشفى، حيث اكتشف أن زوجته على ما يرام، وأن لديه هو سرطان في المعدة».

«...».

«لقد استأصلوا معدته بالكامل».

«حقًّا؟!».

حدّجتُ «هـ» المستلقية هناك بنظرات جامدة.

هيونغ-سو، لقد ذكرت الاسم من دون مناسبة. أفلتت ضحكة مقتضبة من فمي. لقد تطرّقت «هـ» إلى حكايته من دون مقدّمات، لكن قلبي بات

أخفّ بينما أنصت إليها. تحدّثت «هـ» مجدّدًا: «لا تردّي على الهاتف في الوقت الراهن. لا يعطي الأمر أبدًا انطباعًا جيّدًا عندما يصبح كاتبٌ، مثارَ حديث آخر غير كتابته».

***

يأبى وجهي -وأنا في السابعة عشرة من عمري - ووجه ابنة خالي في العشرين ربيعًا، ووجوه الجميع في برنامج التعليم الخاص لعاملات المصانع في ثانوية يونجدونجبو للفتيات العام 1979 مغادرة رأسي. وجوه الفتيات المكتنزة، الشاحبة تحت أضواء الفلورسنت الزرقاء في ساعات المساء، يغلبها النعاس وهنَّ يتلقَينَ دروس الرياضيات باستخدام المعْداد، والكتابة، والمحاسبة، واللغة الإنجليزية. وقبل كل ذلك وجه **هِي-جاي**.

ثمة سوق تجاري في زاوية الشارع خارج محطة قطار الأنفاق في المجمع الصناعي رقم ثلاثة في طريق عودتنا من المصنع في المجمّع الصناعي رقم واحد إلى حجرتنا المنفردة. كل يوم، بعد انقضاء العمل، نمرُّ بالسوق لنحضر المكوّنات اللازمة للحساء. نفعل الشيء ذاته في يوم احتفال بدء الدراسة. كي نفعل ذلك، كان علينا أن نهبط من الحافلة في المحطة السابقة لبيتنا. كان الأمر مجهِدًا، لكن لن يتناول أخي عشاءه ما لم يتضمّن الحساء. السوق قُبَيل موعد انغلاقه مكان مهجور. أكوام من القمامة هنا وهناك. أكياس بلاستيكية فارغة تتطاير في الأرجاء بفعل الرياح. امرأة عجوز تفترش أرضية الشارع خارج السوق بجوارها أقفاص مليئة بأسماك البولوك. للأسماك عيون جاحظة وبطون بارزة، وكانت السمكتان المتبقيتان معروضتَيْن بسعرٍ بخسٍ.

«لدينا بعض الفجل في البيت؟».

«أجل».

«دعينا نشتري السمك إذًا».

«ألا تبدو لك فاسدة؟».

«تبدو لي جيدة».

تدفع ابنة خالي ثمن السمك وتحصل على الباقي. تتردّد للحظة ثم تمسك بيدي وتهرول مبتعدة.

أنادي على ابنة خالي صائحة وقد انقطعت أنفاسي وأنا أحاول اللحاق بها. فقط حين نبتعد بمسافة كبيرة عن بائعة السمك، تبطئ ابنة خالي من مشيتها الأقرب إلى العدْوِ. لا بد أن الكيس البلاستيكي الذي يحوي السمك قد تشقّق في مكانٍ ما لأن قطرات المياه كانت تتسرّب منه على الأرض. تلتقط ابنة خالي كيسًا بلاستيكيًا فارغًا ملقى على الأرض لتضع بداخله الكيس الممزَّق، ثم تقودني إلى أحد مطاعم الوجبات الخفيفة التي تتناثر في أزقّة السوق. مضى وقت طويل منذ حصلنا على مصروفنا الشهري من أخي الأكبر. يكاد الشهر أن ينقضي مما يعني أن ما لدينا من مال هذا الشهر يكاد ينفد.

«من الأفضل أن نأتي إلى هنا عندما نتلقّى راتبنا، وليس الآن».

تقهقه ابنة خالي: «الطعام على حسابي احتفالًا ببداية المدرسة».

تضع ابنة خالي الكيس فوق مقعد خشبي طويل، وتطلب شعيرية الراميون مع شرائح كعك الأرز، وشعيرية البطاطا المقلية. ثمن شعيرية البطاطا ضعف ثمن طبق الراميون. ألكز ابنة خالي بمرفقي.

«لماذا طلبتِ شعيرية البطاطا المقلية؟ إنها باهظة الثمن».

تطمئنني ابنة خالي. تطلب طبقًا فارغًا إضافيًا وتقسم شعيرية البطاطا المقلية على طبقين. نتجرّع الشعيرية مع حساء الراميون الساخن. ترتخي وجنتا ابنة خالي المتجمّدتان بفعل رياح مارس الباردة، وتكتسي بلون وردي. عندما نغادر السوق ونصل إلى المعبر في طريق عودتنا إلى حجرتنا المنفردة. حينها تعترف ابنة خالي قائلة: «في الحقيقة، ما حدث هو أننا حين اشترينا سمك البولوك... أعطيت البائعة ورقة بألف وون لكن العجوز قد خُيِل لها أنها ورقة بعشرة آلالاف وون».

«...؟».

«كان من المفترض أن ترد لي خمسمائة وون لكنها أعطتني تسعة

آلالاف وخمسمائة وون». تُمرجح ابنة خالي الكيس الذي يحوي السمك في الهواء: «لقد تكبّدت العجوز خسارة فادحة اليوم».

انفجرت ابنة خالي ضاحكة وهي تركض في مرَح، وتركتني متسمّرة في مكاني عند مفترق الطرق وقد استولى عليّ الذهول.

***

أخي الثالث، الذي غدا طالبًا جامعيًا يدرس القانون، أتى للعيش معنا في حجرتنا المنفردة.

عندما يستلقي أربعتنا على حصيرتَيّ النوم ليلًا، لا يتبقى حيّزٌ لموطئ قدم حتى؛ تلتصق رؤوسنا بالمكتب ودولاب الثياب البلاستيكي. ثمة مائدة منخفضة صغيرة منصوبة دائمًا في وسط الحجرة من أجل تناول الطعام عليها. منذ بدأت وابنة خالي ارتياد المدرسة المسائية، لم تعد الفرصة تسنح لنا كي نجلس أربعتنا معًا لتناول العشاء ما عدا يوم الأحد. أتناول وابنة خالي العشاء في كافيتريا المصنع قبل أن نغادر إلى المدرسة، لهذا نجهّز العشاء لأخويَّ كل صباح. نجمع بقايا طعام الإفطار ونغسل المعالق وعيدان الأكل ونحضِّر مائدة الطعام مرة أخرى، حيث نضع صحون الأرز النظيفة. نحفظ الأرز البخاري تحت ملاءة في أدفأ بقعة من أرضية الحجرة مع هذا كان دائمًا يبرد قبل حلول وقت العشاء.

بمجرّد عودتنا إلى البيت بعد انقضاء المدرسة، أخرج أنا أو ابنة خالي مرة أخرى إلى متجر البقالة في ركن الشارع، حيث يبيعون قالب فحم ساخن بضعف ثمن الفحم الحجري غير المشتعل. ثمة صف طويل من البشر مثلنا، يحملون كلّابات الفحم، يقفون أمام المتجر في مثل هذه الساعة المتأخّرة. لكن عندما أبلغ المتجر، يقدّم مالكه قالب فحم ساخنًا إليّ قبل أن يأتي دوري متجاهلًا الأخرين الواقفين قبلي في الطابور. إذا اعترض أحدهم، يصيح مالك المتجر: «هذا متجري وأنا المسئول هنا!». قبل أن يتمتم بتلك الكلمات كما لو أنه يوجّهها إلى نفسه: «يبدو أنهما قد

عادتا للتو من المدرسة، ولا بد أن الحجرة باردة كالثلج، ومن دون أب أو أم أو أحد ينتظر رجوعهما ويدفّئ الأرضية من أجلهما».

لدى مالك المتجر ندبة من جرح قديم أسفل إحدى عينيه، وعلى إحدى ذراعيه وشم ثعبان. كلما وقعت عيناي على الندبة أو الوشم، يتسلّل إليّ شعور مروع، لكن حين ألمحه ينحت تماثيل صغيرة لمريم العذراء أو الملائكة، أبتهجُ.

أرجع إلى الحجرة وأدسّ قالب الفحم الساخن داخل فتحة الوقود، وأضيف قالبًا آخر طازجًا فوقه كي أوقد النار تحت الأرضية. أثناء ذلك، ترفع ابنة خالي أطباق العشاء عن الطاولة وتنقع أرزًّا جديدًا من أجل فطور اليوم التالي. تجهّز أيضًا المكوِّنات الخاصّة بالحساء كي لا يتبقّى شيء لنفعله عندما نستيقظ سوى غَلي الماء. مع وجود قالب الفحم الساخن داخل فتحة الوقود، أملأ الغلاية بالماء، فيسري تحت الأرضية ويدفئ الحجرة. بمجرّد أن تشتد جذوة النار، تصبح الأرضية ساخنة حد الاحتراق، لكن عندما تخمد النار، تشعر كأنّك تجلس داخل حوض بارد.

لابنة خالي جلد رقيق كجلد الدجاجة، وعرضة أكثر للكدمات والتشقّقات. عندما تتعرّض ساقاها لرياح باردة، يتشقّق جلدها. اعتادت على ارتداء البنطلون طوال الوقت، لكن زي مدرستنا الثانوية لا يأتي إلا مع تنانير. لهذا تحرص ابنة خالي الآن على غسل ساقيها وقدميها كل ليلة ودعكها بكريم مرطّب. أنتظر دوري لاستخدام الحمّام بينما تنشغل هي بغسل جسدها بعناية، لكن كثيرًا ما أستغرق في النوم من شدّة التعب قبل أن تخرج من الحمام. لا يهم من يخلد إلى النوم أولًا، في الصباح أجد دائمًا أخي الثالث ملتصقًا بالحائط قرب المكتب، وأخي الأكبر راقدًا بجانبه، وأنا بجانب أخي الأكبر، وابنة خالي بيني وبين الحائط المقابل.

عادات نومي تشكّلت منذ أيام حياتي في الريف حيث كنت أنام في حجرة كبيرة بمفردي، إذ هناك تتوافر كل المساحة التي أحتاج إليها. لهذا، منذ قدوم أخي الثالث للعيش معنا في سول، أصبحت أنزع إلى لكم أخي

الأكبر في وجهه أثناء نومي أو ركله بالخطأ في قدمه. في ليلة من تلك الليالي، انتفض أخي الأكبر في الظلام. لا بد أنني قد صفعته في عينه مرة أخرى أثناء تقلّبي أثناء النوم. تحرّكت يداه غريزيًا كالدرع لتحمي عينيه بينما يزأر غاضبًا.

«أي نوع من الفتيات أنتِ بعادات نومك الجامحة تلك؟!».

بعد ذلك التوبيخ، أكبح نفسي، أضع ذراعي فوق جبهتي، وذراعي الآخر على بطني. أحاول بكل الطرق أن أبقى ساكنة خلال نومي كي أستيقظ في الوضعية ذاتها.

ذات صباح، استيقظت لأجد بثرة فوق ركبتي تمامًا في موضع العظمة البارزة المجوفة مثل خوخة.

«أعتقد بأن الأرضية قد لسعتني». أُرِي ابنة خالي بثرتي.

«كيف لسعتك الأرضية؟ ألم تشعري بها؟».

لا تمتلك ابنة خالي أدنى فكرة عن مدى معاناتي ليلًا لأتفادى التقلّب أثناء نومي.

***

للجسد ذاكرة خاصّة به. مضت ست عشرة سنة ولم أعد مضطرّة للنوم ثابتة تمامًا في مكاني، لكنْ، ثمة أيامٌ أنام فيها مُلتفَّة حول نفسي متّخذة الوضعية الحذِرة نفسها لأستيقظ في الصباح، ولم أتحرّك قيد أنملة.

***

أتت أمي من الريف لزيارتنا. تحمل في جيبها المال الذي جنته من بيع الجِراء.

«لقد اتضح أن تلك الكلبة كثيرة النسل. لقد أنجبت سبع جراء، أطعمتها جيدًا لشهرين حتى سمنت وبعتها بسعر جيّد في يوم السوق».

تأخذ أمّي المال إلى سوق المدينة وتشتري آلة كهربائية لطهو الأرز وترمسًا. يسعدني أننا لن نضطر لطهو الأرزّ على موقد الكيروسين بعد الآن. قبل أن تعود إلى الريف، تحذّرنا من التودّد إلى مالك متجر البقالة.

«لماذا؟ إنه طيّب جدًّا معنا».

«ألا تريان الندبة على وجهه؟ ألا تخيفكما؟».

«لا، ليس حقًّا. إنه ينحت تماثيل جميلة من الفخّار».

«ما الفرق الذي يصنعه ذلك؟ لا تذهبي للحديث مع ذلك الرجل أو أي شيء مشابه. عندما تكونين بعيدًا عن الديار، لا شيء يجدر بك أن تخشيه أكثر من البشر الغرباء.».

«لكنكِ قلتِ لي إن البشر الذين يصنعون أشياء بأيديهم لا يمكن أن يكونوا سيئين».

«لم أقل ذلك أبدًا».

«ألا تتذكّرين يا أمّي؟ تلك المرة حين كنت صغيرة ومكث ذلك الشحّاذ في بيتنا لبضع ليالٍ. الشحّاذ الذي حاك لنا سلّة من القش! كنتُ مرعوبة منه وطلبت منكِ أن تجعليه يرحل. حينها قلتِ لي إنني أستطيع الوثوق في الناس الذين يصنعون أشياء بأيديهم».

«ما هذه الأشياء التي تتذكّرينها! حدث ذلك منذ مدة طويلة جدًّا. لماذا تنبشين في الماضي القديم حتى أيام مملكة جوريو[1]؟!».

بعد رحيل أمي، أتسمّر في مكاني أنظر بإعجاب إلى آلة طهو الأرز والترمس. بات كل ما نحتاجه الآن هو نقع الأرز وإضافة الماء وتشغيل الآلة فقط. كل صباح حتى هذه اللحظة، مع ضوء الفجر الأول كان يجب عليّ وابنة خالي أن نشعل الفتيل الدائري لموقد الغاز لطهو الأرزّ البخاري، وأن نستنشق الرائحة النفّاذة للكيروسين المحترق التي تصيبنا بالدوار. أحببنا آلة طهو الأرز الكهربائية التي اشترتها أمي، وكذلك الترمس الذي يحافظ على حرارة الماء المغلي طوال النهار.

---

(1) مملكة جوريو: سلالة كورية تأسست العام 918 على يد الإمبراطور تايجو. اسم هذه المملكة هو مصدر اسم كوريا الحديث. وحدّت هذه السلالة ممالك كوريا الثلاث القديمة العام 963.

تخرَّج أخي الأكبر من الجامعة ويستعد للالتحاق بالخدمة العسكرية. يملأ استمارة لترك وظيفته كموظّف في مكتب البلدية. عندما يعود، يلقي نظرة أسى على مكتبه وكتب دراسته التي تحمل عناوين مثل: القانون الجنائي، القانون المدني، إلخ... تأمّلته بينما تنهيدة طويلة تخرج من صدره.

«لو كان يستطيع أحدهم توفير الدعم لي لسنة واحدة فقط... سنتين كحدٍّ أقصى، ربما لامتلكت فرصة».

لكن لا يوجد مَنْ يقدّم الدعم له لسنة ولا حتى شهر. لا يمتلك أي خيار سوى ارتداء زي الجيش وقبعته الزيتية كلون الضفدع، وأن يكرّس نفسه كجندي لعام ونصف. يملأ أخي الطويل القامة مجال بصري. تساءلتُ لماذا أنا صغيرة جدًّا هكذا؟ لماذا لم أولد أختًا كبرى له؟

ينتظر أخي الأكبر متأمِّلًا محطة قطار الأنفاق في الخارج، طوله الفارع يحجب النافذة كلّها عن رؤيتي قبل أن يميل برأسه إلى أسفل وذراعاه مضمومتان فوق صدره، يشخص ببصره من دون تركيز نحو مداخن المجمع الصناعي رقم ثلاثة. يسلّم مكتبه وما عليه من كومة كتب قانونية إلى أخي الثالث قبل أن يجلس على الأرضية.

يقول لأخي الثالث: «سأبذل قصارى جهدي كي تُكمل دراستكَ لذا...». يتمهّل قليلًا قبل أن يتابع: «لذا، ركّز في دراستك ولا شيء آخر. اعتبر نفسك أصمَّ وأعمى».

يرفع أخي الثالث رأسه من دون أن يجيب. يواصل أخي الأكبر حديثه: «أعرف أن الأوضاع في بلادنا متأزّمة، وأعرف كم من الصعب أن يحافظ طالب شاب في كلية الحقوق على فمه مُطبَقًا ورأسه في الأرض هذه الأيام. مع هذا سوف تبقي عينيك وأذنيك مغلقة، لا تفرط في التفكير... سيكون بوسعك فعل الكثير من الأمور لاحقًا بمجرّد أن تمتلك قدرًا من السلطة».

خلال رحلة الحافلة من جاريبونغ-دونغ إلى مدرسته في ميونجنيون-دونغ، يتحوّل أخي الثالث إلى ناشط سياسي متعصّب لقضيته. يجول

في كل مكان بزيّ التدريبات العسكري، مشبع برائحة دخان كثيفة. عيناه غائرتان في محجريهما كباطن بئر.

***

تضع ابنة خالي مساحيق تجميل وتعرف جيدًا الألوان والأنماط التي توائم هيئتها. لهذا تجد فكرة ارتداء زي المدرسة والخروج بوجه من دون مكياج بعد كل هذا الوقت مُربكًا. تقف الآن أمام المرآة، وأحمر الشفاه في يدها كالعادة، مرتدية بلوزة المدرسة ذات الياقة المستديرة لا قميصها المعتاد ذا الياقة المثلثة. تغريها فكرة وضع أحمر شفاه، تتردّد قبل أن تضع الغطاء ثانية وتدسّ أحمر الشفاه في جيبها.

الساعة الخامسة من عصر أي يوم من أيام العام 1979. كانت تلك هي ساعتي المفضلة. لأنها كانت ساعة مغادرة موقعي على الحزام الناقل. كانت تلك هي الساعة التي نستطيع فيها المشي بعيدًا عن خط الإنتاج الذي يغمرنا بزئير الحزام الناقل وضجيج المفكّات الهوائية وأزيز ماكينات اللحام. النشيد الوطني يصدح من خلال الميكروفونات متناغمًا مع إنزال العلم بينما نغسل أيدينا أسفل الصنبور بجوار حمّام الرجال ونستبدل ثيابنا بزي المدرسة في حجرة تغيير الملابس. الساعة الخامسة عصرًا 1979 عندما نقف في سكون ونضع يدنا اليمنى فوق صدورنا وعيوننا شطر العلم...

فلتشملنا السماء بعنايتها/ حتى يجف نهر الشرق/ ويتداعى جبل بايكتو[1].

الساعة الخامسة حيث تُقدّم إلينا بقايا طعام باردة على العشاء في الكافيتيريا قبل أن نستقلّ الحافلة لنغادر المجمّع الصناعي إلى المدرسة. الخامسة عصرًا عندما يفتح محصّل التذاكر باب الحافلة عند محطتنا في

(1) جبل بايكتو أو تشانغباي بالصينية: يعني الاسم الجبال الطويلة البيضاء. تفصل هذه الجبال مقاطعة جيلين في شمال شرقي الصين عن كوريا الشمالية.

سينجيل-دونغ، فنهبط ونحن نحمل في كفّنا قاموسًا إنجليزيًّا مصغرًا بحجم نرد.

كي نتمكّن من مغادرة الحزام الناقل في تمام الخامسة عصرًا، نقضي كل لحظة من يوم عملنا نربط البراغي بألواح البلاستيك من دون أن ننبس بكلمة. نبدأ عملنا قبل الآخرين بنصف ساعة لأننا نعمل على الموقِعَين 1 و2 على الخط ألف في قسم إنتاج أجهزة الستريو، لأن الإنتاج لا يمكن أن يتواصل بسلاسة من دوننا، لأننا يجب أن نُراكم عددًا كافيًا من ألواح أجهزة الستريو البلاستيكية في موقع عمل رقم 3 قبل الخامسة عصرًا، كي يستمرّ الإنتاج حتى بعد مغادرتنا إلى المدرسة. في وقت الغداء، نلتهم طعامنا بسرعة ثم نعود إلى موقعنا مباشرة على الحزام الناقل.

«لا أستطيع رفع ذراعي.».

في أحد الأيام، أثناء استراحة الغداء، تحاول ابنة خالي رفع عيدان الأكل، لكنها تتخلّى عن ذلك. وظيفتها تشغيل المفكّ الهوائي المعلّق فوق رأسها، وسحبه باستمرار إلى أسفل كي تربط البراغي. تنهمر الدموع من عينيها. أمزج الأرز المتحجّر بحساء صلصة الفاصوليا الخاص بها وأوراق الخطمى، ثم أقرّب الملعقة من فمها. وباستخدام عيدان الأكل، أطعمها سمكة الأنشوفة المقلية. في البداية ترفض ابنة خالي أن أطعمها بنفسي، لكني أصبر عليها، أمسك الملعقة قريبًا من فمها وانتظر. تخور قوتها في النهاية.

«تتصرّفين كأنك أختي الكبرى».

أمازحها: «إذًا عامليني هكذا. ناديني: أوني».

ترمقني ابنة خالي بنظرة جانبية ثم تبدأ في مضغ الأنشوفة.

نخرج من الكافيتيريا إلى براح السطح. أدلّك كتف ابنة خالي ونحن نستلقي في الشمس. يلمع شيء ببريق أبيض على سطح مبنى المصنع في الجهة المقابلة من الشارع. نلاحظه كلانا في الحال.

«ماذا يفعل أولئك الناس؟».

إنهنّ نساءٌ. نساءٌ عاريات، يقفن بمحاذاة الدرابزين عند حافة السطح، كما لو كنّ يتأهبن للقفز. تتوقّف كل العاملات اللاتي كنّ يغادرن الكافيتيريا للمشاهدة. يبدو أن النساء العاريات يهتفن بشيء ما إلى العابرين في الشارع، لكن لا صوت يصل إلينا. ثم يندفع حشد من رجال الشرطة ليهجموا على النساء العاريات من الخلف. أغلق عينيّ وأنا أطوّق ابنة خالي بذراعيّ اللتين تعجزان عن رفع ذراعيها المتعبتَين، رغم أنها لا تزال في ريعان شبابها. عندما أفتح عينيَّ ثانية، أبصر رجال الشرطة وهم يجرّون النساء بعيدًا عن السطح، يشدّونهنّ من أذرعتهنّ ورؤوسهنّ وأعناقهنّ.

تسري الهمهمات في خط انتاجنا طوال فترة بعد الظهر، وتُتناقل القصة.

«مشرف الإنتاج ضغط على عاملة كي تترك الاتحاد العمالي، لكن حين رفضت، قادها بالإكراه إلى المخزن واغتصبها».

«أبلغت العاملة الاتحاد بكل ما حدث».

«لكن الإدارة قاضتها، متهمة إياها بمحاولة تلطيخ سمعة رجل بريء. لهذا تجرّدت قائدات الاتحاد من ثيابهنّ وصعدن إلى السطح. تحدّين مديري المصانع كي يتعاملوا معهنّ في العلن، حيث يمكن للجميع المشاهدة لا في الخفاء في ركن مستودع مظلم».

في تلك الأثناء لا بد أن ابنة خالي قد استعادت قدرتها على تحريك ذراعها حيث مدّته لتلتقط المفك الهوائي وتسحبه تجاهها من دون عناء. تضغط على شفتيها للحظة ثم تهمس في أذني.

«سوف أرحل عن هذا المكان مهما كلّفني ذلك».

كي نتمكّن من حضور المدرسة، أعمل وابنة خالي خلال استراحة الغداء، واستراحتَيّ العشر دقائق عند العاشرة والنصف صباحًا، والثالثة والنصف عصرًا. تأتي الآنسة لي إلينا حيث كنا نعمل على خط الإنتاج.

«لماذا لا تتقدّما بطلب للانتقال إلى خط التجهيزات؟».

لم أستطع وابنة خالي الاشتراك في الاحتجاج حين رفض عمال المصنع العمل لوقت إضافي، وأُجبرنا على ترك الاتحاد كي نتمكّن من

الالتحاق بالمدرسة. مع هذا لا تزال الآنسة لي تعاملنا بوِدّ. الشخص الذي يثير قلقنا هو كبير العمال. مسألة الانتقال إلى خط التجهيزات من عدمه لا تشغلنا، كل ما نطلبه هو أن يكفّ كبير العمال، الذي بات يشغل منصبًا إداريًا أيضًا، يده عنا.

«لا يوجد حزام ناقل في خط التجهيزات. سيكون ضغط العمل عليكما أقل هناك».

لا نجرؤ على النظر إلى الآنسة لي - الآنسة لي المهرولة كما ندعوها بسبب مشيتها النشيطة والعجولة. يبدو أنها تدرك مدى أسفنا، لهذا تربّت على ظهرينا: «ما حدث ليس خطأكما. كفّا عن التصرف كأنه كذلك». لكن كلماتها الطيّبة تجعلنا نحني رأسينا أكثر إلى أسفل: «لدى كلاكما عذر على الأقل. رغبتكما في الالتحاق بالمدرسة لم تترك لكما خيارًا. لكن الكثيرات من العاملات يتركن الاتحاد الآن، لا لشيء سوى أنهنّ يقلن إن كونهنّ أعضاء بالاتحاد لم يجلب إليهنّ سوى الضرر».

تخفّض آنسة لي المهرولة عينيها إلى أسفل كما لو كان ثقل الإحباط قد نال منهما.

«نجابه الكثير جدًّا من التحدّيات. مهما اتحدنا فسوف يبطشون بنا في النهاية».

تُخرج ابنة خالي أحمر الشفاه من جيبها، وتقدّمه إلى الآنسة لي.

«لماذا هذا؟».

«ما عدتُ أحتاجه. لقد قلتِ من قبل إن لونه يعجبكِ، تذكرين؟ وطلبتِ مني أن أشتري واحدًا لك».

شفتا ابنة خالي شاحبتان، وقد غدونا طالبتَيْن، وبات من غير المسموح لنا أن نضع أحمر شفاه. ساقاها الطويلتان والنحيفتان مغلفتان بجوارب طويلة سوداء بدلًا من الجوارب القصيرة بلون البشرة. بينما تنكبّ على العمل طوال اليوم، تمدّ ذراعها لتمسك بالمفك الهوائي المعلّق في الهواء لتربط برغيًا وراء الآخر في ألواح أجهزة التسجيل البلاستيكية، يُخيل إليّ

أن التصوير أبعد ما يكون عن خاطرها، ما عدا لحظات نادرة تظهر فيها طيور البلشون الأبيض، الطيور في الصور الفوتوغرافية التي أرتني إياها ابنة خالي في قطار الليل. في كتاب الصور حيث تغفو فوق قمم الأشجار وأجنحتها مطوية. تحت سماء الليل المظلمة، تبدو طيور البلشون كنقط في الغابة، نائمة في وداعة كالنجوم.

***

في عمر السابعة عشرة، كنت أصغر طالبة في المدرسة كلّها. معظم الطالبات الأخريات تكبرني بثلاث أو أربع سنوات. **كيم سام-أوك** التي كثيرًا ما تفوِّت الحضور إلى المدرسة من أجل مسيرات الاحتجاج، تبلغ من العمر ستًا وعشرين سنة! تمشّط شعرها كما هو مفترض من فتاة مدرسة، حيث تقصّه من عند أسفل الأذن مباشرة، وترتدي الأحذية المسطحة ذاتها، وتحمل حقيبة المدرسة فوق ظهرها مثلنا جميعًا. لكن وجهها يفضح سنّها الحقيقية. تبدو شاذّة المظهر وهي ترتدي زيَّها -زينا- المدرسي وشارة المدرسة على شكل زهرة التوليب فوقه. لا يتآلف الزي مع الوجه؛ الزي بنّاتي، بينما تظهر على الوجه أمارات الكبر.

في الفصل أجلس بجانب فتاة تدعى **آن هيانغ-سوك**، عسراء تعمل في مصنع حلويات. قابلت أشخاص عُسر من قبل، لكن هي أول شخص أراه بأم عيني يكتب بيسراه. تبدو الكتابة باليد اليسرى أمرًا هيّنًا بالنسبة إليها، كما لو كانت تكتب بتلك الكيفية منذ زمن بعيد. عندما لا أكون في مجال بصرها، أمسك بقلمي في يسراي وأحاول الكتابة بها، لكن كتابتي تبدو خرقاء جدًّا. حين ندوّن ملاحظات أثناء الحصّة، يصطدم كوعها الأيسر بذراعي اليمنى باستمرار. في كل مرّة يحدث ذلك، ينفرج فمها قليلًا عن ابتسامة اعتذار.

«ما خطب يدكِ؟».

ذات يوم أمدُّ يدي نحو يدها اليمنى، لكنني أحرّرها بمجرد أن أمسك بها. كان ملمس يدها خشنًا يكاد يكون صلبًا. تجعلني هذه الغرابة المفاجئة،

أمسك بيدها تلقائيًا مرة أخرى ثم أتركها ثانية. تبتسم آن هيانغ-سوك كما لو كانت تقرأ بالفعل ما يدور برأسي.

«أغلف الحلوى في المصنع. عملي جعَلَ جلدي قاسيًا».

«ما عدد الحلوى التي تغلّفينها؟!».

«نحو عشرين ألف قطعة حلوى في اليوم».

عشرون ألف قطعة حلوى، كان هذا عددًا لا يمكنني تخيّله.

تتحسّس آن هيانغ-سوك يدي. «جلدك ناعم للغاية. لا بد أنهم يدفعون لكِ مقابل عمل غير شاقٍّ على الإطلاق».

أشعر كأن كفّها الملامس لظهر يدي، باطن قدم.

«في البداية كان العمل ممتعًا، كما تعرفين، لم أشعر بأنه عمل على الإطلاق. لكن بعد بضعة أيام، بدأت أنزف، في البقعة نفسها حيث أضغط على الغلاف البلاستيكي ثم أطويه». أرتني كلًّا من إبهامها وسبابتها. لم أنتبه لهذا من قبل لأنها تحرص على إبقاء يدها مخفية، لكن يمكنني الآن رؤية أن أحد أصابعها معقوف.

«لقد اخشوشن الجلد في هذه المنطقة، لهذا توقّف النزف ثم شُلَّ هذا الإصبع منذ عامين. لهذا صرتُ أكتب بيسراي».

تسارع إلى إخفاء يدها اليمنى تحت الطاولة من جديد، ثم تنظر في عينيّ مباشرة.

«لا يمكنك أن تخبري أيَّ أحدٍ عن يدي... وعد؟».

أومئ.

***

في يوم جمعة من شهر أبريل، أتوجّه وابنة خالي عائدتين إلى حجرتنا المنفردة مع لوازم فطور الصباح التالي. عندما نبلغ نهاية ساحة السوق، تتوقّف ابنة خالي عند الجسر العلوي المفضي إلى المجمّع الصناعي رقم ثلاثة، وتحدّق عبر واجهة متجر قبعات لا يزال مفتوحًا حتى هذه الساعة. تمسك ابنة خالي بيدي وتسحبني إلى داخل المتجر كما لو كانت

قد تذكّرت شيئًا ما فجأة. تجرّب عدة قبعات بيريه مختلفة، تلك القبعات الفرنسية التي لها قبة صغيرة بارزة في المركز، قبل أن يستقرَّ اختيارها على واحدة بيضاء. تقف متأمّلة انعكاسها في المرآة.

«كيف أبدو؟».

تتماشى القبعة البيريه البيضاء على نحو جيد مع ياقة زينا المدرسي الخريفي المستديرة. حين أخبرها أنها تبدو جميلة عليها، تخلع ابنة خالي القبّعة وتضعها على رأسي. تبتسم ابتسامة عريضة.

«لنشترِ واحدة لكل منا».

«لماذا؟».

«ستحصل كل منا على واحدة. لماذا تعترضين؟».

«لكن أين سنرتديها؟ إنه تبذير للمال».

لكن يبدو أنها قد حسمت قرارها بالفعل. تتوجّه إلى منضدة الحساب، وتدفع ثمن قبعتَي بيريه غير عابئة بأي شيء أقوله. بينما نسير بطول الزقاق المؤدّي إلى حجرتنا، لا تتوقّف ابنة خالي عن التبسّم.

«سنعود إلى قريتنا غدًا، أتتذكرين ذلك؟ الآن وقد أمسَينا طالبتين في المدرسة، بات علينا أن نظهر للجميع أن ثمة شيئًا مميزًا بخصوص الدراسة في سول».

أنظر إليها باستهزاء.

«انظري إلى زيّنا المدرسي. عاذي للغاية. لا اختلاف بينه وبين الزي الذي ترتديه الفتيات في القرية. لا شيء يميّزه. لهذا نحتاج إلى قبعات البيريه!».

«ماذا؟!».

« القبعات جزء من الزي المدرسي في الكثير من المدارس خارج حدود قريتنا. هذا من حسن طالعنا. فحين نعود إلى قريتنا ونحن نرتدي هذه القبّعات، فسوف نلفت نظر الجميع بلا ريب».

يخطر تشانغ في بالي فجأة. التعبير الذي سيرتسم على وجهه حين يراني بزيي المدرسي وقبّعة البيريه الجديدة.

استقللنا القطار في عصر اليوم التالي. تغيّبنا عن المدرسة من أجل زيارة قريتنا. أخي الأكبر في مركز التدريب العسكري الآن، بينما أخي الثالث في رحلة تخييم جامعية. أرتدي وابنة خالي قبعتَي البيريه التي ابتعناها في اليوم السابق. تنزلق قبعتي باستمرار عن رأسي فتستخدم ابنة خالي مشبك شعر لتثبيتها في مكانها.

نفترق عند هبوطنا من القطار في الريف. تعيش ابنة خالي في البلدة. بينما عليّ ركوب الحافلة لمسافة أطول قليلًا لأصل إلى قريتنا. كما لو أن القدر قد شاء ذلك، كان **تشانغ** يركب آخر حافلة في ذلك اليوم إلى قريتنا. عندما أصعد إلى الحافلة، تتّسع عيناه. حين تقع عيناي عليه، تمتد يدي غريزيًا نحو القبعة فوق رأسي. أحاول نزعها لكن مشبك الشعر يبقيها في مكانها. يبتسم **تشانغ** بارتباك أو هكذا أظن. نتسمّر في مكاننا في سكون نمسك بمقبض الركاب، وجسدانا يتمايلان مع حركة الحافلة حتى نهبط عند موقف قريتنا. تحدَّث **تشانغ** بينما نمشي في الظلام بمحاذاة الطريق المعبد.

«أترغبين في القيام بنزهة على الأقدام إلى ينبوع الجبل غدًا؟».

«أين يقع ذلك الينبوع؟».

«على المعبر المؤدي إلى **جيوام**».

عندما لم أردّ، يقول **تشانغ** مجدّدًا: «سأراك غدًا في حوالى الثانية ظهرًا عند بداية معبر جيوام». ثمّ يركض صوب منزله ويتركني وحدي وسط عتمة الطريق المعبد.

***

البوابة الجانبية لبيتنا، حيث تمتد أغصان الأشجار المتشابكة فوقها كالتاج، مفتوحة. عندما أخطو عبرها، تدبّ الحركة في حيوانات الفناء. تزحف الكلبة من أسفل بيتها حيث كانت قد استقرّت هناك لقضاء الليل،

ويهزّ سرب البط أجنحته بالقرب من بستان الزهور، والخنازير في الحظيرة تخنخن وترفس في محاولة للنهوض على قوائمها، والفراخ الصغيرة التي فقست في الربيع تزقزق في قفصها، وحتى طيور السنونو في أعشاشها أسفل الإفريز تفرفر في نشاطٍ. أُنزل حقيبة المدرسة على أرض الفناء وأشرع في جمع الغسيل من فوق حبل الثياب وأنادي على أمي.

«إنها نونا!».

يسمع صوتي أخي الأصغر أولًا، ويندفع خارج الباب. في تلك اللحظة تهزّ الكلبة ذيلها وتنبح.

«لم تخبرينا أنك قادمة».

تحمل أمّي التي استفاقت للتوّ، حقيبة المدرسة التي خلّفتها ورائي في الفناء كي أجمع الغسيل.

«أردت أن أفاجئكم».

«أصبحتِ طالبة مُجدّدًا يا أوني!». تفتح أختي الصغرى عينيها أخيرًا وتجذب القبعة البيريه عن رأسي بشدّة، ينخلع معها مشبك الشعر وتجرّب اعتمارها.

«أيعتمر الطلبة في سول هذه النوعية من القبّعات؟».

اختطفُ القبعة من فوق رأسها وأعلّقها على المشجب فوق الحائط.

«إنها جميلة جدًّا. أرجوكِ، دعيني أجرّبها مرة أخرى».

تُسكِتُ أمي أختي الصغرى قائلة إن القبعة ليست لعبة، ثم تنظر إليّ في زيّ المدرسة. تترقرق عيناها بالدموع. تشوي أمّي شرائح سمك فيليه كانت قد تركته ليتخلّل في جرة مليئة بالملح في الشرفة وتقدّمه إليّ على العشاء.

«لو أخبرتني أنكِ قادمة، لكنت قد طهوت لك طعامًا شهيًّا».

***

يرخي أخي الأصغر رأسه على ذراعي اليمنى بينما أرقد فوق ثوب أمّي لأنام الليل. ينادي على أخته الكبرى الأخرى - الصغرى بالنسبة إليّ:

«تعالي يا أختي الثانية إلى هنا». عندما تقترب بجسدها منه، يجعل كل منا تمدّ إحدى ذراعيها. يمسك بذراع كل منا جنبًا إلى جنب وهو يتفحّصهما. «ذراع أختنا الكبرى أفتح. ذراع أختي الثانية داكن».

«هذا لأنها تشرب ماء صنبور!». تخفي أختي الصغرى ذراعها وراء ظهرها وهي تعبس بوجهها.

«لا يهم. ذراع أختي الكبرى أجمل!».

يشدّ أخي وأختي الصغيران البطّانية، ويصفع كل منهما ظهر الآخر ويتبادلان الركلات في جلبة. ينال منهما التعب في النهاية ويزحف كل منهما نحو أحد ذراعيّ ويستكين بجسده حوله قبل أن يستغرقا في النوم.

ماذا حدث للمذراة في البئر، تلك التي قذفتها بداخله منذ شهور عدة قبل أن أرحل عن القرية؟ أستلقي مستيقظة لفترة، أفكّر في البئر بالخارج على الجانب الآخر من الباب، عبر الردهة، عبر الفناء، حتى أستغرق بدوري في نوم عميق.

***

عندما أتوجّه إلى المعبر الذي يقود إلى الينبوع الجبلي، يتعقّبني أخي الأصغر. أخبره أنه لا يستطيع مرافقتي، لكنه لا يكف عن التبرّم والنحيب. لا أملك خيارًا سوى الاستسلام. أمسك بيده وأهمس في أذنه بصوت خفيض: «لن تخبر أمي أبدًا أننا سنذهب إلى هناك مع تشانغ، مفهوم؟».

لا يعي أخي الأصغر لماذا لا يجب عليه أن يخبر أمي، مع هذا يُقسم أنه لن يخبرها.

«الأمر جدّيّ، يجب ألا تفتح فمك. عدني بذلك».

يعطيني أخي الصغير وعد الخنصر بتلقائية وهو لا يزال يجهل لماذا.

يقف تشانغ بارتباك منتظرًا عند معبر جيوام. نشرع ثلاثتنا في السير نحو الينبوع الجبلي، يأخذ كل منا المقدّمة بالتناوب. بينما نتوغّل في دروب الجبل، تتنامى حماسة أخي الأصغر، فيجري إلى الأمام مبتعدًا عنا وهو

يهتف بإثارة: «سنجاب!». يطارد السناجب حتى يفقد شغفه بذلك بعد برهة، ويعود إلينا قائلًا: «إنها سريعة جدًّا، يا أختي الكبرى».

بينما نمرّ بكومة حجارة بناها على مر السنين عابرو الجبل كتخليد لذكرى سعيدة، يناولني **تشانغ** حجرًا التقطه خلال سيرنا في المعبر. أضع الحجر في أعلى الكومة. في طريق عودتنا إلى البقعة نفسها، يجد **تشانغ** حجرًا آخر ويعطيني إياه لأضيفه إلى الكومة. يراقبنا أخي الأصغر قبل أن يعثر على حجر ويعطيه إليَّ كي أضعه من أجله.

خلال إحدى مطاردات أخي الأصغر للسناجب، يسحب **تشانغ** كتابًا بحجم كفّه من جيبه ويقدّمه إليّ. **كتب جيب دونجسو: صليب شافان.** رواية للكاتب **كيم دونغ-ني**[1].

«أردتُ أن أهديكِ شيئًا، لكن لم أستطع أن أختار هدية، ثم عثرت على هذا الكتاب وسط الكتب فوق مكتبي. أتذكّر أنك أحببت قراءة الكتب دائمًا».

***

هل لا يزال يعمل قطار منتصف الليل إلى سول؟ هل لا يزال آخر قطار يغادر إلى المدينة ينطلق عند الحادية عشرة مساء وسبع وخمسين دقيقة؟ عندما أرجع إلى البيت في زيارة، أستقلّ قطار العودة إلى المدينة في الحادية عشرة مساء وسبع وخمسين دقيقة. وفي كل مرّة ترافقني أمّي لتودّعني عند المحطة وهي تحمل لفة ثقيلة جهّزتها من أجلي لآخذها معي إلى المدينة.

أتساءل كيف كانت أمي تهتدي إلى طريق العودة إلى القرية كل تلك المرات، سالكة الطرق الجبلية في عتمة الليل الذي تجاوز منتصفه؟

---

(1) كيم دونغ-ني (1913-1995): كاتب كوري يميني، كان يدافع عن مفهوم الأدب المجرّد من أي أيديولوجيات. تتعامل أعماله مع ثيمات كورية تقليدية بمنظور القرن العشرين، حيث يمزج بين الأساطير التراثية والواقعية الإنسانية. من أعماله: صليب شافان، وأسطورة الأرض الصفراء.

بينما أسير فوق رصيف المحطّة، التفت وأرى أمي تقف قرب البوابة. تشير إليّ بيدها كي أواصل التقدّم. أمشي والتفت ثانية فتلوّح لي بيدها. وهكذا أسير ثم ألتفت فتشير إليَّ بمواصلة المسير. بينما أمشي بطول الرصيف، إذ ألمح **تشانغ** يقف عند الجانب الآخر من السياج، وجهه ملاصق لسياج محطة القطار من الخارج. كان **تشانغ** يقف هناك، عيناه تتابعني، لم يلوّح لي.

***

بعد سلسلة من الاحتجاجات والإضرابات عن العمل الإضافي، يغدو الأجر الذي يُمنح لنا في نهاية كل شهر بخسًا. وزاد الطين بلّة، أن دفع الأجور اقتصر عمليًا على العمال غير المنضمّين إلى الاتحاد. وهكذا اقتحم سيل من أعضاء الاتحاد بجيوب خاوية من أي مال مكتب الإدارة داخل المصنع. المكتب فارغ إلا من **تشاي يون-هِي** التي كانت تجلس محنية الرأس. كانت تعمل في الخطّ جيم سابقًا، قبل أن تُرقّى لتشغل وظيفة مكتبية في قسم الإنتاج. عندما تسألها الآنسة **لي** عما يجري، قالت إنها لا تعرف أي شيء.

«ذهبت كي أتسلّم مظاريف المرتّبات لهذا الشهر من قسم الحسابات، لأكتشف أن أكثر من نصف العمال لن يحصلوا على أي راتب. لهذا سألت عما يجري، فقالوا لنا إنه على كل من لم يُصرف له راتبٌ هذا الشهر، التوجّه إلى الآنسة **ميونغ** في الإدارة».

«من أخبرك بذلك؟».

«مدير الحسابات».

الآنسة **ميونغ** من الإدارة، امرأة ذات بشرة فاتحة وملساء، تعطي كل شخص يندفع إلى داخل مكتبها ورقة. «لقد أبلغنا المدير بالأوامر. فقط من سيوقّع على هذه الاستمارة سوف يصرف أجره».

كُتِب عنوان في أعلى الورقة التي ناولتها إلينا الآنسة ميونغ: «**إقرار بالانسحاب**»

العاشر من مايو 1979

في تاريخ (...)، وقّعت على وثيقة تحت إلحاح صديق من دون أدنى معرفة بأنني بمقتضى هذا التوقيع أنضمّ إلى الاتحاد العمالي. عندما مهرت الورقة بتوقيعي، كنت أجهل ماذا يجري. ومن منطلق عدم وجود أي نية في الانضمام إلى الاتحاد ولإيماني أن كوني عضوًا بالاتحاد لن يعود عليّ بأي نفع، أبدي رغبتي بالانسحاب رسميًّا من عضوية الاتحاد.

تطارد نظرات العاملات قادة الاتحاد.

«كيف طاوعك قلبك أن تفعلي ذلك؟». تصبّ الآنسة لي جام غضبها على الآنسة ميونغ، التي -كردة فعل- تغوص في مقعدها.

«ماذا أفعل؟ لقد أُمِرت ألا أدفع الراتب إلا إلى أولئك اللاتي سيكتبن أسماءهن ويوقّعن أسفل الورقة. أنا أنفّذ الأوامر فقط».

«أين مظاريف رواتبنا؟».

يرعبها صوت الآنسة لي المدوّي، فتنكمش الآنسة ميونغ في مكانها على نحو دفاعي، وتمد يدها غريزيًّا تجاه خزانة الملفات الملاصقة للجدار قبل أن تسحب يدها بسرعة قريبًا من صدرها.

«إذًا هي هنا، أليس كذلك؟».

تدفع الآنسة لي الآنسة ميونغ بعيدًا عن طريقها وتفتح دُرج الملفات. الرواتب الأساسية. رواتب العمل الإضافي. المناوبات الاستثنائية. أجور تعويضية من أجل إجازة الدورة الشهرية. تملأ كومة من المظاريف الدُّرج، وقد كُتب عليها بخط رفيع، حروف دقيقة كبذور السمسم.

«لا يمكنكِ فعل ذلك!». تصرخ الآنسة ميونغ وهي تحاول أن تسدّ الطريق إلى خزانة الملفّات بجسمها.

«لا، أنتِ من لا يمكنكِ فعل ذلك. تنحّي عن الطريق».

«كل مَنْ تريد الحصول على راتبها، فكل ما عليها هو كتابة اسمها والتوقيع هنا».

تدفع إحداهنّ الآنسة لي وتنقضّ على الآنسة ميونغ: «تنحّي عن الطريق!». تسقط الآنسة ميونغ على الأرض، ويمتد سرب من الأيدي لتقبض على المظاريف وتخرجها من الدرج. تصيح الآنسة ميونغ وهي تحاول الوقوف على قدميها:

«ماذا تظنّنّ أنكنّ فاعلات؟ إن هذا انتهاك صارخ».

تجذب أحداهنّ حفنة من شعر الآنسة ميونغ في يدها: «انتهاك صارخ؟! نحن لا نسرق. نحن نحصل على أجر العمل الذي قمنا به. ما تفعلينه هو الانتهاك الصارخ!».

يصبح شعر الآنسة ميونغ الناعم المتموّج الذي تعجب به ابنة خالي، أشعثَ أكثر وأكثر، بينما تنضمّ المزيد من الأيدي إلى الهجوم، تقبض على شعرها وتنشب أظافرها في وجهها. تحاول الآنسة لي إبعاد تلك الأيدي عن الآنسة ميونغ.

«ما يحدث ليس ذنبها. توقّفن عن هذا. توقّفن حالًا».

***

تُعلّق قائمة أسماء على لوحة إعلانات المصنع، تمثل عريضة بإقالة جماعية. الأسماء تضم أولئك اللاتي اقتحمن مكتب الإدارة ذلك اليوم كالعاصفة. اسم الآنسة لي في القائمة. تحت قائمة الأسماء كُتب الآتي بحروف ضخمة وبحبر أحمر فاقع:

الأسماء المذكورة تهدّد مصدر رزق أكثر من ستمائة شخص.

لن نقبل وجود الاتحاد أبدًا حتى لو اضطررنا إلى إغلاق المصنع.

منذ عُلِّقت عريضة الإقالة على لوحة إعلانات المصنع، لم ينعم المصنع بيوم هادئ واحد. يجابه الاتحاد الإقالة بإضراب وقائمة من المطالب:

1 - تراجع فوري عن قرار الإقالة.

2 - القبول باتحادنا القانوني والديمقراطي.

3- التجميد الفوري لكل محاولات تدمير الاتحاد.

4 - الالتزام بدفع الرواتب في الوقت المحدّد لها.

مكتبة

5- إذا رفضت الإدارة التوقيع بالموافقة على الشروط المذكورة أعلاه، فسوف ندخل في إضراب عن العمل.

تختلف الآراء بخصوص قرار الإضراب بين عمال قسم إنتاج التلفزيون وأجهزة الستريو. قسم إنتاج التلفاز بغالبيته من العمال الذكور، كان عنيدًا في دعمه للإضراب. عندما لم يعد الإنتاج يبلغ حتى نصف الكمية المعتادة لأن أعضاء الاتحاد امتنعوا عن العمل، تجاوزت الإدارة أزمة الإضراب بأن غضَّت الطرف عن العمال المُقالين الذين واصلوا القدوم إلى العمل.

***

أواصل الكتابة.

كان ذلك في ربيع السنة التي قابلت فيها **هِي-جاي** أول مرة. أتذكّر البلوزة التي كانت ترتديها وهي تغسل زيّها المدرسي عند صنبور المياه، في وسط الفناء الرخامي لذلك المنزل. لا أعرف إذا كان الخريف والشتاء قد مضيا من دون أن تسنح لنا الفرصة أن نلتقي بالصدفة، ونحن نعيش في المنزل ذاته أم أن **هِي-جاي** قد انتقلت إلى البيت في ذلك الشتاء أو مع بداية الربيع. لو كان يقطن شخصٌ واحدٌ في كل حجرة من حجرات المنزل السبع والثلاثين، أي سبعة وثلاثين شخصًا، فلم أكن قد صادفت سوى ثلاثة أو أربعة منهم فقط بحلول الربيع، ولم تكن ثمة طريقة لمعرفة من كان يعيش في أي حجرة بالتحديد. كانت البوابة الأمامية مفتوحة دائمًا، وعندما أخطو عبرها، كان أول شيء أراه هو الأقفال فوق الأبواب المواجهة للفناء. أحيانًا، أتفرّس في ظهر شخص يفتح أحد الأقفال بينما أمشي صاعدة إلى الطابق الثالث.

اليوم هو الأحد. بعد أن تغادر ابنة خالي إلى الحمّام العمومي على الجانب الآخر من الجسر العلوي وهي تحمل سلة تحوي أدوات النظافة، أجدُ الجلوس في الحجرة مع شقيقيّ الكبيرين مُحرِجًا، فأنزع الملاءات المغزولة في مراتب نومنا، وأهبط السلالم وأنا أحمل الملاءات داخل طست كبير. تجلس امرأة تغسل الثياب عند الصنبور في وسط الفناء.

أنزل الطست على الأرض بجوار الصنبور وقد قررت أن أنتظر حتى تنتهي المرأة، عندما ألاحظ أن الثياب التي تغسلها هي زي مدرسي مماثل لزيي، أنظر إلى وجهها.

وجه صغير جامد التعبير. وجه صغير غير مكترث. وجه صغير هادئ.

هذا كل ما كتبته عن اليوم الذي قابلت فيه أوني **هِي-جاي**.

كان نهارًا مشمسًا على نحو سارّ. أشرقت الشمس فوق مركز الفناء حيث صنبور المياه، على الرغم من أن المباني المحيطة ذات الثلاثة والأربعة طوابق كانت تظلل الفناء. أبتهج حين ألاحظ أن غسيل **هِي- جاي** هو زي مدرستي نفسه. كيف أنتظر مع طست الغسيل بجوار الصنبور حتى تفرغ هي من غسيلها، كيف يخطر لي أن هذا الزيّ ربما يعود إلى شقيقتها. كيف أنه بغضّ النظر عما كنت أفكر فيه بينما **هِي-جاي** تنقع غسيلها في الماء، تسُحب بلوزتها المطرزة بالزهور المطوية داخل تنورة فضفاضة خارجها، وتتجعّد بسبب حركتها المستمرّة. كيف أنه بعد مراقبتي بحذر لخصرها النحيل، ليس أكبر من حجم كف، وللزهور المطرّزة على بلوزتها وشكلها يتشوّه مع حركتها، تلتقي عيناي بعينيها مباشرة وهي ترفع رأسها إلى أعلى وفي يدها مغرفة. وجهٌ غير مكترث مجرّد من أي تعبير. كأشعة الشمس.

أجل، هذا ما كتبته بالضبط: «وجه غير مكترث مجرّد من أي تعبير. كأشعة الشمس».

لو لم ترسم ابتسامة شاحبة على وجهها حينها، لكنتُ مدفوعة بارتباكي، قد شبكت أصابع يدي وهرولت صاعدة إلى حجرتي في الطابق الثالث، أو خطوت خارج البوابة المفتوحة من أجل تمشية قصيرة حتى نهاية الشارع. لكنها تبتسم، ومع ابتسامتها ألاحظ لطخة من مسحوق الغسيل على وجهها تشبه قشرة جرح. تسحب طستي إلى أسفل مياه الصنبور الجارية قبل أن تتوجّه إلى السطح. عندما أصعد إلى السطح بدوري وأنا لا أزال أرتدي القفازات المطاطية بعد أن غسلت الملاءات، كانت تجلس بالقرب من الدرابزين، وتستمتع بالشمس بعد أن علّقت زيّها المدرسي وجواربها

ومناديلها القماشية وملابسها التحتية، على أحد جانبَي حبل الغسيل. لم تزِح هِي-جاي عَينيها عن محطة قطار الأنفاق حتى فرغتُ من تعليق كلّ الملابس، مُلتفتة هنا وهناك في همّة.

«منشفتك على الأرض».

عندما أفرغ من تعليق ملابسي، كانت إحدى الملاءات تحجبها عن مجال رؤيتي. فقط صوتها يصلني من الجانب الآخر. لقد سقطت منشفة غسلتها مع الملاءات سهوًا على الأرض. ألتقط المنشفة وأهبط إلى أسفل لأنقعها في الماء مجدّدًا قبل أن أعود أدراجي إلى السطح لأعلقها. ظلت هِي-جاي جالسة في المكان ذاته طوال الوقت. أقفُ هناك في تململ عاجزة عن الالتفات وهبوط السلم حتى تجفّ الملاءات، عندما تمدّ هِي-جاي ذراعها وتشير إلى مكان ما قائلة: «انظري إلى ذلك».

أدنو منها وأنظر إلى حيث تشير لأرى دخانًا أسود يتصاعد إلى أعلى، مندفعًا كالغيوم من إحدى مداخن المصنع في الشارع، في الجانب المقابل لمحطة قطار الأنفاق.

«أليس شيئًا مثيرًا؟».

تسحب يدها الممتدّة وتضحك ضحكة وديعة. ألاحظ للمرة الأولى، بينما تدعك كفّها في قماش تنّورتها المجعّدة بسبب جلوسها القرفصاء أثناء الغسيل، أن ظهر يدها متورّم بشكل غير طبيعي، ربما بسبب غمسه في الماء لفترات طويلة جدًا. لا بد أنها شعرت بنظراتي المثبتة على يدها لأنها تبتسم بشحوب مجدّدًا.

«لقد جرحت إبرة ماكينة الخياطة يدي، والآن هي متورّمة لأنها تعرضت للماء. في أي حجرة تسكنين؟».

«في الطابق الثالث».

«أنتِ في الفصل الرابع بالمدرسة، صحيح؟ لقد رأيتكِ في الحافلة ذاك اليوم. ولمحتكِ مرة في المدرسة أيضًا... لم أكن أعرف أنكِ تعيشين هنا».

«وأنا لم أركِ من قبل أبدًا».

تضحك هِي-جاي مرة أخرى بشحوب لمسمع كلماتي. ربما تعتقد بأنني أبدو صغيرة السنّ، فكانت تخاطبني كما لو كنتُ أختًا صغرى لها، وكنتُ بدوري أرد عليها باحترام وتأدّب.

«من مزايا هذا المنزل... ألّا أحد سيعرف حتى لو مات شخص ما فيه». تتحدّث ناظرة إليّ بعينين مستديرتين كما لو كانت تسألني إذا كنت أتفق معها في الرأي. لا تزال لطخة مسحوق الغسيل على خدّها، بالإضافة إلى بشرة ملساء بشكل غير اعتيادي بالقرب من أنفها.

في ذلك اليوم تعاونّا كي نحمل أصيصًا من زهور الكراث كان يقبع مهجورًا بجوار الشرفة المخصّصة لأواني الصلصات الفخارية فوق السطح، ونضعه أسفل إحدى الملاءات المعلّقة ونعصرها لتتساقط المياه منها فوق الزهور.

هل كانت الشمس هي السبب؟ لقد بذلت قصارى جهدي لأعثر على سبب ما لأبقى فوق السطح لمدة أطول، من دون أن أسمح لها بمعرفة كنه شعوري. لقد أعجبتُ بها. حتى هذه اللحظة حينما أفكر بأنها قد بادلتني الشعور نفسه، لا تزال عيناي تدمعان. كنا سعداء لبرهة قصيرة ذلك اليوم، لأن كلًا منا أُعجبت بالأخرى. تلك اللحظة التي شعر فيها قلبي بسلام ممزوج بلمسة أسى، وعلى الرغم من جهلي بما شعر به قلبها، فقد أحسست بأن قلبي قد أصبح نقيًا إلى الأبد.

كان ذلك صحيحًا، خاصّة حين لعبنا «**لعبة الموافقة**». «لعبة الموافقة» هو اسم اختلقته من وحي اللحظة. كانت هي من اقترحت اللعبة رغم أنه لا يمكن أن نطلق عليها مسمّى لعبة حقًا. حين تقول هِي-جاي شيئًا ما فكل ما عليَّ فعله هو موافقتها الرأي، قائلة: «بالتأكيد» من دون إبداء أي اعتراض. ثم نتبادل الأدوار فأذكر أنا أمرًا ما لتقول هِي-جاي: «بالتأكيد». لا أتذكّر ما قلته لها في دوري، لكن ما بقي حيويًا في ذاكرتي هو صوتها الأشبه بخرير الماء... بالنسبة إليّ كان لصوتها وهي تقول: «بالتأكيد»، نفس تأثير الساعة

الخامسة عصرًا - موعد تركي العمل وذهابي إلى المدرسة. تتخلّل كلماتها الضحكات، وأحيانًا تصفّق بيديها.

«سوف أخلد إلى النوم. سأنام نومًا عميقًا من دون أن أستيقظ لثلاثة أو أربعة أيام».

«بالتأكيد».

«أخي الأصغر يأبى أن يقول إنه يريد الذهاب إلى الكلية بعد التخرج».

«بالتأكيد».

«لكن إذا قال إنه يرغب في ذلك، فسيكون عليَّ -كما أعتقد- أن أرسله إلى الكلية».

«بالتأكيد».

«هراء. لا يمكنني العمل وقتًا أطول مما أعمله الآن. اليوم أربع وعشرون ساعة فقط».

«بالتأكيد، لن يمكنك».

«هذا أقصى ما يمكنني فعله».

«بالتأكيد».

«سيركّب كبير العمال مروحة في غرفة العمل غدًا، أليس كذلك؟».

«بالتأكيد».

«لقد رأى كل ذلك الغبار المتطاير من الأقمشة بأم عينيه، فكيف سيعرض عن ذلك».

«بالتأكيد، لن يعرض عن ذلك».

«هل سأستطيع يومًا ما أن أعيش في منزل من طابقين ومزوّد بحديقة؟».

«بالتأكيد».

شفتاها مكتنزتان وتكادان تخلوان من أي لون، ما عدا مسحة باهتة من لون مماثل للون بشرتها، تنفتحان وتطبقان بسرور. بالتأكيد، بالتأكيد، بالتأكيد. خلال هذه الفترة القصيرة التي تركنا فيها العنان لخيالنا حيث لا شيء مستحيلًا، تسألني هِي-جاي بغموض: «هل سأستطيع إنجاب طفل

جميل؟». أجيبها: «بالتأكيد». خلال حديثها الأشبه بالحلم، تغيّر واقعها تمامًا. في لعبة الموافقة الخاصّة بنا، **هِي-جاي** ليست خياطة ولا تقطن في واحدة من حجرات البيت السبع والثلاثين. شقيقها طالب جامعي بالفعل.

في البداية كنتُ أسوّي التربة داخل أصيص أزهار الكراث بإصبعي وأنا أجيبها: «بالتأكيد». ثم لاحقًا، وجدت نفسي أخرج التربة من الأصيص، حفنة في كل مرة، وأنا أجيب: «بالتأكيد».

أثناء لعبنا سويًا «لعبة الموافقة» يختفي الشعور المُقبِض والمقلق، الذي كان يتشكّل بداخلي على هيئة غيوم كثيفة في كل مرة أخطو فيها داخل ذلك البيت، حيث تعاود كل هواجسي التي كانت قد تلاشت التجمّع في عقدة واحدة. نواصل اللعب كفتاتين صغيرتين تمضيان في المشي بعيدًا، مجرّدتين من الآمال والمخاوف حتى جفّت الملاءات. تغدو **هِي-جاي** مع كل دقيقة أقضيها معها أكثر وضوحًا وإشراقًا. كنت أشعر باختناق في صدري بين الفينة والأخرى.

لا أتذكّر كم كان عمرها. بدا أنها تكبرني بثلاث أو أربع سنوات، لذا، ربما كانت في عمر التاسعة عشرة أو العشرين أو الواحدة والعشرين. أفكّر الآن كم كانت تبدو فتاة صغيرة بسبب احمرار وجنتيها كثيرًا، لكن ربما كانت حقًّا مجرّد فتاة صغيرة.

تحوّل هذه الفتاة التي أفتقدها بشدة الآن، عينيها تجاه الشمس فجأة، كما لو كانت قد استفاقت للتو، وتنهض على قدميها وهي تنفض ثيابها.

«يجب أن أخلد إلى النوم».

«بالتأكيد».

«لم أعد ألعب اللعبة بعد الآن. يراودني النوم حقًّا».

تهبّ نسمة هواء باردة، فتسارع **هِي-جاي** إلى الهبوط من السطح. بعد أن ترحل، أجلس القرفصاء على أرضية السطح، أُخرج التراب العالق تحت أظافري. في مُخيلتي تظلّ صورة بلوزتها وتنّورتها وإيماءات يدها والأوردة البارزة في عنقها الهيفاء، تسيل كغدير ماء داخل جزء ما بداخلي

وترغمني على التساؤل: «أكان حلمًا؟!». وأتلفّت حولي في ذهول. ترفرف الملاءة كستارة تُخفي سرًّا ما وتدفع الرياح أحد مناديلها ليسقط على الأرضية. أعلّق منديلها على حبل الغسيل مرة أخرى بمشبك قبل أن أهبط من السطح.

***

ابنة خالي، التي عادت من الحمّام العمومي منذ فترة طويلة، كانت تقلّم أظافرها عند نزولي من السطح. ترمقني بنظراتها فور دخولي.

«أين كنتِ طوال هذا الوقت؟».

لا أجيبها.

«أين؟!».

«على السطح».

«السطح؟ ماذا كنتِ تفعلين طوال هذا الوقت؟».

أعجز عن منحها إجابة.

«لماذا أصبحت بلهاء فجأة؟! ماذا يحدث؟».

«عما تتحدّثين؟».

«تتصرّفين بغرابة».

«ماذا تعنين؟».

تنظر ابنة خالي في عينيّ مباشرة.

«ماذا؟».

تطوي ابنة خالي المنديل الذي يحوي قصاصات أظافرها وترميه في حاوية القمامة، كما لو كانت غير قادرة على استشفاف ما بداخلي.

«لا أعرف. دعينا نذهب ونشتري لوازم البيت».

تفتح ابنة خالي الموضوع ثانية ونحن نعبر الجسر العلوي.

«لقد وبخّك أخوك الأكبر أثناء غيابي، أليس كذلك؟».

«لا، لم يحدث ذلك».

«ما الأمر إذًا؟».

«عما تتحدّثين؟».
«تبدين متكدّرة ومستنزَفة كما لو أنك قد تلقّيت توبيخًا قاسيًا».
أخبرها بكلمات متلعثمة عن **هِي-جاي**. وكيف لعبنا سويًا فوق السطح.
«يبدو أنك قضيت وقتًا مُمتعًا. إذًا لماذا تبدين متكدّرة هكذا؟».
«لا أعرف».
«كلامك يخلو من المنطق».

***

منذ أن نُشِر الفصل الأول من هذه الرواية، بدا كأنني قد أمسيت مادة خصبة للإشاعات. كل مكالمة أتلقّاها كانت من مجلة نسائية مختلفة. وقد كررت الرد نفسه: إنني خارج المدينة. وإذا سأل أحدهم عن هوية المتحدّثة كنت أدّعي أنني شقيقتي الصغرى، وأن أختي الكبرى -أي أنا- سافرت وأنا أجهل تمامًا موعد عودتها. كان من الصعب عليّ أيضًا أن أستمع إلى كل الرسائل على جهاز التسجيل الآلي. بعدها أبقيت سلك الهاتف منزوعًا من مكانه لقرابة الأسبوعين، ثم أعدت توصيله ظنًا مني أن أسبوعين مدة كافية. لهذا عندما رن الهاتف بعد منتصف الليل بمدة طويلة، أجبت وأنا نعسى. كانت المتحدّثة تبحث عني، وقلت من دون تفكير: «أنتِ تتحدّثين معها». فقط حين ذكرَت اسم مجلتها، لمت نفسي، لكن السيف كان قد سبق العذل.
«لقد رجعت من ألمانيا!».
بدت ممتنة. لا بد أنني كنت أخبرتها أن «أختي الكبرى» قد سافرت إلى ألمانيا. عندما قالت إنها تود رؤيتي، بدأت في الحديث: «في الحقيقة...». ثم وجدت نفسي أخبرها بالحقيقة، وبأنني أنا كنتُ أردّ على كل المكالمات الفائتة، وأنني أجبت على مكالمتها وأخبرتها كذبًا أنني في ألمانيا.
«لكن لماذا؟».
« لأنني لم أرغب في إجراء حوارٍ صحافيٍّ».
أضحكها كلامي بدلًا من أن يزعجها.

«لقد خرجتِ بقصَّتك إلى العالم، فكيف تتصوّرين أنكِ ستتمكّنين من فعل الأشياء التي تريدينها فقط؟».

لم أرد.

توسّلت إليها، إلى هذه المرأة التي لم أر وجهها من قبل، فقد بدأت للتو نشر الرواية بشكل متسلسل، وأودّ التركيز في الكتابة فحسب من دون أي تشتيت خارجي. رجوتها أن تتركني لحالي. كانت محترفة. بدأت في طرح أسئلة، وقبل أن أعي الأمر كنت أجيبها. فكرت بأنني لا أستطيع السماح لذلك بأن يستمرّ. قلت إنني سوف أغلق الخط. فردّت عليَّ بسرعة بنبرة رقيقة: «لماذا أجريتِ إذًا الحوار في الجريدة؟».

ضغطتُ السماعة بقوة على أذني: «هل يعني هذا أن عليّ أن أوافق على إجراء حوارٍ معكِ أيضًا؟!».

«حسنًا، على العموم سوف نتّخذ قرارنا، وسأعاود الاتصال بكِ مُجدّدًا».

صُعِقت. كان الأمر خاصًا بي، وقد رفضت، فأيّ قرارٍ سيتخذون؟ بدا لي أنها سوف تكتب مقالها بناء على هذه المحادثة الهاتفية، وتطبعها مرفقة بصورة مؤرشفة لي من مناسبة أخرى.

«لقد أوضحت الأمر تمامًا بأنني لن أجري حوارًا معكِ. سوف أتصفّح عدد الشهر القادم من مجلتك بعناية، وسأكون غاضبة جدًّا لو كتبتِ قصة عنّي بداخله».

«لست في موقع يخوّل لي اتخاذ القرار كما ترين. سوف أتحدّث مع المسؤول في المجلة غدًا قبل أن أستطيع منحك إجابة».

«لكن الأمر يتعلّق بي أنا. من سيمنح إجابة لِمَنْ؟ دعيني أخبرك مرة أخرى، لقد قلت بوضوح إنني لن أجري حوارًا. أطلب منكِ ألا تتجاهلي طلبي!».

أغلقت السماعة بسرعة وسحبت سلك الهاتف.

جافاني النوم. بقيتُ أتقلّب في نومي والهاتف يرنّ في أذني من دون

توقف، حتى بعد أن نزعت سلكه. تذكّرت وجهًا مألوفًا يعمل في المجلة النسائية نفسها التي تعمل فيها الصحافية التي هاتفتني. سوف أتصل به غدًا، أخبرت نفسي لكن لم يهدأ قلبي الهائج.

***

عندما استيقظت، وضعت أسطوانة هارمونيكا **لي أوسكار**(1) في مشغّل الموسيقى، وضغطت زر التشغيل. شعرت باختناق في صدري وخفقان في رأسي. فتحت النافذة. هدأت أخيرًا بعد مضي نحو ثلاثين دقيقة من تشغيل الموسيقى. لم ألحظ تسلّل تيار الرياح الباردة داخل الحجرة في البداية حتى شعرت برعشة في جبهتي وحافة أنفي. سحبت البطانية إلى أعلى. انتابني حزن مباغت دون سبب. ماذا أفعل هنا والآن؟! نهضت لألتقط أسطوانة أخرى وأطلت النظر إلى وجه **تشيت باكر**(2) وهو يمسك بوقه. ماذا أفعل هنا والآن؟ ماذا؟! يُبقي **تشيت باكر** فمه مُطبقًا، ملامحه جامدة، وتجاعيد وجهه تعكس شروده غير المكتمل. نزعت أسطوانة **لي أوسكار** ووضعت أسطوانة **تشيت باكر** ورفعت درجة الصوت، وأمسكت الغلاف الورقي للأسطوانة لأقرأ ما دوِّن عليه.

ألبوم تشيت باكر الأبرز. سُجِّل قبل وفاته بأسبوعين. سنة الإصدار 1988. هذا الألبوم تسجيل تاريخي للحفلة التي أقيمت قبل أسبوعين فقط من وفاة هذا الموسيقي الأسطوري.

العام 1988؟ لا بد أنه قد سُجّل هذا الألبوم خلال استضافة كوريا للألعاب الأوليمبية في سول. واصلت قراءة شهادة منتجه **كورت جيز** عن الحفل.

---

(1) لي أوسكار: عازف هارمونيكا دنماركي، عُرف بمشاركاته الموسيقية مع فرقة الروك الأمريكية «حرب».

(2) تشيت باكر (1929–1988): موسيقي ومغني جاز أمريكي تميز بموسيقاه الهادئة والكئيبة.

«كانت فرقتا أوركسترا تملآن خشبة المسرح تمامًا، بينما يبدو **تشيت باكر** *الواقف وحيدًا بين الفرقتين، ضئيلًا جدًّا...»*. يكتب غيز: *«بعد أسبوعين عُثِر عليه ميتًا...»*. *«وقد صرّحت شرطة أمستردام...»*.

برمجت مشغل الموسيقى بحيث يبقى صوت هذا الرجل الذي يغني ما أضحى كلماته الأخيرة، يصدح من دون انقطاع في حجرتي، حتى إذا استغرقت في النوم، ثم رقدت مجدّدًا.

ثمة مرات كنتُ أصادف فيها على متن حافلة، أو أسمع عبر واجهات المتاجر في الشوارع، أصوات أشخاص قد رحلوا عن هذا العالم. أصوات مغنين مثل **كيم جونغ-هو، تشا جنغ-راك، بيه هو**[1]، أو **كيم هيون-سيك**... السبّب الذي يجعلني أجفل حين أسمع أصواتهم، وأغرق في الصمت، كما لو أن الزمن قد توقّف فجأة، هو تفكيري أن الشيء الوحيد الذي خلّفه هؤلاء الموتى وراءهم هو أغنياتهم.

في الماضي عملت كاتبة سيناريو لبرنامج إذاعي يُشغّل أغاني كورية كلاسيكية لمدة ساعة. كان منسّق الموسيقى مذيع أخبار يقترب من التقاعد. كان معجبًا **ببيه هو**. في صباح كل ثلاثاء كنا نُسجل البرنامج كي يُذاع الأحد التالي، وعندما نفرغ من عملنا، كان يجلس الرجل المسنّ معي، شابة صغيرة، لنحتسي سويًا مشروب منتصف اليوم وهو يغني أغنية **بيه هو**، **«في طريق العودة إلى سانجاكجي»**.

مطر عنيف يهطل في دوّار سانجاكجي...
رجل وحيد يتنهد في المطر،

---

(1) بيه هوا (1942-1971): مغنٍ كوري جنوبي عُرف بألفيس بيرسلي غناء التورت الكوري، وهو نوع من الغناء الكوري الشعبي الذي نشأ خلال حقبة الاحتلال الياباني، ويتميّز بإيقاعه المتكرّر والتأثيرات الغربية. لبيه هوا تمثال مشهور يُخلد أغنيته الأكثر شهرة ونجاحًا «في طريق العودة إلى سانجاكجي» أمام محطة سانجاكجي في سول.

مُفتقدًا ذلك الحب الضائع...
يصل إلى الدوار حزينًا بائسًا...

ذات يوم سألني الرجل المسن ونحن نجلس، ولم ألمس كأس السوجو الخاصّة بي. «هل تعرفين أي نوعية من المغنين بيه سو؟ أعني هل تعرفين لماذا لا تزال أغانيه تحيا في قلوب الكثيرين جدًّا من المعجبين؟».

« حسنًا، إنه مغنٍ جيّد».

ردَّ على إجابتي الخرقاء: «لا، لأن الموت متغلغلٌ في صوته. لأن تلك الأغاني غنّاها وهو في فراش الموت، يُعالَج من التهاب الكلى، يكاد نفَسه ينقطع وهو يتنقل ذهابًا وإيابًا بين الحياة والموت. لأنها أغانٍ لفظها من مقعده، وهو عاجز حتى عن الحراكِ. ابن العاهرة ذاك...».

أصبح يشير إلى بيه هو، ثملًا تحت تأثير مشروب منتصف اليوم، بـ«ابن العاهرة». «تعرفين ما قاله وهو على شفا الموت في عمر التاسعة والعشرين... جمهوري الأثير، شكرًا لكم. لكنني أؤمن ألا أمل في شفائي بعد الآن...»، هذا ما قاله. ابن العاهرة المجنون. شكرًا على ماذا؟! لم يعرف أبدًا أن أغانيه اللعينة هي ما قتلته».

سألته مرة: «بماذا تشعر عندما تستمع إلى أغنية مغنٍ فارق الحياة؟».

أفرع أشجار الشتاء خارج نافذة المقهى، حيث نجلس، مُضاءة بأنوار متلألئة، ذكّرتنا بأجواء الكريسماس. الأنوار المتلألئة في الأفرع التي تومض في الظلام تثير بداخلي رغبة دفينة بالرجوع إلى البيت. أردت العودة إنْ استطعت. لكن إلى أين بالضبط؟ ربما شعر بأنه سؤال غريب فقد اكتفى بالتحديق إليّ عبر المائدة.

«لا اختلاف كما أعتقد، عندما نصادف عملًا لكاتب ميت أو فنان ميت. لكن أليس من الغريب الاستماع إلى أغنية مغنٍ ميت؟». عندما كرّرت السؤال موضحة قصدي أكثر، رفع جسده من وضعية جلوسه المريحة، حيث كان يغوص عميقًا في مقعده.

«ربما لأنه صوتهم حقًّا. لأنه حقيقي للغاية؛ ليست مجرّد أغانٍ. سمعت

ذات مرة صوت زميل لي مات وهو يلقي الشعر. كان الأمر غريبًا جدًّا. ربما «عجيبًا» الكلمة الأدق لأن الأمر ليس «غريبًا». فصوت المرء بمثابة جزء من جسده. كما لو أن صاحب الصوت -حتى لو كان ميتًا- حيّ يرزق أمامك».

هل سبب ما ينتابني هو أن **هِي-جاي** لا تزال معي بجسدها بشكلٍ ما؟ فكلما فكّرتُ فيها، أغرق في صمت مفاجئ، تمامًا كما يحدث حين أستمع إلى أغاني أولئك الذين ما عادوا على هذه الأرض.

***

في اليوم التالي بعد المدرسة، عقب انتهاء اليوم الدراسي، تأتي ابنة خالي إلى فصلي لنتوّجه معًا إلى البيت.

كنتُ أجلس هناك في انتظارها عندما يبرز وجه **هِي-جاي** بشكل غير متوقّع من نافذة الممر بدلًا من وجه ابنة خالي.

يفاجئني الأمر وأمكث في مقعدي. حدّجتني **هِي-جاي** بنظراتها عبر النافذة. عندما أستمر في الجلوس هناك بوجهٍ خالٍ من أي تعبير، تدلف **هِي-جاي** إلى داخل الفصل عبر الباب في مؤخّرة الحجرة وتضع يدها على كتفي.

«هل ستذهبين إلى البيت؟».

قبل أن أستطيع إخبارها أنني أنتظر ابنة خالي، تأتي ابنة خالي عبر الممرّ وتنقر على النافذة بكفّها. كانت تشير إليّ بأن أسرع كي نغادر المدرسة. عندما ألتفت إلى ابنة خالي، تلتفت **هِي-جاي** إليها أيضًا متتبعة نظراتي. ربما تستشعر ابنة خالي شيئًا غير مألوف، فتدخل إلى داخل الفصل.

«ماذا تفعلين؟ فلنذهب».

أقدّم **هِي-جاي** إلى ابنة خالي قائلة إنها الفتاة التي قابلتها فوق السطح في ذلك اليوم.

«أرى ذلك».

تحدّق ابنة خالي إلى **هِي-جاي** باندهاش لوهلة ثم تسأل: «سمعت أنكِ تسكنين في الطابق الأول، أليس كذلك؟».

تجيب هِي-جاي: «أجل» وهي تنظر إليّ ولسان حالها يسألني من تكون.

«إنها ابنة خالي. تعيش معنا».

نسير مغادرات حرم المدرسة في الليل وقد تملكنا الحرج. تمشي ابنة خالي التي كانت تمنحني ذراعها في الأيام العادية لأتأبطه، على مسافة بجواري. أكاد أتأبط ذراع ابنة خالي لكنني أسحب يدي بسرعة خوفًا من أن تشعر **هي-جاي** بالهجر، وهكذا، ابنة خالي أمامي و**هِي-جاي** خلفي، أمشي بخطوات مرتبكة.

***

تجلس ابنة خالي أمام الحزام الناقل متجهّمة الوجه. كانت غاضبة من شيء ما. لا تجيبني حتى عندما أسألها عن أمر ما. تتركني وتذهب للغداء بمفردها. أهرول لألحق بها وأقف خلفها في الطابور، لكن ابنة خالي التي كانت عادة ما تناولني صينية وزوج من عيدان الأكل، تكتفي بتناول صينية وعيدان أكل لنفسها فقط. أحاول أن أخمّن ما يزعجها. هل ارتكبت خطأ؟ أفتش في عقلي لكن لا أجد إجابة. لأني آكل ببطء، لم أكن قد أنزلت ملعقتي على المائدة حين تنهض وتغادر الكافيتيريا ببرود. أُنزل ملعقتي سريعًا على المائدة وأتبعها. تغسل ابنة خالي يديها بمفردها عند صنبور المياه. أقترب منها وألكزها في جانبها بلطف كأنني أسألها عما يزعجها، لكن ابنة خالي تتصرّف كما لو أنني غير موجودة.

يحين العصر، ولا تزال ابنة خالي تتجاهل وجودي. تسحب المفكّ الهوائي وتربط البراغي وشفتاها مطبقتان. أستاء منها فأتجنّب النظر إليها بدوري. يداهمني فجأة إحساس بالغثيان والدوخة من دون سبب. عند الخامسة عصرًا، تسير ابنة خالي خارج موقع العمل بمفردها وتتوجّه إلى حجرة تغيير الملابس. بعد أن لاحقتها طوال اليوم، أستسلم الآن وأغادر موقع العمل بعدها بوقت طويل. أغسل يديّ عند الصنبور قبل أن أتوجّه إلى حجرة تغيير الملابس. عندما أخطو داخل الحجرة أجد ابنة خالي

التي كانت قد فرغت من تغيير ثياب العمل بزي المدرسة في طريقها إلى الخارج. بوجهٍ عابسٍ تشيح ابنة خالي بوجهها بعيدًا، فأشيح بوجهي بعيدًا أيضًا. أمشي متجاوزةً إياها وأهبط الدرج. حينها فقط تناديني ابنة خالي: «ألن تتناولي الطعام؟».

كان هذا أول ما تقوله لي ابنة خالي طوال اليوم. على الأقل لم تصبح خرساء. أقذف حقيبة المدرسة على الأرض وأصيح: «لماذا تتصرّفين هكذا؟ ماذا فعلتُ؟»، أنفجر باكية غاضبةً بسبب تجاهلها لي طوال النهار.

«لماذا تبكين؟ إنك تلفتين الآخرين إلينا».

«لماذا تتصرّفين هكذا؟».

تطاردنا نظرات الطالبات القادمات لتناول العشاء، ويتساءلن عما يحدث.

«إنك تلفتين الآخرين إلينا». تقول ابنة خالي وهي تدنو مني لتساعدني على النهوض، لكني أدفعها بعيدًا.

«لماذا تتصرّفين هكذا؟!».

«لماذا تناديها بـ«أوني»؟!».

«من هي؟».

«هي-جاي أو مهما كان اسمها».

لا أستوعب الأمر بصورة كاملة.

«لم تناديني قط بـ«أوني»، لكنك تتبعين هذه المرأة في كل مكان، المرأة التي بالكاد تعرفينها وتنادينها بـ«أوني، أوني»».

«رفضتِ الحديث إليّ طيلة النهار بسبب ذلك؟».

تطلق ابنة خالي ضحكة كما لو كانت تشعر بالخجل.

على متن الحافلة إلى المدرسة، تتلجلج ابنة خالي وهي تقول لي بنبرة اعتراف تخالف طبيعتها المألوفة: «لا تعجبني صداقتكِ مع تلك المرأة».

«...».

«ولا يعجبني عندما تبتسمين وتمسكين بيد تلك المرأة وتمشين جنبًا إلى جنب معها».

«امتنعتِ عن الحديث إليّ ليوم كامل بسبب ذلك».

«ماذا بيدي لأفعله غير ذلك؟ كنتُ غاضبة جدًا».

«لقد كدت أموت بسبب انزعاجي من تصرفاتك طوال اليوم».

«إذًا هل ستواصلين ما تفعلينه معها؟».

«ما الذي أفعله معها؟».

«هل ستواصلين مناداتها بـ«أوني»».

«يمكنني أن أناديكِ بـ«أوني» أيضًا».

تضحك ابنة خالي ضحكة مقتضبة.

ربما قد نسيت شجارنا المبكر هذا اليوم، أو ربما كانت خجولة من طريقة تصرّفها معي لأنه حين انتهى اليوم الدراسي، كانت ابنة خالي السبّاقة إلى تحية هِي-جاي التي وصلت قبلها إلى فصلي. أخذت ابنة خالي تتحدّث معها أكثر مني، وتمشي على مسافة أقرب إليها مني.

منذ ذاك اليوم، أمسيت أنادي ابنة خالي بـ«أوني». أينما ذهبنا، وفي أي وقت، أناديها: «أوني... أوني».

***

استلمت رسالة اليوم. الأدق أن أقول إنني قد عثرت عليها بدلًا من قول «استلمتها». ثمة حقيبة قماشية مُعلّقة على باب شقتي، تركها لي مالك الشقة السابق، يضع فيها عامل التوصيل منتجات الألبان التي أطلب توصيلها إلى البيت. في عصر هذا اليوم كنت أغادر البيت إلى السوبر ماركت. أدرت المفتاح في الباب ووضعته في جيبي ثم خشيت من احتمال إضاعته فوضعته داخل حقيبة القماش. بينما أهبط الدرج، فكّرت في استعادة المفتاح، فربما تَركه هناك إهمال جسيم مني، لكن في النهاية قرّرت تركه ومتابعة الهبوط قائلة لنفسي إنني سأعود في غضون ثلاثين دقيقة، أو ساعة على الأكثر.

عند عودتي، وضعت يدي داخل الحقيبة لأخرج المفتاح، لكنني أخرجت مظروفًا مع المفتاح. كانت رسالة أُلصق على مظروفها طابع بنحو 840 وونًا، ومرسلة بالبريد السريع. ربما أتى ساعي البريد أثناء غيابي، وعندما لم يفتح له أحد الباب، ترك المظروف في حقيبة الألبان، خاصة وأن ساعي البريد يعرف أنني أقطن هنا. لقد أرسل المرسل الرسالة بالبريد السريع، لكن لو لم أضع المفتاح في الحقيبة، ما كنتُ لأعلم بوجود رسالة بالداخل. من الذي يحمل أخبارًا عاجلة إلى هذا الحد كي يطلب تسليمها إليّ بالبريد السريع؟

مكتوب على المظروف: **هان جيونغ-سين**، مدرسة يونجدونجبو الثانوية للفتيات، سينغ-إل-دونغ، يونجدونجبو، سول.

كيف حالكِ؟

أدرّس في برنامج التعليم الليلي المخصّص لعاملات المصانع في مدرسة يونجدونجبو الثانوية للفتيات. أكتب هذه الرسالة بعد أن قرأت مقالًا عنكِ في الجريدة. أود أن أتقدّم بدعوة إليكِ كي تأتي للحديث مع تلميذاتي بصفتك كاتبة وخرّيجة من مدرستنا. وفقًا لما قرأته في الجريدة، تكوّن لديَّ انطباع أنك قد لا تكونين مستعدّة لمثل هكذا مناسبات. لكن في الآن نفسه، فكّرت أيضًا أنك قد لا تعرفين بأن برامج التعليم الليلية لا تزال تُقدّم حتى الآن، وأنه ربما إذا عرفتِ بذلك، فقد تقبلين عن طيب خاطر دعوتنا هذه.

عندما ذكرت أنكِ خريجة هذا البرنامج، أظهرت طالباتي اهتمامًا بالغًا، وقلن إنهن يُردن قراءة رواية السيرة الذاتية الخاصّة بكِ حالما تُنشر. طالباتي سيكنّ في المستقبل خريجات مدرستك نفسها، كما أنهنّ في الوقت نفسه سيكنّ قارئات لعملكِ الأدبي. إذا قررت القدوم فسأكون وزملائي -من قرّاءك أيضًا- متحمّسين للقائك كالطالبات.

في شهر فبراير الماضي عقب حضور حفل تخرج دفعة من طالباتي، ساهمت بمقال في جريدة **جوونغ-إنغ** اليومية. عندما قرأت المقال المنشور مع طالباتي، كنّ مسرورات جدًّا. سألتني طالبة مؤخّرًا: «ألن تكتبي شيئًا آخر في الصحافة؟ سيكون لطيفًا إنْ كتبتِ عنا»...

تجمّدت في مكاني لبرهة كما لو كنت تحت حصار مباغت.

لا تزال البرامج التعليمية الخاصّة بعاملات المصانع قائمة. لم أعرف ذلك. منذ مغادرتي لتلك المنطقة، ما عدت إليها مرة أخرى. ربما آثر عقلي الباطن الابتعاد عن ذلك الزمان والمكان. ربما حاولت أن أنفض عني كل أثر لرائحة المصنع تلطّخت بها.

لكن فجأة في منتصف التسعينات الآن، تخترق أصوات الحزام الناقل المتحرّك أذنيَّ.

***

ثمة فتاة كانت تقرأ **هيجل**، تدعى **مي-سيو**، ممثّلة الفصل ورفيقة مقعد الدراسة إلى يميني.

تفتح **مي-سيو** كتاب **هيجل** عندما تصل إلى المدرسة، وخلال الاستراحات بين الحصص تسحب الكتاب من تحت المنضدة لتتابع القراءة. في أثناء ذهاب **مي-سيو** إلى مكتب المعلمين، كنتُ أفتح الكتاب على الصفحة التي كانت تقرأها **مي-سيو**. أقرأ الجزء الذي حدّدته بقلمها الرصاص. أعجز عن فهم معناه، فأقرأه بصوت مسموع، لكنني لا أزال أعجز عن الفهم. تختطف **مي-سيو** الكتاب من بين يديّ عند رجوعها، وتبدي غضبها وهي تدفع الكتاب تحت المنضدة.

«إنه كتابي».

أحدّق في وجهها. لماذا أثار الأمر غضبها إلى هذه الدرجة - لم أسرق كتابها بل ألقيت نظرة عابرة عليه فقط. عندما يكاد يحين موعد عودتنا إلى البيت، أطرح سؤالًا على **مي-سيو**:

«بخصوص ذلك الكتاب، هل تفهمين كل شيء ورد فيه؟».

«لماذا تسألين؟».

«لأنه يبدو لي كتابًا عويص الفهم».

«لا أفهمه أنا أيضًا».

أنظر إليها ببلاهة. فتقول:

«لماذا تنظرين إليّ هكذا؟».

«لماذا تتابعين قراءة كتاب بتركيز عميق بالرغم من أنكِ لا تفهمينه».

تلتقط **مي-سيو** كتاب **هيجل** من تحت المنضدة وتضعه داخل حقيبتها.

«الأمر ليس من شأنكِ». تحمل حقيبتها وتغادر على نحو مفاجئ كما لو أن كلامي سخيف.

لاحقًا بعد أن تتوطّد علاقتنا، تذكر **مي-سيو** كتاب **هيجل**: «فقط حينما أقرأ هذا الكتاب، أشعر بأنني مختلفة عنكم جميعًا. لا تروقون لي أيها البشر».

الآن في التسعينات، أفكّر، هل لا تزال تقرأ إحداهن **هيجل** في ذلك الفصل اليوم؟!

***

نتلقّى حصص موسيقى.

عندما نصل إلى المدرسة قرب الغسق، نلمح معلم الموسيقى يغنّي وهو يغسل سيارته. سيارته مرئية حتى من على مبعدة، تلمع في ضوء الشمس الغاربة. يبدو أنه قد حلم يومًا بأن يكون مغنّيًا للأغاني الكلاسيكية. حين يخبره أحدهم أن صوته يشبه صوت **أوم جونغ هانغ**، المغنّي المشهور صاحب الصوت الجهوري، يضحك بسرور طفولي جَذِل. الأغنية التي جعلنا نتغنّى بها بعد نشيد مدرستنا كانت أغنية تحمل اسم «**الحنين إلى الماضي**».

ورثة تراث ثقافي بديع، يتأمّلون السَرَيان العظيم لنهر هان الأزرق.

عندما يأتي أبريل المُزهر من جديد، يفيض قلبي.

محبوبي الجميل ينتظر قرب معبر الجبل، وراء التلال الخضراء المشرقة.

يُطلب منا إنشاد أغنية «**الحنين إلى الماضي**» على نغمات عزفه للبيانو من أجل الاستعداد لامتحان الموسيقى. عندما نتحرّك مغادرات حصة الموسيقى، يتردّد صدى الغناء ما بين مقدّمة ومؤخرة حشد الطالبات.

أين وطن أيامي الغابرة، بجباله المغطاة بالأزالية، والبوم ينعب على مبعدة. أين محبوبي؟...

يقع فصل الموسيقى في الطابق الأول من المبنى الملحق بالمدرسة خلف المبنى الرئيسي. في المبني الرئيسي، تُجرى الحصص الليلية المكثَّفة من أجل طالبات السنة الأخيرة من البرنامج التعليمي الصباحي لتهيئتهنّ لامتحانات دخول الجامعة. علينا أن نتجاوز شجرة الليلك بجوار المبنى الرئيسي كي نصل إلى الفصل بعد انتهاء حصة الموسيقى.

أخبرني أنك تحبني، يا محبوبي العزيز إلى قلبي. من دونك لن يأتي الربيع أبدًا.

فجأة ينفتح شبّاك أحد فصول المبنى الرئيسي بصرير عالٍ وتصيح طالبات البرنامج الصباحي في أثناء حصتهن: «اخفضن أصواتكنّ!».

تردِّد إحدى الطالبات اللاتي كنّ يغنّين: «هل أسمع أي صوت؟ إنني لا أسمع أحدًا يُحدث ضوضاء».

«نحاول الدراسة هنا».

«ومن يمنعكنّ عن ذلك؟».

«لا يمكننا التركيز مع كل الضوضاء التي تحدثنها. اخفضن أصواتكنّ عندما تعبرن بالقرب من هنا».

«أغير مسموح لنا بالغناء حتى؟!».

«لا تختلفن عن المتسولين!».

يعمّ السكون في لحظة. ينتهي تراشق الكلمات إلى صمت مع تلك العبارة، «لا تختلفن عن المتسولين». يتوقّف الغناء الذي استمرّ في الخلفية

بهدوء، أيضًا. «لا تختلفن عن المتسولين». يوجّهن الكلام إلينا، لكن ربما الكلمات قد أرهبتهنّ أيضًا. عندما يستمر هذا الجانب في صمته، يغلق الجانب الآخر الشبّاك برقّة. تقف شجرة الليلك وحدها بين الجانبين. نقف ساكنات هكذا لبرهة قبل أن تتشجع إحدانا تتحرَّك نحو فصلنا. خطوات ضعيفة هادئة تتهادى على الأرض تتجاوز شجرة الليلك. سيقاننا بعد الحركة بلا هوادة طوال اليوم في موقع العمل في المصنع، تمشي الآن بحركة خرساء أسفل النافذة المضاءة بنور ساطع على الجانب الآخر. بعد هذه الحادثة، نكف عن الغناء مرة أخرى أثناء مغادرتنا لحجرة الموسيقى.

لا تزال الأغنية محفورة بوضوح في صدري:

عندما يأتي أبريل المُزهر من جديد، يفيض قلبي.

***

ذات ليلة بينما أفتح باب العلّية، يصيبني الذعر. يسقط شيء ما من داخل العلية عند قدمي بصوت مسموع. كان المكان معتمًا. أُطلقُ صرخة من صدمتي البالغة. على أثرها يلتفت إليَّ أخي الأكبر. كان ذلك الشيء الذي سقط عند قدمي -لدهشتي- باروكة.

«فتاة تحدث كل هذه الضجة؟!».

يلتقط أخي الأكبر الباروكة ويعلّقها على الباب من الداخل. لا بد أنه علّق الباروكة على مسمار على الجانب الآخر من باب العلية، وعندما سحبتُ الباب بقوة، سقطت.

«ما هذا الشيء يا أوبا؟».

لا يجيب. عندما أكرّر السؤال، يقطع حديثنا ضجيج قطار عابر. بينما نلتفت إلى داخل الحجرة لقضاء الليل، يشرح لي أخي الأكبر الأمر قبل أن يعود أخي الثالث.

«سوف أعطي دروسًا في مركز تدريس خاص في **أنيانغ** بدءًا من صباح الغد».

ألوذ بالصمت.

«عليّ أن أصل إلى هناك في حوالى السادسة صباحًا، لذا لا داعي أن تستيقظا وتنشغلا بإعداد الفطور من أجلي».

«...».

«بعد أن أنتهي من إعطاء الدرس، سوف أمرّ على البيت لأبدِّل ثيابي، لذا إنْ استطعتما إعداد بعض الغداء ولفّه من أجلي سيكون عظيمًا».

تسأله ابنة خالي: «ماذا سوف تُدرِّس؟».

«اللغة الإنجليزية».

أفتح عينيّ فجرًا على صوت أخي الأكبر وهو يضيء النور بحرص. عندما يلاحظ أنني مستيقظة، يشير إليّ أن أخلد إلى النوم ثانية. لو نهضت من مكاني، لبدت هذه الحجرة الضئيلة أكثر ازدحامًا. أغلق عينيّ وأتظاهر بأنني قد عدتُ إلى النوم، ثم من خلال عينين نصف مفتوحتين، أراقب حركات أخي الأكبر. يفتح باب العلية بهدوء ثم يقف أمام المرآة المعلّقة بجوار النافذة التي تطلّ على محطة قطارات الأنفاق. يعتمر الباروكة فوق رأسه الصلعاء. يخلعها ويعتمرها مرة أخرى كما لو أن شيئًا غير صحيح. يجرّب عدة وضعيات. عندما يلتفت ليلتقط حقيبته من فوق مكتبه، ألمح وجهه تعلوه الباروكة فأدخل في وصلة ضحك. كانت الباروكة المفروقة عند المنتصف رديئة الصنع؛ يمكن لأي أحد أن يميّز أنها باروكة.

«هل أبدو مُضحِكًا؟».

يزيح أخي الأكبر خصلات الشعر عن جبهته. لكن لأنها باروكة فإن خصلات الشعر مصمَّمة كي تسقط فوق الجبهة، لذا لا تجدي حركته وتعاود الخصلات السقوط في لحظة. ينظر في المرآة مجدّدًا.

«هل أبدو غريبًا جدًا؟».

«لا تبدو أنتَ».

يكتسي وجه أخي بالجدية أمام المرآة: «هل أبدو كطالب في جامعة سول الوطنية؟».

أضحكُ وأنا لا أزال تحت الملاءات. «لقد أخبرتهم أنني طالب في

جامعة سول الوطنية. فمن ذا الذي سيلتحق بفصلي إذا عرفوا أنني في الخدمة العسكرية؟».

يطفئ أخي الأكبر نور الحجرة حريصًا ألّا يخطو فوق جسد أخي الثالث الذي عاد أثناء نومنا، ويستغرق في النوم الآن ووجهه مواجه للحائط.

«عودي إلى النوم الآن».

بينما يفتح الباب ليغادر، أرى الظلام في الخارج عبر فجوة الباب. يلتقط حذاءه من على الرَّفّ في الظلام ثم يهبط الدرج، لخطوات أقدامه وقعٌ ثقيلٌ.

أسمع صوت أخي الأكبر يفتح باب الحمّام الخشبي في نهاية الدرج، ثم صوته وهو يخرج من الحمّام ويدفع بوابة المنزل ليغادر. صوته وهو يهبط الزقاق نحو محطة قطار الأنفاق. الساعة الخامسة صباحًا. معدته فارغة. يصل القطار فجرًا فارغًا كمعدته الخاوية. بعد أن يفرغ من إلقاء الدرس، يسلك الطريق نفسه الذي سلكه وقت الفجر عائدًا إلى البيت حيث ينزع باروكته ويعلّقها على الجانب الداخلي من باب العلية، ثم يخلع بدلته ويعلّقها في دولاب الملابس. يتناول فطوره الموضوع فوق المائدة في الحجرة الخالية، يغمس الأرز في حساء الخس، قبل أن يغادر إلى العمل في مركز الخدمة الاجتماعية، حاملًا صندوق غدائه. ذات يوم يعلن بوجه مشرق أنهم قد طلبوا منه تدريس فصل مسائيّ أيضًا. الآن بات يومه يسير في خط دائري؛ في الفجر يعتمر باروكته وبدلته ويتوجه إلى مركز التدريس حيث يدرّس فصله ثم يعود إلى البيت، يتناول إفطاره ويرتدي زيّه العسكري وينطلق حاملًا صندوق غدائه، ثم يرجع إلى البيت ثانية ليرتدي بدلته وباروكته ثانية ليتوجه إلى مركز التدريس في المساء، وهلمَّ جرًا.

***

من مكان موحل في أعماقي، يرفع شيء ما رأسه بمجهود عظيم ويصرخ: ماذا تحاولين أن تفعلي؟ ماذا تحاولين أن تحقّقي بنبشكِ في تفاصيل قديمة مُلتبِسة؟ لا تحاولي كتابة ملخَّص، تُدرجين فيه الحوادث

وفقًا لترتيب زمني. سيجعل ذلك قصتكِ مصطنعة أكثر فأكثر. لستِ تحت إيهام أن الحياة فيلم سينمائي، أليس كذلك؟ لا تعتقدين بأنه قد يكون للحياة حبكة درامية واحدة لا تحيد عن مسارها؟

***

أخبرني أخي الأكبر، أن الأمر قد حدث بعد فراق أبي للحياة. يقول: أتذكّر أنني كنت في الحمّام أفرّش أسناني. كان أبي كثيرًا ما يتنحنح مصدرًا سعالًا جافًا، كما تعرفين، أثناء غسله أسنانه. حدث ذلك بعد موته حيث كنت أفرّش أسناني وأجد نفسي أتنحنح مصدِرًا سعالًا جافًا من دون أن أشعر بذلك. توقّفت عن تفريش أسناني. تلفَتّ حولي باحثًا عن أبي غير قادر على استيعاب أن الصوت صادر عني. فقط بعد مرور برهة من الزمن قلتُ لنفسي: لقد مات أبي. تابعت تفريش أسناني وقد تسلّل إليّ شعور بالغرابة. كانت تلك هي اللحظة التي شعرت فيها حقًا لأول مرة بغياب أبي. أعتقد بأن الإحساس بالغياب يمكن أن يتجسّد في أماكن غير مُتوقّعة. غياب الموت بالتحديد يصعب الشعور به في البداية. ندرك بالتدريج في حياتنا اليومية أن الشخص لم يعد هنا، أننا لن نستطيع رؤيته مرة أخرى. من خلال أشياء مثل مرأى مقعد كان يحب الجلوس عليه أثناء حياته، أو البقعة التي كان يبقي فيها الصابونة الخاصّة به في الحمام، أو تذكر الطريقة التي كان يرتدي بها جواربه - أشياء قد تبدو تافهة كتلك الأشياء. أشياء لا يتضمّنها التاريخ أو يعيرها اهتمامًا الترتيب الزمني للحوادث.

***

يزداد أخي الثالث هُزالًا مع مرور الأيام. أدسّ ثلاثة آلاف وون في جيبه خلسة، تقول ابنة خالي إن مخزون قوالب الفحم قد نفد.

«ماذا سنفعل؟ لقد صرفنا مصروف الشهر كله؟».

لا أجد مفرًّا من أن أسترد الثلاثة آلاف وون من جيب أخي الثالث وأعطيها لابنة خالي.

يزداد أخي الثالث هزالًا أكثر فأكثر. عندما أُخرج صندوق الغداء

الفارغ من حقيبة جامعته، تخرج معه منشورات مطبوعًا عليها: « فليسقط الديكتاتور. أوقفوا العمل بدستور **يوشين**». يعود متأخّرًا ليلًا. يخلع ثيابه المشبَعة برائحة الغاز المسيل للدموع، ويستلقي على الأرض بجوار أخي الأكبر ويروح في النوم. لا يبوح بالكثير عن أي شيء.

ذات ليلة كنا نتوجّه مباشرة من المدرسة إلى البيت من دون أن نضطرّ إلى التوقّف لشراء البقالة. نهبط من الحافلة ونسير في الشارع الذي تحدّه الأشجار وسط المصانع حين تهتف ابنة خالي: «إنه أخوكِ الثالث!». كان أخي الثالث ينام على دكّة خشبية تحت إحدى الأشجار وحقيبة جامعته محشورة أسفل رأسه كوسادة. أهزّه لأوقظه.

«أوبا، لماذا تنام هنا في العراء؟».

«لقد فكرت في الاستلقاء هنا لدقيقة لكنني استغرقت في النوم».

يعتدل في جلسته ببط.

ثم في نهار آخر، كنت أحضّر غداءه لكنني لم أجد صندوق غدائه.

«أحضر صندوق غدائك إليّ».

لا يحضره فأفتح الباب وأطلب منه ثانية أن يحضره.

«لقد فقدته».

«صندوق غدائك؟».

«كنت أغفو فوق تلك الدكة الخشبية حين سرق أحدهم حقيبتي».

«لماذا تصرّ على أن تنام في العراء هناك؟ ينبغي أن تعود إلى الحجرة وتنام».

يبتسم أخي الثالث بخجل.

«الحجرة مكتظّة في الظروف العادية، وإذا عدت باكرًا فسوف تشعرين وابنة خالي بالانزعاج بينما أستبدل ثيابي واغتسل».

***

ذات ليلة يجلب أخي الأكبر إلى حجرتنا المنفردة امرأة، يشبه وجهها الدمية.

«هذه أختي وهذه ابنة خالي».

تدعى المرأة التي تشبه الدمية **ميونغ**. تمتلك عينين ضخمتين، ورموشًا طويلة، وجسدًا صغيرًا، ويتدلّى من عنقها الطويل عقد ذهبي أصفر. لها أصابع رفيعة، وترتدي تنورة قصيرة وحذاء كعبه عاليًا. تمكث المرأة لبرهة جالسة في الحجرة ثم تنصرف.

«من هذه المرأة يا أوبا؟».

«...».

«صديقتك الحميمة؟».

«...».

«لماذا جلبتها إلى هنا؟».

مكتبة
t.me/t_pdf

«...».

« لماذا؟ أتعجبكَ؟».

«حسنًا، الأمر لا يتعلّق بذلك».

«إذا ما الأمر؟».

«...».

«كان يجدر بكَ أن تصحبها إلى مكان آخر بدلًا من إحضارها إلى هنا. إنه تصرّف ساذج. لو كنتُ صديقتك الحميمة، لكنت لذت بالفرار».

«لماذا؟».

«لا أعرف. هذا فقط ما جال بخاطري».

يقول أخي الأكبر: «لماذا أيتها الصغيرة الـ...»، ثم يضحك. يقول لي إنها لم تكن لتوافق على الخروج معه إلى مكان آخر. يداخلني شعور بالقلق أنها سوف تجلب إليه الحزن يومًا ما.

***

أصل إلى المدرسة ذات يوم لأجد طالبة من برنامج الدراسة الصباحي تنتظرني.

«هل أخذتِ سترتي الرياضية من خزانة الثياب بالخطأ؟».

أهز رأسي.

«أين اختفت إذًا؟».

كانت رقم ستة وخمسين في موقع العمل في المصنع. نتشارك أنا وهي طاولة الدراسة والخزانة نفسها. تصفع باب خزانة الثياب بعنف وتندفع خارجة وهي تحمل حقيبة المدرسة.

«لا أستطيع انتظار الانتقال إلى السنة الدراسية الثانية».

في عامها الثاني، لن تضطرّ إلى مشاركة فصلها معنا. سوف تنتقل إلى الدراسة في المبنى الرئيسي. لأن برنامجنا الدراسي يشمل عددًا محدودًا من الفصول، فلن ننتقل إلى المبنى الرئيسي حتى في عامنا الثالث. تعود الطالبة إلى الحجرة وترميني بكلمات لاذعة:

«رجاء ابقي يديكِ بعيدًا عن خزانتي».

عندما ترحل، أخطو لأقف أمام المرآة. تبدو عيناي خاويتين. تدلف مي-سيو إلى الحجرة وتسألني ما الخطب.

«سترتها الرياضية مفقودة».

«وتتهمك بأخذها؟».

«...».

«لماذا تقفين هناك من دون أن تفعلي أي شيء بينما تتّهمك إحداهن زورًا؟!».

«لا أقف هنا فقط من دون أن أفعل أي شيء. أنا مستاءة بشدة الآن.».

ردّي الجاف يرغم مي-سيو التي تعمل في شركة أدوية على أن تسحب كتاب **هيجل** الخاصّ بها وتشرع في القراءة.

***

أشعر بنفور من الذهاب إلى المدرسة. لا أرغب في أداء واجب الحساب بالمعداد، ولا أن أُخرج مفكّرة المحاسبة من حقيبتي. أخبر ابنة خالي أنني لن أذهب إلى المدرسة مرة أخرى.

«عمّا تتحدثين؟».

«لا أريد الذهاب إلى المدرسة».

«أنتِ؟ لا تريدين الذهاب إلى المدرسة؟!». تضحك ابنة خالي كما لو أنها لا تصدِّقني.

«لن أذهب إلى المدرسة بدءًا من اليوم. فلتذهبي بمفردكِ».

تكتفي ابنة خالي بالابتسام كما لو أنها تستمع إلى مزحة، لكن عندما تحين الخامسة عصرًا، أنعطف إلى الشارع المؤدّي إلى حجرتنا المنفردة عوضًا عن ذلك المفضي إلى موقف الحافلة فتجذبني من ذراعي.

«ما خطبكِ؟».

أحدّق إليها من دون أن أفتح فمي.

«ستتركين المدرسة حقًّا بهذه السهولة؟!».

أومئ برأسي.

«كفاكِ مزاحًا. سوف نتأخر».

«أنا جادة. لن أذهب».

«سيثور أخوك الأكبر، تعرفين ذلك».

«كيف سيكتشف الأمر إذا لم تخبريه؟».

«ما سبب هذا التغيّر المفاجئ؟».

«لم أعد أحبّ المدرسة بعد الآن».

«ما الذي لا تحبينه في المدرسة؟».

«لا أحب مادة الحساب بالمعداد ولا مادة المحاسبة، لا شيء أحبه. لذا تابعي الطريق إلى المدرسة. سأشتري البقالة وأنظّف الحجرة وأنهي كل شيء».

«ماذا لو عاد أخوك الأكبر إلى البيت مبكرًا؟!».

نفترق. أسير ببطء في شوارع المجمّع الصناعي عائدة إلى الحجرة المنفردة. يبدو أن أخي الأكبر قد انتهى منذ لحظات من خلع زيّه العسكري وارتداء بدلته وباروكته، وغادر البيت. أعلّق زيّه العسكري على مسمار وأجلس في خمول. عاجزة عن استيعاب حقيقة أنني وحدي في هذه

الحجرة التي كانت تبدو دائمًا مكتظة، أجلس ثم أقف ثم أحاول الرقود مرة أخرى. استلقي على بطني وأقرأ بضع صفحات من **صليب شافان**، الكتاب الذي أهداه **تشانغ** إليّ، ثم أرقد على ظهري وعيناي مصوبتان نحو السقف قبل أن أتقلّب مرة أخرى وأشرع في كتابة رسالة إلى **تشانغ**:

> لا أرغب في تحمّل كل شيء بعد الآن. ما أردت أن أفعله في المدرسة ليس تعلّم الحساب بالمعداد أو الكتابة على الآلة الكاتبة. أردت قراءة الكتب وتعلّم الكتابة الإبداعية. كي أقوم بذلك، ظننت أنه يجب عليّ الذهاب إلى المدرسة. لكن يبدو أن فعل هذين الشيئين لا علاقة له على الإطلاق بالمدرسة.

أتوقّف عن الكتابة هنا، وأفتح النافذة لألقي نظرة على محطة قطارات الأنفاق. كلما توقف قطار، تتدفّق خارجه كتلة من الرؤوس سرعان ما تتلاشى. أخطو خارجًا إلى المطبخ وألتقط زجاجة من مشروب السوجو من الرَّفّ السفلي للخزانة وأصبّ كمية صغيرة منها في كأس وأتجرعها.

أعود إلى الحجرة وأتابع الكتابة.

> ... لا يوجد حولي سوى بشر فظيعين.

أتوجّه إلى محطة قطارات الأنفاق وأجثو على ركبتي في انتظار أخي الأكبر. يسير أخي الأكبر خارجًا من المحطة عبر المخرج على مبعدة، قرابة منتصف الليل.

«أوبا!».

عيناه الغائرتان عميقًا في محجرَيْهما من الإرهاق تتّسعان دهشةً. ينتابني وأنا أشاهده في الخارج وهو يعتمر باروكته شعور كأنه غريب، ليس فردًا من عائلتي، أنفجر ضاحكة بصوت مسموع كما لو كنت قد صادفت شخصية هزلية. يبدو أنه يجد الأمر مضحكًا أيضًا، وبمجرد أن ينعطف إلى داخل الزقاق، ينزع الباروكة ويحملها في يده.

«لماذا أنتِ في الخارج هنا؟ لماذا؟».

«أصابني الضجر».

«تمتلكين الوقت كي تضجرين؟». يضحك أخي الأكبر، السائر أمامي، ضحكة جوفاء.

***

في اليوم التالي عند عودتها من المدرسة، تصعد أوني هِي-جاي إلى الطابق الثالث وتفتح باب حجرتي. يتراءى لي أنها لم تمرّ بحجرتها حتى في الطريق إليّ، فلا تزال تحمل حقيبة مدرستها في يدها. في اليد الأخرى كانت تحمل حقيبة ورقية بيضاء ممتلئة حتى حافّتها بشيء ما. لا تسألني حتى لماذا لم أذهب إلى المدرسة. تضع الحقيبة الورقية وتبتسم في شحوب قبل أن تهبط الدرج. يصلني وقع خطواتها وهي تنقر على درجات السلم حتى الطابق الأول. أنظر داخل الحقيبة لأجد كعك الأقحوان الحلو لا يزال يحتفظ بدفئه.

***

مضى حوالى أسبوع على توقّفي عن الذهاب إلى المدرسة.

عند رجوعها من المدرسة، تفتح ابنة خالي الباب وتناديني بصوت خفيض: «معلمكِ هنا».

أحدّق إلى ابنة خالي بنظرة بلهاء.

«قال إنه يرغب في زيارتك في البيت فأحضرته إلى هنا».

يجتاحني القلق من احتمال قدوم أخي الأكبر إلى البيت ورؤيته، لكن المعلم تشوي يأخذ وقته كي يتفحّص الحجرة. يطلب مني أن أتمشّى بصحبته إلى موقف الحافلة. أنتعل حذائي وأرتدي معطفي وأتبعه إلى الخارج. يربّت على كتفي بلطف في الزقاق بالخارج.

«إذًا ماذا يجري؟».

أشخص ببصري إلى الأمام في صمت.

«لقد لفتَ انتباهي أنكِ قارئة، وأنك تستمتعين بالمدرسة، إذًا لماذا توقّفتِ فجأة عن القدوم إلى المدرسة؟».

«...».

«ما الخطب؟»

«...».

«توجد لائحة في لوائح المدرسة بضرورة إخطار الشركة التي تعمل فيها الطالبة إن تخلفت أي طالبة عن الحضور إلى الفصل».

أخمِّن أنه يقول الحقيقة. وأعلم أنه إذا تركت طالبة العمل في المصنع، فسوف تُبلَّغ المدرسة بذلك أيضًا. فكون الطالبة عاملة شرط للالتحاق بالمدرسة. وإذا لم أذهب إلى المدرسة، فليس من حقّي أن أغادر العمل عند الحزام الناقل في الخامسة عصرًا. عند موقف الحافلة، يحثّني المعلم تشوي على القدوم إلى المدرسة في اليوم التالي.

«لنتحدث باستفاضة بمجرّد أن تعودي إلى المدرسة.».

بينما يصعد إلى متن الحافلة، يلوّح بيده إليّ. تقف خلف يده مداخن المصانع عالية ومسنَّنة. أشعر كأنني قابلت شخصًا في المصنع لأوَّل مرة. بعد أن تبتعد الحافلة، أبقى واقفة في مكاني. ألمس كتفي بيدي، لا يزال دافئًا من لمسة المعلم تشوي.

في اليوم التالي يستدعيني المعلم تشوي إلى مكتبه ويطلب مني كتابة تقييم ذاتي عن فترة غيابي عن المدرسة.

«اكتبي كل شيء. كل ما ترغبين في قوله وسلّميه خلال ثلاثة أيام.».

كي أكتب تقييمًا ذاتيًا عن فترة غيابي، أشتري مفكرة من متجر قرطاسية في الجهة المقابلة للمدرسة. كما كتبت آنفًا إلى رئيس الاتحاد العمالي عن لماذا يجب أن أحضر وابنة خالي إلى المدرسة، أكتب هذه المرة إلى معلّمي عن أسباب عدم رغبتي في الذهاب إلى المدرسة. بينما أكتب، تبدأ أشياء في التدفّق من قلبي إلى الورق. أكتب أن الحياة التي وجدتها هنا ليست حياة المدينة التي تصوّرتها في ذهني، وأن الحياة في المدرسة ليست حياة المدرسة التي تخيّلتها، وأنني لا أرغب في دراسة مادة الحساب بالمِعداد ولا عِلم المحاسبة، وأن كل ما يجول في خاطري الآن هو أخي الأصغر،

وما أريده هو العودة إلى القرية والحياة بصحبة أخي الأصغر. يطول التقييم الذاتي حتى تملأ الكلمات ثلث المفكرة.

يقول المعلم **تشوي** بعد قراءة تقييمي الذاتي: «لماذا لا تحاولين كتابة الروايات؟».

كان لكلمة «كتابة» وقع الصاعقة عليّ. كانت هذه أول مرة يقول لي أحدهم ذلك. حاولي كتابة الروايات.

استطرد: «لا يجب عليك الحساب بالمعداد إن لم ترغبي في ذلك. فقط لا تتوقّفي عن القدوم إلى المدرسة. سوف أتحدّث مع المعلمين الآخرين. افعلي ما يحلو لكِ لكن لا تتغيبي عن المدرسة».

يناولني كتابًا: «هذه أفضل رواية قرأتها مؤخرًا».

العنوان على الغلاف: «**القزم يطلق كرة صغيرة**»(1). أعود إلى الفصل وأفتح الكتاب.

يدخل المعلم تشوي إلى الفصل. تلاحظ الطالبات أنه لا يحمل كتابه في يده. تثق الطالبات فيه. كان المعلم الوحيد في المدرسة الذي تثق فيه الطالبات.

معلّمي السيد **تشوي هونغ-إي**. أصبحت أذهب إلى المدرسة كي أراه. كل الاشتياق الذي كان محبوسًا بداخل قلبي بعد انتقالي الصعب بعيدًا عن الوطن، يجد طريقًا جديدًا يتمثّل في المعلم تشوي. غدوت أحمل «**القزم يطلق كرة صغيرة**» معي دائمًا. أينما ذهبت، أقرأ الكتاب. أكاد أحفظه عن ظهر قلب. تسألني أوني **هِي-جاي** عن نوعية هذا الكتاب.

«رواية».

---

(1) القزم يُطلق كرة صغيرة: الرواية الأشهر للكاتب الكوري « تشو سا-هِي». عمل أدبي جريء ينقد اجتماعيًا الثورة الصناعية التي شهدتها سول في السبعينات. تجمع بين الواقعية والفانتازيا، وتستخدم الكثير من الرموز العلمية. نُشرت سنة 1978.

«رواية؟». تتساءل ثم تنحني برأسها إلى الأسفل وقد بدا عليها عدم الاهتمام. لقد شغل المعلم **تشوي** قلبي كلّه. حتى حين لا أحل مسائل الحساب بالمعداد، يتجاوزني معلم الحساب بالمعداد من دون تعليق. حتى حين لا أدوِّن قوائم الميزانية العمومية في دفتر المحاسبة، لا يناقشني معلم المحاسبة في الأمر.

في حصة الحساب بالمعداد، أفتح آخر صفحة في دفتر مادة اللغة الكورية وأنسخ «**القزم يطلق كرة صغيرة**».

سمى الناس أبي قزمًا. كان الناس محقّين. كان أبي قزمًا. لسوء الحظ، كان الناس على صواب في طريقة رؤيتهم لأبي، لكن كانوا مخطئين بخصوص كل شيء آخر. أنا مستعد للمخاطرة بكل شيء نمتلكه نحن الخمسة -أبي وأمي **ويونغ-هو ويونغ هِي** وأنا- كي أقول في أي وقت أنهم كانوا مخطئين. حين أقول « كل شيء»، فإن ذلك يشمل حياة أفراد أسرتنا الخمسة.

أصبحت الآن أنسخ «القزم يطلق كرة صغيرة» إلى دفتري حتى أثناء جلوسي على الحزام الناقل في المصنع.

البشر الذين عاشوا في نعيم الجنة لم يضطرّوا إلى التفكير في الجحيم، لكن خمستنا عشنا في الجحيم وفكّرنا في الجنة. لم يمض يومٌ لم نفكّر فيه في الجنة. لقد استنزفنا كل يوم من حياتنا. كانت حياتنا حربًا. لقد دفعنا كل يوم ثمنًا لهذه الحرب. لكن أمي تحمّلت كل شيء.

لو اقترحَ عليَّ المعلم تشوي أن أقدح الشعر بدلًا من كتابة الرواية لكنتُ حلمتُ أن أكون شاعرة. احتجت إلى حلم... محض حلم... كي أتمكّن من اجتياز كل يوم في المدرسة، كي لا يضيق صدري وأنا أمسح باروكة أخي الأكبر، كي أطيق الدخان المتصاعد من مداخن المصنع. كي أواصل الحياة.

هكذا بدأتُ كتابة الروايات.

***

حملت رسالة المعلمة في مدرسة عاملات المصنع، هان جيونغ-سين معي في حقيبتي حتى منتصف ديسمبر. من وقت إلى آخر، أُخرج الرسالة وأقرأ الجزء الذي يذكر أنني يمكنني الاتصال بهذا الرقم 8424596 في المساء ما بين الخامسة والنصف والتاسعة ليلًا. بعد إخراج الرسالة وقراءتها عدة مرات، حفظت رقم هاتفها في ذاكرتي. مع هذا لم أقوَ على الاتصال بها. مضى الزمن من دون توقّف وحلت الأسابيع بين أول ديسمبر ومنتصفه التي أرادت هان جيونغ-سين مني أن أزور المدرسة فيها ثم ولّت. حين فكّرت أنهم لا بد في العطلة الشتوية الآن، أخرجت الرسالة من حقيبة يدي ودسستها في درج، وأنا أحسب في ذهني عدد السنوات التي مرّت منذ مغادرتي المدرسة. ثلاث عشرة سنة.

لقد ظننت أنني الآن بعد كل هذه السنين سأكون على مسافة موضوعية من الماضي. عندما قررت الكتابة عن تلك السنين، خُيّل لي أنني قد تخطّيت تلك الحقبة من حياتي. لذلك قرّرت أن أكتب بأكبر قدر ممكن من التفصيل عن ذلك الزمن، أن أسترجع ذاكرتي عن ذلك الزمن كي أتمكّن من البوح بمكنون صدري. فلربما من خلال ذلك قد تتمكّن خطوات أقدامي التي بُترت عند بوابة حياتي المغلقة في وجه الماضي من معاودة الاتصال والمضيّ قدُمًا.

لكن أتضح لي أن جروحي لا تزال طازجة، لم تنشف بعد، وبدا لي أنني لم أستطع تجاوز أي شيء، وأن رغبتي قد انتصرت حتى قبل أن تنشف جراحي، الرغبة في أن أكتب شيئًا عن ذاك الزمن قبل أن أصبح بعيدة كل البعد عنه، قبل ألا يعود لدي أي شيء لأقوله عنه، قد سيطرت عليَّ. فإنْ لم يكن الأمر كذلك، فلماذا أشعر بتوتّر بالغ، وعار جسيم، وخوف شديد إلى درجة تفاجأت فيها من نفسي؟ كيف سمحت لنفسي أن يقهرها الخوف من الآخرين لدرجة أنني وضعت كل تركيزي من أجل حماية نفسي فقط؟ لو أن الجروح قد نشفت، لو أنني قد رميت كل ما حدث وراء ظهري حقًّا، فلماذا تمتلئ عيناي بالدموع؟

إذا أخبرني أحدهم أنه قرأ الفصل الأول الذي نُشر، تتبخّر فجأة رغبتي في أن أكون مع ذلك الشخص في المكان نفسه. أرغب في الفرار بسرعة بعيدًا عن هذا الشخص وأن أكون بمفردي.

أصبحت سلبية بشكلٍ مبالَغ فيه مع قدوم ديسمبر وبداية السنة الجديدة. كنت أشعرُ إما بحنق شًديد أو تبلّد في المشاعر. امتنعت عن القراءة والاستماع إلى الموسيقى ومشاهدة التلفاز. أكون واقفة أو جالسة أو مستلقية حين ألاحظ شيئًا ما تافهًا مثل خصلة شعر في حسائي، فتثور ثائرتي. بعد أن أخوض غمار ثورة داخلية، تدفعني إلى جمع كل فُتاتة خبز تتناثر على الأرضية بأن أُبلّل إصبعي بريقي وألتقطها واحدة تلو الأخرى، ينتهي بي الأمر وقد أصابني الدوار. أغفو في أي وقت من اليوم مما يعني أنني لا أحظى أبدًا بقدر كافٍ من النوم. يصيبني صداع مزعج فجأة في أي يوم من دون مقدّمات. وعندما يتحدث إليّ أحدهم، أصبّ جل تركيزي على شيء عشوائي تافه قاله وأؤوِّل معناه بأبشع صورة ممكنة.

في وقت مبكر ذات صباح، فتحت الباب لأجلب الجريدة. دفعت الجريدة إلى الداخل ثم مشيت إلى الخارج. كان أحد تلك الصباحات حيث شكّل الثلج المنهمر طوال الليل كثبانًا ثلجية كثيفة ناعمة فوق السيارات المركونة في الساحة. أرفع رأسي وأنا واقفة وسط السيارات وأنظر إلى نافذة شقتي التي غادرتها للتو. كانت نافذتي النافذة الوحيدة المضاءة بسطوع، غالبًا لا يزال الجميع نيامًا. ينتابني شعور غريب وأنا أحدِّق إلى نافذتي من الخارج. أسير متجاوزة محال التنظيف الجاف المغلقة، واستوديوًا فنيًا ومطعمًا يقدّم حساء لحم الخنزير والبطاطس، إلى آخره. تردّدت لبعض الوقت قبل أن أتّجه نحو التلال. التلال القريبة والبعيدة مغطاة بالثلج. قطعت نصف المسافة إلى المعبد الذي اعتدت السير إليه كثيرًا قبل قدوم الشتاء. تجمع أربعة أو خمسة مشاة على مبعدة وقد علا التوتّر قسمات وجوههم. في ركن مجاور لمكان وقوفهم يرقد رجل بسترة تسلّق زرقاء، يبدو في منتصف الخمسينات، جسده متلوٍّ والزبد متجمّع عند فمه.

«تبدو كنوبة صرع».

كان الممر الجبلي المغطى بالثلج باردًا وضيّقًا. يبدو ألّا أحد ضمن المتجمهرين كان برفقة الرجل.

«سيفارق الحياة في أي لحظة. ماذا سنفعل؟».

مضت خمس دقائق من الهلع. ثم في لحظة توقّف جسد الرجل عن التلوّي. سكن ذراعاه وقدماه كما لو كانت طاقتها قد استُنزفت تمامًا، ثم رفع الرجل جسده إلى أعلى ببطء. عيناه لا تزال خاويتين. بدا الرجل مذهولًا للحظة كأنه لا يعرف لماذا كان يرقد هناك، ثم نهض على قدميه بسرعة. نفض الثلج عن ثيابه ومسح الزبد عن فمه بكمّه، ثم شرع في هبوط التل بخطوات متثاقلة. تابع المتجمهرون صعودهم الجبل من جديد وهم يحدّقون إلى الوراء نحو الرجل. وقفت فوق البقعة حيث استلقى الرجل وذراعاه وقدماه ترتعش، وراقبت ظهر الرجل وهو يهبط التل. لا تزال كتلٌ من الثلج عالقة بثيابه. قبل أن يختفي عن ناظري، وأنا أضمّ كفيَّ لأبعث الدفء في يديَّ المتجمدتين، تفاجأت من نفسي ثانية. فبينما أراقب ظهر الرجل وهو يسير هابطًا الممر المغطى بالثلج بعد أن تعافى من نوبة صرعه، هدأت أعصابي على نحو مدهش.

ممر المشاة مُغلق. دُقّت لافتة خشبية في ممر الجبل الشتوي. طريق ممنوع. بينما أقف أجول ببصري في الطريق المحرَّم عليّ وطؤه، انزاح جمودي وسرت الحياة في حواسي من جديد. توقفت في مكاني والتفتّ بجسدي. اجتاحني حنين، حنين إلى ذاتي، إلى تلك التي تكتب فوق مكتبها. اندفع هذا الحنين داخل رأسي في لمح البصر. افتقدت حتى شعور العزلة التي كنت أهابها. رأيت ذاتي أمامي، أجلس أمام مكتبي، كما كنت لأفعل تمامًا حين أفكر في شخص آخر. أردت أن أسرع عائدة إلى البيت وأن أقع في أسر الكتابة مجددًا. ركضتُ. قفزت داخل سيارة أجرة كانت تنتظر في بداية ممر المشاة.

زال صداعي. لا مزيد من الفوران الداخلي، حتى مع وجود ست

خصلات شعر على الأرض. عندما أنهمك في التفكير في عدم يقين مستقبلي، أقول لنفسي، حسنًا، ليس بيدكِ شيء لتفعليه حيال ذلك. على الأقل بينما أكتب، يبدو أن الطبيعة التي أعوزها تتسرب إلى داخلي. الممرات الجبلية، والمسطحات المائية والسهول.

***

لا يفصلنا عن الإجازة الصيفية سوى بضعة أيام عندما أتت **كيم سام-أوك**، أكبر طالبة سنًا في فصلنا، والتي تجلس أمامي، إلى ممثلة الفصل **مي-سيو** وهي تقرأ كتاب **هيجل**، وتخبرها أنها لن تستطيع القدوم إلى المدرسة بدءًا من اليوم التالي.

«لماذا؟».

«سيكون هناك اعتصام طوال الليل».

كيم سام-أوك في سنتنا الدراسية وفصلنا، لكننا نستخدم أسلوب التوقير عندما نخاطبها كونها تكبرنا بستة أعوام. تغلق **مي-سيو** كتاب **هيجل** وتسألها: «سوف يسمحون لك بالبقاء في المدرسة حتى إذا اشتركتِ في الاعتصامات.».

«لقد أغلقت الشركة أبوابها من دون سابق إنذار».

تُخرسنا الصدمة.

«لقد أغلقوا مهجع العاملات والكافيتيريا أيضًا... إذا لم نتّحد ونطالب بمكافأة نهاية الخدمة وبدل انقطاع عن العمل، فسوف يودعون المال لدى المحكمة».

«ماذا عن المدرسة إذًا؟»، تسألها **مي-سيو**.

«لا أعبأ بشأن المدرسة. عليّ أن أعمل. كيف يمكنني العيش إذا أغلقت الشركة أبوابها من دون أي خطط؟ كما يجب عليّ أن أرسل المال إلى أهلي في الريف».

أرمق **كيم سام-أوك** بنظرات جامدة وهي تتحدّث مع **مي-سيو**. كم

تجني من المال إنْ كان بوسعها إرسال بعضٍ من أجرها إلى أهلها؟ لا بد أن **مي-سيو** قد فكّرت في الأمر ذاته.

«ترسلين مالًا إلى أهلك في الريف طوال هذا الوقت؟».

تفرُّ ضحكة وديعة من شفتي **كيم سام-أوك**، بينما تندفع الإجابة من فم **كيم سام-أوك**: «لم أشترِ سوى أنبوب معجون أسنان واحد خلال الثلاث سنوات الماضية. أيمكنكِ تخيّل الوضع؟!».

***

الصيف. موجة حارّة عنيفة تجتاح الزقاق. يعود أخي الثالث إلى الريف لقضاء إجازة الصيف، ويأتي شقيق ابنة خالي الأكبر الذي يرتاد كلية في **جونجو**، إلى سول. تدعوني **هِي-جاي** للنوم في حجرتها، معربة عن قلقها من احتمال أن تصبح حجرتنا خانقة من شدة الحرارة مع نوم أربعة أشخاص بداخلها. استأذنت من أخي الأكبر الذي استشاط غضبًا:

«كيف تفكّر فتاة في قضاء الليل خارج بيتها؟».

«لكنها حجرة أوني **هِي-جاي**».

«كفاكِ عبثًا!».

يشتري أخي الأكبر بعضًا من بطيخ **الشاموي** (البطيخ الشرقي)، ويضعه في سلة مطاطية تحت الصنبور في المطبخ. عندما أعود من العمل وأفتح باب المطبخ، أشاهد البطيخ يطفو في الماء. عندما يعود في وقت متأخر من مركز التدريس، يبدي أخي الأكبر إعجابه وهو يقطع البطيخ إلى شرائح:

«لا يمكنني أن أصدّق أن لثمرة مثل هذا المذاق اللذيذ!».

في منتصف ليلة سبت، يجلس أخي الأكبر فجأة في مرقده. ينتفض بعنف فأستيقظ من نومي بجواره مفزوعة. كنت أتصبّب عرقًا من الحرّ. يتدفّق نور قمر الصيف عبر النافذة، ويمكنني رؤية باب العلية من دون أن أضيء الحجرة.

يتحدّث أخي الأكبر كما لو كان يصرخ: «أريدكَ أن ترحل غدًا يا **جاي-جيو**».

يقفز ابن عمنا الذي وصل للتوّ كي يمكث معنا طيلة الصيف، مستيقظًا من غفوته. تستيقظ ابنة خالي التي كانت تواجه الحائط بدورها. **جاي-جيو** هو شقيقها.

«رجاءً، غادر، حسنًا؟».

لا يجيب. صوت أخي الأكبر صارم. مع بزوغ الفجر، يصعد أخي الأكبر إلى السطح فيشرع ابن خالي **جاي-جيو** في ارتداء ثيابه ثم يغادر الحجرة المنفردة. تخرج ابنة خالي خلفه. عندما يهبط أخي الأكبر من السطح، يسأل أين ذهب الجميع. عندما أخبره أن ابن خالي **جاي-جيو** غادر قائلًا إنه سيعود إلى الريف، وأن ابنة خالي ذهبت لتودّعه، يغضب أخي الأكبر.

«لم يستطع أن ينتظر حتى يتناول الإفطار قبل أن يرحل. فقط بسبب ما قلته؟».

عندما أبقى طوال اليوم يقظة، أذرف الدموع، يصيح أخي الأكبر مجددًا: «لماذا تبكين؟ هل مات أحدهم؟!».

أوشك النهار أن ينتصف ولم تعد ابنة خالي إلى البيت مذ خرجت لتوديع أخيها. خوفًا من أن ينفجر أخي الأكبر غاضبًا كيف جرؤ **جاي-جيو** على الرحيل هكذا من دون أن يقول وداعًا، فقط بسبب ما قاله له. ولماذا تأخّرت ابنة خالي التي خرجت لوداعه عن العودة حتى الآن، أجلس مفترشة الأرض بجوار خزانة المطبخ. كنتُ قد قدّمت إليه الإفطار لكن أخي الأكبر كان منزعجًا جدًا فلم يتناول الطعام. أفتح الدرج السفلي للخزانة وألمح زجاجة السوجو ملفوفة داخل كيس ورق أصفر. أخرجها وأصب من المشروب حتى يمتلأ نصف صحن أرز ثم أتجرعه على رشفات.

«تعالي إلى هنا!»، يناديني أخي الأكبر بعد برهة. أبقى جالسة بعناد في مكاني. عندما لا ألبي نداءه، يدفع أخي الأكبر الباب ليفتحه. يدفعه بقوة شديدة إلى درجة أنه يرتطم بخزان المياه الساخنة المثبت فوق فتحة الغاز. يرتج منغلقًا ثم ينفتح مجدّدًا.

«لماذا لم تأتي إلى الداخل عندما ناديتكِ؟».

حينما أنهض، أشعر برأسي تدور. أسير داخل الحجرة وأجلس على الأرضية، ظهري مستند إلى الحائط. يجلس أخي الأكبر على مكتبه ويتحدّث موليًا ظهره إليّ.

«لم أكن غاضبًا منكِ».

بمجرّد أن أسمع تلك الكلمات، أنفجر باكية، وقد طغى عليّ الألم. تفاجأ أخي الأكبر من بكائي فالتفت لينظر إليّ في حيرة.

ما إن أبدأ في البكاء، لا يمكنني السيطرة على دموعي. تداهمني الحازوقة حتى ما بين شهقات دامعة. يجثو أخي الأكبر على الأرضية ويهزّني.

«ما هذه الرائحة؟ أكنت تشربين؟!».

يبلل أخي الأكبر مصدومًا منشفة ويعصر الماء ثم يمسح وجهي.

«لا بد أنك قد جُننتِ».

بعد أن بكيت حتى نال مني الإرهاق، أغطّ في النوم.

«أنتِ مجنونة».

استمر في الاستيقاظ والعودة إلى الاستغراق في النوم بينما تعاودني الحازوقة بين نوبات البكاء. عندما تعود ابنة خالي ليلًا، ينفرد أخي الأكبر بها في المطبخ ويتحدّث معها.

«لم أقل ما قلته لأنني أحمل أي ضغينة تجاه جاي-جيو».

لا تتفوّه ابنة خالي بأي كلمة.

«كان الجو حارًّا جدًّا... أكنتُ سأتصرف بتلك الطريقة لو كانت لدينا حجرتان؟».

بعد ذلك لا يقول أخي الأكبر أي شيء عندما أتسلّل إلى حجرة أوني **هِي-جاي** وأقضي الليلة هناك. لا تأتي ابنة خالي التي لا تحب **هِي-جاي** إلى حجرتها أبدًا. عندما أسألها عن السبب، تقول ابنة خالي إن **لهِي-جاي** رائحة غريبة.

«رائحة؟ أي رائحة؟».

تغمغم ابنة خالي التي لا تستطيع العثور على الكلمات الصحيحة: «تمتلك تلك الرائحة...».

أتذكّر الحجرة التي عاشت فيها **هِي-جاي**. المطبخ حيث بالكاد يوجد حيّز يكفي لوقوف شخصين. أول ما تقع عليه عيناك عندما تفتح المطبخ هو رف يعلوه حذاء أرجوانيّ ذو كعب عالٍ. قد يعتقد المرء أنني سوف أصبح أكثر حذرًا بعد بضع مرات لكنني أخبط رأسي في الرفّ في كل مرة أدخل فيها المطبخ. أول مرة صدمت رأسي في الرف، قالت **هِي-جاي** بابتسامتها الشاحبة: «أنتِ طويلة». لكن لا علاقة للأمر بطولي. كانت **هِي-جاي** الأقصر مني بطول كفّ، تصدم رأسها في الرف بين الفينة والأخرى. في كل مرة يصطدم فيها رأسي بالرف، كانت تقول: «سوف تعتادين على ذلك. لقد كنت أصدم رأسي في كل مرة لكن الآن لا يحدث الأمر إلا مرة بين فترة وأخرى».

كانت عتبة نافذتها هي منضدة زينتها. المنظر الذي تطلّ عليه النافذة منظر جدار من الطوب الأحمر يعود إلى البيت المجاور. لا تفتح النافذة أبدًا. بعد أن تعرّفت على حجرة **هِي-جاي**، أدركتُ أن حجرتنا هي الأكثر إشراقًا على الأقل من بين الحجرات السبع وثلاثين في هذا المنزل. من حجرتنا يمكننا أن نشاهد قطعة الأرض الجرداء خارج النافذة، ونقطة التوقّف الأخيرة للحافلة رقم 118، ومداخن المصانع، ومحطة قطار الأنفاق والسماء الممتدة في الأفق، لكن المنظر من حجرة **هِي-جاي** كان جدار فقط. ثم ذات يوم ألاحظ أنها قد أنزلت زجاجة غسول الوجه الخاصّ بها من موضعها فوق عتبة النافذة إلى المنضدة الخشبية، وأن النافذة مفتوحة. أطلّ من نافذتها إلى أسفل. يبدو أن المطر الذي هطل على كلا البيتين قد سال بطول هذا الجدار؛ كانت الأرض عند أسفل الجدار رطبة. بدت كمستنقع عميق بدرجة تكفي لأن تغوص فيها قصبة ساق إنسان. تتبعثر على الأرض كومة من أعقاب السجائر، وعبوات راميون فارغة ولفافات علكة.

أغمغم: «يبدو أنه لم تمتد إليها أيّ يد لتنظيفها».

تقترب **هِي-جاي** مني وتقول: «انظري إلى ذلك»، تشير إلى بقعة معينة في الأرض أسفل النافذة. أنظر إلى حيث تشير، فأبصر عيدان أكل مغروسة في الطين.

«بدت الأرض رطبة جدًا، فجرّبت أن أرمي عيدان الأكل مثل رمي السهام. وهذا ما حدث». تقول وتبتسم بشحوب وهي تغلق النافذة وتعيد زجاجات غسول الوجه ومفتّح البشرة إلى موضعها على عتبة النافذة. إلى جانبها يوجد أيضًا قنينة كريم مرطّب. أتذكر حتى الآن خزانة الملابس ومنظر البحر المرسوم عليها، والمنضدة الخشبية، والراديو الصغير، والعقد المصنوع من صدف البحر المعلّق على الحائط، والمكواة الجديدة التي اشترتها **هِي-جاي** لتكوي ياقة زيّها المدرسي وهي لا تزال داخل علبتها.

***

عندما أفكر في حجرة أوني **هِي-جاي**، يبدو أنني أتذكّر الأشياء أكثر من **هِي-جاي** نفسها التي كانت تعيش داخل الحجرة. أشياء مثل صورة أخيها الأصغر المثبتة على الحائط، والطبق البلاستيكي بحجم اليد الذي كان يمتلئ بمشابك الشعر، وورق الأرضية المرقّق الأصفر، ومغرفة السكر. أتذكّر المكواة بوضوح أكثر من أي شيء آخر في حجرتها، ربما لأنها كانت جديدة.

«اشتريتها لأكوي ياقة زيّي». صوتها القادم من ذلك الزمن لا يزال جليًا كما لو كانت تتحدّث إليّ بجانبي الآن وهنا.

جليًا، أكتب، كانت هذه مفاجأة بالنسبة إليّ، أفكّر، استخدام كلمة» جليًا» لوصفها. كانت **هِي-جاي** شاحبة دائمًا. كل طقوسها صامتة مثل نمش مستتر أسفل الذقن أو الأذن. ربما كان السبب وراء عدم ارتياح ابنة خالي الواضح والمعلن هو أسلوبها الهادئ. كانت هادئة جدًّا لدرجة كانت تجعل من يتعامل معها متوتّرًا أحيانًا. كان ذلك يجعلني أنا نفسي متوتّرة. عندما تجلس على السطح تستمتع بأشعة الشمس، أو ساكنة لا تتحرّك في

حجرتها، أشعر بقوة خفية تدفعني إلى الاقتراب منها وهزّها. حين أفكّر الآن، ربما كان هدوؤها هو مصدر اتزانها، لكن وقتها عندما كنت أرى هذا الهدوء يحتل جسدها الصغير، يبدو لي كأن روحها قد غادرت جسدها وأشعر بأنني مجبرة على هزّها كي أعيدها إلى رشدها.

أهزّها ثم نلعب لعبة الموافقة.

«أريد أن أصبح عاملة هاتف».

«بالتأكيد».

«أريد أن أصبح عاملة هاتف بشكل رسمي، وأن أعمل في بنك».

«بالتأكيد».

«ماذا تريدين أن تصبحي؟».

«بالتأكيد».

«لا، لقد سألتك ماذا تريدين أن تصبحي؟».

«أريد أن أصبح كاتبة روايات».

تردّد إجابتي: «روايات؟»، ويظهر عليها النعاس تحت تأثير قيظ الصيف.

تفيق من غفوتها وتغمغم: « أول مصنع عملت فيه كان في بونجتشيون-دونغ. كنت في الخامسة عشرة تقريبًا. وكان المصنع ضيّقًا. كنا، أقل من أربعين - نصنع الحقائب. كنا نتناول الطعام وننام في حجرات داخل المصنع حيث قابلت **سو يونغ-تاك**، هذا الفتى من جزيرة **جيندو**. كان تواجده في الأرجاء يضفي جوًا لطيفًا. كنت أفكّ درزات الخياطة في العلية بينما عمل هو على ماكينة الخياطة في الحجرة. كان رجلًا لكنه كان ماهرًا جدًّا في استخدام ماكينة الخياطة. كان يشبه الفتيات. أحببت ذلك فيه، لكن بدا أنه يكره ملامحه الأنثوية. كان يحاول عن عمد التصرف بخشونة ورجولة، لكن كنتُ أفقه كل شيء. سقف العلية حيث كنت أفك درزات الخياطة وأجمعها منخفضًا جدًا لدرجة أنه كان يلامس رأسي عندما أقف. كنا قد عدنا من العطلة الصيفية. صعد إلى العلية وأعطاني شيئًا ملفوفًا

بورق أبيض. كان عقدًا من صدف البحر. صنعه من الصدف الذي جمعه من الشاطئ في بلدته في **جيندو**. لقد اشترينا حجرة فوق قمة التل في يونجتشيون-دونغ وعشنا هناك معًا لأربعة أشهر.

«...».

«هل تفاجأتِ؟».

«أجل».

تكفّ عن سرد قصتها وتسكت. فأسأل:

«ماذا حدث بعد ذلك؟».

«ماذا؟... لقد هربتُ بعيدًا».

«هربتِ بعيدًا؟ لماذا؟».

«كما ترين، لدي أخ صغير في بلدتي في الريف. كان قادمًا لزيارتي. أصابني الرعب. لم أشأ أن يراني بتلك الطريقة. لا، هذا عذر. أحسست بأنني أختنق. تملّكني شعور أنني لو استمررت في الحياة هناك مع هذا الفتى، فلن أستطيع أبدًا أن أهبط من فوق ذلك التل مرة أخرى في حياتي. أبدًا. لذا في يوم أحد، بينما ينام القيلولة. قلت إنني ذاهبة إلى المتجر لشراء بعض الراميون ولم أرجع أبدًا».

«...».

«لم آخذ أي شيء معي عندما رحلت. لا شيء سوى ذلك العقد في جيبي.».

أتأمّل عقد صدف البحر المعلّق على الحائط.

«لم تريه مرة أخرى أبدًا؟».

«لا. لست متأكدة، لكن ربما بكى بحرقة عندما علم برحيلي».

«ألا تشتاقين إليه؟».

«كان ذلك من سنين طويلة».

بعد الحديث بصوت خافت كما لو كانت تتمتم بالكلمات إلى نفسها،

تنظر هِي-جاي في عينيّ مباشرة وتسألني: «أيمكن لقصة مثل هذه أن تُكتب في رواية؟».

***

توشك عطلتنا الصيفية على الانتهاء. نُبلَّغ فجأة أن علينا شحن أكثر من ألف جهاز ستيريو بنهاية الشهر. يتواصل العمل الإضافي والمناوبات التي تمتد طوال الليل يومًا بعد يوم من دون توقّف. ذات يوم ونحن نستعد كي نتناول وجبة خفيفة في وقت متأخر من الليل، أخبر ابنة خالي أنني لن أستطيع تحمّل مناوبة ليلية أخرى.

«لكن العطلة الصيفية توشك أن تنتهي... ماذا بيدنا أن نفعل، سوف يعود الجميع إلى العمل طوال الليل... لن يسمحوا بأي استثناءات».

«حقًّا، لا أقول فقط إنني لا أستطيع. إنني أموت هنا».

«أنتِ مريضة؟».

«كأن ظهري يكاد ينقصم وكذلك بطني».

«أتساءل ما الذي ألمَّ بكِ فجأة؟».

«ليس فجأة. شعرت بالألم يوم أمس وقبل أمس أيضًا، لكنه كان محتملًا. الآن صار من المستحيل تحمّله».

تنهض ابنة خالي وتذهب للحديث مع كبير العمال.

«لن ينصت إليّ... فقط تحمّلي أطول قليلًا. قال بعد الليلة سنكون قد أنجزنا العمل الطارئ حقًا».

يبزغ الفجر. أكتمُ وجعي وألوي بطني، وأنهض من موقع عملي وأتجه إلى الحمام. تنهض ابنة خالي بعدي وتتبعني عن مقربة.

«ماذا يمكن أن يكون السبب؟»، أسأل وأنا أستند بظهري المتوجّع إلى حائط الحمام.

تقهقه ابنة خالي: «لا بد أنك تمرين بانقباضات الدورة الشهرية. ابقي هنا. سوف أذهب وأحضر ثيابًا نظيفة وضمادات قطنية من حجرة تبديل الملابس.

بعد أن تغادر ابنة خالي، التفت إلى الوراء لأتفحص وركيَّ في المرآة. انهرت على الأرض مرعوبة. أغلقت على نفسي داخل أحد أكشاك المرحاض خشية أن يدخل أحدهم إلى الحمام.

***

تنتهي العطلة الصيفية لكن لا تعود **كيم سام-أوك** إلى المدرسة. في كل مرة يتفقّد فيها المعلم **تشوي هونغ-إي** الحضور، تتوقّف عيناه مليًا عند مقعد **كيم سام-أوك**. يطلب ممن يشتغلن في المصنع نفسه الذي تعمل فيه **كيم سام-أوك** أن يرفعن أيديهنّ. تقول طالبة من دون أن ترفع يدها: «لقد توقفت الشركة عن العمل». يسود الصمت الفصل كلّه. يستدعي المعلم **تشوي مي-سيو** بصفتها ممثلة الفصل إلى مكتبه. هل سيزور **كيم سام-أوك** في بيتها كما فعل معي؟ بعد أن تعود من مكتب المعلمين، تفتح **مي-سيو** كتاب **هيجل** من جديد.

«ماذا قال لكِ؟».

«طلب مني أن أتقصّى عما حدث لها».

«أيمكنك ذلك؟».

«لا أعرف. ثمة عاملة في شركتنا كانت تعمل سابقًا في شركة **كيم سام-أوك**، لذا أعتقد بأنني سأحاول سؤالها».

«أي نوع من الشركات هي؟».

«إنه مصنع باروكات. ألم تسمعي عن هذه المرأة التي رمت بنفسها من فوق بناية المقر الرئيسي للحزب الديمقراطي الجديد؟ **كيم جيونغ-سوك**! تحملان الاسم الأول نفسه!».

«عملت كيم **سام-أوك** هناك؟».

«أجل».

«كيف ماتت هذه المرأة».

«من أثر السقطة، لكن شريان معصمها الأيمن كان مقطوعًا. كانت قد قطعته بشظية زجاجة صودا».

في اليوم التالي عندما أقابلها أمام خزانة الأحذية عند وصولنا المدرسة، تقترح مي-سيو أن نذهب لشراء وجبة خفيفة من مقصف الطعام.

«تعرفين بشأن كيم سام-أوك؟».

أتوقّف عن شرب الماء والتفت إليها مباشرة.

«إنها مفقودة».

«ماذا تقولين؟».

«يبدو أن وتيرة الحوادث قد تسارعت خلال فترة إغلاق المدرسة في الصيف. كانت كيم سام-أوك في المقر الرئيسي للحزب الديمقراطي الجديد في ذلك اليوم. كانت الدماء تغطي حتى أعضاء الحزب والمراسلين الصحافيين، تخيلي إذًا كيف عاملوا عاملات المصنع المحتجّات؟».

«كيف؟».

«لقد أغارت الشرطة حتى على مكتب رئيس الحزب، وهدّدوا بقتل الجميع أإن لم ينصاعوا إلى أوامرهم. لقد تعرّضت كيم سام-أوك للضرب ثم اعتقلتها الشرطة...».

«ثم؟».

«أُطلق سراحها لكنها كانت لا تتوقف عن النحيب ليل نهار قائلة إنها من كانت تستحق الموت لا جيونغ-سوك، الأصغر سنًا. وُضعت تحت وصاية قانونية قبل أن تُرحَّل إلى بلدتها في الريف».

«إذًا هي في بلدتها الآن؟».

«ليس هذا هو المهم». تبعد مي-سيو فطيرتها عن فمها، فأسألها:

«لماذا لا تأكلين؟».

«لا أشعر برغبة في الطعام، وأنا أفكر في كيم سام-أوك. عندما أخذوها بعيدًا، حاولت المقاومة بأن قفزت من شباك حافلة شرطة مكافحة الشغب فجرحت ساقها مما جعلها تعرج. أخوها الأصغر موجود في سول الآن يبحث عنها. عندما رحّلوها إلى بلدتها، كانت تجلس جاثية على ركبتيها في العلية طوال الوقت ثم ذات يوم اختفت».

«أين يمكنها أن تذهب؟».

«الفتاة التي أخبرتني بكل هذا قالت لي إننا يجب أن نبقي الأمر طي الكتمان. تقول إنه سواء شاركتَ في الاعتصامات أو لا، إذا عملت يومًا في شركة **كيم سام-أوك**، فلن يقبل أي أحد بتوظيفك الآن. لقد أرسلت تلك الفتاة سيرتها الذاتية هنا وهناك سعيًا وراء الحصول على عمل في مكان آخر، لكن مساعيها باءت بالفشل من دون تبرير واضح. ثم اكتشفت توزيع قائمة بأسماء أولئك الذين كانوا في المقر الرئيسي للحزب الديمقراطي الجديد وكل فرد شارك في الاعتصامات على كل الشركات الأخرى».

«إذًا كيف تمكّنَت من الحصول على عمل في مصنعكِ؟».

«أخفت حقيقتها بأن قدّمت أوراقًا ثبوتية تخصّ أختها».

عند عودتنا من مقصف الوجبات الخفيفة، تشرع **مي-سيو** في قراءة كتاب **هيجل** من جديد. أمدُّ رقبتي تجاهها وأسألها: «كم كان عمر **كيم جيونغ-سوك**، الفتاة التي ماتت؟».

«إحدى وعشرون سنة».

***

بينما أتذكّر الأشياء التي كان بوسعي التغاضي عنها بتفصيل دقيق، ثمة أجزاء يفترض أن تظهر على السطح بسلاسة بمجرد استدعائها، محض فراغ في رأسي كشارعٍ خَرب. ماذا حدث **لكيم سام-أوك** بعد ذلك؟ مهما حاولت أن أعثر عليها، لا أعثر عليها في أي مكان.

كل ما يمكنني العثور عليه في أرشيف صحيفتي **دونغ-أ** أو **هانكوك** اليومية هو ما يلي:

أطلق بوق سيارة ثلاثة زمامير طويلة. كانت هذه الإشارة إيذانًا بانطلاق ما عُرف باسم العملية 101. مع ست حافلات إطفاء تنير المشهد، فَرَدَ فريق الإطفاء مراتب إسفنجية خارج المقر الرئيسي للحزب تحسّبًا لمحاولة فتيات المصنع القفز من فوق المبنى بينما تقتحم الشرطة المبنى عبر المدخل الرئيسي ومن

فوق الجدار خلف المبنى، ويشقون طريقهم إلى داخل قاعة الطابق الرابع ومكتب رئيس الحزب وحجرة الصحافة في الطابق الثاني، مستخدمين سلالم معدنية تمتد من حافلتَيْن. اصطدمت الشرطة بأفراد إدارة الحزب الديمقراطي الجديد الذي شكّل حاجزًا من المقاعد والمكاتب. تحوّل المبنى في ثوانٍ إلى فوضى، بينما تصعد قوات الشرطة إلى الطابق الثاني، وهم يلقون قنابل مسيّلة للدموع. داخل قاعة الطابق الرابع حيث نظّمت عاملات المصانع اعتصامهن، كانت مجموعة من رجال شرطة بثياب مدنية أول من اندفع داخلها، أغلقوا وسَدوا النوافذ. ثم دخل مئات من رجال شرطة مكافحة الشغب، يضربون بهراواتهم في الهواء، بينما يجرّون فتيات المصنع بطول الدرج إلى داخل حافلة الشرطة خارج المدخل الرئيسي للمبنى كي يأخذونهنّ بعيدًا. لقد دعا رئيس الحزب الديمقراطي الجديد فتيات المصنع إلى عدم الانجرار للموت، لكن الهلع أصابهنّ عندما اندفعت الشرطة، فبكين وقاومن بزجاجات صودا مهشَّمة وحاولت الكثيرات منهنّ أن يحطّمن مصراع الشبابيك بقبضاتهن والقفز إلى الخارج، لكن أوقفهنّ رجال الشرطة. في غضون عشر دقائق، كان قد أخلي المبنى من كل المحتَجّات. أثناء المداهمة، حاولت بعض فتيات المصنع الانتحار مستخدمات شظايا من زجاج نوافذ وزجاجات صودا مهشمة. عُثر على **كيم جيونغ-سوك**، المتوفّاة، منهارة بجوار مدخل القبو خلف المبنى، وكان شريان ساعدها الأيسر مقطوعًا. نُقلت إلى مستشفى الصليب الأخضر على الجانب المقابل من الشارع. انقسم رجال الشرطة إلى فرق مكوّنة من أربعة أفراد، وحملوا عاملات المصنع من أيديهن وأقدامهنّ بالإكراه ليُخرجوا كل معتصمة من المبنى في عشر دقائق فقط.

في الثالث عشر من أغسطس أقيمت جنازة من أجل **كيم جيونغ-سوك** في قاعة تأبين مستشفى جونجنام في سول. حضر الجنازة ثلاثة من أفراد عائلتها من بينهم والدة **كيم**، وأفراد من قسم مبيعات الشركة التي كانت تعمل فيها، والشرطة. استغرقت الجنازة ثلاث دقائق فقط وأُحرق رفاتها.

***

تنبت أوراق الخس في قطعة الأرض الفارغة التي تطل عليها نافذة الحجرة المنفردة، مَنْ زرعها؟ مهما تغيّر العالم، يواصل الخس النمو. تنمو نباتات الخس ببساطة. أوراق الخس الخضراء ملطّخة بغبار أسود منبعث من المصانع.

***

الخامسة والربع صباحًا. يدق جرس باب شقتي فجأة من دون انقطاع. من يطرق الباب في هذه الساعة أثناء عطلة السنة الجديدة؟ نهضت على قدميّ ودفعت باب الحجرة لأفتحه، وهتفت تجاه باب الشقة بنبرة عالية: «من هناك؟». لكن لا يأتيني أيّ رد. يخفق قلبي بخوفٍ متنام. «من هناك؟». لا رَد. تنبهت أذنيَّ وأصخت السمع. حاولت سماع أي إشارة على وجود حركة خارج الباب لكن لا شيء مسموعًا. قد تكون عمتي قادمة من الريف. هذه العمة التي صارت أرملة وهي لا تزال شابة، عاشت سنوات شبابها وحدها في منزل بحديقة يواجه الطريق الرئيسي المعبّد حديثًا. كانت المصدر الذي من خلاله استمعنا إلى قصص عن أجيال عائلتنا الذين أتوا قبل أبي: جدّك كان يدير متجر لبيع أدوية الأعشاب التقليدية... وجدتكِ... أثناء فترة الجمهورية الشعبية الكورية قبل الحرب.

عندما كنا نجتاز خندقًا بمحاذاة حقول الأرز، كانت تقول، كل هذه كانت يومًا أرض عائلتنا، من هنا حتى هناك... وعندما نعبر أمام بيت تراكمت أمامه أكوام الحطب، كانت تقول، في أيامنا كانت عائلتنا العائلة الوحيدة التي تخزّن أكوام الحطب... كانت عمتي تساعد جدي في متجره

في طفولتها، تقيس كمية الدواء على ميزان ثم تلفّه في جرابات بيضاء ومتى اشتكى شخص من وجع، كانت تسترجع من ذاكرتها اسم هذا العشب الطبي أو ذاك وتعرض عليه تجهيز عدد من الوصفات... اغلِ هذا العشب بهذه الطريقة لكن لا تتجرّعه مباشرة. عرّضه أولًا لندى الصباح.

كلما كنتُ بصحبة عمتي، الأرملة الشابة، ما كنتُ أشعر بوجودي أنا وهي فقط في المكان بل أشعر بوجود جدّي وجدّ جدّي وجدّتي وجدّة جدّتي، وكل أشقاء جدّي الذين سمعت أنهم قد ماتوا في مذبحة جماعية خلال الحرب. أحببت هذا الشعور وكرهته في الآن نفسه. عندما تسمع عمتي، الأرملة الشابة، صوت شخص في الخارج مهما كان الوقت متأخّرًا في الليل، كانت تنهض وتفتح الباب على مصراعيه وتصيح: «من هناك؟»، وهي تحدّق إلى الحديقة.

لم أستطع حمل نفسي على فتح الباب. أعرف أن عمتي لا يمكن أن تكون الطارق. أردت أن أفتح الباب لأرى من أصدر الصوت لكنّني كنت خائفة جدًا، إلى درجة أنني شعرت برعشة في جبهتي. أفضل ما أمكنني فعله هو العودة إلى حجرتي وإغلاق بابها بقوة بحيث يكون الصوت عاليًا وواضحًا لمن يقف في الخارج. حتى بعد عودتي إلى حجرتي وجلوسي إلى مكتبي، لا تزال أذناي منتبهتين للأصوات خارج حدود الباب. هل أخطأت السمع؟ كان صوت جرس الباب بلا شك، لكن في هذه الساعة في منتصف الليل؟ كنت أدلك صدري عندما شعرت بوجود شخص ما خلفي. نظرت إلى الوراء مذعورة. كان شالي الذي تركته على ظهر المقعد قد انزلق إلى الأرض. بينما أمدّ يدي لألتقطه، تنهدت بارتياح. أشعر بأن شخصًا قد دخل إلى هذه الحجرة. حتى لو سألت، من هناك؟ لن يستطيع الإجابة «إنه أنا». كان يقف خلفي، ينظر إلى مؤخرة عنقي.

هذا هو التفسير المنطقي. أطفأت النور وصعدت إلى الفراش. تبعني هذا الوجود وجثا بجواري.

هل هذا أنتِ، يا أوني هِي-جاي؟ أهذه أنتِ؟ لقد أفزعتني. لماذا قطعت كل هذا الطريق إلى هنا؟ أنعم بحياة جيّدة جدًّا، هكذا تفكّرين، أليس كذلك؟ أنا آسفة.

في البداية أينما كنت، كنت أنفجر باكية. كان وجودكِ يُثقلني، جاعلًا نومي مستحيلًا. لا أتذكّر الأحلام التي راودتني. لكنني كنت أستفيق من حلم ويجتاحني إدراك أنكِ ميتة وفي كل مرة أنفجر باكية.

من المؤكد أنك تعرفين بالفعل من دون حتى أن أخبرك، فقد رأيتِ غالبًا كل شيء، أنني لوقت طويل بكيت وطاردتني الكوابيس، وأنني لوقت طويل حفرت في ذاكرتي سجِلًا للزمن الذي قضيته معكِ. عندما يحلّ الربيع، أخبر نفسي، ربيعي الأول من دونك. يحين الربيع ثانية، ربيعي الثاني من دونك. يأتي الربيع مجدّدًا، ربيعي الثالث من دونك... ربيعي الرابع من دونك. ثم تلاشت ذكراكِ شيئًا فشيئًا.

ماذا قلتِ؟!

أوني؟ ماذا تحاولين أن تخبريني؟ لا أستطيع أن أفهم. تحدّثي بصوت مرتفع قليلًا؟ ماذا؟ ماذا؟! لا يمكنني سماعك - لا أستطيع، ماذا قلتِ؟ مهما كان ما ستقولينه، فسوف أكتب عنكِ. لست متأكدة إذا كنتُ سأستطيع إعادتكِ إلى الحياة بالصورة التي كنتِ عليها من قبل بالضبط. فكّرت أحيانًا، أنني حين أمتلك الشجاعة كي أناديهنّ، صديقاتي، إنني سأودّ تشييد مكان لهنّ... ولكِ. مكان مُقدَّس لكِ. مكان مقدّس اجتماعيًا وربما ثقافيًا. كي أفعل ذلك، يجب أن أتبع الحقيقة عن كثب، حقيقتي عنكِ. لم أستطع أن أتحلّى بالصدق عندما أتأمّل ذكرياتي، أو الصور التي بقيت. تلك الأشياء جوفاء. فقط حين أكتب، راقدة على بطني، كنت أستطيع أن أفهم ذلك. أحاول الوصول إليكِ من خلال كتابتي.

ماذا قلتِ؟ تحدثي بصوت أعلى قليلًا.

ماذا تقولين؟!

أن أبقى خارج الأدب؟ هل هذا ما تخبريني به؟ لكن أين هو «خارج الأدب» بالضبط؟ أين أنتِ الآن؟

***

أكتوبر. تغدو أوراق الخَسّ النامية في الأرض الخالية بجوار موقف الحافلات في نهاية الطريق رقم 108 خارج نافذة حجرتنا المنفردة، خضراء. أكتوبر حيث نما الخسّ الذي لم يعتنِ به أي أحد وكساه غبار المصانع، إلى حجم يد. في كل مرة تنظر فيها ابنة خالي إلى الخارج نحو رقعة الخسّ، تهمس: «مهما كان مالك الأرض، فلا بد أنه غنيٌّ جدًّا».

«ستُفرض عليه غرامة إن ترك الأرض جرداء، لهذا نثر بعضًا من بذور الخسّ كي يجعلها تبدو أرضًا زراعية».

«في العام القادم، ستشيَّد البيوت هنا وهناك وتحجب عنا رؤية الأرض».

ذات يوم في أكتوبر، نقف في الملعب الرياضي داخل المدرسة حيث ينتشر الغسق، لنستمع إلى خطاب ناظر المدرسة الطاعن في السن، الباكي. هذا ما يقوله، لقد مات الرئيس. إن الرجل الذي وهبنا هذه الفرصة قد فارق الحياة مقتولًا بطلق ناري. كل سنوات العمل الشّاقّ التي كرّس نفسه فيها من أجل إنقاذ الأمة... وقفنا في سكون، نحدّق إلى حزن الناظر المسنّ. يُخرِج الناظر منديله ويمسح دموعه. يواصل حديثه عن الرئيس المتوفّى وهو لا يزال يحمل المنديل في يده ثم يبكي مجدّدًا، ثم يواصل الحديث ثم يمسح دموعه. في البداية نراقب دموعه بانشداهٍ صامتٍ ثم تشهق طالبة باكية. عندما يبدأ شخص في البكاء بصوت مسموع، يتبعه آخر. تتّحد أصوات الشهقات هنا وهناك معًا. لا أستطيع حمل نفسي على البكاء فأقف هناك وحسب وقد خفضت عينيّ إلى قدميّ. شعرت بالأسف لعدمِ قدرتي على النحيب بينما الجميع يفعل ذلك. قبل عدة سنوات، عندما أُطلقت النار على زوجة الرئيس[1] في احتفال عيد الاستقلال في الخامس عشر

(1) يوك يونغ-سو (1925-1974): زوجة الرئيس بارك تشونغ-هِي ووالدة الرئيسة

من أغسطس، ذرفت الكثير من الدموع لكن هذه المرة لم تأتني الدموع، صوت الأعيرة النارية فقط تتردّد في أذنيّ. لقد سمعت خبر إطلاق النار على زوجة الرئيس وسط قيظ منتصف اليوم. قال أحدهم، **بِك يونغ-سو** قد اغتيلت بعيارٍ ناريٍّ. كان أمرًا غير متوقّع أبدًا، ولم أستطع أن أصدق الأمر في البداية، ظننت أنها مزحة.

كيف لامرأة جميلة جدًّا أن تموت؟ لم أكنّ أي مشاعر خاصّة تجاه الرئيس، لكنني أعجبتُ بزوجته. شعرها المصفوف دائمًا إلى أعلى على هيئة كعكة أنيقة، عنقها الطويلة كعنق الكركي، حاشية بلوزتها التقليدية، الجميلة، ابتسامتها التي تذكّرني بزهور الهيدرانجيا... أحسست بأنها ستكون دائمًا هناك، بالصورة نفسها، والمظهر نفسه. لكن الآن أصيبت بعيار ناري؟ كانت السيدة الأولى تشبه زهرة ماغنوليا لكن زهرتها المفضّلة كانت الأقحوان، كما قالوا عنها. بدأت نباتات الأقحوان في النمو عالية كجبل وأذاع الراديو مقطوعة **هاندل**[1] «سارابانْدي» لعدة أيام. أهمل أهل القرية العمل وتحدّثوا همسًا. لقد ماتت السيدة الأولى. اغتالها جاسوس كوري شمالي بطلق ناريّ. كان مالك الطاحونة الذي عاش عند حافة القرية، يمتلك تلفازًا وقد فُرِشت حصيرة قش في باحة منزله. جلس أهل القرية هناك في صفوف وعيونهم مثبتة على شاشة التلفاز في الردهة الرئيسية داخل بيت مالك الطاحونة.

عرضت الشاشة الرئيس وهو يكفكف دموعه بينما يشاهد نعش السيدة الأولى المزيّن بتلة من أزهار الأقحوان يغادر **تشونغوا-داي**[2] (البيت

بارك جِن-هِي. قُتلت سنة 1974 خلال محاولة فاشلة لاغتيال زوجها على يد ميون سا-جوانغ، متعاطف مع النظام الكوري الشمالي.

(1) جورج فريدريك هاندل: مؤلّف موسيقي كلاسيكي إنجليزي من أصول ألمانية. تميّز بأعماله في فن الأوراتوريو، وهو فن يشابه الأوبرا من حيث الطبيعة والموسيقى لكن مواضيعه دينية.

(2) تشونغوا-داي أو البيت الأزرق: مقرّ إقامة رئيس كوريا الجنوبية في مقاطعة

الأزرق). كانت متابعة زوج فقد زوجته بسبب رصاصة، تفطر القلب. بكى أهل القرية. بكيتُ -طفلة- مع بكائهم. بعد هذا، كنت أشاهد ابنة الرئيس **جِن-هِي** [1] من حين إلى آخر وقد اتخذت مكان أمها إلى جانب الرئيس. كانت لها قسمات وجه جميلة ورقيقة. شعرت بلسعة في أنفي وأنا أفكّر أن هذه الإنسانة الجميلة قد فقدت أمها. كانت ابنة الرئيس **جِن-هِي** تشبه السيدة الأولى، المحبوبة إلى قلبي، إلى حدٍّ كبير. ابتسامتها كزهرة ماغنوليا، عنقها طويلة كعنق الكركي. والآن قد فقدت والدها أيضًا، وأضحت يتيمة. أحدّق إلى أسفل عند قدميَّ وأفكر في هذا الشخص الذي بات وحيدًا الآن.

نعود من الملعب الرياضي ونجلس داخل فصلنا. يبدو المعلم **تشوي هونغ-إي** مندهشًا من طالباته، عيونهنّ حمراء من النحيب مع ناظر المدرسة المسنّ. «إذا أمكنني السؤال، على ماذا تبكين؟».

يهبط الصمت على الفصل. يتحدّث المعلم **تشوي** بصوت خفيض، لكن بنبرة حازمة.

« نظام سياسي صعد إلى السلطة من خلال انقلاب عسكري قد انتهى الآن على يد واحد من تابعيه. ديكتاتورية فاسدة استمرّت لثمانية عشر عامًا انهارت. الآن سيتوقّف العمل بدستور **يوشين** وسيبدأ عالم جديد. عالم حيث شيء كالذي حدث إلى **كيم سام-أوك** لن يحدث أبدًا، حيث تُحترم حقوقكنّ. لقد استمرّت الديكتاتورية طويلًا جدًّا. ثماني عشرة سنة... مدة طويلة جدًّا».

ثماني عشرة سنة، كرّرت كلماته داخل رأسي. ثماني عشرة سنة. اكتشفت في تلك اللحظة أنه كان رئيسًا بالفعل قبل عام من ولادتي.

جونجنو-جو في قلب سول. يعتبر أكثر مبنى رئاسي تأمينًا في آسيا.

(1) بارك جِن-هي: ابنة الرئيس بارك تشونغ-هي. أصبحت رئيسة لكوريا الجنوبية سنة 2013. حُوكمت وعُزلت من منصبها سنة 2017

ربما هذا هو السبب الذي يجعل وجه الرئيس **بارك تشونغ-هي** يخطر ببالي حتى الآن حين أفكر في «رئيس الجمهورية». كان هنالك زمان كان انتخاب رئيس جديد من رابع المستحيلات بالنسبة إليّ، فقد كان الرئيس الوحيد الذي عرفته. قالوا إنه حين أطلق عليه **كيم جاي-جيو** الرصاص، فإن الرئيس، مصدر حزن ناظر المدرسة المسنّ، قال حتى وهو ينزف بين ذراعي مطربة: «أنا على ما يرام».

قال الشيء نفسه في السادس عشر من مايو 1961، عامان قبل أن أولد، بينما يعبر نهر الهان عند بزوغ الفجر. عندما فتحت الشرطة العسكرية التي كانت في مهمّة لإخماد الانقلاب، النار على موكب **بارك** من الجهة الشمالية لجسر نهر الهان الأول بينما يعبر الجسر نحو الشمال، قال **بارك** لقائد حرسه الذي حاول أن يمنعه من التقدم إلى الأمام: «أنا على ما يرام، أنا على ما يرام».

يجعلنا شعورنا بالخوف بعد سماع خبر مقتل الرئيس، نفوّت رحلتنا إلى السوق في طريق عودتنا إلى البيت لشراء البقالة لطهو حساء فطور الصباح التالي، ونتجه مباشرة إلى حجرتنا المنفردة. لم تتحدّث أيٌّ منا. صمت مطبق. هل سيلغى برنامج الدراسة حقًّا بعد أن مات الآن الرئيس الذي وفّر لنا فرصة الالتحاق بالمدرسة، كما ذكر ناظر المدرسة؟

تفارقنا أوني **هِي-جاي** عند الطابق الأول، ثم أواصل وابنة خالي طريقنا إلى الطابق الثالث.

فجر الصباح التالي، أتسلّل خارجة من الباب الأمامي أحمل سكّينًا داخل الصحن البلاستيكي الذي كنا نستخدمه كي ننقع الأرز. ألتفت حولي بينما أخطو داخل رقعة الخسّ فوق قطعة الأرض الخالية. كانت أوراق الخسّ مغطاة بطبقة كثيفة من ندى الليل. قطرات الندى باردة على أصبعي، لكن احمرت المنطقة أسفل أذنيّ. رغم أنني منحنية بشدّة ولا يوجد سوى القليل من البشر في الخارج في مثل هذه الساعة، أشعر كأن شخصًا ما سوف يظهر أمامي في أي لحظة كي يوبّخني على دخول رقعة

الخسّ المملوكة لشخص آخر. ينتابني أيضًا الشعور بأن مالك رقعة الخسّ الذي لم أره من قبل أبدًا سوف يظهر أمامي هناك ويصرخ: «لِصّة!».

أقمع خوفي وأجمع كل ما أحتاجه من الخسّ لإعداد الحساء في الصباح. في اللحظة التي أعبر فيها البوابة الأمامية للبيت مع الصحن الذي يحوي الخسّ الذي جمعته، تفتح أوني **هِي-جاي** باب حجرتها وتخطو خارجةً. أخفي الصحن وراء ظهري بسرعة وأمشي صاعدة الدرج. كانت ابنة خالي في طريقها إلى الخارج عندما تطلق ضحكة.

«لقد فكّرنا في الشيء ذاته. لقد كنت قلقة بماذا سنطهو الحساء ثم خطر الخسّ ببالي. كنتُ في طريقي الآن لأقطف بعضه».

فقط عندما أنزل صحن الخسّ الذي قطفته خلسة، ينحسر خوفي.

«وفاة الرئيس أمر جلل؛ جعلنا نعود إلى البيت مباشرة من دون المرور على السوق ليلة الأمس. بإمكاننا أن نقول إن الرئيس قد أمرنا أن نسرق، صحيح؟!».

***

عندما يكتمل ما أكتبه، هل سأتمكّن من العبور بكاملي إلى الجانب الآخر، إلى شغف آخر؟ هل سأتحرّر من العنف والوحشية، الفوضى والضعف الذي يعذبني من الداخل من حين إلى آخر كمد وجزر؟

***

يعلنون فرض قانون الطوارئ بعد موت الرئيس. لم يعد أخي الثالث إلى حجرتنا المنفردة ولا حتى ليلًا. بات تجمّع خمسة أشخاص فقط للحديث جريمة، تهمس **مي-سيو** إليّ وهي تقرأ كتاب **هيجل**. عندما نكتشف أننا نجلس في مجموعة من ثلاثة أو أربعة، نتفرّق في منتصف المحادثة. توتّر هادئ يسود الشوارع كما لو نهبها قطيع من الذئاب.

«أرجو فقط أن يكون بخير»، يقول أخي الأكبر، وهو يجول ببصره في الحجرة بحثًا عن أخي الثالث بمجرّد أن يصل إلى البيت في وقت متأخّر من المساء، مرتديًا باروكته.

ذات يوم بينما أخي الأكبر في الخارج لإلقاء حصته الصباحية في مركز التدريس معتمرًا باروكته، يخطو أخي الثالث داخل الحجرة. لا بد أنه قضى ليلته في ندى الليل لأن كتفيه كانا رطبين. قبل أن تسنح لنا الفرصة كي نتحدّث معه، يشرع أخي الثالث في حزم ثيابه وكتبه.

«هل أنت ذاهب إلى مكان ما؟».

تحضِّر ابنة خالي الإفطار. يجلس أخي الثالث إلى المائدة، أنفه حادّ.

«أخبرا أخي الأكبر أنني سأرحل بعيدًا في الريف لمدة من الوقت».

«ماذا عن دراستك؟».

«لقد أقفلت الجامعة أبوابها».

«إذًا ستعود إلى قريتنا؟».

«لا، ليس قريتنا».

«أين إذًا؟».

مكتبة
t.me/t_pdf

يعجز أخي الثالث عن الردّ. عندما ألحّ عليه كي يخبرني أين سيذهب، يطلب مني فقط أن أخبر أخي الأكبر ألا يقلق، ثم ينصرف عبر الباب نفسه الذي دخل منه منذ لحظات.

***

كانت ابنة خالي مفتونة بطالب في مدرسة الهندسة الثانوية يتلقّى تدريبًا في قسم الفحص في المصنع. أجلس وراء ابنة خالي التي يهيم قلبها بمتدرّب المدرسة الثانوية، وأنسخ «**القزم يطلق كرة صغيرة**» في مفكرة. لم يتبقَ لي سوى القليل لأفرغ من نسخه.

«لا تبكي يا **يونغ-هِي**».

«...».

«رجاء لا تبكي، سوف يسمعك أحدهم».

لا أستطيع التوقّف عن البكاء.

«ألا يغضبك ذلك؟».

«أطلب منك، الكف عن البكاء».

«أريدك أن تقتل أي وغد ينادي أبيك «قزمًا»».
«سأفعل. سأقتله».
«عدني أنك سوف تقتله».
«سأفعل. أعدك».

***

اسم رئيس الجمهورية الجديد الذي انتخبه **المجلس الوطني من أجل إعادة الوحدة** هو «**تشوي كيو-ها**»[1]. على الجدار الرئيسي حيث كانت صورة **بارك تشونغ-هي** معلّقة في مكتب قسم الإنتاج، تُعلّق صورة الرئيس الجديد بنظاراته. الرئيس **تشوي كيو-ها**. للاسم وقع غريب. حتى تلك اللحظة كان الرئيس هو **بارك تشونغ-هي**، وكان **بارك تشونغ -هي** هو الرئيس لهذا كان من الغريب القول الرئيس **تشوي كيو-ها**.

يبدو الرئيس الجديد وديعًا. عظام فكّه ليست حادة كالرئيس الميت، وأذناه حيث تستريح نظاراته ليست بارزة كأذنيّ الرئيس الميت. كان يشبه أي رجل مسنّ عادي في الضاحية. رجل مثله رئيس؟! أوقع الاختيار عليه لهذا السبب بالتحديد، لأنه ليس صلبًا ولا حادًّا؟ في إحدى ليالي ديسمبر، ولم يكن قد مضى على توليه الرئاسة سبعة أيام حتى، سُمعت أصوات أعيرة نارية إذ فجأة قرب **هانام-دونغ، وسامجكي-جي** وقصر **جيونغبوك**[2]. لا بد أن أحدهم يحاول إرسال تهديد مبطّن إلى شخص ما. أو ربما محاولة اغتيال جديدة؟ في اليوم التالي أصدرت وزارة الدفاع بيانًا مُقتضبًا أن مسار التحقيق في اغتيال الرئيس **بارك** أفضى إلى اتهام قائد الجيش **تشونغ سنغ-هوا** وبناء على ذلك تم اعتقاله من قبل لجنة التحقيق المشتركة.

إذًا ماذا عن الأعيرة النارية؟

***

(1) تشوي كيو-ها، انتُخب رئيسًا عام 1979. وبعد أقلّ من عام أُجبر على الاستقالة إثر الانقلاب العسكري الناجح الذي قاده الجنرال تشون دو-هوان.

(2) قصر جيونغبوك: هو القصر الملكي الأساسي في عهد مملكة جوسون، وقد بُني سنة 1395، ويعد أكبر قصور جوسون الخمسة، حيث كان الملك بنفسه يعيش فيه.

كان يوم أحد. اجتمعت مع عائلة أخي الثالث إلى مائدة العشاء. كانت أضلاع لحم تُشوى فوق الفحم. كان ابن أخي الذي بلغ الخامسة منذ فترة وجيزة يلعب بكرته، يقذفها نحو الجدار. أتى نادل ليقطع الأضلاع المشوية بمقص حين سألني أخي الثالث فجأة: «الرواية التي تكتبينها، هل هي عن الفترة التي عشناها في جاريبونغ-دونغ؟».

تورّد وجهي مثل الأضلاع فوق نار الفحم.

خفق قلبي متوتّرة مما سيقوله، لكنه تطرّق إلى أمر غير متوقّع: «تعرفين حادثة 12/ 12[1]، يقولون إنها ستُعتبر انقلابًا عسكريًا قاده تمرّد ضد الرتب الكبرى، مع هذا يقولون إن المتورّطين في الحوادث لن يقدَّموا للمحاكمة - هل يبدو لك ذلك منطقيًا؟».

«كفى، هل ستخوض في كل ذلك مرة أخرى مع شقيقتك؟».

لا بد أن زوجة أخي قد سمعت ذلك الكلام مرات كثيرة من قبل، فقاطعته وهي تشتكي من ذكره مرة أخرى.

«لقد باء كل شيء بالفشل لكن...». يلتقط أخي زجاجة سوجو ويسكب بعضًا منه في كأسه.

«كل ما أردته هو أن أكتب». بدت إجابة أخي الثالث غير متوقّعة بالنسبة إلى زوجته.

«إذا كنت تريد الكتابة، فلماذا درست القانون؟».

يرفع أخي كأسه ويتجرّعه: «لقد وصلت إلى استنتاج أنني لن أستطيع تغيير أي شيء من خلال الكتابة».

«ما الذي أردت تغييره؟».

«المجتمع».

---

(1) انقلاب الثاني عشر من ديسمبر 1979: انقلاب عسكري قاده الجنرال تشون دو-هوان حيث قام باعتقال قادة الجيش من دون علم الرئيس تشو كيو-ها بحجة ضلوعهم في اغتيال الرئيس بارك تشونغ-هي. كان هذا الانقلاب نهاية الجمهورية الرابعة وبداية عهد الجمهورية الخامسة.

غرفت ملء ملعقة من العصارة الصافية من صحن كيمتشي الفجل فوق المائدة.

«الرواية التي تعملين عليها تدور حوادثها في ذلك الزمن، وأريد فقط أن أقول إن هذا البلد لن يتغير بالتحديد لأن تمرّدًا مثل حادثة 12/ 12 يمكن أن تنجح. أين سنجد النظام إن كان هذا ما يجري داخل صفوف الجيش، حيث يُطبق القانون بصرامة مخيفة؟». يتابع أخي: «**تشون دو-هوان** رجل أحاطه **بارك** برعايته كي يكون درعًا للحفاظ على نظام **يوشين**. الحادثة كانت انقلاب **تشون**، رُتّب له ردًا على المحادثات داخل الجيش التي تبعت اغتيال **بارك** للتخلّص من الجنود المنغمسين في نشاط سياسي، وتمّ استبدال مراكز القيادة الكبرى في العاصمة برجال تابعين له بمجرّد توليه قيادة الجيش. كان **تشون** مجرّد رائدٍ في ذلك الوقت. مجرّد رائد يطرد رئيس أركان الجيش من منصبه من دون موافقة القائد الأعلى. إذا كان مثل هذا الفعل مقبولًا به في هذا العالم، فما هو غير المقبول؟ لو مرّت 12/ 12 من دون عقاب قانوني، فمهما صرّحت به الدولة، لن يصدقه الشعب. القادم هو سلسلة لا نهاية لها من العصيان والخديعة والخيانة، الماضي يكرر نفسه... حاولي الكتابة عن ذلك».

أكتفي بالجلوس هناك والاستماع.

«إذا كنتِ كاتبة، فلا يجب أن تغضّي الطرف عن مثل هذه الأمور. ذلك الانقلاب في النهاية قد تسبّب في ما حدث في غوانغجو. إنه أمر مخيف».

لكزت الأضلاع فوق الفحم بعِيدان الأكل.

«ما النفع من حكومة مدنية؟ لقد أقرّوا أنه انقلاب عسكري قاده تمرّد ضد الرتب الكبرى، لكنهم لا يستطيعون مقاضاة المتورّطين حتى... وما النفع من وجود رئيس مدني في سدّة الحكم؟ الرجل الذي أعطى الأوامر بإطلاق النار أثناء انتفاضة غوانغجو له مقعد في المجلس الوطني كأن شيئًا لم يحدث. أقل ما يمكنه فعله هو أن يتنحّى من منصبه. على ضميره أن يدفعه للقيام بذلك على الأقل، ألا تعتقدين؟».

لا أعرف يا أوبا. بالنسبة إليّ، كان القلق حينها إذا كانت نار الفحم لا تزال متّقدة أم لا، واضطرارك إلى النوم في العراء بعد أن حزمت أغراضك ورحلت، أشياء مثل تلك تبدو أكثر أهمية. لماذا، مثلًا، كان الجو قارس البرودة في ذلك الوقت، حيث عشنا في الحجرة المنفردة. عندما كنت آخذ شريحة كيمتشي وأقطعها وأضعها في طبق وأقدمها على مائدة الطعام، كانت تتكوّن طبقة من الثلج وينزلق الطبق عبر الطاولة ويسقط. ينكسر الطبق ويتبعثر الكيمتشي في كل مكان. أوبا، ما كرهته حقًّا في ذلك الوقت لم يكن وجه الرئيس، لكن أشياء مثل رفض السكين أن تقطع الفجل الذي اشتريته لإعداد الحساء لأنه متجمّد. مثل المرّات التي كنت أفتح فيها الصنبور في صباح ثلجي. أحببت حين كان الماء يندفع غير متجمّد، وكرهت حين كان الماء متجمّدًا، يأبى الخروج من الصنبور.

أردت الكتابة لا لأنني آمنت أن الكتابة ستحدث تغييرًا. أردت الكتابة لأنني ببساطة أحببت الكتابة. فعل الكتابة بحد ذاته مكّنني من أن أحلم بأشياء كان من المستحيل تحقيقها في الواقع، أشياء كانت مُحرّمة. من أين كان ينبثق ذلك الحلم بداخلي؟ اعتبر نفسي فردًا في المجتمع. إن تمكّنت من الحلم عبر الكتابة، ألا يعني ذلك أن المجتمع يستطيع أن يحلم أيضًا؟

أوبا، عندما أفكر في الكتابة، أعتقد بأنني أتذكّر عينَيّ كلب ثاقبتين تحدّقان إلى سيده. جمال القدر المنعكس في تلك العيون، الحزن النابع من الاستسلام إلى الحب، الصمت الذي تسبّبه رؤية ما لم يكن ينبغي رؤيته.

***

إنه يوم أحد في نوفمبر. تصنع أوني **هِي-جاي** الغراء. فوق موقد الفحم، يغلي قدر غراء الدقيق وتتصاعد منه الفقاقيع.

«من أجل ماذا هذا الغراء؟».

«كي ألصق ورق جدران جديدة؟».

«ورق جدران؟».

«نعم. هناك الكثير من اللطخات في سقف حجرتي».

تسأل هِي-جاي إذا كان بوسعها استعارة مقعدنا. تضع وسادة فوق مقعد مكتب أخي الأكبر وتصعد فوقه لتلصق ورق الجدران. حتى مع مساعدتي، ثمة بقع في السقف يعجز كلانا عن الوصول إليها.

«انتظري لحظة».

أصعد إلى حجرتنا وأحضر أخي الأكبر. يصعد فوق المقعد مع فرخ من ورق الجدران دهنّاه بالغراء ويلصقه على السقف، ثم يفرك كفّه قبل أن يتوجّه صاعدًا إلى الطابق الثالث مجدّدًا. عندما يرحل، تميل هِي-جاي برأسها في حيرة.

«ذلك هو أخوكِ؟».

«أجل!».

«لكنه ليس الأخ الذي أخبرتني عنه في تلك المرة».

«متى كان ذلك؟».

«تلك الليلة».

أكتم ضحكة بداخلي. حين أخبرتها آخر مرة: «ذلك هو أخي الأكبر»، كان يرتدي بدلة المعلم والباروكة. يبدو أنها أعتقدت بأن الشخص الذي ساعدها منذ لحظات في لصق ورق الجدران هو أحد هؤلاء الفتيان ساكني الحجرات في الطوابق العلوية الذين يؤدّون الخدمة العسكرية. عندما أشرح لها قصة الباروكة والبدلة، ترسم هِي-جاي على وجهها ابتسامة عريضة، أراها لأول مرة.

«تلك قصة مضحكة!».

تلين هِي-جاي بعد ذلك وتغدو تضحك كثيرًا في وجودي. عندما نعود إلى البيت على متن الحافلة، كانت تبدأ في الضحك بينما نقترب من السوق. أسألها عن السبب فتقول: «كنتُ أفكّر في أخيكِ». ثم تضحك مجدّدًا.

***

يوم آخر في ديسمبر.

أسحب بطاقة تشانغ من صندوق البريد. كنت قد مكثت وحدي في

الفصل بعد رحيل الجميع. كان الثلج يهطل. أذهب إلى النافذة. بينما أجول ببصري في الملعب الرياضي، أشعر كأن **تشانغ** سيسير في أي لحظة تجاهي في قلب الثلج المنهمر. أقرأ الكلمات المكتوبة على بطاقة **تشانغ** عدة مرات. عندما أفكّر في **تشانغ**، يرقص قلبي، وأفكر أنني أرغب في منحه شيئًا قيّمًا يخصّني. أثمن شيء أملكه والأعزّ على قلبي هو المفكّرة التي نسخت فيها رواية «**القزم يطلق كرة صغيرة**». رحت أفكّر أنني يجب أن أعطي المفكّرة إلى **تشانغ**. تجري يدي على الورق بينما أواصل نسخ الرواية.

«لديّ سؤال». كان طالبًا يجلس بعيدًا في المؤخّرة.

«ما السؤال؟».

«لقد سمعت ذات مرة أن ظاهرة الأجسام المجهولة الطائرة أو رصد الكائنات الفضائية تحدث كنوع من الدفاع النفسي الذاتي في لحظات الضغط الاجتماعي. كيف يمكننا النظر إليها في حالتك؟».

«أطلب منك أن تؤمن بما سأقوله: عندما أشرقت سماء الغرب وثارت الحمم وحلقت عاليًا، سافرت إلى كوكب آخر بصحبة فضائي. لا يمكن أن يوجد تفسير دقيق. الشيء الوحيد غير المؤكّد بالنسبة إليّ هو ما سأواجه في لحظة رحيلي. ماذا سيكون؟ صمت كالذي في المقبرة؟ أو شيء آخر؟ هل الموتى فقط من يصيحون بصوت مرتفع؟ الوقت ينفد. سواء كنا نعيش في الأرض، أو في كوكب آخر، فأرواحنا حرّة دائمًا. أتمنّى أن ينجح الجميع بدرجات جيدة ويُقبَل كل منكم في الجامعة التي يختارها. دعنا نجنّب أنفسنا كلمات الفراق».

انتباه! يصدر أزيز عن جهاز مراقبة الفصل بينما ينهض. وداعًا! ينحني المعلّم بجسده، وقد مال بجذعه إلى الأسفل قبل أن يترجّل عن المنصّة. يمشي خارج الفصل. مشيته غريبة أثناء

سيره إلى الخارج. فكر التلاميذ، لا بد أن الكائنات الفضائية تسير هكذا.

مع شمس الشتاء الآخذة في الأفول بالفعل، يبدأ الظلام يسود الفصل.

أغلق المفكّرة واشتري بطاقة كي أرسلها إلى **تشانغ**. «أهدي إليك هذه المفكّرة،»، أكتب: «رجاء احتفظ بها من أجلي، كشيء يعوّضك عن رسالة أبيكَ التي أضعتها في الماضي». لففت المفكّرة التي تحوي الصفحات التي نسختها من رواية «**القزم يطلق كرة صغيرة**» بورق هدايا ثم أرسلتها إلى **تشانغ**.

اليوم الذي أُرسل فيه المفكّرة إلى **تشانغ**، أُخرج زجاجة السوجو من الرف السفلي في خزانة المطبخ كأنني قد تذكّرت للتو، وأسكب ما تبقى فيها في البالوعة في أرضية المطبخ.

***

إنه الكريسماس. لا تأتي صديقة أخي الأكبر الحميمة، التي قالت -كما أخبرنا أخي- إنها ستمرّ عليه في حوالى الساعة الحادية عشرة ظهرًا. عندما ينتصف النهار، يقترح أخي الأكبر علينا أن نذهب إلى السينما. السينما؟ بينما نغادر، ألقي نظرة على غرفة **هِي-جاي** فأجد القفل على الباب. أمن الممكن أنها ذهبت إلى العمل في الكريسماس؟ يصحبنا أخي الأكبر إلى محطة قطار الأنفاق. كان القطار مكتظًّا بالبشر. تبحث ابنة خالي عن ذراعي وسط الزحام وتتشبّث به. ننزل عند قاعة المدينة، حيث ننسل خارج الممشى تحت الأرض ونسير في الشارع. كانت أول مرة نذهب فيها إلى السينما في المدينة. **ميونجدونغ**، مسرح كوريا المجاور لمجمع **كوزمو** التجاري. فيلم **ألعاب ممنوعة**[1]. يتفحّص أخي الأكبر التذاكر، ويقول إنه لدينا بعض الوقت، ثم يصحبنا إلى متجر مخبوزات في الطابق الأرضي

(1) فيلم فرنسي للمخرج رينيه كليمنت، من إنتاج سنة 1952.

لمجمع **كوزمو** التجاري. تشتري ابنة خالي رغيفًا طويلًا، وأشتري أنا فطيرة **شو** محشوة بالكريمة.

«ألن تشتري شيئًا لنفسك يا أوبا؟».

«سوف اشتري زجاجة حليب فقط».

بعد برهة، نكون داخل المسرح. في الشاشة، تشقّ عربة خشبية وسيارة طريقهما بمحاذاة النهر. يبدو أن الحوادث تدور في زمن حرب. فتاة صغيرة اسمها **بوليت**، لا تعرف حتى إن والديها قد قتلا في غارة جوية، لكن حين يموت كلبها، تبدأ في النحيب. تلتقي بفتى ريفي يدعى **ميشيل**. يصبح الطفلان صديقين سريعًا. يطيع **ميشيل** كلام **بوليت** ويفعل أي شيء تريده.

يبدو أخي الأكبر هادئًا جدًّا، لهذا ألتفت في منتصف الفيلم لألقي نظره عليه. اكتشف أنه قد استغرق في النوم.

بعد أن يعلم **ميشيل** أنه عندما يموت أحدهم، تقام جنازة ويُحفر قبر، تصبح **بوليت** مهووسة بلعبة القبور والصلبان. عندما يخبرها **ميشيل** أنها لا تستطيع حفر قبر، إلا إذا مات شخص ما، تقول له **بوليت** إنه يمكنها جعل شيء ما يموت. تواصل اللعبة عن طريق قتل البقّ والحيوانات ودفنها. عندما أرادت **بوليت** صليبًا حقيقيًا، يذهب **ميشيل** إلى ساحة المقبرة ويسرق صليبًا.

هذه المرة تبدو ابنة خالي هادئة جدًّا، التفت لأنظر إليها فأجدها قد نامت بدورها.

عندما بدأ والدا **ميشيل** التفكير في أن الإبقاء على **بوليت** في منزلهم سيتسبّب في مشكلة كبيرة، يأتي عمال الإغاثة ويأخذونها بعيدًا. تصل **بوليت** التي ترتدي شارة تحمل اسمها على صدرها وتقودها راهبة، إلى محطة القطار حيث تسمع وسط صخب الزحام، طفل يهتف، «ماما». تنكمش **بوليت** إلى الوراء وترتعش شفتاها وهي تهتف، «**ميشيل**». تشتاق إليه. **ميشيل**... **ميشيل**. ثم قبل أن ندرك ذلك، يتحوّل الاسم الذي تنادي عليه **بوليت** من **ميشيل** إلى ماما.

يقول أخي الأكبر بعد مغادرة المسرح، إن ذلك الطريق يقود إلى كاتدرائية ميونجدونغ، ويقترح أن نتوقّف هناك قبل أن نعود إلى البيت. كاتدرائية. في الريف اعتادت أمي على اصطحاب أخي الأكبر حين كان صبيًا صغيرًا إلى كاتدرائية في البلدة. نصعد الدرج داخل كاتدرائية ميونجدونغ حيث نجد عرضًا يعيد تجسيد مشهد ميلاد المسيح. كان نموذج الإسطبل المصنوع من القش يبدو مريحًا. تمسك مريم العذراء بمولودها الطفل يسوع بين ذراعيها. كان الطفل يسوع بهيًّا ومريم العذراء جميلة.

«أوبا، مَن أولئك الرجال الراكعين على ركبِهم؟». تضحك ابنة خالي الواقفة بجواري، «ألا تعرفين؟ إنهم المجوس[1]». المجوس؟

يختفي أخي الأكبر. أبحث عنه في الكاتدرائية. أصادف فتاة تصلّي أمام مريم العذراء، شعرها مغطّى بحجاب الكنيسة. كان أخي الأكبر يقف بجوارها. أخي الأكبر، رجل شاب اصطحب أخته وقريبته إلى السينما بدلًا من المرأة التي لم تأت إلى موعدهما الغرامي في الكريسماس، يقف الآن بين يدي مريم العذراء وقد أحنى رأسه إلى أسفل. من أجل ماذا يصلّي؟ يبدو وحيدًا جدًا أمام مريم العذراء إلى درجة يشعر فيها قلبي ذو السبعة عشر عامًا بالوحشة أيضًا. الطريقة التي ينظر بها أخي الأكبر في هذه اللحظة، لن أنساها أبدًا مهما مضى من وقت. يبدو أن ابنة خالي متذمّرة من الحجاب الأبيض الناصع فوق رأس الفتاة.

«وكأنه غير مسموح لنا بالصلاة من دون ذلك الشيء؟».

«لستُ... لست متأكّدة».

تقترب ابنة خالي من الفتاة وتقف وراءها هناك بكفين مضمومين. تغمز بعينيها إليّ كي أفعل مثلها. أقف هناك متململة في مكاني، عيناي مثبتتان على ظهر ابنة خالي وهي تصلّي.

***

(1) المجوس الثلاثة أو الملوك المجوس: ثلاثة أشخاص ذكروا في إنجيل متى.

بمجرد أن أفتح عينيّ، أتوجّه إلى الباب، وقد تذكّرت جرس الباب الذي رنّ في منتصف الليل. فقط الجريدة في الخارج.

المصارع سيّئ الحظ **سونغ سيونغ-إل** يموت بعد صراع طويل.

من هو **سونغ سيونغ-إل**؟ التقطت الجريدة وقرأت المقال.

نافسَ **سونغ** في وزن مائة كيلو جرام في رياضة المصارعة الرومانية - اليونانية في الألعاب الآسيوية في **هيروشيما** في أكتوبر الماضي، من دون أن يعرف بأن خلايا سرطانية تنهش جسده، وفاز بالميدالية الذهبية متغلبًا على ألم مبرح في المعدة، ليصبح رمزًا حقيقيًا للروح القتالية. لكنه لم يستطع أن يهزم شيطان مرضه وفي مثل هذه السن الصغيرة، سن السادسة والعشرين، رحل في منتصف الطريق إلى النوم الأبدي.

تأمّلت صورة المصارع سيئ الحظ.

غدًا بداية السنة القمرية الجديدة.

***

في آخر أيام ديسمبر، يشتري أخي الأكبر تلفازًا صغيرًا من أجل حجرتنا المنفردة. يشغله من أجلنا قبل أن يتوجّه إلى محطة **يونجدونجبو** كي يلحق بقطار الليل إلى بيتنا في الريف. يمنحنا المصنع يوم إجازة فقط في الأول من يناير على أن يمنحنا إجازة أطول مع بداية السنة القمرية الجديدة ليعوّضنا عن تلك العطلة المهدورة. تسخّن ابنة خالي التي توطّدت صداقتها الآن بمتدرب المدرسة الثانوية، الماء لتغسل شعرها. تضع قطرة من عطرها الغالي تحت أذنيها ثم تنتعل حذاءها ذي الرقبة الطويلة بدلًا من حذاء المدرسة وتغادر البيت.

«إلى أين ستذهبين؟».

«سوف نتجمّع سويًا لقضاء بعض الوقت في حجرة المتدرّب. تعرفين، أعتقد بأنه معجب حقًّا بأوني **يون سون-إم**. ألم تلاحظي ذلك؟».

«لكن كم عمر أوني **يون سون-إم**، ثلاثة وعشرون؟».

«حسنًا، كلما رآني، فإنه لا يتحدّث إلا عنها». تضربني ابنة خالي على كتفي برقّة. «أخبريني ماذا تعتقدين حقًا. أنا الأجمل أم أوني **سون-إم**؟».

«أنت أجمل».

«تعنين ذلك حقًّا؟».

«حسنًا، أوني **سون-إم** جميلة أيضًا، أليس كذلك؟».

«أنتِ محقة. هي جميلة حقًّا. لديها ذلك الشعر الطويل وعيناها تبتسمان دائمًا. مجرّد رؤيتها تجعلني أشعر شعورًا جيدًا، لذا بالتأكيد ينجذب الرجال إلى ذلك، صحيح؟».

أمكث مع أوني **هِي-جاي** في حجرتنا طوال اليوم، نشاهد التلفاز. برامج مميزة بمناسبة السنة الجديدة. مؤدّو فنون قتالية يظهرون على الشاشة ويؤدّون استعراضات خلابة. يمتصّون الطاقة من الهواء ويطفئون المصابيح بعيونهم، يضعون سبعة أو ثمانية صفوف من البيض في حاوية ثم يرقدون فوقها من دون أن يتهشّم. حتى حين يضع رجل مفتول العضلات لوحًا خشبيًا فوق الرجل الراقد فوق البيض، ويتسلّق بجسده ويقف فوق اللوح ضاغطًا على الرجل أسفله، ولا ينكسر البيض.

ثم في لحظة ما، تهتف أوني **هِي-جاي**: «انظري، ذلك الرجل...».

أنظر إلى الرجل الذي تشير إليه. يسأل مقدّم البرنامج الرجل كيف دخل في مجال هذه الرياضات الخطرة.

«لقد تعرضت إلى التنمّر كثيرًا لأنني أمتلك بنية ضعيفة وأبدو كالفتيات». بينما يجيب بابتسامة، تتشكّل غمازات في خديه. «لهذا عاهدت نفسي أن أبدو بمظهر رجولي أكثر ومن شيء إلى آخر، ها أنا هنا».

أهز كتف أوني **هِي-جاي** التي كانت تحدّق باندهاش إلى شاشة التلفاز.

«إذًا، من هذا الرجل؟».

«إنه هو».

«من؟».

«الفتى الذي حكيتُ لكِ عنه».

***

أشغل التلفاز من دون اهتمام. كانت مغنية تدعى **بارك مي-جيونغ** تغنّي أغنية مع إيقاع صاخب:

عندما تخبرني أنك قد أحببتني، أشعر بأنه مجرّد تمثيل.

الترجمة تظهر في أسفل الشاشة. لا بد أن اسم الأغنية هو «**لا أعذار**».

إن تغير قلبكَ، لا تعطني أعذارًا.

حاولت أن أفرد رقبتي كي أتابع حركات **بارك مي-جيونغ** المثيرة للدوار، ثم غادرت الحجرة من دون أن أطفئ التلفاز. أفتح الثلاجة. لا شيء لآكله سوى التفاح. غدًا رأس السنة القمرية الجديدة. يجدر بي على الأقل أن أطهو لنفسي صحنًا من حساء كعك الأرز، أخبر نفسي وأحضر محفظتي بينما تواصل **بارك مي-جيونغ** الغناء.

لا طريق للعودة من أجلي. لا طريق.

أجد بطاقة في صندوق بريدي في نهاية الدرج. أسحبها وأتفقد اسم المرسل. الكتابة بخط اليد باستخدام قلم ريشة غُمس في الحبر. خط يد الشخص نفسه التي أرسلت إليّ رسالة انتحار في سبتمبر الماضي. حسنًا على الأقل من الواضح أنها لم تفارق الحياة طالما تستطيع أن ترسل إليّ بطاقة معايدة السنة الجديدة.

مزّقت المظروف بينما أقف هناك في مكاني. لا شيء ولا حتى كلمة واحدة عن رسالة الانتحار التي أرسلتها إليّ.

أشعر بأنني محظوظة لأنني استطعت الشعور بوجودكِ في العام الماضي. أتمنّى لكِ السعادة كلها.

ذلك كل ما تقوله الرسالة. وضعت بطاقة السنة الجديدة في جيبي ثم دسست يدي داخله بالقرب من الرسالة. فتحت الباب وخطوت إلى الخارج. داعبت رياح باردة خصلات شعري التي انسلّت من ضفيرة ذيل الحصان. وسط الرياح الباردة، طغى عليَّ فجأة هدوء مهيب. شعرت بوجودي، لقد قالت ذلك؟ وجودي؟

***

الجزء الثالث

تتنفّس جلودنا رياحًا من أماكن مختلفة.
نلوذ إلى النوم لأننا وحيدون.
حتى في نومنا لا نستطيع اللقاء.
أحيانًا فقط، نرى قمم رؤوسنا،
وتتصادم أقدامنا المتقرّحة.
نرقد من جديد،
رؤوسنا كلٌ منها في اتجاه مختلف،
ونتنفّس متعَبين.

هوانغ إن-سوك[1] (رقصة دائرية)

(1) هوانغ إن-سوك: شاعرة كورية جنوبية من مواليد 1958. تهتم أشعارها بإحساس الاغتراب في المدينة بين البشر، والحيوانات، خاصّة القطط. نشرت ثلاثة عشر ديوانًا شعريًا.

هذا الزقاق، حيث لا يذوب الجليد. هذا الزقاق الذي يحوّله هطول الثلج خلال الليل إلى ممر جليدي. يوجد العديد من الأزقة المخفية داخل العالم. نوافذ معتمة. أعمدة هواتف باردة. قوالب طوب مفتَّتة. وحجرات ضيّقة ملتوية كالمتاهة على الجانب الآخر من السياج. رائحة تفوح من قنوات المجاري. رائحة قلي كعك دبق محشو بالسكر. ردهة نزل طويلة مكشوفة. رائحة موقد الكيروسين. عامل مصنع شاب ببثرة على وجهه يترنَّح ثملًا. هواجس الحياة تتسرّب إلى داخل الإيقاع المدوّي لغنائه الكئيب. البوّابات التي لا يمكن إغلاقها أبدًا مع عبور الكثير جدًا من البشر خلالها. أكوام رماد الفحم المحترق. القمامة المتجمّدة في الشتاء. عامل المصنع الشاب يجثو على ركبتيه متمسّكًا بعمود طاقة. قيء جاف يندفع ضد التيار صاعدًا من أحشائه.

كانت امرأة أخي الأكبر لتكره هذا الزقاق، والباروكة التي يرتديها فوق رأسه الصلعاء، وكانت لتكره التصاقي به كورم خبيث.

ربما هذه هي طبيعة الكون. نساء العالم ستخيِّبن آمال الرجال، ورجال العالم سيخيّبون آمال النساء.

فوق كل هذا، تعترض أمي على خصر المرأة النحيل. وتعترض المرأة على خصر أمي العريض. تحيّي المرأة أمي بانحناءة رأس تصل إلى الأرض عندما تصل أمي إلى سول. تلتفت أمي بعيدًا عنها. في نظر أمي، فإن هذه المرأة النحيفة الهشّة ليست من نوعية النساء التي ستثابر على أداء الأعمال المنزلية. بينما ينصرف أخي الأكبر مع المرأة لتوديعها، تضرب أمي بقبضة يدها على صدرها.

«هل تزوركم في البيت كثيرًا؟».

«لا»، لا تزورنا كثيرًا. مؤخرًا، كثيرًا ما تقول إنها ستأتي ولا تفعل.

«بخصر نحيل كهذا، لن تستطيع تحمل العمل داخل منزلنا».

العمل داخل منزلنا؟ أفكّر في الريف. حين أفكر مليًا في الأمر، لا توجد أي امرأة بخصر نحيل هكذا في أرجاء بيتنا في الريف. ولا توجد امرأة بتلك الأصابع الملساء والشعر الحريري ولها عينان داكنتان واسعتان.

عندما يعود أخي الأكبر، تُجلِسه أمي أمامها.

«تعرف أنك الحفيد الأكبر لهذه العائلة. هل ستتمكّن تلك المرأة من تقديم وجبة واحدة بخصر نحيفٍ كهذا؟».

«إنها طاهية جيدة». تضحك ابنة خالي.

«الطبخ ليس كل شيء».

لا تفتح أمي حتى صندوق الهدية الذي احضرته المرأة. عندما يطلب منها أخي أن تفتحه، تدفعه بعيدًا.

«إنها امرأة طيبة».

مهما قال أخي الأكبر - حتى لو سمى الحافلة قطارًا، كانت أمي تصدّقه لكن هذه المرة لا تنصاع إليه.

«مشاعرك نحوها عميقة كما أرى، لأنك التقيت بها هنا، وحيدًا في الغربة بعيدًا عن القرية، لكن من المستحيل أن أسمح بذلك. لنفترض أنك ابني الثاني، ربما كنت لأقبل بالأمر لكنك ابني البكر. إذا سمحت بانضمامها إلى عائلتنا، يبدو أنني سأضطرّ لخدمتها طالما كنتُ على قيد الحياة! لا أستطيع السماح بذلك، أبدًا، هل سمعتني؟».

***

لا يكتب تشانغ ردًا على رسالتي. أفتح صندوق البريد كل ليلة لينتهي بي الأمر مُحبَطة.

***

في أي نقطة من التاريخ، توجد أسرار دفينة، حتى لو لم يكن المرء يمضي في الحياة بل يُقبِل على الموت. سيكون هناك ذكريات حانية كفتى

ممتلئ الجسم، عيناه زرقاوان متَّقدتان، يواصل النمو في ذلك الزقاق برائحته النتنة الرهيبة، مثل صدورنا التي قست كجذور القلقاس الأبيض. في أي نقطة من التاريخ، ستوجد ذكريات دفينة لنحتفظ بها.

هل ستتذكّرينني وتتذكّري أنني كنتُ إلى جانبك حتى لو رحلت يومًا، رحلتِ بعيدًا...

***

في منتصف ذلك الزقاق، في المنزل الذي كالدهليز بحجراته السبع والثلاثين، تصبح أوني **هِي-جاي** في الثانية أو ربما الثالثة والعشرين. بعد ذلك بثلاثة أو أربعة أيام، يحلّ عيد ميلادي الثامن عشر. تدعونا ابنة خالي **هِي-جاي** التي لم يمرّ سوى أيام قليلةٍ على عيد ميلادها إلى حجرتنا، وتغنّي أغنية وأمامنا قطع من كعكٍ الكاستيلا المزيّنة بأعواد ثقاب.

جميلتي، مولودة في منتصف الشتاء... حبيبتي... عيد ميلاد سعيد لكِ.

تعلن وزارة التعليم تعديلات جديدة في لوائح تصفيف الشعر، تعطي الطالبات حرية اختيار الطريقة التي تسرّحنَ به شعورهنّ. حتى تلك اللحظة، كنا نسرِّح شعرنا في ضفائر. كان تمشيط شعرنا وتضفيره كل صباح يستهلك منا وقتًا طويلًا. بمجرد أن تسري اللائحة الجديدة، أتوجّه وابنة خالي إلى صالون شعر في سوق **جاريبونغ**-دونغ ونقصّ خصلات شعرنا الطويلة. أحصل وابنة خالي على قصة شعر قصيرة. أحدق وابنة خالي في المرآة بعد عودتنا إلى حجرتنا. كل ما فعلناه هو قصّ شعرنا، مع هذا نبدو كما لو كنا غريبتَيْن. تتجهّم ابنة خالي قائلة إنها تبدو كرجل.

***

أهاتف «ج».

«أتريدين القدوم إلى شقتي؟».

«فرغتِ من الكتابة؟».

«...لا».

«إذًا لن أستطيع القدوم إليكِ».

«إذا أتيت، فسوف أشتري بعض السلطعون الأزرق وأطهوه بالبخار».

«لا أستطيع».

«سوف أعد لكِ كعكًا بالثوم».

«لا، شكرًا».

«إذًا ما رأيكِ باللقاء في الخارج وتناول الغداء؟». صمت. «سأعود إلى البيت بمجرّد أن ننتهي من تناول الطعام».

أفلتت ضحكة من بين شفتيّ «ج» على الطرف الآخر من الخط. «توقّفي عن البحث عمّا يشتّت. ابقَيْ حيث أنتِ واكتبي».

«سوف أعود إلى البيت بعد الغداء مباشرة».

«لديَّ موعد غداء».

«مع من؟».

«لا أحد تعرفينه».

«في أي وقت؟».

«يجب أن أنهي المكالمة الآن».

أضع سماعة الهاتف ثم أعاود الاتصال بها بعد ثلاثين دقيقة.

عندما أقول: «إنها أنا». تجيب «ج» صارخة: «كفّي عن الاتصال بي!». صمت. سرعان ما تلين نبرتها وتبدأ في تملّقي: «اتصلي بي عندما ترسلين الدفعة التالية من مسوّدة الرواية، حسنًا؟».

تغلق الخط. «ج» الجبارة.

***

...1980

نحن على قيد الحياة. حتى لو كانت الحياة التي نعيشها في ذلك الزقاق تشبه الحياة في نُزل مؤقت، فالشيء المهم هو أننا أحياء. إننا نحتفظ بأرقام

قديمة مُدوَّنة في دفتر العناوين، حتى لو مرّ عام كامل من دون أن نستطيع إجراء مكالمة هاتفية واحدة. إنني أستطيع مَدّ يدي والإمساك بيد أخرى. حتى لو لم أكن أمتلك ذكرى لوجودك في هذا العالم، لو كنتِ حيّة، تفتحين عينيك وتتنفّسين كل صباح وأنت تمشين في فضاء هذا العالم... ما كنت لأواصل تجنّب الزمن والفجوة بين عمر السادسة عشرة والعشرين. حتى لو تذكّرت، حتى لو تذكّرتها إلى الأبد... فما الجدوى من ذلك؟ في النهاية ماذا يمكن لذكرى أن تغيِّر؟

لا أعرف ماذا حدث بعد ذلك، كان لا يزال أمامي طريق طويل لأسلكه قبل أن تنتهي الحياة. رأيتها ذات مرة تسير مترنّحة بمحاذاة سور طويل بصحبة رجل... لا يمكننا استخدام هذه التعبيرات في الكتابة إلا إذا كانت على قيد الحياة.

***

تنبثق من مشهد اغتيال الرجل الأقوى في نظام **يوشين** سلسلة لا تنتهي من القصص، مثل نظريات المؤامرة في المحاكم الملكية القديمة، وقصص عن النساء والخمر، قصص عن الفساد والكراهية العميقة التي يكنّها الشعب تجاه مَنْ في السلطة. في ذلك العام، 1980، تفاجأت الأشجار المزهرة في سيول عند تفتحها. شقّت الأشجار طريقها من تحت الأرض المتجمِّدة خارجة إلى العالم، لتكتشف أن الربيع قد انتشر في كل مكان – ربيعًا سياسيًا، ربيعًا اجتاح سول. انتشر إحساس بالتحرّر ولّده موت ديكتاتور مستبدّ بسرعة من شخص إلى آخر. على الرغم من أن قانون الطوارئ العسكري كان لا يزال ساريًا، ينشر ربيع سول ذلك العام، الشبيه بربيع براغ، الأمل في الأجواء مع الزهور الجميلة الطازجة المتفتّحة حول الجبال والأنهار. وسط موجة الديمقراطية تلك، التي تدفّقت عالية

وشامخة كطوفان، يخرج القسيس **مون إك-هوان**[1] من السجن إلى بيته في **سويوري**. حتى في قلب الشتاء، وسط البرد والثلج، تتفتّح أزهار الفورسيثيا على نحو جنوني.

في ذلك الزقاق حيث لا يذوب الجليد حتى حين يصل الربيع، تقف المرأة قرب عمود الطاقة في انتظار أخي الأكبر. أعبر -أنا في سن الثامنة عشرة- البوابة إلى الخارج ممسكة بكلّابات الفحم لأشتري بعضًا من قوالب الفحم الساخنة، عندما أتوقّف مندهشة. ألمح أخي الأكبر يقترب، يرتدي باروكته ويبدو منهكًا. خطوات أقدامه خطوات ابن كبير مُنهك. خطوات أقدام شاب مسكين يحمل عبء عائلته بأكملها على ظهره في عمر الخامسة والعشرين. تتوقّف خطوات أخي الأكبر عندما يرى المرأة.

يعمّ الصمت.

تخلع المرأة عقدها وتناوله إلى أخي الأكبر الذي يقف هناك محنيّ الرأس.

«أتيت لأعطيك هذه».

«لا يجب عليكِ فعل ذلك».

«لكنكَ من أعطيته لي».

تدفع المرأة العقد داخل يد أخي الأكبر المقاوِمة قبل أن تلتفت.

تتدلى عنقي إلى أسفل وأنا أقف وراءهما ممسكة بكلابات الفحم في يدي. أوبا المسكين. تلتفت المرأة بخصرها النحيل وتمشي بعيدًا، ينقر كعبَا حذائها على الأرض بقوة، لكن أخي الأكبر بباروكته يركض وراءها ويوقفها.

«أيجب عليكِ فعل ذلك؟».

---

(1) مون إيك-هوان (1918-1994): قسيس ومُنظّر وشاعر وناشط كوري جنوبي اشترك في العديد من الحركات السياسية والطلابية وكان يدعو للوحدة بين الكوريتين. اعتقل خمس مرات، وقضى أكثرمن عشر سنوات في السجن.

«أنا مرهَقة».

تلتفت المرأة من جديد وتواصل سيرها. بينما تختفي داخل ريح الليل، يقف أخي الأكبر هناك يراقبها، ينخفض ذراعاه من التعب، لكن وجهه يرتفع إلى أعلى. بعد أن يقف هكذا لوقت طويل، يلتفت أخي الأكبر متوجّهًا إلى حجرتنا المنفردة. أسارع إلى الاختباء خلف البوابة. لسبب ما، أشعر بأنه قد يثور لو علم أنني كنت أراقبه طوال ذلك الوقت.

أفكّر، لقد خلّفت فتاة أخي الأكبر آثار خطوات أقدامها المسموعة في ذلك الزقاق كي ترحل عنه، لكننا نترك آثار خطوات أقدامنا في ذلك الزقاق ليل نهار كي نعيش. جميعنا نفعل ذلك. ابنة خالي وأوني هِي-جاي وأنا.

***

يعود أخي الثالث الذي حزم حقائبه وغادر حجرتنا المنفردة منذ مدة على متن قطار الأنفاق. كنتُ وابنة خالي قد رجعنا إلى البيت من العمل -نحن الآن في سنتنا الثانية في المدرسة- ورحنا نعدّ الكيمتشي.

«كيف حالكم؟».

«أوبا!».

بمزيج من الدهشة، والسعادة لرؤيته، تسحب ابنة خالي يدها المتورّدة بسبب مزجها التوابل بالخسّ، من صحن الكيمتشي. كنت أمسح أرضية الحجرة بخرقة قماش عندما سمعت صياح ابنة خالي الصاخب، فأمدّ رأسي إلى داخل المطبخ. كان أخي الثالث يقف بجوار باب المطبخ. ألاحظ على الفور أن شعره قد بات قصيرًا جدًّا.

«أين كنتَ؟».

لا يجيب أخي الثالث. يسألني: «أين أخي الأكبر؟».

«في مركز التدريس الخاص».

«لكنه يدرّس في الصباح».

«لديه حصص مسائية أيضًا. لا يعود حتى منتصف الليل».

تزيح ابنة خالي صحن الكيمتشي الكبير جانبًا كي تفسح الطريق من أجل أخي الثالث. حتى بعد أن يدخل الحجرة، يستمر أخي الثالث في الوقوف. يلمع وجهه الحليق أسفل ضوء مصباح الفلورسَّنت. يبقى واقفًا هكذا من دون أي نية للجلوس. فقط بعد برهة طويلة، يضع حقائبه على الأرض. يبدو أنه يتأهّب للرحيل ثانية قريبًا.

«هل تناولت العشاء؟».

يستمرّ أخي الثالث في وقوفه كأنه يلقي نظرة على حجرة شخص آخر. يقف بجوار خزانة الثياب مثبتًا عينيه على المكتب.

«هل ترغب في تناول بعض الطعام؟».

لا يجيب أخي الثالث بينما يدسّ قدميه داخل حذائه الرياضي، الذي خلعه منذ لحظات ويتوجّه إلى الخارج.

«إلى أين؟».

لا يجيبني. أسمع صوت هبوطه الدرج بخطوات متخبّطة في الظلام.

أقف هناك، أنصت إلى الصوت، قبل أن أندفع وراءه. أقفز هابطة درجتين أو ثلاثًا في المرة الواحدة وأنا أنادي: «أوبا!» عندما ألحق به لاهثة، ينظر أخي الثالث إليّ بحَيرة.

«ما الخطب؟».

«أين أنت ذاهب؟».

«كي أستقبل أخي الأكبر عندما يصل».

«حقًا؟».

«حقًا. ما الأمر؟ تريدين مرافقتي؟».

كنا منشغلتَيْن بتجهيز الكيمتشي. كثير من الصحون تنتظر الجلي كما تحتاج الحجرة إلى الكنس، والآن مع عودة أخي الثالث، يجب أن نعدَّ عشاء من أجله حتى لو تأخّر الوقت.

«لن تغادر ثانية، أليس كذلك؟... ينبغي أن تعرف مدى قلق أخينا الأكبر...».

«لن أذهب إلى أي مكان. أنا فقط في طريقي لتحيّة أخي الأكبر».

«عدني أنك سوف ترجع إلى البيت مع أخي الأكبر؟».

«سوف أرجع».

يربّت أخي الثالث على رأسي.

«سأعود في أسرع وقت. اذهبي إلى البيت». يقول لي ثم يضيف إنه يرغب في الحديث مع أخي الأكبر في موضوع ما.

بعد أن أقتنع أخيرًا، أستدير وأعود أدراجي. بعد فترة، يدلف أخي الأكبر ببدلته وباروكته، وأخي الثالث برأسه الحليقة إلى الحجرة معًا. يبدو أخي الأكبر مبتهجًا. فقط حينها أشعر بالارتياح.

«أعددتما كيمتشي جديدًا؟».

«أجل».

«رائحته زكية».

يضع إطراء أخي الأكبر ابتسامة على وجه ابنة خالي التي أعدَّت الكيمتشي. يقول أخي الأكبر دائمًا إن للكيمتشي الذي تعدّه ابنة خالي رائحة زكية، ومذاقه يشبه تمامًا الكيمتشي الذي تعده أمي، وأن ابنة خالي ستكون زوجة جيدة.

«أيمكنك صنع بعض الصلصة لنشوي هذا».

يناولها أخي الأكبر علبة ملفوفة بورق الجرائد تحوي نصف جيون[1] من لحم بطن الخنزير. يخرج أخي الثالث زجاجة سوجو من كيس أصفر في يده ويضعها على الأرضية. بينما تصنع ابنة خالي الصلصة، يخلع أخي الأكبر باروكته ويعلّقها على الجانب الداخلي للباب، ثم يغسل قدميه ثم جواربه ويعلقها على الحبل في المطبخ. أهمّ بالخروج إلى المتجر لشراء قالب من الفحم الساخن، لكن يوقفني أخي الثالث ويعرض أن يذهب بدلًا مني.

(1) وحدة وزن كورية تقليدية.

«إذا لم أذهب أنا أو ابنة خالي، فستضطرّ إلى الانتظار في طابور طويل.».

مع هذا، يرافقني أخي الثالث. في الطابق الأول، تناديني أوني هِي-جاي، التي انتهت للتو من غسل وجهها، بعد عودتها من مناوبتها الليلية عندما تراني وأخي الثالث خارجَين لشراء قالب فحم ساخن.

«من هذا؟».

«إنه أخي الثالث.».

تهمس هِي-جاي في أذني وعيناها على أخي الثالث وهو يخطو خارج البوابة أمامي.

«لديك عدّة إخوة».

«إنه طالب جامعي».

يدهشني بَوْحي بمعلومات لم أُسأل عنها حتى.

«لا بد أنكِ فخورة به». تقول هِي-جاي وهي تضربني على كتفي بلطف. ينتابني شعور بالندم وأرغم نفسي على الضحك.

عندما يراني مالك المتجر، يُخرج قالب فحم ساخن كان قد طلبه شخص آخر ويعطيه إليّ.

«شكرًا».

يطيل مالك المتجر النظر إليّ، وقد لاحظ حماسةً غير معهودة في نبرة صوتي، ويقول: «يبدو أن أحدهم في مزاج جيّد اليوم».

حين ينحني أخي الثالث برأسه ليثبّت كلّابات الفحم في الثقوب الموجودة في قالب الفحم الساخن، الذي أخرجه مالك المتجر ليتمكّن من حمله، ألاحظ أن عظام فكّه قد باتت أكثر حدةً.

«أين كنتَ يا أوبا؟»، أسأله.

تتسلّل رياح فبراير الباردة عبر ساقيه، لتخلق موجة من اللهب الأحمر المتوهج عند ملامستها قالب الفحم.

«لقد كان أخي الأكبر قلقًا جدًّا، وهو يتساءل أين يمكن أن تكون قد رحلتَ طالما لم تبق في سول أو تعود إلى المنزل في الريف».

يمشي أخي الثالث أمامي من دون أن يجيب، يداه تمسكان بكلّابات الفحم بشكل أخرق.

«لماذا لم تشعلا النار مبكرًا؟».

«الجو ليس باردًا إلى هذه الدرجة هذه الأيام، لهذا إنْ وضعنا قالب فحم جديد داخل الموقد في هذا الوقت، فسيظلّ مشتعلًا حتى الصباح... إذًا أين كنتَ؟».

أكرّر السؤال عدة مرات بينما نسير بطول الزقاق. لا يجيب أخي الثالث.

نجلس أربعتنا فوق أرضية حجرتنا المنفردة في منتصف الليل لأول مرة منذ فترة طويلة.

يُقدّم لحم الخنزير المشوي في صلصة معجون الفلفل الحار مع البصل الأخضر المُقطّع والثوم المفروم، في طبقٍ مزيّن برسوم زهور. يصبّ أخي الأكبر مشروب السوجو في كأس صغيرة موضوعة أمام أخي الثالث. يتجرّع أخي الثالث الكأس مرة واحدة. يضع أخي الأكبر شريحة من لحم الخنزير المشوي في طبق أخي الثالث، الذي أنزل كأسه الفارغ على المائدة ومد يده نحو الكيمتشي.

«تناولوا الطعام قبل أن يبرد».

تبدو رأس أخي الأكبر الصلعاء من دون باروكة، ورأس أخي الثالث الحليقة مخضّبتَيْن بالأزرق أسفل ضوء مصباح الفلورسنت.

«أيام أفضل أمامكَ. يجب أن تركّز في دراساتك الآن. لا تنسَ أنك طالب قانون».

بينما يقدّم كأسه الفارغة إلى أخي الثالث، يبدو لي أخي الأكبر في مزاج جيد، أو ربما مكتئب قليلًا، لا يمكنني أن أحدّد.

«على أي حال، من حسن الحظ أنه ليس أسوأ مما هو عليه».

تلتفت ابنة خالي إليّ بنظرات محتارة بشأن ما يتحدثان عنه. لا أملك أدنى فكرة. ما هو الشيء الذي من حسن الحظ أنه ليس أسوأ مما هو عليه؟!

***

غدا الممر الجبلي، الذي كنت أتمشّى فيه أحيانًا، طريًا ليّنًا في بداية الربيع. سافرت في رحلة إلى **تشنتشون**. كانت المرأة التي سأزورها في **تشنتشون** ستظهر في قسم خاص من العدد القادم من مجلة «**عالم الكتّاب**» الفصْليّة. عندما تلقّيت مكالمة لأكتب لصالح المجلة في عدد بعنوان «زيارة مع الكاتب»، وأُجري حوارًا مع هذه المرأة. استبعدت الأمر.

للحب أوجه عدة.

لأنني أحببت هذه المرأة ككاتبة، كوّنت صورة في خيالي عنها على الرغم من أنني لم أكن أعرف الكثير عنها. كنتُ في العشرين من عمري عندما قرأتُ قصصها لأول مرة. كانت مثل ومضة ضوء. اللمسة الحزينة النابعة من الأشياء التي تلتقطها عيناها، جذبتني إليها فورًا. سأصبح مثلها، فكّرت. سأصبح جميلة كي أتقرّب من هذه المرأة الجميلة. ازداد تعلّقي بها قوة مع الوقت. لكن من وقت إلى آخر، يكون إعجابي بها هو نفسه السبب الذي يجعلني أتردّد في زيارتها.

لكن يوم أمس، أخيرًا، كنت أجلس داخل سيارة يقودها أحد محرّري المجلّة في طريقي إليها.

أول مرة سافرت فيها إلى **تشنتشون** كانت في بداية الربيع مثل الأمس واليوم. كنتُ قد التحقت للتو بالجامعة التي تقع عند قدم جبل **نامسان**، لكنني لم أكن أفعل شيئًا سوى الجلوس على المقاعد الخشبية في حرم الجامعة عاجزة عن التأقلم. كنتُ في العشرين وابتعدت أخيرًا عن عائلتي. صرت وحيدة بعد أن أصبحت طالبة جامعية. هل الأمر مجرّد صدفة؟ المكان الذي يتوجّه إليه أخي الأكبر من أجل العمل كل يوم بعد أن أنهى سنوات عمله كموظّف مدني كان مبنى **دايو**، المبنى ذاته الذي امتد

أمامي عاليًا كوحش عملاق في ذلك اليوم الذي هبطت فيه من القطار في محطة سول لأول مرة. تركت ابنة خالي العمل في مركز الخدمة المدنية، وأصبحت تعمل الآن في مكتب وكيل تجاري في الطابق الثاني فوق مقهى **سانوليم** (صدى الجبل).

كنت في متجر في **ناميونغ-دونغ** في ذلك الربيع. عاجزة عن التأقلم مع التغيرات التي شهدتها حياتي، كنت لا أفعل شيئًا سوى الجلوس ساكنة. كانت زوجة أخي الأكبر تغسل كل شيء من أجلي، حتى جواربي، وتعلّقها في الشمس حتى تجفّ. فجأة لم يعد هنالك شيء لأقوم به. في الكلية، كان البشر غرباء تمامًا بالنسبة إليّ، نوعية من البشر لم أصادفها من قبل في حياتي حتى هذه اللحظة، يقدّمن أنفسهنّ إليّ، مرتديات أزياء مبهرجة الألوان ومفعَمات بالحيوية والمرح. بدا كأنهنّ على وشك الانطلاق في نزهة.

عندما أكون بصحبتهن، أشعر بغضب لا يُطاق أنه في مكان ما من العالم لا تزال هناك مصانع، وأنه في مكان ما من العالم، ما تزال توجد منازل تحوي سبعًا وثلاثين حجرة وسوقًا وزقاقًا مظلمًا موحشًا. فجأة، شعرت بأنني أصبحت الشاذّة هناك. بعد الحياة لوقت طويل جدًا في حجرتنا المنفردة، أصبحت المكان الوحيد الذي لا يبدو غريبًا بالنسبة إليّ. كنتُ أجلس مرتبكة على دكّة في الكلية التي بذلت قصارى جهدي لالتحق بها، وعندما ينال مني التعب، أمشي من الجامعة حتى **ناميونغ-دونغ** حيث تعمل ابنة خالي. أنتظر في مقهى صدى الجبل حتى تخرج من العمل.

ذات يوم في شهر مارس الماضي، غادرت البيت إلى الجامعة، ولم يكن في البيت سوى زوجة أخي الأكبر. لكن قدميَّ لم تقوداني في اتجاه الجامعة. فكّرت أنني لا أستطيع الذهاب وانتظار ابنة خالي في مقهى صدى الجبل في هذه الساعة. تجوّلت هنا وهناك وبعدها استقللت الحافلة ثم مترو الأنفاق لأهبط في محطة **تشونج-نيانجني**. اشتريت تذكرة إلى **تشنتشون**، لكن لم يكن لديَّ خطط؛ كانت أول زيارة لي إلى هناك. زاد

القطار من سرعته بينما تتضاءل الجبال والحقول والأنهار والجداول والبنايات السكنية، التي كانت ضخمة في بداية الرحلة، خارج النافذة. بدأت ألهث؛ كانت أشعة الشمس قويّة تخالي الأبصار.

بمجرّد أن هبطت في محطة تشنتشون، توقّفت عند صيدلية وأفرغت عبوة من مُسكّنٍ لدوار الحركة في فمي. لكن اللهاث أبى أن يتوقّف. بعد أن تجوّلت بلا غاية في أنحاء محطة تشنتشون، نظرت إلى الساعة. لو ركبت قطار العودة الآن، فسأصل هناك قرب وقت خروج ابنة خالي من العمل. اشتريت تذكرة على متن قطار العودة إلى محطة **تشونج-نيانجني** في عجالة، كأن عملًا عاجلًا قد طرأ فجأة.

كان ذلك هو اليوم الذي صرخت فيه ابنة خالي في وجهي. كان صوتها أعلى من الصياح. تنطلق أغنية **سموكي** «**ماذا يمكنني أن أفعل**» من مشغّل الموسيقى. صاحت: «كفّي عن القدوم إلى هنا، اذهبي إلى الكليّة وادرسي بجدٍّ».

انتابتني نوبة غضب ونهضت من فوق مقعدي، فأمسكَت بي ابنة خالي وقادتني إلى مطعم في الشارع المقابل لسينما **سونجنام** في **ناميونغ-دونغ**، واشترت لي شعيرية **جولميون**(1) الحارّة. تراجعت ابنة خالي عما قالته سابقًا، وهي تمزج الصلصة الحمراء بالشعيرية من أجلي. قالت إنه بوسعي القدوم لزيارتها مرة كل حين، لكن يجب عليّ أن أركّز حقًا في دراساتي، وأنها تتمنّى لو كانت تستطيع -ولو حتى في أحلامها- أن تقضي يومًا واحدًا فقط كطالبة في الجامعة.

قبل أن تتاح لي الفرصة للتعرف على الكاتبة، كان اسم **تشنتشون** يذكّرني فقط بذلك اليوم الذي كدت أن أمرض فيه، وبصوت ابنة خالي

---

(1) شعيرية الجولميون: شعيرية مطاطية المذاق تُمزج بصلصة جوتشيوجانغ الحلوة وتقدّم عادة باردة.

العابس وهي تقول إنها تتمنّى لو كانت تستطيع -ولو حتى في أحلامها- قضاء يوم واحدٍ فقط كطالبة في الجامعة. لكن منذ أن حُفر اسم هذه الكاتبة داخل قلبي، تحوّلت **تشنتشون**، بالنسبة إليّ، من مكان مرضتُ فيه في ذاك اليوم الربيعي، إلى المكان الذي عاشت هي فيه. كانت منذ عامي العشرين، الجوهرة المدفونة في قلبي. بعد قضائي الليل بطوله مستيقظة ووجهي مدفونًا في ما كتبته، تتكدّس كومة بيضاء من العثث الميتة أسفل مصباح مكتبي. حينها فقط يسري التعب في جسدي. لو كان بوسعي ذلك، لاختطفتها من دون تردّد. أتساءل لو لم أصادف كتاباتها بعد رحيلي من ضاحية يونجدونجبو، ماذا كنت لأفعل؟!

لقد طمأنتني وروت العقم في داخلي، وحولته إلى إحساس بالشّفقة. لقد عبرت نفق الثمانينات المظلم برفقتها كيراعة تضيء طريقي.

تحدّثت الكاتبة التي كانت يراعتي طوال ذلك الوقت - أمامي. قالت إنها شعرت بالعزلة لوقت طويل، إنها قضت أيامها في شكٍّ من أن شغف الكتابة قد اختفى، وقد مرت بأيام عدة حيث كانت تجلس جامدة في مكانها طوال اليوم، تتساءل إنْ كانت ستقضي بقية حياتها وهي تقول فقط إنها سوف تكتب، من دون أن تكتب حقًّا.

عزلتها.

في فجر مخضَّب بالزرقة، قرأت «**البئر القديمة**»[1] في مجلة «**جونجانغ**» للفنون والآداب، أول قصة تنشرها خلال خمس سنوات. عائدة إلى عالم الكتابة بعد قحط العزلة، كانت مثل حيوان مرجان مجفَّف يُرَشُّ بقطرات ماء. إذا كانت «**البئر القديمة**» نتاج مخاوف وهواجس الكاتبة، فإني أعتقد أن تلك المخاوف والهواجس أشياء لا بد أن يمتلكها أي كاتب. مرة أخرى

(1) البئر القديمة: قصة قصيرة للكاتبة أو جونغ-هِي (1947). فازت بجائزة لي سانغ الأدبية، وهي أرقى الجوائز الكورية في فن القصة. تركّز كتاباتها على الاضطهاد الذي تتعرّض له المرأة.

كانت تقود بطلاتها داخل عوالم من الأساطير، نساء تلوّثن خلال تلمّسهن الحقيقة الباردة لكونهنّ بشر. ومضات ضوء تخترق الحياة، طبقات صور تعبر البئر ثم تتخضَّب بالأزرق عندما تنعكس فوق سطحه. كانت مشدودة ومحمومة خلال الكتابة. نساء مجهولات ترتدي كلٌ منهن ثوب اللغة الذي حاكته بالكتابة، تبعث فيهنّ الحياة، وتقسو أجسادهن متحوّلات إلى أسماك شبُّوط ذهبية داخل البئر، تسمو فوق حدود الأنوثة والبشرية.

فوضى المشاعر التي حامت بداخل قلبي ذلك النهار بينما أقرأ «**البئر القديمة**» - أيمكنني تسميتها غيرة؟ كيف تستطيع البقاء كما هي من دون أي تغيير، ولو طفيف، في أسلوبها بهذه الطريقة؟ ذرعت الحجرة ذهابًا وإيابًا. يبدو أنها قد عادت بعد أن بلغت قاع البئر الأزرق داخل دلو مقطوع الحبل.

«البئر القديمة»، قالت. «البئر القديمة كانت نتيجة صراع مستميت من أجل العودة إلى الكتابة الخيالية».

تراءت أمامي صورة سمكة شبُّوط ذهبية ترتقي إلى أعلى نحو سطح الحياة متحرِّرة من الكدمة العميقة للفقدان، من أعماق الظلام السحيقة، وتنفض قطرات الماء الزرقاء عن جسمها.

***

يوم أحد، يناديني أخي الأكبر: «اذهبي واشتري بعض الملح الخشن من السوق. اشتري كمية وفيرة. وتعرفين أكياس الأرز الفارغة؟ اشتري واحدًا أيضًا».

«من أجل ماذا؟».

«فقط أحضري تلك الأشياء».

يرتدي أخي الأكبر جوربه، ثم قبل أن يغادر الحجرة، يناديني ثانية. يُخرِج بعض النقود من جيبه ويضعها في كفي.

«اشتري لصقة للظهر أيضًا».

«هل تشعر بألم أو شيء ما؟».

«إنها لأخيك الثالث. بالكاد نام ليلة الأمس».

أعبر الجسر العلوي إلى السوق مع ابنة خالي التي فرغت من نشر الغسيل فوق السطح. عندما أخبرها بما قاله أخي الأكبر، تميل ابنة خالي برأسها وتقول: «ربما يفسّر ذلك الأمر».

«يفسر ماذا؟».

«أمر ابن خالي الثالث. يتصرّف أمامنا كأنه على ما يرام، أليس كذلك؟ لكنني لمحته فوق السطح بالأمس. كان يعرج في مشيته».

«يعرج؟!».

«عندما سألته إذا كان يتألّم، قال إنه بخير، ثم تابع السير مُخفيًا عرَجه. لكن بدا لي كأنه يتألّم».

حين نعود ومعنا اللصقة، كان أخي الثالث نائمًا، يرقد مستندًا إلى حائط حجرتنا المنفردة. أخي الأكبر لا يزال في الخارج. أنزع الغلاف عن اللصقة وأرفع قميص أخي الثالث. رفعته بخفة، لكن أخي الثالث انتفض مفزوعًا وصرخ: «ما هذا؟».

نظراته تشبه نظرات شادنٍ يطارده صياد. ظهره ممتلئ بكدمات سوداء وزرقاء. مصدومة من منظر الكدمات، تغطي ابنة خالي فمها بكفّها. حين أزحف متقهقرة إلى الوراء، ويداي على الأرض، وقد أرعبني صوت أخي الثالث المرتفع بشكل غير مألوف. حينها فقط، يثبّت أخي عينيه الجاحظتين عليّ قائلًا: « أنتِ!».

«لقد طلب مني أخي الأكبر أن أضع هذه على ظهركَ».

يستلقي أخي الثالث مرة أخرى، مُسلّمًا ظهره إلى يديّ. ماذا حدث له؟ الكدمات داكنة حول خصره. أشعر بالغثيان من النظر إليها. أضع اللصقة حول خصره وأدلّك ظهره. أحاول أن أدعك ظهره برقّة لكنه يرتجف ألمًا.

«هل تؤلمك؟».

يدفن رأسه في ذراعيه ولا يجيب. من فعل هذا به؟ أتذكّر ما قاله أخي الأكبر في الليلة التي عاد فيها أخي الثالث، حين قال: «من حسن الحظ أن وضعه ليس أسوأ مما هو عليه». أكان يشير إلى تلك الإصابة؟ كان أخي الثالث الطويل بشكل مثير للانتباه والعريض الصدر، يرقد أمامي الآن خائر القوى، محني الظهر كصغير النسر، جسمه مغطى بالأزرق والأسود، عيناه المرتعبتان مغمضتين بإحكام. ترقرقت عيناي بالدموع من الرائحة الحادّة للصّقة.

عندما تقع عينا أخي الأكبر على الملح الذي اشتريناه من السوق، يخبرنا أن نسخنه ثم نسكبه داخل كيس الأرز ونضعه تحت ظهر أخي الثالث».

«لكن كيف أصيب بهذا الشكل؟».

لا يجيب أخي الأكبر. ترمقني ابنة خالي بنظرات ملؤها الشك. لا أملك أي فكرة. أهز رأسي. من في هذا العالم قد فعل ذلك بأخي؟! تنفّذ ابنة خالي تعليمات أخي الأكبر، تضع قدرًا معدنيًا فوق موقد الكيروسين ثم توقد النار. تسكب الملح داخل القدر وتفترش الأرض بجوار الموقد، تسخّن الملح. يحدث الملح أزيزًا عندما يسخن.

كان أخي الثالث عدّاءً. في قريتنا التي تركناها خلفنا، كان يقام مهرجان في شهر مايو من كل سنة للاحتفال بانتفاضة فلاحي **دونجهاك**(1). اختير أخي الثالث لثلاثة أعوام متتالية ليجسّد دور قائد انتفاضة **دونجهاك جيون بونج-جون**، ويحمل بندقية الزناد الفتيلي العتيقة، ولثلاثة أعوام متتالية يحتل المركز الأول في الماراثون المحلّي، ليفوز بمجموعة من المفكّرات كجائزة. كان ذلك هو أخي الثالث الذي عهدناه، لكنه الآن يعود إلينا وجسده مغطّى بأكمله بالأزرق والأسود بهذه الصورة – في أي مكان من

---

(1) انتفاضة فلاحي دونجهاك 1894- 1895: تمرّد مسلّح قاده الفلاحون الثائرون تحت زعامة جيون بونج-جون بسبب الضرائب الباهظة.

العالم كان؟ كاحلاه أسفل ساقَيْه الطويلتين جدًا اللتين اعتاد أن يركض بهما مثل الفحل، يرقدان فوق عتبة حجرتنا.

***

تبدأ طالبات السنة الأولى الجدد الدراسة في برنامج التعليم الخاص بعاملات المصنع، اللاتي اقتصرن في الماضي علينا نحن فقط. ننتقل -نحن الطالبات القدامى- إلى فصل في الطابق الثاني. يُعاد ترتيب الفصول، لذا نفترق عن وجوه مألوفة ونلتقي بوجوه جديدة. **مي-سيو** التي تقرأ كتاب **هيجل**، و**آن هيانغ-سوك** العسراء، و**ها جي-سوك** التي كانت تفتح باب الفصل بخجل لوصولها دائمًا متأخّرة ساعة، بعد بدء الحصة في الفصل ذاته معي مرة ثانية. ابنة خالي في فصل مختلف هذه المرة أيضًا. لم تعد أوني **هِي-جاي** تأتي إلى المدرسة. أصبحت نادرًا ما أرى أوني **هِي-جاي** منذ بداية السنة الجديد. كانت ابنة خالي تشير إلى غيابها كثيرًا في الحافلة في طريق عودتنا إلى البيت من المدرسة، أو عند الجسر العلوي ونحن نتوجه إلى حجرتنا المنفردة بعد مرورنا على السوق.

«هل رأيتِ **هِي- جاي**؟»، أهزّ رأسي. «أتساءل إن كانت قد تركت المدرسة». يعلق صوت ابنة خالي في أذنيّ. لقد تخلّت الكثيرات من الطالبات عن فكرة الانتقال إلى السنة الثانية من البرنامج. عدد من الطالبات لم يرجع إلى المدرسة بالفعل بعد العطلة الصيفية، خلال عامنا الدراسي الأول. حين نصعد الدرج إلى حجرتنا المنفردة ليلًا، نجد أن القفل لا يزال على باب حجرة **هِي-جاي**.

يُعيّن معلمي السيد **تشوي هيونغ-إي** لتدريس فصل آخر مع بداية السنة الدراسية الجديدة. مع هذا التغيير في المعلّمين، أفقد شغفي بالمدرسة في الحال، كما لو أنني كنت ارتاد المدرسة فقط بغية رؤيته. تهديني **آن هيانغ-سوك** العسراء صندوقًا من الحلوى. من أجل ماذا هذه الحلوى على هذا النحو المفاجئ؟ أرمق **آن هيانغ-سوك** بنظرة فضولية. تهمس إليّ بنبرة خجل.

«لكن شريكتين على مقعد الدراسة هذه السنة أيضًا».

كانت آن **هيانغ-سوك** أكبر مني بأربعة أعوام. لا أجيبها لأني كنتُ أرغب في الجلوس إلى جانب **مي-سيو** التي تكبرني بسنة واحدة فقط.

«الأمر أنني أشعر شعورًا سيئًا كما تعرفين. لقد اعتدتِ على الوضع الآن، لكن إذا اضطررت إلى مشاركة مقعد الدراسة مع شخص آخر، فسوف اضطرّ لتكرار الأمر مرة أخرى، مثل اصطدام كوعي بكوع طالبة أخرى في كل مرة نكتب فيها، وتحديقها المستمر إليّ».

يدرس معلم الفصل الجديد مادة الفيزياء. لا يفرض علينا الجلوس في مقاعد معينة ثابتة، بل يخبرنا أن نجلس حيثما نشاء عندما ندخل الفصل، على أن تكون الطالبات القصيرات في المقدمة والطويلات في المؤخّرة. تجلس **ها جي-سوك** على المقعد في نهاية الفصل بجوار الباب. يجعلها هذا تشعر بقدر أقل من الذنب في عامنا الثاني؛ فحتى حين تصل إلى الفصل متأخّرًا، يكون مقعدها شاغرًا. أحيانًا تترك إحدانا الباب مواربًا كي تتمكّن من التسلل إلى الداخل بسهولة أكبر. عندما أجلس على المقعد في الصف الأخير في النهاية الأخرى من الفصل، حيث تطلّ النافذة على بستان الزهور، تأتي **آن هيانغ-سوك** بخطوات متردّدة كي تجلس بجانبي.

من مقعدي الجديد، أحظى بإطلالة بعيدة على حجرة معلم الموسيقى، والدكة الخشبية وتمثال طالبة في زي المدرسة الصيفي. أفكر في المعلّم **تشوي**. الآن تتاح لي الفرصة فقط لرؤيته في حصة مادة فنّ الكتابة. أحيانًا أذهب إلى مكتب المعلّمين أثناء الاستراحة واختلس نظرة داخلها. ألمح المعلم **تشوي** يجلس في الزاوية البعيدة، ظهره إلى الباب، ثم أسير عائدة إلى الفصل.

***

ذات يوم، يطلب معلّم فصل أوني **هِي-جاي** رؤيتي. بناء على كلام الطالبات من مصنع **هِي -جاي**، فإنها تقول عند الساعة الخامسة عصرًا كل

يوم أنها ذاهبة إلى المدرسة، وبعد تغيير ثياب المصنع بزي المدرسة، تغادر العمل مع الجميع لكنها لا تأتي أبدًا إلى المدرسة، يخبرني المعلم قبل أن يسألني عما يحدث.

«لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة رأيتها فيها».

ينتابني الفضول أيضًا لمعرفة ما يحدث معها.

«سمعت أنكِ تعيشين معها في المنزل نفسه؟».

من الصعب فهم الأمر. لا أجد تفسيرًا، كيف أننا نعيش في المنزل نفسه لكننا لا نرى بعضنا البعض. أعيش في المنزل نفسه مع الكثير من البشر، لكنني بالكاد أتذكّر تبادلي النظرات مع القاطنين الآخرين. الذكريات الوحيدة التي امتلكها هي لأشخاص يخطون خارج أبواب حجراتهم أو يغلقون الأقفال. ذكرى صوت راديو يصل إلى أذنيّ من وقت إلى آخر، أو أشخاص يثرثرون في مجموعة. رائحة طهو شعيرية راميون في وقت متأخر من الليل. مشهد أشخاص يقفون في صف خارج الحمام كل صباح، رؤوسهم محنية إلى أسفل في صمت. ذكرى ضوء مصباح يتسلّل خارج حجراتهم أو نوافذ غير مضاءة. من بين أبواب المطبخ الكثيرة في ذلك البيت، التي تُفتح على الشارع، كان باب **هِي-جاي** الباب الوحيد الذي أدخله وأخرج منه بسبب علاقتنا الوطيدة، لكن كان الباب مقفلًا دائمًا مؤخّرًا. كان مقفلًا حين أتفقّده عند وصولي إلى البيت ليلًا، وعند مغادرتي إلى العمل صباحًا.

«أيبدو لكِ أنها تعود إلى البيت ليلًا؟».

لست متأكدة من هذا. كل ما أراه هو القِفل المثبت على الباب. يقول المعلم إنها إذا واصلت التغيب عن المدرسة من دون إخطاره، فسوف يضطر إلى تبليغ مصنعها بذلك. وفقًا لقواعد برنامج التعليم الخاص بعاملات المصانع، لا يمكن للطالبة الاستقالة من العمل بينما ترتاد المدرسة. تستطيع ارتياد المدرسة فقط إذا كانت تعمل. لو حضرت طالبة

المدرسة بعد تركها عملها في المصنع، فسيكون من حق المصنع أن يطالب المدرسة بفصل الطالبة.

عندما تسمع ابنة خالي عن لقائي بمعلم **هِي-جاي**، يبدو عليها القلق.

أعلم أن معلم فصل **هِي-جاي** من النوعية التي تلتزم بالقواعد. يقولون إنه يفصل الطالبات حقًّا إذا طالبت المصانع بذلك. لثلاثة أيام بعد لقائي به، أهبط إلى الطابق الأول بعد منتصف الليل لأتفقد حجرة **هِي-جاي**، متمنّية أن تكون قد عادت في مثل هذه الساعة. لكن لا يزال باب أوني **هِي-جاي** مقفلًا.

على غير المتوقّع فإن أخي الأكبر هو من يلمح **هِي-جاي**. يعبس وجه أخي الأكبر وهو يخبرني أنه رآها تعود فجرًا وهي ترتدي زيّها المدرسي. يقول إنها لا يبدو عليها ذلك، لكن ربما تكون قد انقادت إلى سلوك مشين».

«هذا غير صحيح». استنكرت كلامه في الحال. «إنها ليست كذلك».

ترمقني ابنة خالي بنظرة جانبية بينما أدافع عن **هِي-جاي** بإصرار.

ذات ليلة، أحاول البقاء مستيقظة وأنصت إلى صوت البوابة. قرابة الرابعة صباحًا أسمع صوت شخص يدفع البوابة بحذَر. أنهض بسرعة وأهبط الدرج. كانت **هِي-جاي** تولج المفتاح في قفل بابها. توقّعتها أن تتفاجأ لرؤيتي، لكنها تمنحني ابتسامة شاحبة. ضفائر شعرها، الدهنية بسبب مرور وقت طويل من دون غسيل، تعلِق بكثافة تحت أذنيها. عندما أمعن النظر إليها تحت الضوء، ألاحظ أن وجهها متورّم مثل عجينة نُفِخت بصودا الخبز. تلتصق بعض خصلات الشعر الطليقة بضفائرها. إذا أبلغت المدرسة مصنعها أنها توقفت عن الذهاب إلى المدرسة، هل ستُطرد من العمل؟ لا أعرف ماذا أقول لها الآن بعد أن وقعت عيناي عليها. اكتفي بالوقوف هناك والتحديق إلى ظهرها بينما تغسل وجهها.

في صباح اليوم التالي، كانت تقف في هواء أول النهار. تقف هناك بشعرها المضفور، وترتدي زيها المدرسي، وحقيبة المدرسة في يدها،

تنتظرني وابنة خالي. لأول مرة منذ برهة، نسير معًا في الزقاق. فقط حين نبلغ المعبر الفوقي، أنقل إليها رسالة معلِّم فصلها.

«أمور كالمدرسة لم تعد تهمني بعد الآن».

تستنشق هواء الصباح، وتبدأ في اجتياز المعبر.

«لن تأتي إلى المدرسة مرة أخرى؟».

«لا».

«لماذا؟».

«يجب أن أكسب المال».

تكرّر ابنة خالي: «المال؟». ثم تسأل لماذا لا تزال هِي-جاي ترتدي زي المدرسة إذًا.

«لأن عليّ أن أغادر العمل في وقت المدرسة».

«أين تذهبين كي تكسبي المال؟».

أتوقّف فوق سلالم المعبر. السماء غائمة ومظلمة. لكن أليس لديها وظيفة في المصنع بالفعل؟ أي وظيفة أخرى؟

«أتقولين...؟». تحاول ابنة خالي سؤالها، لكن تقاطعها أوني هِي-جاي. أستوعب متأخّرة ما كانت تحاول ابنة خالي أن تقول، فألكزها في جنبها. ثمة أشخاص يتصرفون بتلك الطريقة في العمل. أشخاص يتركون مقاعد العمل على خط الإنتاج من أجل وظيفة جديدة. يتركون مواقع عملهم للذهاب إلى مقاهي الشاي أو البارات. عندما سألتها ابنة خالي: «أتقولين...»، ذلك ما لمّحت إليه كلماتها. تحاول ابنة خالي أن تُكمل سؤالها، لكن صَدَّتها هِي-جاي.

«الوظيفة الجديدة في متجر خياطة جينهِي بالقرب من مدخل المجمع الصناعي رقم اثنين. لقد اتفقت معهم على العمل من السادسة مساء حتى الحادية عشرة ليلًا. لكن ضغط العمل كبير جدًّا مؤخّرًا، ونجد أنفسنا في كثير من الأوقات مضطرين إلى العمل طوال الليل. وحتى حين ننتهي من

العمل قرب الثانية صباحًا، لا نستطيع مغادرة المتجر بسبب حظر التجول المفروض». صوتها ناعس كأنها تنجرف إلى نوم خفيف.

لا أتذكّر الآن الإجراءات التي اتخذَتها المدرسة بشأن تغيّب هِي-جاي. أو السبب الذي أرغمها على ترك المدرسة والاشتغال بوظيفتين. أعتقد بأنها قد ذكرت رغبتها في إحضار أخيها الأصغر للعيش معها، والذي كان حتى تلك اللحظة يعيش تحت رعاية زوج أمها، وأنها تخطّط للعثور على حجرة لهما، لكن لا أذكر التفاصيل. أعتقد بأنني سمعتها تقول شيئًا عن «عاملة هاتف»، أو أمر من ذلك القبيل. من المُضحك أن كل ما أتذكّره من أيامها الصعبة المظلمة، هو صوتها الخافت. كل ما تبقى منها هو صوتها، واهنًا مثل بتلة زهرة بين ضفتي كتاب قرأته منذ وقت طويل، جافّة، هشّة جدًّا إلى درجة أنها تتفتت في اللحظة التي أجدها.

***

أقرّر أن أستيقظ مبكرةً، قرب الوقت الذي يفتح فيه أخي الأكبر باب العلّية ليُخرج باروكته، كي يتاح لي الوقت كي أذهب إلى الحمام العمومي. كان صباح يوم ثلاثاء أو أربعاء بعد نهاية أسبوع اضطررت خلاله ألّا أستحم بسبب مناوبة إضافية. أدعك جسمي بالصابون تحت الدش حين أشعر بيد هِي-جاي فوق كتفي. تبتسم ابتسامتها الشاحبة في ذاكرتي الباهتة جدًا.

«لقد غفوت وجرحت يدي بالإبرة فجرًا».

تغطس بيدها داخل حوض الماء وتبتسم لي ابتسامتها الشاحبة مرة أخرى. أشعر بدوار يداهمني. عندما تقع عيناي على يدها المتورّمة، أشعر كأن بإمكاني أن أسمع وسط صوت الماء المندفع، جلجلة ماكينة الخياطة التي اندفعت إبرتها داخل يدها.

أدعك الصابون فوق ظهرها حيث أرى بقعة زرقاء شاحبة أسفل ظهرها قرب فخذها. كجزيرة مهجورة بلا اسم فوق خريطة، كانت البقعة تشبه لطخة حبر، تمتدّ في أثر خافت حتى تصل إلى بطنها.

«أتعرفين ماذا كانت كنية طفولتي؟»، تلتفت وتسألني كما لو كانت قد شعرت بنظراتي.

«ماذا كانت؟».

«الآنسة بُقع».

لم يكن اسمًا مضحكًا إلى هذه الدرجة، لكننا قهقهنا بصوت مرتفع. انسكب الماء في حوض الغسيل. الآنسة بقع... الآنسة بقع. انفجرنا معًا في وصلة ضحك. أبدأ في الضحك مع نهاية ضحكتها، ثم تبدأ هي في الضحك مع نهاية ضحكتي. ضحكنا حتى آلمتنا عظام فكَّينا كما لو أن لا شيء مضحكًا أكثر من ذلك في هذا العالم. هل أتت إلى الحمام العمومي مباشرة من متجر خياطة جينهي؟ كانت ترتدي زي العمل ونحن نمشي عائدتَين إلى البيت. بينما أطهو طعام الإفطار، تستلقي هِي-جاي بزي عملها وتنام.

عندما أوقظها لتذهب إلى العمل، تكون عيناها حمراوين كيَدها التي جرحتها الإبرة.

***

ربيع سول.

يعلو وجه رئيس الاتحاد العمالي تعبيرًا مشرقًا، وكذلك الآنسة لي التي تتناول الغداء معه كثيرًا. ترتدي عضوات الاتحاد شارات مكتوبًا عليها: «توقفوا عن تدمير الاتحاد»، ويشاركن في احتجاجات. عندما تقع عينا ابنة خالي عليهن في المرايا قرب صنبور المياه، أو في الحمام، وهن يعدلن من الشارات بعد أن يغسلن أيديهنّ أو يمشّطن شعرهنّ، يتجهّم وجهها. يدفع ربيع سول قائد الاتحاد إلى الدخول في صراع مع أولئك الذين يركبون سيارات السيدان السوداء. من أجل الحق في رفض العمل الإضافي، والساعات الزائدة، والعطل المدفوعة، ومناوبات الثماني ساعات، ومكافأة نهاية الخدمة والعلاوات. يعبس وجه الآنسة لي عندما ترانا. تقول

إنه يوجد الكثير مما لا نعرفه. إن جهلَنا يصبّ في صالح أولئك الذين يركبون سيارات السيدان السوداء. صوت الآنسة لي مهموم لكنه واضح، يحمل مزيجًا من الثقة والإحباط.

«إن لم تهتّما بنفسَيكما فسوف يواصلون إجباركما على القيام بتضحيات باهظة»، تقول الآنسة لي.

***

أتصل بي صديقٌ كاتبٌ: «هل أنت على ما يرام؟».

«أجل».

«على ما يرام إلى درجة أنك تبتسمين؟».

«أيجب عليّ البكاء؟».

«ماذا تفعلين؟».

«أجيب على الهاتف».

يضحك بصوت مسموع. يبدو أنه كان يريد قول شيء ما لكنه متردّد، وهو ما يخالف طبيعته.

مكتبة
t.me/t_pdf

«إذًا أخبرني بالأمر».

«أخبركِ بماذا؟».

«يبدو أنّ لديك شيئ تريد أن تقوله لي».

«سأتحدّث إذا وعدتِني بألا تنزعجي».

«ما الأمر؟ إذا كان الأمر مزعجًا فسوف انزعج».

«إذًا لن أقول».

«هذا ليس عادلًا بعد أن أثرتَ فضولي هكذا».

«إذًا عديني ألا تنزعجي.».

«هل أنزعج بتلك السهولة، حقًّا؟».

«كلما تناقشت معكِ في كتاباتك، فإنك تنزعجين وتتجهّمين.».

«كتاباتي؟».

«أجل».

«لا أنزعج بل أشعر بالإحراج».

«كما تشائين!».

«تحدّث. سوف أحتفظ برباطة جأشي. لن أنزعج أو أتجهّم».

«لقد فرغت للتو من قراءة الفصل الثاني من كتابكِ». اغتمَّ قلبي. لقد تجهّمت بالفعل. أردتُ أن أسأله لما قرأته؟ لكن غاصت الكلمات عميقًا في حنجرتي وانتابني غضب عارم ثانية.

«حاولي أن تتذكّري الآن. أكان الفيلم الذي شاهدتِه ذلك اليوم هو «**ألعاب مُحرّمة**» حقًا؟».

الفيلم الذي شاهدناه ذلك اليوم لم يكن **ألعاب مُحرّمة** بل **بومرانغ**[1] حيث لعب **آلان ديلون**[2] دور **بومرانغ**. لقد نسيت أحداث الفيلم بالضبط. كان عن أب وابنه. عن أب ينقذ ابنه المسجون بسبب ارتكابه جريمة، وتهريبه عبر الحدود. لعب **آلان ديلون** دور الأب الذي أنقذ ابنه على متن طائرة.

«لقد كان «**بومرانغ**»».

«إذًا لماذا كتبتِ إنه كان «**ألعاب مُحرمة**»»؟

«إن الكتاب رواية!».

أسكته صوتي المُصمّم لبرهة. هو يعرف جيدًا أن الجمل التي تشكل عملًا مُتخيّلًا لا يمكنها المضي أبعد من الومضات التي تأتي وتذهب خلال الحياة. قيود الجملة التي يمكنها فقط أن تبالغ وتحذف وتفضح من دون تعميم. الفيلم الذي شاهدته وأخي الأكبر وابنة خالي ذلك اليوم كان فيلم **بومرانغ** لكنني لم أحبّه. ربما ذلك بحد ذاته يمثّل مشكلة ما لذاتي

(1) بومرانغ: فيلم فرنسي من إخراج خوسيه جوفاني من إنتاج سنة 1976.
(2) آلان ديلون: ممثل فرنسي سويسري من مواليد. 1935

الآنية. الطريقة التي بت أرفض بها حتى الجلوس في المكان نفسه مع شيء لا يناسب مزاجي. الطريقة التي أرفض بها حتى مناقشة لماذا لا يناسب مزاجي أو أحاول الاقتناع به. ربما هذا الانغلاق كان يمنعني من رؤية الحياة من منظور مختلف. السبب الوحيد أنني أقحمت فيلم «**ألعاب مُحرمة**» في المسوَّدة حيث كان يفترض لفيلم «**بومرانغ**» أن يكون لأن الأخير لم يناسب ذوقي في السينما. يدرك صديقي أنني قد أصبحت منزعجة. يحاول ترضيتي فيصبح أكثر غضبًا مني.

«أجل، أعرف. لم أعنِ شيئًا بما قلته. الأمر فقط أنني أعرف أن «**ألعاب مُحرّمة**» قد عُرض في دور السينما في عرض واحد فقط عام 1960، أي قبل حتى أن تولدِي. لذا عندما قرأت أن الفيلم الذي شاهدته ذلك اليوم كان «**ألعاب مُحرمة**»، فاجأني ذلك على نحو شخصي. لم يكن ليفاجئني الأمر لو قرأت شيئًا مشابهًا في رواية أخرى. يصعب شرح ذلك، لكن هذه الرواية ذات الطابع الشخصي التي تكتبينها الآن، أعتقدت بأنه سيكون من الأفضل لو لم تفعلي ذلك، لذا... اكتبي فقط الأشياء كما رأيتِها... لكن فكّري أنني أطالبكِ بالحقيقة. تفهمين ما أعنيه، أليس كذلك؟».

كان يشير إلى استسلامي السريع، أنه مهما كنت مهووسة بالخيال، فإن الخيال بالكاد يتبع آثار الحياة. لا يستطيع أي أحد أن يسبق الحياة، لا يستطيع أحد أن يمشي جنبًا إلى جنب مع الحياة من خلال الكتابة. الإضافات والمبالغات تملأ فقط المكان الذي كان يشغله استسلامي.

بعد أن تنتهي المكالمة، أغلي بعض السبانخ الطازجة والرقيقة من أجل العشاء. أضيف حفنة من الملح إلى الماء المغلي كيلا تفقد السبانخ لونها أثناء طهوها. أنقع السبانخ المطهوة في الماء البارد مرتين. أضع أوراق السبانخ في يدي وأعصر الماء منها. أجل، هذا كل ما أمكنني كتابته. إنني وضعت السبانخ في يدي وعصرت الماء منها. لا توجد طريقة أخرى يمكنني التعبير بها من خلال الكلمات عن ملمس ورائحة السبانخ في

يدي قبل أن أعصرها، على الرغم من أن تلك الحقيقة كانت ربما مدفونة بداخلي حيث أعجز عن التعبير عنها. هدّأ لون السبانخ الأخضر الرقيق قلبي المشتعل. في صحن استخدمه عادة لتقديم الشعيرية الباردة، فردْت أوراق السبانخ في طبقات رقيقة. فرمت فصَّي ثوم طازج. أخرجت زجاجة زيت السمسم والملح، ثم قطّعت بعض البصل الأخضر على نحو مائل... على نحو مائل؟ ذكّرني التعبير بشيء ما.

زوجة أخي الثالث مولودة في سول. بسبب عملها لعدة سنوات مضيفة طيران بعد تخرجها من نفس جامعة أخي وقد حصلت على بكالوريوس في تصميم الأزياء، كانت شخصية متفائلة وتضحك كثيرًا. كانت ودودة جدًّا لدرجة أنني ظننت للوهلة الأولى أن سلوكها هو ما تبقّى بداخلها من مهنتها السابقة التي لم تتحرّر منها بعد، وليس فطريًا. لكن بعد ست سنوات من إنجابها طفلها الأول، لم تتغيّر على الإطلاق. بينما لا تزال عروسًا جديدة، كانت تساعد أمي لأول مرة في المطبخ في أحد الأيام، بينما تستعد العائلة لحفل تأبين. أخبرتها أمي وهي تدفع نحوها سلة مليئة بالبصل الأخضر: «اقطعيها على نحو مائل». اقتربت زوجة أخي مني وهي تضع جذور القلقاس في سيخ كي تقليها في بيض مخفوق، وسألتني بهدوء: «ماذا تعني،على نحو مائل؟». لا أعرف ماذا تعني بالتحديد لكنني أعرف كيف تبدو. وضعت بصلة خضراء فوق لوح التقطيع وقطعتها على نحو مائل كي تستخدمها كنموذج لتقلّده ثم دفعت لوح التقطيع تجاهها.

«على نحو مائل هكذا».

بينما تحاول أن تقطعها بحيث تشبه شكلًا نموذجيًّا، كانت تبتسم كلما التقت نظراتنا. عيناها حمراوان ودامعتان بسبب الرائحة اللاسعة للبصل الأخضر.

***

يحين وقت مغادرة العمل. يجري الحارس عند مكتب الأمن تفتيشًا جسديًا كي يتأكّد ألا أحد يحاول أن يهرِّب قطعًا من خط الإنتاج. سيو-

سيون من قسم التعبئة تصفع يد الحارس بعيدًا، بينما يرفع الجراب فوق صدرها ليفتشه. نحن ننتمي إلى «**عاملات الدرجة الأولي**». أفراد الإدارة يدعون «**عمال رسميين**». «**العمال الرسميون**» لا يخضعون للتفتيش الجسدي. يسجّلون توقيت مغادرتهم على بطاقاتهم، ويمشون على مهل متجاوزين مكتب الأمن. عاملو وعاملات «**الدرجة الأولى**» هم من يضطرّون إلى تحمل التفتيش الذاتي. بعد أن ترفض الخضوع للتفتيش الجسدي، تُدفع **سيو**-**سيون** جانبًا من دون أن يُسمح لها بتسجيل توقيت مغادرتها على بطاقتها. تتبع كل عاملات الدرجة الأولى في الصف نهجها، يسلّمن حقائبهن للتفتيش لكنهن يرفضن التفتيش الجسدي.

يأتي رئيس القطاع راكضًا من مكتب الإدارة. «ماذا تحاولين أن تخفي تحت ثيابكِ؟ تعرفين ماذا يقول المثل - لا بد وأن يشعر اللص بوخزة في قدمه!».

لكننا في زمن ربيع سول. تصيح **سيو**-**سيون** بثقة أنها ترفض أن تُخضِع حقيبتها وجسدها للتفتيش على يد حارس ذكر!

سلطة ربيع سول تجعل الإدارة ترضخ. أصبحت إحدى نساء الكافيتريا تنزل إلى مكتب الأمن كل يوم عندما نغادر العمل. الآن لا تعود عاملات **الدرجة الأولى** تتحمّلن التفتيش الجسدي على يد حارس ذكر. يشرق وجه سيو-سيون وكذلك كل عاملات **الدرجة الأولى** اللاتي يخضعن للتفتيش على يد امرأة الكافيتريا -أنثى- بفضل موقف **سيو**-**سيون** الجريء.

أمسى أخي الثالث يبيت في الخارج على نحو متزايد. لا يعود إلى البيت ليومين أو ثلاثة على التوالي، وأحيانًا أسبوع كامل. لا يستطيع أخي الأكبر تحمّل ذلك. يقول إن الشخص قد يتناول وجباته في أماكن شتى، لكن يجب أن ينام في مكان واحد، وأن العائلة تتكوّن من أشخاص ينامون معًا تحت السقف ذاته. لكن لا يطيعه أخي الثالث. تقول ابنة خالي إن ظهره

لم يلتئم بعد، وأنها قلقة بخصوص إصابته. في يوم أحد، يسأل أخي الأكبر أخي الثالث الذي عاد إلى البيت منهَكًا بعد عدة أيام قضاها بعيدًا.

«أين نمت؟». تحوم هبّة هواء بارد داخل الحجرة.

«في حدائق **تشانغجيونغ**».

حرم جامعة أخي الثالث ملاصق لحدائق **تشانغجيونغ**، لا يفصل بينهما سوى جدار. ربما يتسلّق أخي الثالث الجدار ويتسلّل إلى بساتين الزهور داخل حدائق **تشانغحيونغ**، بينما يهتف وهو مطارَد من قبل رجال شرطة مكافحة الشغب،: «فليسقط الديكتاتور. أوقفوا العمل بدستور **يوشين**».

يقفز أخي الأكبر على قدميه من فوق مقعده.

«أيجب عليك فعل ذلك؟ كيف يمكنني أن أجعلك تفهم؟! هذا ليس الوقت المناسب لك كي تجوب الشوارع وتنظم الاحتجاجات».

يصيح أخي الثالث الذي لم يتمرّد أبدًا على أخي الأكبر إذ يسأل فجأة بصوت مرتفع: «إذًا الآن الوقت المناسب لفعل ماذا؟!».

«أنت طالب قانون!».

«إذًا أنت تقول لي إنه عليّ أن أكون جبانًا مثلك، يهرب ويختبئ كي يدرس».

يدفع أخي الأكبر أخي الثالث نحو الجدار وهو يصرخ كوحش هادر: «ابن العاهرة!».

يرتطم رأس أخي الثالث بالجدار بدويٍّ مرتفعٍ: «أوسِعني ضربًا. هيا اقتلني!».

ينفجر أخي الثالث وعيناه تشعّان غضبًا. صوته وحركته تنضحان بسخط بالغ. يبدو أنه يريد أن يُوسِعه أخي الأكبر، أو أي أحد، ضربًا لسبب ما. يمسك أخي الأكبر بمقعده بين يديه ثم يقذفه نحو النافذة. يقذف الكتب نحو أخي الثالث، المجموعة الكاملة للقوانين الرئيسية الستة: القانون المدني، القانون الجنائي،... كل الكتب.

«لماذا يجب عليّ أن أعيش هكذا حياة؟!».

الغضب والكبت الذي قمعه أخي الأكبر لوقت طويل جدًا بداخله، ينفجر أخيرًا. لماذا عليه الحياة هكذا؟ في عنفوان شبابه، يحمل على كتفيه مسؤوليات لا طاقة لإنسان بها، كونه الابن الأكبر كما لو كان عقابًا إلهيًا. غضبه المكبوت - كابن أكبر مفروض عليه الاعتناء بإخوته الصغار نيابة عن والديه المقيمَيْن في الريف البعيد، أن يعمل لجني المال بينما يؤدّي خدمته العسكرية، أن ينام نومة غير مريحة في حجرة صغيرة مع أخت وابنة خال - ينفجر انفجارًا دمويًا في أنف أخي الثالث. يصرخ أخي الأكبر في وجهي ووجه ابنة خالي ونحن نقف مرتجفتَين في المطبخ.

«فلتذهبوا إلى الجحيم. جميعكم!».

تهديد أخي الأكبر يدفع ابنة خالي إلى السطح. لكن قدميّ لا تقويان على الحركة من مكانهما.

«اخرجي من هنا أنتِ أيضًا!... قلتُ اخرجي!».

يصرخ أخي الثالث وأنفه تنزف في وجه أخي الأكبر: «اتركها وشأنها!».

يوجّه أخي الأكبر لكمة نحو أخي الثالث فتصيبه تحت أذنه.

«يا ابن العاهرة، اغرب عن وجهي! اخرج!».

لم يكن غضب أخي الثالث موجّهًا حقًا نحو أخي الأكبر تمامًا، كما لم يكن غضب أخي الأكبر موجّهًا حقًّا نحو أخي الثالث. الأمر فقط أنه تصادف أن نفّس كلّ منهما عن غضبه في وجه الآخر في تلك اللحظة. تخرج الأمور عن السيطرة بعد أن حُبِس كل هذا الغضب والإحباط لوقت طويل جدًا. ينهار دولاب الملابس. يكاد ينخلع باب العلية من مكانه. أتشبث بقدميّ أخي الأكبر بينما يرفع المكتب عاليًا ليرميه على أخي الثالث.

«أوبا، رجاءً توقّف!».

***

كنا في إحدى مناوبات العمل الإضافي. تحني ابنة خالي رأسها إلى أسفل أثناء سحبها المفك الهوائي نحوها.

«ما الأمر؟».

«رؤيتي تضعف»، تقول إنّ الثقوب الصغيرة التي تُدخل فيها البراغي تبدو مشوشة.

أمشي نحوها حيث تجلس فوق مقعدها في موقع عملها ورأسها تتدلّى إلى أسفل.

«سأتولّى عملكِ لبعض الوقت. اذهبي إلى الحمام ونامي لدقائق».

تنهض ابنة خالي وهي تقول إنها ستفعل ذلك.

***

أفتح عينيّ لأجد الجميع نيامًا.

من خلال النافذة المكسورة لحجرتنا المنفردة، تشعّ شمس الربيع الدافئة بضوئها على شقيقيّ وعلى ابنة خالي الراقدة وظهرها يواجه أشعة الشمس. كان مشهدًا مسالمًا إلى درجة أنني قد تساءلت إنْ كان حلمًا بعد كل ذلك الغضب الذي انفجر دفعة واحدة. يدا أخي الأكبر ملفوفة بالضمادات، وجرح في شفة أخي الثالث الحمراء المتورّمة. ثمة منشفة مبللة باردة فوق جبهتي، ويمكنني شم رائحة دواء فوق شفتيّ. ينفتح الباب قليلًا وتطلّ إلى الداخل أوني **هِي-جاي**. أغمض عيني بسرعة. تتوقّف عينا **هِي-جاي** طويلًا على عينيّ المغلقتين. لا أفتحهما حتى تنظر **هِي-جاي** بعيدًا. تغلق الباب وتهبط الدرج بهدوء، فقط بعد أن أسمع صوتها وهي تصل إلى أسفل الدرج وتغلق باب حجرتها وراءها، أجلس في مكاني. تسمع ابنة خالي صوت حركتي فتجلس بدورها.

«أنتِ بخير؟».

«كان الأمر مرعبًا، أليس كذلك؟».

«لكن، من كان يظنّ أنك سوف تشحبين هكذا من شدة الخوف؟».

كنا في مايو. ربيع سول قد انتهى. ربيع سول الذي دام لمئتين وثلاثة أيام.

***

أصطحب ابن أخي ذا السبع سنوات لتناول الغداء في الخارج. كان يداوم على السباحة في حمام السباحة خلال الشتاء، والآن يبدو منتعشًا ومفعمًا بالحيوية، إلى درجة أن طقس الربيع يبدو بلا تأثير عليه. سمعت أنه كان يثير المتاعب لعائلته هذه الأيام. كلما وقعت عيناه على أي شيء، كان يستفسر عنه، ويوليه كل انتباهه، ويتفحّصه عدة مرات، مما يجعل والديه يضحكان أحيانًا، ويشعران بالإحراج أحيانًا أخرى. عندما لاحظت أمّه أنه يخرج الريح أينما ذهب، أخبرته: «رجاء كفّ عن إخراج الريح أينما ذهبت». ثم ذات يوم بينما تنام أمه القيلولة، هزّها ليوقظها قبل أن يسألها بجدية تامة: «هل يمكنني أن أخرج الريح الآن يا ماما؟». عندما قالت له أمه: «يمكنك ذلك!»، وأغلقت عينيها من جديد، يرفع حاجبيها إلى أعلى ويسألها: «لماذا أشعر برغبة في التغوّط بعد أن أخرج الريح يا ماما؟».

كان قد شرع الآن في القراءة وكان يتسلق الجبال بصحبة أبيه عندما سأله فجأة: «ماذا تعني « **سودويجال**؟». لم يفهم أبوه -أخي الثالث- ما يقوله. كرّر ابن أخي: «**سودويجال**»، هناك؟». كان يشير إلى لوحة إعلانات خارج مطعم قرب ممر المشاة، التي تتضمّن قائمة الطعام، بدءًا من اللحم البقري المسلوق والأضلاع المشوية حتى أقدام الخنازير. كان الصبي قد قرأ القائمة رأسيًا فتكوّن خليطٌ لا معنى له من المقاطع. حتى وأنا أستمع إلى أخي الثالث يقصّ الحكاية وانفجر ضاحكة، كانت ملامح الصبي تعكس فضولًا. كان لا يزال يرغب في معرفة ما هذا الشيء الذي يدعى «**سودويجال**» بالضبط.

تجمَّع العرق داخل يد ابن أخي الصغير وهي تمسك بيدي. كانت أشجار الصفصاف التي تصطف على جانبيّ الشارع رفيعة وليّنة، والجبال

البعيدة مُخضبة بظل أخضر خفيف. يرفع الصبي رأسه لينظر إليّ بينما نعبر تحت شجرة جنكة تنمو عليها الأوراق الجديدة بكثافة.

«عمّتي؟».

«أجل؟»:

«هل الأوراق ثياب للشجر؟».

على الرغم من أننا نمسك بيد بعضنا الآخر، إلا أنني لم أكن أعير انتباهًا لما ينظر إليه، كانت عيناي تتفحصان الأزهار التي فقدت بتلاتها أثناء المطر خلال الليل، لذا فاجأني سؤاله. أخيرًا بدأ بطرح أسئلته العجيبة كما أفترض. عندما لم أستطع الإجابة، يهزّ الصبي يدي ويسألني مجددًا: «هل الأوراق ثياب للشجر يا عمتي؟».

أوراق؟ ثياب؟ أعتقد بأن الأوراق كانت الثياب الأولى لبني البشر. أجيبه بنعم غامضة. كان يبدو كفقاعة صابون وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مشرقة. وواصلنا المشي لمدة أطول.

«دعنا نطفئ الأنوار ونخلد إلى الفراش». كانت هذه هي العبارة الروتينية التي يستخدمها والداه في البيت كل ليلة. بدا أن تعبير «نطفئ الأنوار» قد أصبح ذا مغزى عميقٍ في ذهن الطفل. ذات يوم كنتُ أستند بظهري فوق الأريكة وعيناي مغمضتان عندما هزّني الصبي بكلتا يديه:

«لماذا تطفئين عينيك يا عمتي؟».

أستعيد تلك الذكرى فأضحك ضحكة قصيرة، بينما تجد يده يدي مرة أخرى ويواصل طرح أسئلته كفيلسوف:

«إذًا لماذا تتجرّد من ثيابها في الشتاء؟»، كان يتحدّث عن الشجر من جديد.

كان صغيرًا جدًّا وغير صبور جدًّا. عندما أتلعثم: «حسنًا...»، عاجزة عن الإتيان بإجابة، يضغط على يدي بقوة وهو يكرّر سؤاله لماذا تتجرّد الأشجار من ثيابها في الشتاء حين يكون الطقس باردًا جدًّا.

«حسنًا... السبب هو أن...»، كنت في حيرة تامّة عندما أختلق هو أخيرًا إجابته الخاصة، صوته مرتفع يشي بالإثارة: «لأنها سوف تذهب للسباحة، صحيح؟».

السباحة؟ لأن الأوراق ثياب للشجر، ولأنه يتجرّد من ثيابه عندما يذهب للسباحة، فربما وجد إجابته في ذلك المنطق. عندما أكتفي بالابتسامة عاجزة عن الردّ إذا كان محقًّا أم مخطئًا، يواصل السؤال: «أنا محق، أليس كذلك؟ لأنها سوف تذهب للسباحة، صحيح؟».

تتراءى في ذهني فجأةً صورة شجرة تؤدّي حركة الوقوف على اليدين قبل القفز في الماء.

أترك يده وأركض، وموجة من الضحكات تنفلت من بين شفتيَّ. انطلق الصبي في أثري وهو يسألني: «صحيح؟ صحيح؟». يا له من عناد. التفتّ لأواجهه وأصيح: «أنت يا **سودويجال**! أنا لا أعرف - أنا لا أعرف مثلك، أيضًا».

***

يأتي شهر مايو مرة أخرى كلَّ عام. تمامًا كما عاد في أيام الشاعر **يونجنانج** الذي بكى ثلاثمائة وستين يومًا، وقد أفزعته رؤية أزهار عود الصليب تتساقط في شهر مايو. وتمامًا كما عاد في العام 1980 حين كنتُ في الثامنة عشرة من عمري.

مايو، اسم جرحنا الأليم.

أتاني شهر مايو تلك السنة كجرح، قهر كل النشاط المعتاد الذي يبثه مايو في العالم. أينما كنا حينها، ومهما كان ما نفعله، طالما نعيش على هذه الأرض، سيظل دائمًا مايو بالنسبة إلينا هو مايو ذلك العام.

في إحدى عطل نهاية الأسبوع في مايو، صعدت **هيانغ-سوك** عسراء اليد على متن القطار المتجه إلى غوانغجو لتزور بلدتها الأم، **هواسون**، المشهورة بتمثال بوذا المضطجع. قالت إنها ستعود بحلول يوم الاثنين،

لكنها لم تعد. مر يوم، يومان، ثلاثة... فقط في اليوم السابع أو الثامن تعود إلى المدرسة من دون زيها المدرسي.

«لماذا لا ترتدين زي المدرسة؟».

بينما يتفقّد الحضور، يدوّن معلم الفصل ملاحظة عن سلوك **آن هيانغ-سوك**.

«فلتأتِ لمقابلتي في مكتب المعلمين».

ترجع آن **هيانغ-سوك** من مكتب المعلمين بوجه شاحب. عندما أمعن النظر إليها، أرى أن وجهها وجسدها قد أضحيا هزيلين على نحو ملحوظ.

كنا في منتصف حصة الحساب بالمعداد. يوجهنا المعلم لحل عشر مسائل من المستوى الثالث في كتاب التمارين، ثم يبدأ في التحرّك ذهابًا وجيئة في الممرّات بين المقاعد. يسود الصمت الفصل ما عدا خشخشة خرز المعداد. عندما يتجاوزنا المعلم عابرًا الممر، تهمس **آن هيانغ-سوك** إليّ:

«الوضع في فوضى تامّة... لقد مات الناس بأعداد كبيرة!».

أنظر إليها في حيرة.

«الهواتف لا تعمل، والقطارات توقّفت عن الحركة، والأعيرة النارية تنطلق في كل مكان. إنه جنون».

«أين؟».

«في **غوانغجو**. لن يصدّقني أي أحد. ولا حتى معلمنا. لقد تمزّق زيي المدرسي والجماهير في الشوارع تدفعني وتشدّني... لقد تمكّنت من الهروب بمعجزة».

يلتفت معلم الحساب بالمعداد نحو منضدة دراستها، ويشرع في التوجّه إلى ممرّنا مرة أخرى. تطبق **آن هيانغ-سوك** فمها وتبدأ في الحساب على معدادها بيدها اليسرى ثانية. بعد أن يتجاوزنا المعلم، تهمس **آن هيانغ-سوك** مُجدّدًا.

«أنا مرعوبة جدًّا».

«قلتِ إن القطارات لا تعمل. كيف عدتِ إلى هنا؟».

«على متن جرار».

«جرّار؟».

«لقد اصطحبني خالي على متن جراره عبر طرق خلفية بمحاذاة الطريق السريع حتى محطة القطار في آيري... **غوانغجو** مغلقة تمامًا. لقد تحوّلت إلى بحر من الدماء. لا يمكن لأي أحد الدخول إليها أو الخروج منها».

«مَنْ يقتل من؟».

«الجنود يقتلون المواطنين».

«الجنود، كيف؟».

«...لا أعرف. أخبرني خالي أن أغلق فمي. أن أحتفظ بذلك لنفسي».

تحدّق آن **هيانغ-سوك** عميقًا في عينيّ اللتين كانتا تلمعان بينما أستمع إلى قصتها.

«كيف يمكن أن يكون الوضع هادئًا جدًّا هكذا هنا في سول؟!».

***

ربيع سول، أزهار الفورسيثيا التي تفتّحت فجأة في الشتاء، تدهسه عربات الجيش المدرّعة. ربما اختُرِعت العربات المدرعة كي تدهس الربيع. كانت عربات السوفييت المدرّعة هي التي سحقت ربيع براغ. أمَ كان يطلق عليها دبابات في ذلك الوقت؟

يتسارع قطار الأنفاق متجاوزًا حجرتنا المنفردة بدويٍّ عالٍ. يتفرّق البشر في اتجاهات مختلفة وقد تملّكهم الخوف، يرفعون أصابعهم أمام شفاههم ليقولوا: «هش!». يودّع أخي الأكبر أخي الثالث الذي يغادر إلى مزرعة في الجبال وهو يحمل حقيبته المليئة بكتب القانون.

يتباطأ الحزام الناقل في المصنع. بعد دهس ربيع سول، لم نعد نحصل على أي مناوبات عمل إضافي. تباطأت وتيرة العمل بشكل ملحوظ في خط إنتاج أجهزة الستيريو. أحيانًا يتوقّف العمل لساعتين متواصلتين. حتى

مشية كبير العمال صارت أبطأ بينما يتحرّك ذهابًا وإيابًا بين خطوط الإنتاج. تتواتر الأحاديث هنا وهناك أن قطاع إنتاج أجهزة الستيريو قد يُغلق، لأن اتفاقيات التصدير قد تقلّصت. طالب ثانوية الهندسة الذي يتدرب في قسم الفحص على خط الإنتاج المقابل لنا، يخربش على الحزام الناقل ليقتل الوقت من الملل. تختلس ابنة خالي نظرة على مؤخرة عنقه. فقط حين يرفع رأسه وهو يتثاءب بضجر، تبعد ابنة خالي عينيها عنه وتخفض رأسها. عينا المتدرب مثبتة الآن على أوني **يون سون**-إم. تنظر ابنة خالي بدورها إلى **يون سون**-إم. تتأمّل خصلات شعرها المتموّجة، وتمتلئ عيناها بالحزن.

***

كلما قابلت امرأة في منتصف العمر تلبس خاتمًا من الجمشت[1] في إصبع منتفخ، أتذكّر مالكة الأرض التي امتلكت منزلنا بحجراته السبع وثلاثين. لم تعِش في ذلك المنزل. الأيام الوحيدة التي نراها فيها كانت ثلاثة أيام قرب عطلة نهاية الأسبوع في نهاية كل شهر. كانت تمرّ على المنزل لتجمع الإيجار وفواتير الخدمات. سيارة **السيدان** السوداء المركونة في الزقاق كانت علامة على وجودها هناك. سائقها يغفو دائمًا داخل السيارة بعد ركنها في الزقاق. كنا نضطرّ للمشي على جانب الطريق لنحشر أنفسنا في الفراغ بين الجدار والسيارة لنتمكّن من تجاوز السيارة كلما اضطررنا لعبور الزقاق. كان نتوء أنفها، الأبيض بسبب البودرة، لامعًا وأملسَ تمامًا كخاتم الجمشت في إصبعها. هذه المرأة دقيقة في حساباتها عندما يتعلّق الأمر بمصالحها. كانت فواتير الخدمات التي تقسمها على المقيمين كل شهر دقيقة جدًا.

رأيتُ أوني هِي-**جاي** غاضبة مرة واحدة فقط. كان غضبها موجّهًا إلى مالكة الأرض التي تلبس ثلاثة خواتم مرصّعة بالجواهر في ثلاثة أصابع بما

(1) الجمشت: حجر كريم بنفسجي اللون.

فيها خاتم الجمشت. تصبّ هِي-جاي غضبها تجاه سيارة مالكة الأرض المركونة في الزقاق، قائلة إنها سوف تثقب إطاراتها.

«استمعي إلى ذلك. أخبرتني أن فاتورة الكهرباء تبلغ ألفين وعشرين وونًا لذا أعطيتها ألفي وون، فسألتني أين العشرين وونًا. لذا أعطيتها مائة وون لكنها لم تردّ إليّ ثمانين وونًا».

أضحك ضحكة قصيرة. يتورّد خدا هِي-جاي من الغضب.

«لقد حدث ذلك الشهر الماضي، والشهر قبل الماضي أيضًا».

لا تسمح ابنة خالي الصلبة كحجر بحدوث هذا أبدًا. تتأكّد دائمًا من امتلاكها فكّة كافية، وتحسب المبلغ الذي يجب أن تسلّمه إلى مالكة الأرض بدقة.

***

قائد الاتحاد. أتذكر ما قاله:

أريدكنّ أن تدركن أنه بينما تعملن في مناوبات ليلية، فإنه في مكان ما من هذا العالم، يغطس أناس داخل أحواض استحمام مليئة بمياه دافئة في حمامات فخمة ملحقة بحجراتهم. أريدكنّ أن تدركن على الأقل، أنه يُضحّى بكنّ وأنكنّ تنشدن حقوقكنّ، أريدكنّ أن تتعلّمن كيف تبهِجن أنفسكنّ».

تؤرق قائد الاتحاد عدم قدرتنا على المطالبة بحقوقنا، خوفنا الذي يمنعنا من أن نحارب من أجل زيادة أجورنا المتدنية والعلاوات. عوضًا عن ذلك، نقلق من أننا قد نخسر المناوبات الإضافية والعمل لساعات زائدة، ونضطر للاستمرار في العمل من دون زيادة في العلاوة. لا نعرف كيف نبهج أنفسنا. كما يقول، نعجز عن التفكير أننا يتم التضحية بنا.

***

وجه الآنسة لي أصفر شاحب. «لقد انتهى الأمر».

تسلّم سيو-سيون التي رفضت التفتيش الجسدي أثناء ربيع سول،

استقالتها: «هؤلاء الناس لن يتورّعوا عن طحن الدود داخل الكيمتشي المرّ الذي يقدمونه إلينا إذا اضطروا لذلك».

تهمس ابنة خالي إليّ: «يقولون إن العالم قد بات مخيفًا. يعتقلونكِ إذا فتحتِ فمكِ فقط، ويرسلونكِ إلى مكان ما ليعاد تأهيلكِ. هؤلاء هم من اعتقلوا قائد الاتحاد أيضًا».

تُعلن قائمة بأسماء العمال المُقالين على لوحة إعلانات المصنع. معظم الأسماء أعضاء في الاتحاد من قسم إنتاج أجهزة الستيريو. كان اسم الآنسة لي المجتهدة في عملها في الصف الأول من القائمة. لا يُرى مشرف الإنتاج ولا مدير الإنتاج مرة أخرى. يُرقّى كبير العمال إلى منصب مشرف الإنتاج الجديد. يعقد كبير العمال اجتماعًا يترأّسه بصفته الجديدة. يشرح أنه بسبب انخفاض الصادرات، سيتم خفض خطوط العمل الثلاثة إلى خط واحد، وهو ما سيجعل الإقالات والانتقالات حتمية.

يتم تعيين رقم 1 من خط الإنتاج باء والرقم 2 من خط الإنتاج جيم في مكاني ومكان ابنة خالي. بسبب الانتقالات، يفقد الطلبة وأعضاء الاتحاد مواقعهم. أصبحنا نأتي للعمل في الصباح لكن من دون أن نمتلك مواقع عمل نجلس فيها. يجتمع كبير العمال -مشرف الإنتاج- بنا -نحن الواقفين بين الخطوط- ويشرح لنا أنه سيتم تعييننا في مواقع مختلفة كل صباح وفقًا لمجريات العمل. لم يعد بإمكاني وابنة خالي بعد أن اعتدنا أن نشغل الموقعين رقم 1 و2 على خط الإنتاج ألف، البقاء معًا. في يوم تجلس ابنة خالي على خط التجهيزات بينما أجلس أنا بجوار عاملة من قسم الفحص تشمّع صناديق أجهزة الستيريو بقطعة قماش. في يوم آخر تقوم ابنة خالي بأعمال اللحام، حركتها خرقاء. تتصاعد أدخنة من الرصاص فوق رأس ابنة خالي. في يوم ثالث نرسل معًا إلى قسم إنتاج أجهزة التلفاز في مبنى آخر كعمال احتياط. لكن لا يوجد شيء لنقوم به بمجرد أن نصل هناك. نقف هناك بلا هدف، ونحاول ألّا نعترض طريق أي أحد.

يؤلمني قلبي في كل مرة أمر فيها أمام الحزام الناقل عند خط الإنتاج ألف. حتى حين أنكّس رأسي في كل مرة أعبر أمامه في طريقي إلى الحمام، يجد المقعد الذي اعتدت على الجلوس عليه طريقه إلى مجال بصري. كذلك موقع عملي. المقعد حيث اعتدت أن أكتب الرسائل إلى **تشانغ** في كل مرة يتوقّف فيها الحزام الناقل. البقعة حيث اعتدت أن أضع نسختي من رواية « **القزم يطلق كرة صغيرة**»، التي غلّفتها بغلاف من ورق الرسم. منذ أن فقدنا مكاننا، نشعر أنا وابنة خالي بالكآبة. نظلّ ندور حول المجمع الصناعي في طريقنا إلى المصنع. كنا نصل بطبيعة الحال متأخّرتين أغلب الوقت. إيماءاتنا البلهاء تعيد إلى الذاكرة مشهد عمال البناء في الماضي وهم يقفون متحلّقين حول النار في موقع بناء مكتمل. كان الوضع أفضل عندما كنا نشتكي من أن الحزام الناقل يتحرّك بسرعة جدًا، ونحتجّ أننا لسنا آلات. وقتها حين كانت عضلات ذراعينا تتيبّس وتوجعنا، كان كل ما نحتاجه هو تدليكها.

بينما نجوب في المكان بلا هدف، وقد فقدنا مواقع عملنا، ينمو بداخلي إدراك بوضاعة الوجود البشري. حين كنت أضطرّ للجلوس في موقع العمل وأثبّت البراغي طوال اليوم ساحبة المفك الهوائي إلى أسفل، لم يكن هنالك فراغ لفعل أي شيء آخر. لكن الآن لا يوجد سوى شيء واحد يحوم في رأسي: أن أُمنح مكانًا للجلوس في العمل.

ينجرح قلبي بإحساسي بالضآلة، بعدم معرفتي أين أذهب. حتى بعد أعوام كثيرة، عندما أُضطر للتواجد في مكان ما مزدحم بالبشر، فإن أول شيء أفكر فيه هو هذا: أسيكون ثمة مكان لي هناك؟ إذا شعرت أنني لن أجد مكانًا لي، أنني سأبدو ضئيلة، أقرر في النهاية ألّا أذهب بفضل لا وعيي الذي توقّف عن النمو منذ تلك الفترة.

***

ابنة خالي، والثلج محشور بين أصابع قدمَيْها، ويدها حمراء متورّمة. ابنة خالي التي تغدو عابسة أو مسرورة بسرعة. ابنة خالي التي قد تصرخ

غاضبة في وجه شخص ما ثم تحني رأسها إلى أسفل في اللحظة التالية. ها هي ابنة خالي تحدق الآن في الحفرة أسفل عمود الطاقة، وقد تلوّنت بالأصفر بسبب تبوّل شخص ما فيها ثم تسحب كاميراها التي كانت أثيرة إلى قلبها، كما لو كانت قد فقدت بوصلتها الداخلية، وترميها داخل حفرة البول، وتهمس إليّ: «سوف أصبح عاملة هاتف».

«عاملة هاتف؟ ذلك حلم أوني هِي-جاي لا حلمكِ. تتذكّرين الليلة التي غادرنا فيها القرية؟ الليلة التي قلنا فيها وداعًا عند المحطة لخالتي التي كانت تفوح منها رائحة سمك، أخبرتني أنك سوف تلتقطين الصور للطيور البيضاء النائمة في الغابة».

«حلم بعيد المنال. عليكِ أن تمتلكي الموهبة منذ ولادتكِ لتفعلي ذلك النوع من الأشياء».

«هذا ليس صحيحًا. سوف تسنح لكِ الفرصة لتفعلي ذلك يومًا ما إذا لم تسمحي لنفسك بنسيان حلمكِ. إذا نسيتِ حلمك فسينتهي الأمر. إذا واصلتِ التشبّث بتلك الرغبة في الاقتراب أكثر من حلمك، سيمكنك أن تحقّقيه. واصلي الاقتراب أكثر وأكثر منه وسوف تتمكّنين يومًا من الوصول إلى تلك الغابة. وحتى لو لم تصلي إلى هناك، فسوف تكونين قريبة منها».

تصرخ ابنة خالي في وجهي غاضبة: «توقّفي عن مناصرتي. تعتقدين أنك قارئة جيدة وذكية؟ لا أستطيع احتمال رؤيتكِ. كيف تجروئين؟!».

هذه الفتاة، ابنة خالي التي يقشعرّ ذراعاها حتى في قيظ الصيف التي تستدعي ارتداء قمصان بلا أكمام. ذراعا ابنة خالي اللتان تبدوان باردتين دائمًا، ترتفعان عاليًا الآن، قبل أن تهبطا لتصفعا خديّ.

«لا تعرفين عما تتحدّثين!».

أصرخ في وجهها بدَوْري: «إذا توقّفت عن الذهاب إلى المدرسة فسوف أخبر أخي الأكبر».

«هيا، أخبريه! إنه أخوك لا أخي».

«سيكسر أخي الأكبر ساقَيكِ.».

تلهث ابنة خالي بقوة وهي ترمقني بنظرات حادة.

«سوف يحزم أمتعتك ويعيدكِ إلى الريف!».

تستند ابنة خالي إلى الجدار وتشرع في البكاء.

«لا يرغب فيَّ لأنني فتاة مصنع».

أنا من كنت أصرخ وأثور، أقف هناك بوجهٍ خالٍ من أي تعبير.

«يقول إن **يون سون-إم** فتاة مصنع بوجه جميل لكنني فتاة مصنع بوجه عادي».

إنها تتحدّث عن ذلك الوغد، الطالب المتدرّب.

«أليس هو أيضًا فتى مصنع؟!».

« يقول إنه يتدرب فقط. سيذهب إلى الجامعة. لذا سوف أصبح عاملة هاتف، وسوف أتقدّم إلى امتحان الدخول إلى الجامعة وألتحق بالكلية مثله».

تمسح ابنة خالي دموعها وتعضّ على شفتيها. «لن تخبري أخاكِ الأكبر، أليس كذلك؟».

أهز رأسي. كانت ابنة خالي قد سجّلت في دورة في مدرسة **جونجنو** لتدريب عاملات الهاتف.

«عندما تتقدّمين إلى الامتحان وتنالين شهادة، تستطيعين الحصول على وظيفة في البنك. وأماكن مثل مكاتب البريد أيضًا».

***

تواصل الآنسة لي والعاملات المُقالات القدوم إلى العمل. يقدّمن التماسًا كي يتم إعادتهن إلى العمل على أساس أن إجراء الفصل غير قانوني، وينظّمن احتجاجات. ينشب شجار كل صباح بين العاملات المُقالات اللاتي تحاولن الدخول عبر البوابة الرئيسية وحرّاس الأمن الذين يحاولون منعهنّ من الدخول.

«ما الذي يجعلكنّ تعتقدن أن بوسعكن القدوم إلى العمل وأنتن لا تمتلكن حتى بطاقات تسجيل الوقت!».

أولئك اللواتي أبدين تعاطفًا مع مقدِّمات الالتماس بالعودة إلى العمل على أساس الفصل غير القانوني طردن من العمل أيضًا. من داخل البوابة الرئيسية للمصنع، تحدّق الآنسة **ميونغ** من قسم الإدارة إلى الخارج نحو الآنسة **لي** بذراعيها المضمومين. عند وصولنا إلى العمل، تشيح ابنة خالي بعينيها بعيدًا عن المحتجّات من أجل إعادتهن إلى العمل وترمق الآنسة **ميونغ** بنظرات جانبية.

أصبحت الآن بمفردي بعد أن توقّفت **هِي-جاي** وابنة خالي عن الذهاب إلى المدرسة. نغادر العمل عند الخامسة مساء لكن أتوجّه أنا إلى المدرسة، وابنة خالي إلى مدرسة تدريب عاملات الهاتف. أعود وحدي إلى الحجرة المنفردة، أسلك الطرق في الليل وأمر على السوق في طريقي.

لا يمتلك أخي الأكبر أدنى فكرة أن ابنة خالي ترتاد مدرسة تدريب لتنال شهادة للعمل كعاملة هاتف بدلًا من الذهاب إلى المدرسة. يواصل أخي الأكبر الذهاب كل صباح إلى مركز التدريب، مرتديًا باروكته، لكنه يزداد نحولًا مع الوقت. داخل درج مكتبه يرقد العقد الذهبي الذي تركته المرأة وراءها، لامعًا ساكنًا في مكانه.

«هذا العقد يعود إلى أوني ميونغ، أليس كذلك؟». تعثر ابنة خالي على العقد في الدرج ذات يوم وتأرجحه في يدها. حتى في حجرتنا المنفردة يلمع العقد الذهبي بوميض.

«لماذا العقد هنا؟». ترتدي ابنة خالي العقد وتنظر في المرآة.

«أعيدي العقد إلى مكانه!».

أشعر بالضيق حين استدعى ذكرى الليلة التي أتت فيها المرأة وأعادت العقد إلى أخي. أستمر في التفكير أنني أكرهها. وجهها الأبيض الجميل وعيناها البرّاقتان. لا أستطيع الكفّ عن التفكير أن جمالها قد جلب البؤس

إلى أخي الأكبر. أشعر بالأسف عليه بينما أتصوّر الالتزامات المستقبلية التي ومضت بداخل عقله وهو يهديها العقد. لم يكن من نوعية الشخص الذي يهدي عقدًا لأي شخص. لم يكن شخصًا يسلّم قلبه إلى أي أحد.

ترسم ابنة خالي ابتسامة مشرقة كالعقد اللامع على وجهها.

«أيمكنني أن أضعه عندما أخرج، مرة واحدة فقط؟».

أرمق ابنة خالي بنظرة صارمة. يبدو أنها تريد حقًّا أن تلبس العقد وتستمر في طلبها مني أن أنظر بعيدًا، وهي تقول: «مرة واحدة فقط».

«لماذا كان عليها أن تعيد العقد؟ كان ذلك تصرّفًا حقيرًا منها، كان يجدر بها الاحتفاظ به أو إلقاؤه في النهر أو شيء كهذا. ماذا تتوقّع أن يفعل أوبا به؟ ولماذا يحتفظ به هنا حيث يمكننا العثور عليه بمجرّد فتح الدرج؟».

يسيطر عليّ الغضب لسبب أجهله فأنتزع العقد من ابنة خالي وأعيده حيث كان ثم أغلق الدرج بدويٍّ مسموع.

منذ أن أضحى العقد في الدرج، صار أخي الأكبر يعجز عن النوم بعمق. يتقلّب ويستدير في مرقده مرات عدة. أحيانًا يتسلل خارج الباب في منتصف الليل. خطوات أقدامه تصعد إلى السطح. أتبعه ذات ليلة. يشقّ طريقه عبر الغسيل فوق الحبل، والذي تركه أحدهم معلّقًا طوال الليل ويجلس بجوار الدرابزين. يجلس ببساطة هناك. أخي الأكبر الذي لم تستهويه السجائر أبدًا. فيما يفكر وهو يجلس هناك؟ إلى ماذا ينظر؟ أخشى للحظة من أن مدخنة مصنع مركز التصميم والتعبئة التي ترتفع عاليًا في سماء الليل قد تنهار فوقه. لو كنت أستطيع فقط، لذهبت إلى المرأة وأخبرتها عن معاناة أخي الأكبر.

في وقت متأخّر في منتصف ليلة أخرى، أستيقظ وابنة خالي مفزوعتَيْن على صرخة أخي الأكبر. كان يجلس بوجهٍ جامدٍ في الظلام. عندما أحاول إشعال النور، يقول: «لا تفعلي!».

«ماذا هناك يا أوبا؟».

يقول إنه يشعر بألم في صدره وأنه يتنفس بصعوبة. يدعك صدره وهو يجلس هناك في الظلام. تضيء ابنة خالي النور كما لو أنها تشعر بضرورة أن تفعل شيئًا، وتحضر كأسًا من الماء من المطبخ له. يتوقّف أخي الأكبر قبل أن يأخذ رشفة ماء. يضع الكأس على الأرض كما لو كان لا يستطيع حتى أن يتحمّل جرعة ماء. يداه لا تزالان تدلّكان صدره لكنه يقول إنه على ما يرام، وأنه يجب علينا العودة إلى النوم.

***

عبر أثير الراديو المُشغّل في قسم الفحص، يتحدّث أشخاص عن تناول لفائف الخسّ. اسم البرنامج هو طلبات الظهيرة. يتحدّثون كما لو أنهم يشاهدون مشهدًا من الريف متجسّدًا أمامهم، مستمتعين بلفائف الخسّ المقطوف من الحقول، مع الأرز ومعجون صلصة طازج. يقول مقدّم البرنامج: «إذا أضفتهم الفلفل الأخضر المُقطّع إلى الصلصة فسيقوّي ذلك مذاق الخس بنكهته الحارّة». فتعقّب ابنة خالي: «وكذلك الثوم الطازج!». ما يشد انتباهي ليس الفلفل الأخضر أو الثوم الطازج، بل حين يقول مقدّم البرنامج: «لكن احرصوا على ألّا تتناولوا الكثير من الخسّ فإنه يؤدي إلى النعاس». النعاس؟ الخسّ يؤدي إلى النعاس؟!

ذات يوم يحدّق أخي الأكبر في مائدة العشاء بتململ. كانت المائدة حرفيًا حقلًا من الخسّ. سلطة خسٍّ بالتوابل الحارّة، ولفائف الخسّ، وحساء الخسّ.

«لماذا لا تقدّمون لي هذه الأيام سوى الخس؟!»، يقول بتأفّف قبل أن يحاول تناول معلّقة من الحساء وهو يسأل ما نوعه.

«حساء الخسّ!».

«هذه أول مرة أجرب فيها حساءً مصنوعًا من الخس».

«...».

«هل أفلسنا؟».

حينها فقط تضحك ابنة خالي. «لا، الأمر فقط أننا سمعنا أن الخسّ يساعد على النوم... وأنتَ لم تنم جيدًا منذ مدة طويلة».

«ألهذا طهوتما حساء الخسّ؟!».

«أجل».

يطلق أخي ضحكة مرحة. تنحسر الضحكة بينما يوشك على وضع لفافة خسّ في فمه. يسأل كما لو كان قد تذكّر شيئًا ما فجأة: «من أين كنتِ قادمة ليلة الأمس؟».

كانت عيناه مثبتتين على ابنة خالي.

«أنا؟!».

«كنتِ خارجة من محطة قطار الأنفاق... بدا أنك لم تسمعي ندائي وواصلتِ المشي».

تقع مدرسة تدريب عاملات الهاتف التي ترتادها ابنة خالي قرب **بوسينجاك (مبنى الأجراس)** في وسط المدينة. تستقلّ الحافلة من المصنع إلى هناك، وتعود إلى البيت في قطار الأنفاق.

«الأمس... حسنًا... احتجت إلى القيام بأمر ما».

«لا أريد منكما أنتما الاثنتين، أن تتجولا هكذا في الأرجاء بمفردكما ليلًا. إذا تأخرت إحداكما قليلًا، على الأخرى أن تنتظر حتى تتمكّنا من العودة إلى البيت سويًا. الأمر نفسه إذا كان على إحداكما حضور شيء ما».

تسارع ابنة خالي إلى الإجابة بأنها ستفعل ذلك. بينما أجلس هناك إلى جانبها، أشعر بقلبي يخفق.

***

كان أستاذي في الجامعة يمكث في مكان يدعى **ميريونج**، في قلب الجبال. زرته هناك في شهر أبريل الفائت، بعد نشر روايتي الأولى، انشغل صديق أتى برفقتي بتشذيب الحديقة وملء الثلاجة بأشياء للطعام من أجل

أستاذنا، الذي كان عليه أن يطهو الوجبات بنفسه خلال إقامته هناك، لكن كل ما فعلته أنا في ميريونج هو الاستغراق في النوم هنا وهناك. غفوت على مقعد بينما أتأمّل النهر، ومرة ثانية بينما أجلس القرفصاء خارج بيت الكلب حيث يتمطّى كلب من سلالة الجيندو، وحتى بينما نتجاذب أطراف الحديث مع أستاذنا.

بينما أتبعهما بطول ضفة النهر، انهرت على العشب واستغرقت في النوم مجددًا، فقط كي يوقظني صوت صغير ماعز يتبرّز بجانبي. كان النوم يداهمني بقوة شديدة إلى درجة كنت أجد صعوبة في الإبقاء على رأسي مرفوعة. قال أستاذي أخيرًا: «يبدو أنك من تحتاجين إلى الراحة لا أنا».

أعود إلى المدينة، مستغرقة في النوم بين الحين والآخر أثناء رحلة العودة.

يتّصل بي الأستاذ الجامعي عبر الهاتف ذات يوم.

«أستاذي!»، أهتف عبر الهاتف. كنت أغسل شعري حين تلقيت مكالمته. تساقطت قطرات الماء على سماعة الهاتف من شعري الذي لففته في منشفة باستعجال. لماذا يتّصل بي؟ فكرت أنني لم أهاتفه أو أزره بعد تلك الزيارة في ميريونج. الانسداد الرئوي. خطر ببالي أن أستاذي الجامعي قد استأجر ذلك المنزل في الجبال ليتعافى من انسداد رئوي كان يعاني منه.

«هل أنت في سول؟»، أسأله.

«لا، أتصل بكِ من ميريونج. لقد اتصلت بكِ قبل الأمس لكن لم تردي».

اتصل بي قبل الأمس أيضًا. ماذا يمكن أن يكون السبب؟ بدأت أتوتّر.

أخبره: «لقد كنت في زيارة لمنزل العائلة في الريف».

« أرى ذلك. ذلك جيد. كم المدة التي قضيتِها هناك؟».

«نحو عشرة أيام».

«إذًا كانت إقامة جيدة؟».

«حسنًا، بقدر الإمكان».

«ذلك جيد. كنت سأقترح عليكِ القدوم إلى هنا لقضاء بضعة أيام والحصول على قسط من الراحة لكن يبدو أنه لا داعي لذلك».

لم أتفوّه بأي كلمة مكتفية بالانتظار. تابع أستاذي حديثه بعد فترة: «يبدو أنكِ تكتبين كثيرًا جدًّا هذه الأيام... كنتُ أفعل ذلك أيضًا في مرحلة من حياتي. أكتب كأن حياتي تعتمد على الكتابة».

أنا؟ أكتبُ كثيرًا جدًا؟! من دون أن أدرك ذلك، كنتُ أتحدّث معه بنبرة متجهّمة. على الطرف الآخر من الخط، توقّف أستاذي عن الكلام مُجدّدًا. يبدو أنه لاحظ نبرة صوتي المتجهّمة.

«حسنًا، يجب على الكاتب أن يكتب بغزارة لكن ليس في حالتكِ. بالنسبة إليكِ، أن تكتبي يعني أن تنبشي لحمكِ لتأكليه. لو حفرت أكثر من اللازم، فسوف تمرضين».

واصلت قطرات الماء التساقط من شعري المبلل.

«أكان ما قلته مُحبِطًا؟!».

لا أتفوّه بكلمة.

***

في منتصف الليل، تُسمع رفرفة خطوات متوتّرة قادمة من الزقاق. أصوات أبواب تُغلق بدويٍّ هنا وهناك. كانت ابنة خالي أول من استيقظ بسبب تلك الضجة.

«ما ذلك الصوت؟»، تهزّني ابنة خالي لتوقظني.

«ماذا؟».

«ذلك الصوت».

يستيقظ أخي الأكبر بدوره.

يصل إلى مسامعنا صوت المرأة العجوز مالكة المتجر وهي تسأل لماذا يفعلون ذلك؟ ثم صياح: «اتركني!». صوت باب حمام يتحطّم. صوت مصراع المتجر المعدني يُسحب إلى أسفل بسرعة.

«ماذا يحدث؟!».

غمغمة الناس وقد تجمّعوا حول المشهد. صيحات خائفة تنفجر هنا وهناك. لا يجرؤ أيٌّ منا على أن يطلّ إلى الخارج من النافذة. داخل حجرتنا المنفردة، احتضن ابنة خالي. ماذا يمكن أن يكون ما يحدث في الخارج؟ عندما تتلاشى دقات الأحذية العسكرية الثقيلة على الأرض، يهبط الصمت فورًا على الزقاق. صمت ينذر بالانفجار في أي لحظة.

في الصباح تخرج ابنة خالي لشراء قالب من التوفو، لكنها تعود خاوية اليدين. تنتشر إشاعة أن مالك المتجر الذي كان يقود دراجته ليحضر لوحًا كاملًا من التوفو قد اعُتقل ليلة البارحة.

«بأي تهمة؟».

«لا أحد يعرف».

«لا بد أنه قد اقترف خطأً ما كي يُعتقل».

«يقول الناس إنهم لم يعتقلوا مالك المتجر فقط، بل أيضًا رجل آخر كان يتبوّل في الزقاق».

«إلى أين أخذوهما؟».

«لا أعرف. تتذكّرين أنه كانت له ندبة من جرح قديم أسفل أذنه، ووشم على ذراعه. كان منظره مرعبًا إلى حدٍّ ما».

«ماذا تعنين بمرعب؟ لقد اعتاد أن يعطينا أول قالب فحم يَجهز قبل دورنا حتى».

«ذلك صحيح...».

اختفى مالك المتجر الذي حذّرتنا أمي من التودّد إليه منذ تلك الليلة

ولم يعد أبدًا. تجلس أمه الجدّة العجوز في المتجر لثلاثة أيام كما لو كان لا يزال لديها أمل في ظهوره قبل أن تغلق المتجر في النهاية. تهيم الجدة في الأرجاء بحثًا عن أولئك الذين داهموا الزقاق في منتصف الليل وأخذوا ابنها. يُفتح المتجر ثانية وبداخله كانت التماثيل الصغيرة لمريم العذراء التي كان ينحتها مالك المتجر من الفخار كلما أتيح له الوقت، مهشمة وملقاة على الأرض.

«ماذا عن ابنكِ؟».

«لقد أرسلوه إلى مركز تأهيل للتطهير الاجتماعي. قالوا لي إنه يجب عليّ الانتظار وسوف يعود».

بعد أن تُركت بمفردها، لم تعد الجدّة تبيع قوالب الفحم الساخنة حتى حين يحلّ الشتاء. تترك الموقد النحاسي في الشارع، وقد تكدّست بداخله كومة عالية من الرماد الأبيض، وتكتفي بالجلوس هناك، تشخص بعينيها إلى حيث ينتهي الزقاق.

***

نهر من الدماء تدفّق بسبب غياب العدالة.

ذات يوم بينما أمشي في الساعة الثامنة من مساء يوم التاسع من أغسطس 1980 في طريقي إلى العمل، ألقى ستة رجال شرطة يرتدون ملابس عسكرية ويتسلّحون بالبنادق القصيرة القبض عليّ في الطريق بمحاذاة شاطئ **دادايبو**. أبرحوني ضربًا بالهراوات وعصيّ البامبو وركلوني بأحذيتهم الثقيلة ذات الرقبة العالية حتى أوشكت على الموت، قبل أن يأخذوني إلى معسكر تدريب **سامتشونج** في منطقة تابعة للجيش في مكان ما في **تشانجوون** وقد أصبت بجرح بالغ في ظهري...

كانت تلك هي الكلمات الافتتاحية في مقدّمة مذكرات رجل اعتُقل

وأُخِذ قسرًا إلى إحدى معسكرات التطهير الاجتماعي[1] أثناء تلك الفترة، وقد أصبح الآن قسيسًا.

ذات يوم بينما أمشي، صادفت نشرة إعلانية تعلن «عرض فيديوات حادثة **غوانغجو**». المكان الذي ذهبت إليه وأنا أحاول التحكّم في صدري الذي كان يخفق بقوة كان يدعى «الكنيسة بدون المعسكر» في **يونجدونجبو**. كم بكيت أثناء مشاهدة الفظائع التي ارتُكِبت في حادثة **غوانغجو** على شاشة العرض، الحادثة التي سمعت بها فقط. الوجوه المشوَّهة للعديد من الجثث التي تهاوت على أيدي الجنود تحت سطوة قانون الطوارئ العسكري، الذين قمعوا من دون رحمة المواطنين كما لو كانوا يخوضون حرب شوارع...

اعتُقلت ليس بسبب جريمة جنائية ارتكبتها، بل لمجرد أنني كنت أمتلك سجلًا جنائيًا ولاشتباههم في الأماكن التي تدرّبت فيها.

لسنتين وستة شهور، لم يكن معسكر تدريب **سامتشونج** ومعسكر **سامتشونج** للخدمة العمالية، ومنشآت الإصلاح العسكرية، ومؤسسة **تشونجسونج** للإصلاح الوقائي رقم ثلاثة، سوى مسالخ بشرية، أمر لا يمكن تصوّره في دولة ديمقراطية.

نام-هونغ الذي اعتقل في سن السابعة عشرة وأُخِذ إلى وادٍ في مكانٍ ما قرب خطوط القتال الأمامية في مقاطعة **جانجوون** حيث أصيب بعيار ناري في جنبه بمسدس إم 16 بينما يحتجّ

(1) التطهير الاجتماعي أو إعادة التأهيل الاجتماعي: مصطلح سياسي يعني إقصاء أفراد المجتمع «غير المرغوب فيهم». في العام 1980 اعتقلت الحكومة الكورية الجنوبية نحو خمسة عشر ألف مدنيٍّ في معسكرات احتجاز تابعة للجيش من دون محاكمة، حيث تعرَّضوا لأقصى أنواع التعذيب.

على احتجازه الطويل، ليموت موتَة بشعة مريرة، فبينما يصرخ باسم أمه، انسكبت أحشاؤه خارج جسده.
المعتقل **كيم** الذي أصيب بعيار ناري في رأسه من على مسافة بضعة أمتار ليرحل عن هذه الدنيا من دون صرخة واحدة، وأصوات المعتقلين الآخرين تتوسّل جلّاديها للعفو عنهم من أجل آبائهم وعائلاتهم في ديارهم، بينما يتدحرجون في بحر من الدماء وأحذية الجنود وعصي البيسبول والمعاول تنهال عليهم بلا شفقة، وبلا سبب.
تلك الذكريات الوحشية...
عندما خرجت من وادي الموت ذاك الأشبه بالجحيم، على قيد الحياة، بفضل رحمة الرب، حاولت أن أمحو من ذاكرتي ذلك الماضي الكابوسي، غير راغب البتة في استدعاء تلك الذكريات ثانية. حاولت أن أسامح، وأنسى كل ذلك بما أمتلكه من محبّة للرب بداخلي.
لكن صور فيديو حادثة **غوانغجو** التي شاهدتها في ذلك اليوم أصابتني بصدمة عظيمة، وساعدتني على إدراك ما ينبغي أن أفعله من أجل الناس والتاريخ على الطريق نحو الديمقراطية.
لقد أُخِذ العديد من الناس بالقوة تحت قناع التطهير الاجتماعي، وصارعوا من أجل النجاة لثلاث أو خمس سنوات في معسكر تدريب **سامتشونج**. مشهد من إراقة الدماء تسبب فيه قانون جائر فُرِض لخلق أجواء من الخوف الاجتماعي لتسهيل ميلاد نظام جديد. أتوسّل وأدعو من أعماق قلبي أن حملة مأساوية مثل مركز تدريب **سامتشونج** لن تتكرّر ثانية على هذه الأرض كما حدثت العام 1980 حين ألغيت الإنسانية والأخلاق والديمقراطية.
أتمنّى حقًا أن الكثير في أنحاء البلاد سوف يقرأون هذا الكتاب،

ومن ثم يتأكّدون أنه لن تتكرّر أبدًا واقعة مشابهة حيث يتم التضحية بعدد كبير من الناس على نحو مُجحف من أجل مجد فرد واحد. أتمنّى أيضًا أن يساهم هذا الكتاب بقدر صغير في أن يُتاح للعديد من أقراني الذين ماتوا في ذلك الوادي في الخطوط الأمامية التابعة للجيش، عاجزين عن التغلّب على ألم الاتهام بأنهم مجرمون من دون محاكمة، أن يستعيدوا شرفهم. وأولئك الذين سقطوا قتلى بالبنادق الآلية خلال انخراطهم في مقاومة دموية، وأيضًا العشرة آلاف رجل الذين تحمّلوا الحياة في معسكر تدريب **سامتشونج** وأرغموا على التضحية بكرامتهم وآدميتهم وهم يعانون في صمت.

كيم، طالب في جامعة **كيونجام** الذي جُرّ بعيدًا كالكلب بينما يهتف من أجل الديمقراطية، والموظف **سين**، الذي اُعتقل وهو ثمِل بسبب إثارته للضجة داخل بيته بعد شهر واحد من زواجه، وخريج المدرسة الثانوية **لي**، الذي كان يذاكر ليتقدّم للمرة الثانية لامتحان دخول الجامعة، ووجّهت إليه اتهامات بأنه عضو في عصابة بعد أن قُبض عليه أثناء نزهة، وعامل المصنع **سونج** الذي قبضت عليه الشرطة بينما يُطالب بدفع رواتبه المتأخّرة، و**نام**، طالب الثانوية ذو السبعة عشر ربيعًا، الذي اعتُقل أثناء خروجه من منزله لاستقبال والدته، والطباخ **لي**، الذي اعتُقل بسبب وشم على ذراعه أثناء مغادرته عمله، والبائع المتجوِّل **باك**، الذي قُبض عليه بينما يبيع بضاعته في السوق، والصحافي **لي**، الذي جُرّ كالكلب وضُرِب وغطت الدماء جسده بعد أن فُصِل من عمله بشكل تعسّفي، و**هوانغ** الأعزب الكبير في السن، الذي كان يلحّ على والديه ليجدوا له زوجة، و**كيم**، ذو الستين عامًا...

***

هل تمكّن مالك المتجر الذي اعتُقل بينما يصنع تماثيل الفخار الصغيرة لمريم العذراء من العودة؟ لم أره مرة ثانية، ولا حتى بعد مغادرتي الزقاق.

***

أمسح أرضية الحجرة المنفردة بخرقة قماش. بينما أمسح مكتب أخي الأكبر، أفتح الدرج بهدوء. أخيرًا قد تخلّص منه. لم يكن عقد المرأة هناك. أشعر الآن بالارتياح.

بينما تقترب الإجازة الصيفية، يضع أخي الأكبر جدولًا جديدًا. يقول أخي إنّ عدد الطلبة المنضمّين إلى مركز التدريس الخاصّ الذي يعمل فيه قد ازداد، لذا سيكون بإمكانه أن يجني قدرًا جيدًا من المال خلال عطلة الصيف، وأن المدير قد وعده بأن يكلّفه بتدريس فصلٍ آخر مدّته ساعة خلال الصيف. بدا أخي مسرورًا. لكن، كيف سيجد الوقت لفعل ذلك في حين أن جدوله في الصباح والمساء مشغولًا بالفعل؟

«حُدِّدَ موعدُ الفصل الجديد من السادسة والنصف حتى الثامنة، لذا أستطيع التوجّه إلى مركز التدريس مباشرة من مناوبة الخدمة العسكرية».

«لكن ماذا عن العشاء؟».

«ستبدأ حصتي التالية في التاسعة، لذا يمكنني أن أتناول الطعام بين الحصّتين». يقول إنه بعد انقضاء الصيف، ستكون خدمته العسكرية قد انتهت وسيتمكّن من الحصول على وظيفة مناسبة، وحينها سنتمكّن من استئجار مكانٍ أكبر.

***

تضيع أجورنا في سداد ديون متأخّرة.

لا نتلقّى أجور الشهر السابق إلا في يوم دفع أجور الشهر التالي. أفتقد قائد الاتحاد والآنسة لي وسيو-سيون. تلك الوجوه التي كانت تدخل دائمًا في نقاش، خلال تناول حساء براعم الفاصوليا الفاترة المسكوبة فوق الأرز على صينية الطعام المعدنية، مع بعض الكيمتشي المرّ على الهامش. تلك

الوجوه التي اعتادت أن تصيح متحدثةً عن مدير الشركة، «حتى لو مات، لا يجب أن نبكي، لا أحد منا يجب أن يبكي». لو فقط كانوا لا يزالون هنا، لما ذهبت أجورنا لسداد ديون متأخّرة كالآن.

فجأة يسود السكون العمل. تنتشر الإشاعات أن قسم إنتاج أجهزة الستيريو سوف يُغلق، وأن مدير الشركة سيسلّم إدارة المصنع إلى البنك. كما لو كان لتأكيد صحة الإشاعات، يتوقّف العمل على الحزام الناقل على خط الإنتاج ألف، خط الإنتاج الوحيد الذي كان لا يزال يعمل حتى الآن. الآن لم يعد هنالك عمل ليُنجز. ننظّف المنشآت ثم نجلس في الأرجاء ونثرثر. لم نعد مضطرات للوقوف في صف من أجل الغداء في الكافيتيريا. غادر الناس المصنع فردًا تلو الآخر، وأغلب من تبقّى كانوا من قسم إنتاج التلفاز.

***

توشك المدرسة على أن تغلق أبوابها من أجل العطلة الصيفية. أعود إلى البيت من المدرسة لأجد أخي الأكبر جالسًا على مكتبه.

«أوبا، لماذا عدتَ إلى البيت مبكرًا هكذا؟».

بدلًا من أن يجيب على سؤالي، يطلب مني أخي الأكبر أن أجلس بينما أتوجّه إلى العلية لأغير ثيابي.

«ما الأمر؟»، أضبط أزرار زيي المدرسي.

«لماذا عدتِ إلى البيت بمفردكِ؟».

«... حسنًا، في الحقيقة».

بينما أتلعثم، يرفع أخي الأكبر صوته في وجهي: «لماذا تفعلين هذا؟ لماذا تفعلون كلكم ما يحلو لكم من دون تفكير؟... لقد سألتك ماذا تخفين؟!».

«هاتف... تريد ابنة خالي أن تصبح عاملة هاتف...»، أتلعثم في كلامي.

«متى توقّفَت عن الذهاب إلى المدرسة؟».

«منذ حوالى... شهر».
«كان يمكنك على الأقل أن تخبريني، ألا تعتقدين ذلك؟».
«لقد طلبَت مني ألّا أفعل.».
«لم تفعلي لأنها طلبت منك ذلك؟ لا زلت لا تفقهين شيئًا عما هو مهم، أليس كذلك؟!».

أشعر بأنني في مأزق، فأبدأ بالنحيب. تدلف ابنة خالي من الباب جاهلة ما يحدث، لكنها تلاحظ عينيّ أخي الأكبر الغاضبتين بينما تضع حقيبة المدرسة على الأرض. فتخفض عينيها بسرعة في دهشة. تحمّلت توبيخ أخي الأكبر حتى هذه اللحظة لكن عندما وقعت عيناي على وجه ابنة خالي، انفجرت باكية.

«كفّي عن البكاء!».

أحاول أن أتوقّف، لكن لا أستطيع. تبدأ الدموع في التساقط من عينيّ ابنة خالي أيضًا. بينما نبكي معًا، يتأمّلنا أخي الأكبر بانشداه.

«تعتقدان أنني سأضربكما أو شيئًا كهذا؟».

كنا نتوقّع ثورة عارمة، لكن أخي الأكبر يعود إلى مكتبه ويجلس وقد أولانا ظهره. كان ظهره المنتصب يعكس تصميمًا ما.

«إذا قرّرتِ ترك المدرسة، فيجب عليك أن تحزمي أغراضك وتغادري».

تنهمر الدموع من عينيّ ابنة خالي بغزارة أكبر.

«هل ستعودين إلى المدرسة أم لا؟».

تواصل ابنة خالي البكاء من دون أن تجيبه. يرمقها أخي الأكبر بنظرات باردة. «هل ستعودين إلى المدرسة أم لا؟!».

«سأعود».

بدا أخي الأكبر حازمًا جدًا، إلى درجة أن ابنة خالي كفّت عن البكاء. بدا كأنه سوف يأخذها مباشرة إلى محطة القطار، ويشتري تذكرة لها، ويرسلها

إلى الريف لو أجابت بأنها لن تعود إلى المدرسة. تصعد ابنة خالي وهي تكفكف دموعها إلى العلّيّة لتخلع زيّها المدرسي.

نستلقي على أرضية الحجرة لننام بعد أن غسلنا وجهَيْنا وأقدامنا في صمت. تجثو ابنة خالي على ركبتَيْها وقد أدارت وجهها إلى الحائط. ينادي أخي الأكبر في الجانب الآخر من الحجرة على ابنة خالي. تجيب ابنة خالي بصوت خافت وهي لا تزال جاثية في مكانها.

«أهذا ما تريدين أن تكوني، عاملة هاتف؟».

«لا».

يسألها أخي الأكبر ثانية وقد اعترته الحيرة من إجابتها. «إذًا لماذا بدأت في الذهاب إلى مدرسة التدريب؟».

«لا أريد أن أعمل في مصنع، أوبا».

لا تردّد في إجابتها. يبدو أخي الأكبر مصعوقًا. «هل العمل هناك بذلك القدر من السوء؟».

«أجل».

يسأل أخي الأكبر ثانية كما لو كانت فكرة ما تختمر في رأسه، «إذًا ماذا عن العمل في مكان مثل مركز الخدمة الاجتماعية.».

«أود ذلك».

تعتدل ابنة خالي في مجلسها على الفور.

«لا شيء لتحبيه هناك. لو سألتني فإن العمل في مصنع أفضل».

«أثمة وظيفة شاغرة؟».

«وظيفة لشخص يقوم بالمأموريات. أخذ الأوراق إلى مكتب المقاطعة، والرد على المكالمات الهاتفية، أشياء من هذا القبيل».

«هذا يناسبني. أي شيء يناسبني طالما ليس في المصنع».

ترجو ابنة خالي أخي الأكبر أن يحصل لها على الوظيفة في مركز الخدمة الاجتماعية. تقول إنها لم تعد تطيق العمل في المصنع هذه الأيام.

أننا لا نملك أي مكان للجلوس، ولا تُدفع لنا رواتبنا، والجميع يقول إن الشركة ستُغلق قريبًا.

تبتهج ابنة خالي ذات الحادية وعشرين بعد رحيلها عن المصنع. أصبحت الآن تستقلّ قطار الأنفاق في الصباح إلى مركز يونجسان للخدمة الاجتماعية.

أفكّر في تأبط ذراع ابنة خالي في الطريق المؤدّي إلى المجمع الصناعي رقم واحد، وعند مدخل السوق، وفوق جسر المشاة، فيطغى عليّ إحساس بالفراغ.

***

كانت المرة الأولى التي أسمع فيها كلمة «إغلاق كلّي». كان الوضع أفضل حين كنا نضطر إلى العمل لساعات إضافية. حين كان الحزام الناقل يتحرّك بشكل محموم. أسمع أحدهم خلفي يفقد أعصابه ويثور: «كيف تُغلق كل شركة أعمل فيها؟! حظّي اللعين!».

في المساء أقابل ابنة خالي في المدرسة: «هل صرفوا مكافأة نهاية خدمتي بعد؟».

أهز رأسي.

«لقد عملتُ لصالحهم حتى تفكّكت عظامي. يجب عليهم على الأقل أن يمنحوني مكافأة نهاية الخدمة».

«يقولون إن الشركة تنهار».

مكتبة
t.me/t_pdf

«ماذا؟».

«سيكون هنالك إغلاق كلّي».

تلجم جسامة الكلمة «إغلاق كلي» لسان ابنة خالي.

تمرّر مي-سيو ورقة إليّ أثناء قراءتها **هيجل**. تقول الورقة: «أي وظائف شاغرة في مصنعك». أقول لها، لا، حتى أنا لم أعد أعمل. تحدّق آن

هيانغ-سوك في ورقة مي-سيو.

«هل يواجهن مشكلات في مصنع مي-سيو؟».

«لست متأكدة».

تسير آن هيانغ-سوك نحو مي-سيو. «أترغبين في القدوم والعمل في مصنعنا. يعيّنون عاملات جدًا».

مي-سيو، التي كانت تتجاهل آن هيانغ-سوك دائمًا، تدسّ وجهها في كتاب هيجل ثانية كما لو كان اقتراحًا سخيفًا.

«أرأيتِ كيف تتعامل معي بغطرسة!». تتذمّر آن هيانغ سوك وهي تعود إلى مقعدها. تظلّ مي-سيو ساكنة في مكانها، وجهها مدفون في كتابها.

«انظري للأمر من وجهة نظرها. يبدو أنك الوحيدة في فصلنا التي تسكن في مهجع داخلي».

«لماذا ستحتاج مي-سيو، للعيش في مهجع؟ ألا تسكن في بيت أختها؟».

«لا تحب زوج أختها».

«لماذا؟».

«يتشاجر مع أختها طوال الوقت».

«لكن أليس العيش خارج حدود المجمع الصناعي ميزة؟».

كلما شاهدت مي-سيو تعبر الشارع بمفردها بعد انتهاء المدرسة لتستقلّ الحافلة في الاتجاه المعاكس لبقيتنا، أحسدها. على الأقل تسنح لها الفرصة لترى الأحياء الأخرى كل صباح ومساء.

«ستسألين إذا كان بإمكان مي-سيو العمل في مصنعكِ؟».

«لماذا يشغلك الأمر هكذا؟».

«ستفعلين، أليس كذلك؟».

«حسنا!».

في اليوم التالي حين أسألها كيف جرى الأمر، **تهز آن هيانغ-سوك** رأسها: «قالوا «لا مكان للطالبات»».

***

تلقّيتُ رسالة من ناشري. فتحت المظروف لأجد مظروفًا آخر بالداخل. لا بد أن الناشر قد تلقى هذه الرسالة لكنها كانت مرسلة في الحقيقة إليّ أنا. كان المظروف سميكًا، يبدو أنه يحوي رسالة طويلة. تأكدت من اسم المرسل: **هان جيونغ-سين**، مدرسة ثانوية **يونجدونجبو** للفتيات، **سينجيل-دونغ، يونجدونجبو**، سول.

هانغ جيونغ-سين؟! غاص قلبي في مكانه. لم أستطع أن ألبّي دعوتها لزيارة طالباتها في ثانوية **يونجدونجبو** للفتيات، وفوق ذلك سمحتُ لنفسي باقتباس رسالتها في روايتي من دون استئذانها. كانت هنالك ملاحظة مكتوبة بجوار الرقم البريدي بخط يدٍ منمق، يطلب أن تُرسل الرسالة إليّ. لن تعاتبني امرأة تمتلك مثل خط اليد الرقيقً هذا، أخبر نفسي لأطمئن قلبي المضطرب.

السادس من مارس 1995

مرحبًا،

لقد قرأت الفصل الثاني من روايتكِ منذ أيام قليلة. لقد كانت حوادثه أكثر مقارنة بالفصل السابق له، ولقد استمتعت به إلى درجة أنني قد انهيت قراءته في جلسة واحدة.

استمتعت به؟

ربما كان من غير الدقيق أن أقول «استمتعت به». أعتقد بأنها طريقتي لوصف تجربة جذّابة أعطتني الكثير لأفكّر فيه؛ ليس مجرّد أنني وجدته ممتعًا فحسب.

بعد نشر روايته **«القزم يطلق كرة صغيرة»**، كتب **تشو سي-هِي**

قصة أو اثنتين مرتبطتين بحوادث الرواية لصالح مجلة **جونجانغ** الأدبية، ثم صرَّح بأنه لن يكتب خيالًا بعد الآن. من ضمن أسبابه للتوقّف عن الكتابة، أتذكّر هذا السبب بجلاء، «لقد أخبرني الكثير من الناس أنهم قد تأثّروا بقصتي. لكن بدت وجوههم لي مشرقة وسعيدة جدًا». خطر ببالي أنكِ قد تشعرين بالطريقة نفسها عندما يخبركِ الناس أنهم قد استمتعوا بروايتكِ بعد قراءتها.

لقد مضى عامان فقط على تدريسي في البرنامج المخصّص لعاملات المصنع، لكن بينما أقرأ كتابكِ، كان هنالك الكثير جدًا من الأشياء التي أردت أن أخبركِ بها. أردت أن أشرح لك الفروق بين المشهد في مجال العمل في المصانع الذي خبرتِه أنتِ في أوائل الثمانينات والمشهد الذي تعيشه طالباتي الآن، وأردت أن أنقل لكِ الفروق بين حياة المدرسة وقتها والآن، الدونية التي لا تزال تقيّد الطالبات على الرغم من التغيير، وعلاقتهن الشائكة بطالبات الدوام الصباحي، وبيئة عملهنّ التي لاحظتها، وأسلوب الشركات في التعامل مع الطالبات وجوانب أخرى كثيرة جدًا.

مارس عام 1979، العام الذي التحقتِ فيه ببرنامج التعليم الخاص بعاملات المصانع في مدرسة ثانوية **يونجدونجبو** للفتيات في عمر السابعة عشرة، كان وقتًا مميّزًا بالنسبة إليّ أيضًا. ففي تلك الفترة عُيّنت للتدريس في مدرسة **جانجتشونغ** المتوسّطة للفتيات، بعد تخرجي من الجامعة مباشرة. خصص فصلان في المدرسة لتعليم عاملات المصانع. لكن كانت أولئك الطالبات يصلن إلى المدرسة بعد انتهاء دوامي، لذا كان الوقت الوحيد الذي أتمكّن فيه من لقائهن هو اليوم المفتوح الذي كان يُقام مرة واحدة كل عام. كانت الطالبات اللاتي كنّ أكبر بسنتين

أو ثلاث من طالبات اليوم، وأطول أيضًا، يأخذن ذلك اليوم إجازة ويشاركن في الأنشطة. كانت تبدو عليهنّ الإثارة.

ما أتذكّره عن طالبات المصانع هو مشاركتهن في سباق الأرجل الثلاث الذي أقيم في اليوم المفتوح. تتذكّرين، كل طالبتين تتسابقان وقد رُبِطت ساق إحداهن بالأخرى؟ الأمر بسيط إذا حافظتِ على نسق خطواتكِ، خطوة فاثنتين، خطوة فاثنتين. لكن كانت أقدام طالبات المصانع اللاتي كن أكبر سنًا وأطول، تشتبك ببعضها البعض، فيتخلّفن وراء طالبات الدوام الصباحي. أتذكّر المعلمين وهم يقولون جميعًا في دهشة: «إنها قوة التعليم. التعلّم من التجربة الاجتماعية. الأمر لا يتعلّق على الإطلاق بالسنّ، أليس كذلك؟». بالكاد كنتُ مدركة بأمر برنامج التعليم الخاص بعاملات المصانع إلى أن عملت في مدارس كثيرة مختلفة. عينتُ في مدرسة ثانوية يونجدونجبو للفتيات قبل ثلاث سنوات. كنت أمر بفترة عصيبة، بعد أن التحقت ببرنامج الحصول على الدكتوراه في وقت متأخّر من مسيرتي العلمية، وكنتُ أخطّط للحصول على إجازة تفرّغ لمدة عام، لكن نائب الناظر رشّحني لتولّي وظيفة معلّمة لغة إنجليزية في الفصول الخاصة بعاملات المصانع، قائلًا إن جدول التدريس سيسمح لي بأن أواصل عملي الأكاديمي أيضًا.

عند بدئي التدريس في برنامج التعليم الخاص بعاملات المصانع، كنتُ متحيّزة لفكرة أن هؤلاء الطالبات «المثيرات للشفقة واللاتي يواجهن مثل هذه المشقّة»، سوف يتطلّبن الكثير من الرعاية. كان قلبي يوجعني من مجرد التفكير أنهنّ يضطررن للعمل طوال النهار ثم الدراسة في الليل. لكن عندما قرأت مقالاتهنّ التعريفية، تغيّرت أفكاري. لقد عكست كتاباتهنّ بعض

الآمال، والإحباطات والأهداف، ومباهج الحياة اليومية المعتادة الصغيرة، التي لا تختلف عن كتابات طالبات الدوام الصباحي.

وظيفتي السابقة في ما يسمى «مدرسة راقية» وقضائي عامي الأول في مدرسة **يونجدونجبو** في التدريس في البرنامج الصباحي مكناني من المقارنة بين ثلاث مجموعات مختلفة من الطالبات، ووصلت في النهاية إلى أن أدرك الحقيقة البديهية جدًا أن كمية ونوعية أحلام وآمال وإحباطات الطلاب في بيئات متنوعة لم تكن مختلفة.

بالطبع الكثير من الطالبات القادمات من مناطق غنية يمتلكن ثروة اقتصادية ومادية، لكن لا أؤمن أن الأحلام التي يكتبن عنها مثل «أودّ أن أصبح مصمِّمة عالمية». أو «أودّ أن أصبح طبيبة» تختلف في نوعيتها عن أحلام الطالبات في فصول تعليم عاملات المصانع، مثل «أرغب في تعلّم المهارات كي أصبح عاملة في صالون تجميل». أو «سوف أدّخر المال لأفتح متجر هدايا صغير»، أو «أرغب في الذهاب إلى الجامعة حتى لو كانت كليّة مهنية لعامين فقط».

توجد طالبات دمّرهنّ التجاهل الأبوي رغم الثراء المادي الذي ولدن فيه، في المقابل هنالك طالبات عاملات مصانع يقلن: «لم أستطع تحمّل أبي السكير، وفررت إلى سول بحثًا عن فرص أفضل. لكن الآن نجح أبي في استعادة شتات نفسه، وأصبحت أزور المنزل حاملة الهدايا في إجازات عيد التشوسوك.

أتذكّر وجوه طالبات من أحياء ثرية، أنهكهنّ الضغط الأكاديمي بالرغم من رغَد حياتهن. إحدى الطالبات التي كانت تبدو كدمية بعينيها المستديرتين اللامعتين، كان يعلو وجهها التوتّر دائمًا وقد ملأها الندم. قالت إن والديها قد ارتادا مدارس جيّدة، لكنها لن

تتمكّن أبدًا من الالتحاق بجامعة مرموقة. كانت والدتها محرَجة منها إلى درجة لم تكن تغادر البيت. كان قلب الطالبة المسكينة يخفق دائمًا بقوة من التوتر.

عندما يُعْقد امتحان اللياقة البدنية من أجل القبول بالجامعة كل عام، كنت أرى مجموعة من الفتيات أكبر عمرًا من طالبات السنة الأخيرة، يقمن بمحاولتهنّ الرابعة لدخول الجامعة. كم بدَوْن وديعات وطيبات القلب. كنَّ في أغلب الحالات طالبات حصلن على أقل الدرجات خلال دراستهنّ، مع هذا واصل آباء هؤلاء الطالبات إرسالهن إلى مدارس التحميل[1] لإعدادهن من أجل اختبار دخول الجامعة، لأنه من المخيف جدًا بالنسبة إليهم أن يرسلوا بناتهنّ للتعلّم خارج البلاد، لكنهم لم يستطيعوا أبدًا تقبّل فكرة أن ابنتهم قد ينتهي بها الحال مجرّد خريجة مدرسة ثانوية. لو كانت هؤلاء الطالبات قد ولدن في عائلة أقل ثراء، لكُنَّ الآن يتمتعن بحياة عملية صحية من غير ضغوط. كتبتِ أنك لا تزالين تستيقظين في نفس الوضعية الجامدة المتكوّرة حول نفسك، التي اعتدتِ أن تنامي عليها في الحجرة المنفردة. أولئك الطالبات ربما يخلدن إلى النوم في أسرّتهنّ الوثيرة في حجراتهنّ الشاسعة المساحة، لكن يستيقظن كل صباح ليجدن أدمغتهم مزدحمة وجامدة أكثر من جسدكِ ذاك.

ربما يمكنني عقد هذه المقارنة فقط لأن ظروف العمل في المصانع قد تحسّنت كثيرًا هذه الأيام مقارنة بالثمانينات. سنحت لي الفرصة في العام الماضي بزيارة عدة مصانع حيث

(1) مدارس التحميل: معاهد تدريس خاصّة تنتشر في أرجاء كوريا لتدريب الطلاب على تحقيق أهداف معينة. أكثر تلك الأهداف شيوعًا هي اجتياز امتحان القبول في المدارس الثانوية أو الجامعات.

تعمل طالباتي. في أحد المصانع حيث تعمل غالبية طالباتي، شاركت ممثلات الاتحاد العمالي في مفاوضات تحديد الأجور وكانت من ضمنهنّ إحدى طالباتي. كانت ظروف العمل مطابقة للمعايير وكثير من خطوات الإنتاج تمت ميكنتها. في أيام العمل، يعملن من الساعة الثامنة والنصف صباحًا حتى الخامسة مساء، وفي يوم السبت يعملن حتى الواحدة بعد الظهر. في بعض الأقسام تحصل العاملات على إجازة يوم السبت كل أسبوعين. لو أمكنكِ مشاهدة الأقمشة وهي تُقَصّ بواسطة آلات تتحكّم فيها الحواسيب، وروبوتات آلية تكوي القمصان فوق دمى المانيكان، أعتقد بأنكِ كنتِ لتندهشي كم تغيّرت الأزمنة.

توفّر مصانع أخرى ظروف عمل أقل مثالية لكن في معظم الأماكن، تغادر العاملات العمل يوم السبت في نحو الثالثة عصرًا. بعد أن تم تغيير حصص المدرسة يوم السبت من السادسة مساء إلى الرابعة مساء، جعلت بعض المصانع طالباتها يواصلن العمل من العاشرة مساء حتى منتصف ليل الجمعة لتعويض هاتين الساعتين عندما يعدن إلى مهاجعهنّ بعد انتهاء المدرسة وهو ما أثار غضبنا - نحن المعلمات والطالبات، لكن هذا أسوأ ما يمكن أن يحدث في بيئة العمل في التسعينات.

ذات مرة، عندما تغيّبت الطالبات من دون إجازة، محتجّات على استخدام أحد أفراد الإدارة متوسطي المرتبة لغة مسيئة معهنّ، تعاملت المدرسة مع الأمر بأن نظّمت اجتماعًا بين الطالبات وممثلي الشركة. للشركات خطط عدة لمراقبة الطالبات عن كثب. أسوأها هو جعل أفراد من الشركة ينتظرون خارج المدرسة، ويصحبن الطالبات بالقوة إلى العمل. وعندما تستقيل الطالبات من عملهنّ غير قادرات على تحمّل مثل تلك المعاملة غير

الآدمية، فإن بعض الشركات تحرّر طلبات رسمية تضغط بها على المدرسة لطرد الطالبات المستقيلات. في المقابل تحاول بعض الشركات توجيه الطالبات عندما يكون عملهنّ غير مرض، أو عندما يخترقن لوائح العودة إلى المهجع بعد انتهاء المدرسةً، ولا تفصل الطالبات إلا بعد أن تضيع جهودهم تلك هباء. وفي هذه الحالة تقول الشركة: «لن نخطر المدرسة، لذا واصلن دراساتكن إذا كنتن ترغبن في ذلك». يمكن للشركات الكبرى تحمّل القيام بذلك، لكن كما هو الحال مع الأفراد، فإن أخذ الجانب الإنساني في الاعتبار لا يتناسب على الدوام مع ثراء الشركة.

طالباتي الأوائل من فتيات المصانع، خاصّة طالبات السنة الأولى بَدَوْنَ جميعًا متفائلات بشأن المستقبل. أتت الكثيرات من الريف أملًا في كسب المال والدراسة في الآن ذاته؛ لكن مع مرور الوقت، يبدأ الإنهاك ينال منهنّ، ونحو ثلاثين بالمئة من الطالبات يتركن المدرسة. في حالات كثيرة، يجدن صعوبة في التغلّب على المصاعب والوحدة والتعب الذي تواجههنه من خلال الحياة بعيدًا عن ديارهنّ. لكن ما أجده أكثر إحباطًا هو حين تخضع الطالبات للإغراءات الجذّابة حولهنّ ويتركن المدرسة للعمل في أحياء الترفيه. آباؤهنّ الذين يجب عليهم تهذيب سلوكهنّ هناك بعيدًا في الريف، بينما الطالبات ضعيفات ومنهَكات ومسحوقات. ربما تحسّنت ظروف عملهنّ مقارنة بالثمانينات، لكن لأن بيئتهن المحيطة قد باتت أكثر انحطاطًا وغنى أيضًا، فإن إحساسهنّ بالفقر ربما قد تضخّم أيضًا.

لكن بقية الطالبات يواجهن الحياة بنشاط. أجل، الطالبات اللاتي يعانين من أوجاع المعدة، أو آلام الظهر، يفوّتن المدرسة غالبًا، لكنْ، هنالك أيضًا عدد معقول من الطالبات اللاتي يلتزمن بنسبة

حضور مثالية. عندما التقي بطالبات من عاملات المصانع، لا يختلفن بتاتًا عن الطالبات اللاتي يتلقّين تعليمًا جيّدًا في عائلات ميسورة، يبتهج قلبي.

في المرة الأخيرة التي كتبت فيها إليكِ، وصلني إحساس بأنك ربما لن تقبلي دعوتي. دفعني ظنّي أنك ستنفرين من تعبيرات مثل «عاملات» أو «يعملن بالنهار ويدرسن بالليل». حاولت أن أغريك بأن أوكد على أن المناسبة ستكون لقاء بين كاتبة وقارئاتها لا بين خريجة من خريجات المدرسة، وطالبات المدرسة الحاليات، أملًا في أن ذلك قد يداعب أوتار أحاسيسك ككاتبة. لكن بينما أقرأ الفصل الأول من كتابك بعد عدة أيام من إرسال رسالتي إليك، فكّرت: «لن تأتي». ولو أنني قد قرأته أولًا، لما كتبت إليها.

عندما قرأت الفصل الأول، كنت مندهشة حقًّا أنك كنت تنظرين إلى تلك الفترة بكل هذا القدر من الألم بعد مرور كل هذا الوقت، فسألت طالباتي إذا كنّ يشعرن أيضًا بالعار أو الدونية لأنهن يحضرن الفصول المسائية. بدت نصفهن غير متأثّرات بالأمر، لكنّ النصف الآخر كان ينتابهنّ الشعور نفسه. سألت ما الذي يجعلهنّ يشعرن بالدونية بينما هنّ يبذلن قصارى جهدهنّ في المدرسة وفي المصنع، تلقّيت إجابة غير متوقّعة.

«لا يفكر كل الناس بالطريقة التي تفكّرين بها. إذا أخبرتهم أنك ترتادين فصولًا مسائية، سينظرون إليكِ باحتقار، وإذا أخبرتهم أنك تحضرين فصولًا مسائية مخصّصة لعاملات المصانع بالتحديد، فسينظرون إليكِ باحتقار أكبر».

«إذا كنتِ تمتلكين صديقًا حميمًا، فمن الأفضل أن تخبريه أنك تمكثين في البيت فقط من دون عمل. يعتقد الناس أنه من الأفضل

أن تكوني خاملة وعاطلة عن العمل على أن تكوني فتاة مصنع».
«يتحدّث معلمونا دائمًا عن كيف أننا «نعمل بالنهار وندرس بالليل»، لكنني أمقت ذلك التعبير».
كل ما يمكنني تقديمه لهنّ هو أن أجعلهنّ يكتسبن مهارات، يمكن أن تدعمهنّ لبقية حياتهنّ حيث الواقع، يقول إن ثلاثة أرباع طالبات الدوام الصباحي لن يتمكّنّ من الالتحاق بالجامعة، فما بالكِ بهنّ؟! ثم أخبرهنّ بهذه المقولة لإليانور روزفلت: «لا يمكن لأحد أن يجعلك تشعر بالدونية من دون موافقتك».
يخبرني أحد المعلّمين الذي يقوم بالتدريس في البرنامج الخاص بعاملات المصانع منذ مدة طويلة، أن الطالبات يمتلكن إحساسًا قويًا بالدونية أكثر بكثير مما نعتقد. بل ويعتقدن أن المعلمين الأقل كفاءة فقط هم من يُعينون للتدريس في البرنامج، في حين أن الحقيقة أن الكثيرين من المعلّمين يتقدّمون للاشتغال بالبرنامج كي تسنح لهم الفرصة للتفرّغ للحصول على درجات علمية أعلى، وهو ما يعني أنهم أفضل تعليمًا.
حسنًا، حين أفكر في الأمر، أتذكر أننا ضحكنا بشدة حين سمعنا أن صديقة زوجة أحد زملائنا المعلمين قد سألتها: « ألا يزال زوجكِ يدرّس في البرنامج المسائي؟ عليكِ أن تحثيه على الدراسة أكثر كي يتمكّن من الترقي للتدريس في الفصول الصباحية».
نحاول أن ننتبه إلى تصرفاتنا وكلامنا بقدر الإمكان كي لا تشعر طالباتنا بأي تمييز ضدهنّ. خلال المهرجانات المدرسية حيث تمكث طالبات الدوام الصباحي لوقت متأخر في المدرسة، نحرص على التأكد من أن نقيم عروضًا موسيقية، أو نعرض فيلمًا بعيدًا عن حرم المدرسة كي نمنع أي احتكاك أو شجار.

نقيم احتفالات خاصّة في مستهل العطلة، والتي سمعت أنها قد ابتُكِرت لمنع أي سوء تفاهم خلال اليوم الدراسي الأول حول الفوضى التي تخلّفها طالبات المدرسة المسائية ورائهنّ.

ذات مرة أخبرت طالباتي في فصل السنة الأخيرة: «لا تتركن أي خرابيش على منضدة الدراسة، فأنتن تتشاركنها مع طالبات أخريات»، وهو ما تسبب في جلبة غاضبة. قلن: «لا نكتب أبدًا على مناضد الدراسة، لقد أبقينا أفواهنا مغلقة حتى الآن»؛ لكن، أتعرفين ماذا تكتب طالبات الدوام الصباحي؟ نرى كلمات مثل: «عاهرة» طوال الوقت، وتصلنا رسائل مثل: «أنتن فتيات مصنع، يجب عليكن على الأقل أن تنظّفن نفاياتكنّ إذا أردتنّ الدراسة في المدرسة»، أو حتى: «لو كنت مكانك، لفضّلت أن أموت على أن أعمل فتاة مصنع».

كنت في حالة ارتباك عظيم وأنا أحاول طمأنة طالباتي: «في أي مجموعة، لا بد من وجود أشخاص سيئين. أنا متأكّدة أن هناك أشخاصًا مثلهم في العمل أيضًا، أليس كذلك؟ لو علمت الطالبات الأخريات أن زملاءهنّ في الفصل ذاته يكتبن مثل تلك الأشياء، فسوف يشعرن بالأسف والخجل». قلتُ لهنَّ: «إذا تعثّرت إحداكن في حجر أثناء مشيها في الشارع، فإنها تقول «إنه حظي!»، وتواصل المشي. ماذا سيقول الناس لو صحتِ: «أيها الحجر، لماذا أنت هنا؟»».

أجابت الطالبات على كلماتي: «سيقولون إنكِ مجنونة!». وانفجرن ضاحكات. كن طالبات في السنة الأخيرة، ناضجات بالقدر الكافي ليضحكن على هذا. لكن لو كن في سنتهن الأولى في المدرسة الثانوية، لكانت مثل هذه الخرابيش لتترك بداخلهنّ جروحًا أعمق.

تراجع المستوى الأكاديمي للطالبات هذه الأيام مقارنة بالزمن الذي كنتِ تدرسين فيه هنا. في الماضي كانت هنالك الكثير من المتقدّمات لهذا كانت عملية القبول في المدرسة انتقائية أكثر وتتطلّب عامًا أو اثنين من خبرة العمل. لكن الآن، تضاءل عدد الطالبات ولأنهنّ يبدأن المدرسة مباشرة بعد تعيينهنّ في المصانع، فإن معظمهنّ يافعات يعوزهنّ التصميم.

«ألا تزال طالبة تقرأ **هيجل** في ذلك الفصل اليوم؟». اليوم سألت طالباتي إنْ كنّ يعرفن من هو **هيجل**. أجابت معظمهن: «يبدو مثل اسم يرد ذكره في حصة علم الأخلاق. هل هو عالم أو فيلسوف؟». حين أفكّر في الأمر، لا أعتقد بأن مثل هذه الظاهرة تقتصر على طالبات الدوام المسائي في برنامج التعليم الخاص بعاملات المصانع.

منذ فترة، سألت طالبات ما تسمى بالمدارس الثانوية الراقية: «أتعرفن من هي **سيمون دي بوفوار**؟». ولم تستطع أيٌّ منهنّ الإجابة. فسألتهنّ إذا كن يعرفن ماذا قصدَت حين قالت: «لا تولد المرأة امرأة، بل تصبح كذلك». فنظرن جميعًا إليّ ببلاهة ما عدا فتاة واحدة قالت: «ألا تعني بذلك أن على النساء استخدام مساحيق التجميل والاهتمام بمظهرهن؟».

أعلم أنكِ لا تزالين تتألّمين وغير قادرة على محو ذكرياتك عن تلك السنوات الصعبة والمنهكة. لكن من حيثما أقف كمعلمة، أعتقد بأنك قد حظيت حقًا بـ«نعمة عظيمة». من بين المئات من طالبات برنامج عاملات المصانع، لم أنجح بعد في العثور على طالبة واحدة تمتلك إخوة كانوا قادرين على توفير تربة ثقافية وروحية خصبة للنمو مثل إخوتكِ. كذلك كان لقاؤكِ بمعلم مثل السيد **تشوي هونغ-إي** نعمة أيضًا، لم تكن ممكنة سوى

في ذلك المكان والزمان. الآن من المستحيل أن أتصوّر طالبة تقضي وقت الحصة في نسخ رواية في مفكّرتها في أي فصل في أي مدرسة. الواقع أن تعليم اليوم يطالب الطلبة بأداءٍ دراسيٍّ هائلٍ ومبرمَج بدقةٍ، يخلو من أي إبداع، ألا تظنين ذلك؟

هذاً العام، لَم تُقبل طالبات جدد في البرنامج. تضاءل عدد المتقدّمات بشدة خلال الأعوام القليلة الماضية. يُعزا ذلك إلى ظروف المعيشة التي تحسّنت، وإلى قدرة الوالدين الآن على إرسال أطفالهم إلى المدارس الثانوية. في غضون عامين، سوف يصبح برنامج التعليم الخاص بعاملات المصانع الذي حاولتِ أن تتركيه وراءك وتنسيه، تاريخًا. لدينا الآن مائة وعشر طالبات، في فصول السنتين الثانية والثالثة معًا. مع تقلّص عدد الفصول، سوف أغادر العمل في المدرسة العام القادم.

التأقلم مع بيئة جديدة ليس سهلًا -كما يبدو- للبالغين وللأطفال. في أول يوم لي هنا، بسبب التغيّر المفاجئ في الروتين، شعرت بارتباك وتوتّر من تواجدي في المدرسة في ظلام الليل، وكان التعب الذي شعرت به لا يقل سوءًا على الرغم من ساعات التدريس الأقل، وهو ما جعلني أفكّر بضرورة أن آخذ إجازة. أثناء عودتي إلى البيت بعد انتهاء الحصص في التاسعة وخمس دقائق، أحدّق خارج نافذة الحافلة وأنا أعبر جسر **يانجهوا**. الأضواء بطول النهر تبعث وهجًا جميلًا، كما لو كنتُ في حلم، ويبدو النهر هادئًا وعميقًا ودافئًا. في تلك اللحظة ينعم قلبي بالسكينة أيضًا ويمكنني أن أتذكّر بوضوح نفسي وأنا أفكر، ما يقبع أمامي هو أيضًا عالم جديد ينتظر أن استكشفه. ربما ستعطّل هذه الوظيفة دراساتي الأكاديمية؛ لكن هذه التجربة الجديدة مع الطالبات هنا سوف تحمل لي رؤية

جديدة وغذاءً روحيًّا لحياتي، أليس كذلك؟ وربما كَوْني أكتب لكِ هذه الرسالة اليوم هدية صغيرة أعدّها لي القدر مكافأة على حياتي هنا مع طالباتي.

إذا شعرتِ بأنك تمتلكين الوقت والشجاعة كي تواجهي مجدّدًا «فتيات المدرسة الثانوية بزيهنّ الصيفي الأبيض»، قبل أن يُلغى البرنامج الخاص بعاملات المصانع بشكل نهائي، فرجاء أعلميني بذلك. لكن رجاء لا تشعري بالضغط أيضًا. فما كنتِ لتحملي هذه الرسالة معكِ لعام كامل الآن لو لم تكوني تهتمين بالأمر، أليس كذلك؟

أتمنّى لك صحة وافرة، جسديًا وعقليًا.

المخلصة: **هان جيونج-سين**

قرأت الرسالة مرّتَيْن.

أعدت الرسالة إلى داخل المظروف بالهيئة نفسها التي وصل بها بادئ الأمر، ثم وضعته على المكتب وحدّقت فيه لوقت طويل. أردت أن أكتب ردًّا لها. سحبت عددًا من الأوراق من كومة أوراق الطابعة، ووضعتها على المكتب، وملأت قلمي الريشة بالحبر. نسخت التحيّة من رسالة السيدة **هان**.

مرحبًا...

مرّت ساعة، لكن الشيء الوحيد الذي كتبته على الورقة هو كلمة مرحبًا. جلست هناك أحدّق في رأس القلم الذي جفَّ، ثم أعدت وضع الغطاء فوقه. دسست الرسالة بين صفحات ألبوم الصور الذي يعود إلى ذلك الزمن ثم نهضت من فوق مقعدي.

هذا العام، لم نقبل أي طالبات جدد في البرنامج. تدفّقت العبارة خارج الرسالة وتسلّلت إلى داخلي بينما أنهض من على المكتب. ربما يُلغى البرنامج العام القادم، هكذا أتصوّر. مجرّد أثر يتلاشى داخل القصة.

***

تناولت كتاب قصائد غنائية من على الرف، ثم بينما أنحني إلى أسفل لأستلقي على الأرض، أعاود النهوض والاتصال بـ«ج». أسمع ضحكتها الجذلة.

«إذًا فقد أرسلتِ المسودة».

«لا».

صمت.

«دعيني أغني لكِ أغنية».

«دعيني أسمعها إذًا».

«دينغ دونغ دانغ... في الصيف الماضي التقينا قرب البحر... دينغ دونغ دانغ... كل تلك الأشياء التي أردت أن أتحدّث عنها... دينغ دونغ دانغ... لكن الليل معكِ كان قصيرًا جدًّا».

***

تمامًا كما كان الفصل الحالي في المدرسة يمتلك المعلمة **هان جيونج-سين**، كان لدينا المعلم **تشوي هونغ-إي**، الشخص الذي قال لي: «لماذا لا تجرِّبين كتابة رواية». لم يعد معلّم الفصل لكن في إحدى حصصه، بينما ننسخ ملاحظاته المكتوبة على السبورة، يجوب في الممرات بين صفوف مناضد الدراسة ذهابًا ومجيئًا، ثم يترك كتابًا على منضدتي. كان كتابًا غلافه أحمر. حدّقت في الكتاب لمدة طويلة. مطبوع في أعلى الغلاف عبارة «التعبير عن تاريخنا»، أسفلها خط أسود سميك وعنوان بخط أسود ببنط كبير، «ممارسة الأدب»، أسفلها أقرأ لأول مرة كلمة «**مينجونج** - عامة الشعب». منشور على هيئة مجلّة في طليعة حركة «عامة الشعب» الأدبية، العدد الافتتاحي. شعر - خيال - مقالات مميزة - نقد. العدد رقم واحد - 1980. دار **جيونيوون** للنشر. أقلّب في الصفحات من دون أن أفهم معنى الكلمات. أعثر على عمل خيالي وأبدأ في القراءة، «**السيد جانج من قريتنا**»، بقلم **لي ميون-غو**.

***

قبل أن يغلق مصنعنا أبوابه، تُجبَر المدرسة الخاصّة التي يدرّس فيها أخي الأكبر وهو يرتدي باروكته، على التوقّف عن العمل. حظر على مستوى البلاد، مفاجئ وغير متوقّع، يشمل كل مراكز التعليم الخاصّة خارج حدود المناهج المعتمدة. كان أخي قد تحمسّ لفكرة تأجير حجرة إضافية لنا عن طريق زيادة ساعات تدريسه في الصيف، لكن مع حظر مراكز التدريس، أضحى الآن رجلًا عاطلًا عن العمل.

«عليكما الآن أيها الفتاتان أن تصرفا عليّ!».

يخلع باروكته ويعلّقها على الجانب الداخلي لباب العلية وقد رسم على وجهه ابتسامة مُرهَقة.

***

العطلة الصيفية. أنا في عمر الثامنة عشرة، أنام في بيتنا الريفي. أغلق أبي متجره منذ مدة، ويركز الآن على الزراعة. يُشغل أبي غير الماهر في استخدام المنجل ولا في حياكة سلال القش، النشرة الزراعية على الراديو كل صباح. يسجّل الحقائق المهمّة على تقويم الفلاحين المعلّق على الحائط. وهنالك أيضًا صوت أمي التي تعدّ الفطور في المطبخ. عندما أستيقظ، ينادي أبي على اسمي بصوت منخفض. كنت أهمّ بالتوجّه إلى المطبخ، لكنني التفت وأجلس إلى جواره. يتناول صندوقًا من أعلى دولاب الملابس. لدهشتي، تنسكب رسائلي إلى **تشانغ** خارج الصندوق. يتورّد وجهي حمرة.

«عندما قالت أمكِ بادئ الأمر إن ثمة شيئًا ما يحدث بينكِ وبين **تشانغ**، لم أنصت إليها حقًا...».

يدفع أبي الرسائل نحوي.

«لا أقول الآن إن شيئًا يحدث حقًّا بينكِ وبين **تشانغ**، لكن ما إن تشرعا في تبادل الرسائل ومثل تلك الأمور، فستتعلّقان ببعضكما البعض... وأمكِ، أنها قلقة للغاية، كما ترين».

يبدو أبي الذي لم يلعب أبدًا دور الوالد قاسي الطباع، وكأنه يكظم

غضبًا مستعرًا. «أمكِ، ترين!». ظل يلوم أمي. «عندما يحين وقت وصول ساعي البريد، تخرج أمُّكِ إلى الشارع الرئيسي لتنتظره، وتأخذ رسائلك إلى **تشانغ**. بات ساعي البريد الآن اختصارًا للوقت، يحضر رسائلك إلى أمكِ مباشرة».

لا أقول أي شيء.

«حين أفكّر أنك كنت تنتظرين ردّه طوال هذا الوقت، وأنتِ تجهلين كل هذا...».

في خضَمّ حرَجي وغضبي وكدَري، أنفجر باكية.

«لا يوجد والدان في هذا العالم يتمنّيان السوء لطفلهما».

ألتقط الرسائل من على الأرض واحدة تلو الأخرى، من دون أن أتفوّه بكلمة ثم أتوجّه إلى حجرتي ثانية. انتظرت كل يوم رد **تشانغ** من دون أن أعرف أيًا من هذا. شعرت بغلٍّ مشوب بالمرارة بينما أنتظر، والأفكار تلتهمني، «ألا يردّ على رسائلي لأنني فتاة مصنع؟». وعندما ينحسر غِلّي بطريقة ما، أكتب له رسالة أخرى. طوال الربيع، طوال الصيف، كان ذلك ما واظبت على فعله. لكن لم أتوقّع ما أقدمت عليه أمّي أبدًا.

ظلّت أمّي طوال إجازتي لا تعلم بأن أبي قد أخبرني بكل شيء عن الرسائل، تسألني: «هل يشغلك شيء ما؟ ما هو؟». لا أقول أي كلمة. لم أعد أجيب نداء أمي عندما تناديني. لم أعد حتى ألمس الدجاج الذي كانت أمي تسلقه من أجلي. تنفعل أمي وتصبّ جام غضبها على أبي.

«لذلك السبب يحتاج الصغار أن يكبروا بين أحضان والديهم مهما حدث. انظر إليها فقط! لم تعد تفكّر بالفعل في أي شيء مما أقوله لها. أكاد أجزم أنها قد أصبحت جافية بسبب الحياة الصعبة التي اضطرَّت لمجابهتها. فقط انتظر حتى تصبح أكبر سنًا. سوف تشيح بوجهها بعيدًا عنا إذا صادفناها في الشارع! أتساءل: من تحذو حذوه بسلوكها هذا؟ أصبحت سريعة الغضب كطفح جلدي في الصيف!».

قد تتحدّث أمي هكذا عني، لكن لأنني سأعود إلى المدينة غدًا على متن القطار، فإنها لا تنفك تحوم حولي طوال اليوم، تحاول أن تجعلني أتناول شيئًا من الطعام. عندما تقدّم إليّ طبقًا من كعك الكوسى، ألتفت بعيدًا.

غير قادرة على تحمّل الأمر أكثر، تصيح أمي في وجهي، تطالبني أن أخبرها من أين اكتسبت مثل هذا السلوك.

«أخبريني فقط ما نوعية الشخص الذي يتصرّف هكذا؟! من؟ من الابنة التي تحدّق في وجه أمّها بمثل هذه الوحشية؟».

التفت لأواجهها، وأصرخ: «لا تعرفين أي شيء!».

أدى ذلك إلى سوء تفاهم، دفع الأمور إلى وضع غير متوقّع.

«أنتِ محقة. أنا حمقاء لا أفقه أي شيء. هذا كل ما أكونه». امتلأت عينا أمي بالدموع.

«أكان ما فعلته بذلك السوء؟». تنحدر الدموع من عينيها الداكنتين «علمت حين أخذتكِ إلى سول، أنني مذنبة بسبب هذه الحياة المشوّهة التي عليكِ عيشها!».

يدفعني أخي الأصغر الذي كان يجلس بجواري طوال الوقت، بعيدًا ويدنو من أمي: «لا تبكي يا أمي... لا تبكي».

«إرسالكِ، وأنتِ لا تزالين فتاة لتمكثي مع أخويكِ حادّي الطباع... لقد تساءلت دائمًا إذا كنتم ثلاثتكم تنسجمون معًا، أم تتجادلون أم تتناولون طعامكم عند وقت كل وجبة... لو لم تكن سول بعيدة جدًا هكذا، لكنت زرتكم أكثر لكن... في كل مرة أطهو فيها، أفكر فيكِ وأتعذّب كثيرًا، ولا تقوى ركبتاي على حملي. لا تزالين صغيرة وأمامك الكثير لتفعليه حتى تكبري، لكني حوّلتكِ إلى خادمة وطباخة لشقيقيها، ذلك ما أقوله لنفسي، فكيف يستطيع قلبي أن يتحمل يومًا واحدًا في هذه الدنيا بعد ما اقترفته بحقكِ؟».

***

أقف خارج البوابة الأمامية لبيت **تشانغ**. يبدو لي **تشانغ** عائدًا إلى البيت بعد استحمام ليلي في جدول الماء، وهو يحمل صندوق صابون في يده. نسير سويًا تجاه السكة الحديدية. نجلس بجوار السدّ. ليلة صيفية والنجوم تتوهّج. ينطلق قطارٌ مسرعًا عبر الظلام. يذكّرني القطار الطويل المضاء بنور قوي بالسد وقد تفتحت الزهور فوق جداره، أحمل داخل جيبي الرسائل التي لم تصل أبدًا إلى **تشانغ**. في كل مرة تهبّ فيها نسمة هواء، تنتشر رائحة الصابون من **تشانغ** لتصل إليّ. يخبرني أنه أصبح شغوفًا بالرسم، وأنه يخطّط للالتحاق بكليّة فنون.

الرسم؟ لم أسمع **تشانغ** أبدًا يذكر أي شيء عن الرسم، لكنه يصرّ فجأة أن علينا الذهاب معًا إلى الكلّية. الكلّية؟ أعجز عن الإجابة بينما أداعب بأصابعي الرسائل داخل جيبي، الرسائل التي لم تصله أبدًا.

«أي نوع من الرسوم تعمل عليها؟».

«رسوم الحبر التقليدي».

«رسوم الحبر؟».

يخبرني أنه يتلقّى دروسًا في استديو للرسم بعد المدرسة للاستعداد لدخول الكلية. يقول إنه سوف يدخل الكلية ويصبح رسّامًا. يخبرني أن عليّ دخول الكلية مهما تطلب الأمر، وأن أصبح كاتبة. «دعينا نبذل قصارى جهدنا لندخل الكلية. يجب أن نفعل ذلك!». يبدو **تشانغ** كأنه يقطع عهدًا على نفسه.

الكلية؟ في اللحظة التي استمع فيها إلى هذه الكلمة، لم يعد بإمكاني شم رائحة صابون **تشانغ**. في النهاية أرجع إلى البيت من دون أن أسلمه رسائلي.

***

أتذكّر ذلك اليوم الماطر في الخريف. ذلك الخريف حيث كان قد مضى شهران متعاقبان من دون أن نقبض أجورنا.

بعد أن لم تعد ابنة خالي معي في المصنع، تغدو حجرة تغيير الملابس المكان الوحيد الذي يمكنني أن أعثر فيه على بعض الراحة. أرتجف بفعل برودة أمطار الخريف. حجرة تبديل الملابس هذه التي أتسلّل إليها عندما أضطرّ إلى الوقوف في أرجاء المصنع طوال اليوم بعد أن أفشل في الحصول على موقع لأعمل فيه في النهار. ترك أولئك اللاتي استقلن من العمل، ثياب العمل على مشاجب بلاستيكية داخل خزانة الثياب، حيث يُطلب من كل منهنّ تسليم زيها مع خطاب الاستقالة وفقًا للوائح، لكن لأنّ الأجور المتأخرة ومكافأة نهاية الخدمة لم تُدفع بعد، فإن الشركة ليست في موقع قوّة يجعلها تطالبهنّ باتباع اللوائح، ولا تعبأ العاملات باتباع اللوائح بعد الآن. ثمة الكثير من الوجوه التي لم تعد أبدًا بعد أن غادرن المصنع ذات يوم، وتلك هي أزياء العمل الصيفية الزرقاء التي خلّفنها وراءهن.

في هذا اليوم الماطر، أوكل إليّ العمل في حجرة المحرّك، لكن الشيء الوحيد الذي أمكنني فعله هناك هو التحديق في الماكينات وهي تنشر الخشب، أو في الكمامات على وجوه عمال حجرة المحرّك التي تحميهم من نشارة الخشب التي تتصاعد في الهواء كالغيوم. السبب الذي جعلني أمشي حتى حجرة تغيير الملابس المظلمة، وأسحب أحد الأزياء من فوق المشجب البلاستيكي بينما يتدلّى كتفيه لأسفل، وأرتديه فوق زيي، كان شعوري بالبرد. وللسبب نفسه دسست يديّ داخل جيبَيّ قميص الزي. تلامس يداي شيء ما. أسحبه. كان مظروفًا أبيض. فقط حينها أتفقّد شارة الاسم على القميص. **يون سون-إم**. لم يكن القميص ملكًا لإحدى العاملات اللاتي استقلن بل لـ**يون سون-إم**، زميلة العمل. هل عادت إلى بيتها مبكرة أم ذهبت في مأمورية قصيرة؟ أنظر داخل المظروف في الظلام. بداخله توجد ورقة نقد جديدة مجعّدة بقيمة عشرة آلاف وون. بدأ قلبي ينبض بسرعة داخل حجرة تغيير الملابس المقفرة الهادئة. **يون سون-إم** التي كانت محلّ إعجاب المتدرّب طالب الثانوية الذي تحبّه ابنة خالي.

أخلع القميص وأعلّقه داخل خزانة تغيير الملابس وأتسلل خارج الحجرة. أعود إلى حجرة المحرك وأجلس وسط ضجيج الآلات التي تنشر الخشب. أتوجّه إلى مكتب قسم الإنتاج وأتقدّم بطلب كي أغادر العمل مبكرًا. أعود إلى حجرة تغيير الملابس وأخلع زي العمل بسرعة.

التقط حقيبة مدرستي من فوق الخزانة ثم أدسّ يدي داخل قميص **يون سون-إم** وانتزع المظروف قبل أن أندفع خارجة. أمشي في مطر الخريف عابرة المجمع الصناعي في وضح النهار، وأصل إلى حجرتنا المنفردة المنعزلة في وسط اليوم. أغلق الباب ورائي وقلبي يخفق بقوة.

***

هل استغرقتُ في النوم؟ استيقظ على يد شخص تهزّني لأجد أخي الأكبر الذي لم يعد يمتلك وظيفة.

«لم تذهبي إلى المدرسة؟... هل أنتِ على ما يرام؟».

أبقى راقدة هناك غير قادرة على الجلوس. يضع أخي الأكبر يده على جبهتي، وهو يكرّر سؤاله إذا كنت على ما يرام. يحدّق فيَّ للحظة قبل أن يغادر الحجرة ليعود ومعه دواء من الصيدلية.

«أنت تحترقين من الحمّى. كان عليك أن تُخرجي الملاءات لتتدفأي بها».

أرقد هنالك وحسب.

«ربما مجرّد برد. احصلي على قسط من النوم وسوف تتحسّنين».

عندما أحاول النهوض، يخبرني أن أبقى حيث أنا. يخرج الحصيرة من دولاب الملابس ويدسّ مخدة تحت رأسي.

يطهو أخي الأكبر حساء براعم الفاصوليا من أجلي. لم يتناول حساء براعم الفاصوليا أبدًا لذا يضيف الكثير جدًّا من بودرة الفلفل الحار، فيتحوّل لون الحساء إلى أحمر قانٍ.

لاحقًا في الليل، تعود ابنة خالي من المدرسة وتراني راقدة على

الأرض، فتسألني إذا كنت بخير. بينما تخبرني أنها كانت قلقة لأنني لم أذهب إلى المدرسة، كانت تحمل في يدها مظروفًا أبيض.

«وجدت هذه الرسالة تحت بابنا. فقط اسمكِ مكتوب عليه بخط كبير».

«رسالة...؟».

يلتفت أخي الأكبر الذي كان يجلس إلى مكتبه إليّ، حيث أرقد على الأرضية وكأنه يسألني ما الأمر. عندما أرقد في مكاني فقط بعد أن أخذت الرسالة من ابنة خالي، يأتي للجلوس على الأرضية ويشغل التلفاز. تصعد ابنة خالي إلى العليّة لتغيير ثيابها قبل أن تتوجّه إلى المطبخ.

«ممن الرسالة؟»، تسألني ابنة خالي وهي تمدّ رقبتها داخل الحجرة، بينما تغسل قدميها فوق أرضية المطبخ. لا بد أنها تفكّر أنه من الغريب أنني لم أفتح الرسالة بعد، فتسألني: «ما الخطب؟». يحوّل أخي الأكبر عينيه بدوره بعيدًا عن التلفاز لينظر إليّ. يضغط كفّه خلف مؤخّرة رقبته كما لو كان يشعر بتشنّج. صوت ابنة خالي وهي ترش المياه فوق قدميها في المطبخ. أخي الأكبر يعاود الجلوس في تراخ بينما يشاهد التلفاز. ينتابني شعور بأنني في اللحظة التي سأفتح فيها الرسالة، سيتبدّد السلام الذي يعمّ الحجرة. ترتعش يداي وأنا أسحب الرسالة من المظروف.

أطلب منكِ أن تعيدي المظروف الذي أخذتيه من قميصي.
أحتاج إلى المال بشدة...

يون سون-إم

أسحب البطانية إلى أعلى وأغطّي وجهي. تتجعّد الرسالة بين يديّ تحت البطانية.

في الصباح أخرج مع ابنة خالي لكن بعد أن تتوجّه إلى محطة قطار الأنفاق، أعود أدراجي إلى حجرتنا المنفردة ولا أذهب إلى المصنع. أغلق الحجرة من الداخل كما لو أن أحدهم يطاردني. أجلس متجمّدة في مكاني في الحجرة طوال النهار. أشعر كما لو أن أحدهم سيمسك بي من عنقي إذا

خطوت خطوة واحدة في العالم خارج باب الحجرة. شعرت بأنني سوف أجري بعيدًا ولن أتمكّن من العودة أبدًا. يطرق أحدهم على الباب قرب وقت الغداء.

«هل أنتِ بالداخل؟». أتعرف على صوت يون سون-إم. حذائي الذي خلعته خارج الباب فضح وجودي داخل الحجرة. أفتح الباب لأجد يون سون-إم تقف بالخارج. أسرع وأخرج المظروف من حقيبة مدرستي.

«شكرًا». تبتسم إليّ وهي تتناول المظروف.

***

صوت طرق وحفر.

ثمة أعمال بناء تجري منذ الصباح الباكر في الشقّة المجاورة لي أو تحتي. صوت فرقعة وانهيار شيء ما، بدا أنهم يخترقون الحائط بمثقاب. بانج، بانج، يبدو أنهم يهدمون حائطًا. لقد فوّتّ بالفعل الموعد المحدّد لتسليم المسوَّدة، ولا أستطيع تحمّل تضييع صباح آخر من دون كتابة. أرفع رأسي وأجول ببصري في الخارج صوب التلال. كانت أزهار الأزالية الحمراء قد غطّت سفوح التلال لكن نصفها الآن قد ذبل.

شعرت بأنني تائهة داخل ضباب. عيناي تحرقاني. هدأ صوت المثقاب قليلًا. ضجة شديدة تبعها صمت مطبق. هل انتهى الأمر الآن؟

بينما أطرف بعينيّ المؤلمتين، يعاود صوت المثقاب البدء من جديد، مرتفعًا إلى درجة شعرت أن بإمكانه أن يهدم ليس فقط الجدران بل الجبال أيضًا. لا بد أنهم يحاولون هدم الشقة بأكملها. ذهبت إلى الحجرة على الجانب الآخر من الرواق. هل تأتي الضجة من أسفل، أم من الباب المجاور؟ حتى عندما غادرت الحجرة ذات الحائط المشترك مع الشقة المجاورة، لاحقني صوت الحفر، بإصرار. شعرت بأن طبلة أذني ستتمزّق. أي عمل من أعمال البناء هذا؟!

لم أكن حسّاسة إلى هذه الدرجة للضجيج. كان يمكنني عادة حجبه

داخل عقلي إذا حاولت. أينما كنت، كنت أستطيع الحفاظ على تركيزي. حتى عندما أكون بين جمع غفير من البشر، يمكنني التركيز في أفكاري. كنت أحتل الموقع رقم 1 في خط الإنتاج، وكان الحزام الناقل فقط يفصل بين العمال. كان الشخص على الجانب المقابل مني مسؤولًا عن فحص المنتج النهائي. يرفع ويخفض موظف التحكم في الجودة من قسم الفحص من حدة صوت جهاز الستيريو طوال اليوم ليتفقّد صلاحية كل منتج. كانت أذناي تتعرضان طوال اليوم لأصوات حادّة، درجات صوت عالية وأخرى منخفضة، وصوت أزيز المفك الهوائي، ودمدمة الحزام الناقل المتحرّك، وهدير مكواة اللحام.

بعد أن تركت العمل في المصنع، غدوت لا أتأثّر بمعظم الضوضاء.

الحياة عادلة دائمًا. لا تعطي كل شيء أبدًا، ولا تسلب كل شيء أبدًا. جعلتني هذه الحياة داخل المصنع، أفتح مفكّرتي وسط كل ذلك الضجيج وأكتب لتشانغ، مما سمح لي بأن استشعر وجودًا رقيقًا دافئًا.

لكن الثقب والطرق الآن... بدا كأنهم على وشك ثقب حُفَر في كل شيء في هذا العالم. أدلف إلى داخل الحمام وأعتصر قدرًا كبيرًا من معجون الأسنان لأفرش أسناني، ثم أغسل يديّ وأدعك وجهي بالصابون. قعقعة، تحطّم، بانج! كانت الضوضاء في الماضي بمثابة تهويدة مقارنة بهذا الضجيج.

ألم يكن من المفترض أن يحصلوا على موافقة الجيران إذا كان الأمر سيكون بهذه البشاعة؟! شعرت بانزعاج من وجه شخص لا أستطيع رؤيته حتى. أحسست كأن وجهي يتكسر وساقيّ يلتويان. كان يجب عليهم على الأقل إعلامي بموعد شروعهم في ذلك. انتعلت حذائي وقرعت جرس الباب المجاور. أطلّت المرأة في الشقة المجاورة برأسها خارج الباب.

«ليس نحن. الشقّة في الطابق السفلي!».

من الطريقة التي أجابت بها قبل حتى أن أستطيع سؤالها، بدا أنها

منزعجة مثلي تمامًا. هبطت الدرج لأجد الباب مفتوحًا. ألقيت نظرة إلى الداخل. أمكنني رؤية عتبة الشرفة وقد انسحقت إلى أجزاء.

«إذا سمحت».

عاجزًا عن سماعي، لم يلتفت العامل إليّ حتى.

«إذا سمحت!». لم يكن يتواجد مالك الشقّة. فقط مقاول وعماله. نظر إليّ أخيرًا أحد العمال، يداه فوق المثقاب ووجهه مغطى بغبار الطوب المحطم.

«أيمكنني الحديث مع المالك؟».

«إنه غير متواجد الآن!».

«أعيش في الطابق العلوي». أشرت بإصبعي إلى أعلى. «متى ستنتهون من العمل؟».

«سيستغرق الأمر نحو ثلاثة أيام».

ثلاثة أيام؟! غير معقول. عدت إلى شقتي وغسلت يديّ في حوض الحمام. دعكتهما بقوّة.

***

في يوم سبت يتطرّق أخي الأكبر إلى الأمر أخيرًا.

«لماذا لا تذهبين إلى العمل؟ هل استقلتِ؟ لا تحبين العمل في المصنع كابنة خالكِ، أليس كذلك؟».

«...».

«عليك أن تصمدي قليلًا فقط ريثما انتهي من الخدمة العسكرية».

«...».

«قولي شيئًا!».

كلما ضغط عليّ، ازددت إصرارًا على صمتي.

«ألديك ملء مغرفة من العسل داخل فمكِ أو شيء من هذا القبيل؟! قولي شيئًا!».

لكن كيف أقول له إنني لا أملك الشجاعة للنظر في وجه **يون سون-إم**.

«إذا لن تكوني سوى مصدر للمتاعب، فاحزمي أغراضكِ وعودي إلى الريف».

يغادر أخي الأكبر الحجرة صافعًا الباب وراءه. أرتدي زي المدرسة وأخرج إلى الزقاق، لا أحمل سوى حقيبة مدرستي. لا أمتلك حتى أي مال لأدفع أجرة الحافلة. أمشي طويلًا حتى أصل إلى متجر خياطة **جينهي** قرب مدخل المجمع الصناعي رقم اثنين. أشاهد رجلًا يجلس بجوار أوني **هِي-جاي**، يقص قطعة قماش زرقاء، تميّز وجهه بقعة زرقاء بحجم كف. بالنسبة لعينيّ ذات الثامنة عشرة سنة، بدا كل شيء مثيرًا للشجن، البقعة الزرقاء، والقماش الأزرق.

«ماذا تفعلين هنا؟». تفتح **هِي-جاي** عينيها على اتساعهما في حجرة قصّ القماش في المتجر، ووجهها شاحب. الرواق مزدحم. كومة من قصاصات القماش مبعثرة على الأرض. مع عدم وجود مقاعد للجلوس عليها، كان جسد **هِي-جاي** الضئيل يجلس فوق صندوق خشبي يبدو كجزء من حمولة سفينة.

«أحتاج إلى اقتراض بعض المال».

«كم تحتاجين؟».

«خمسة آلاف وون».

تناولني الخمسة آلاف وون من دون أن تسألني لما أحتاجها.

بدلًا من الذهاب إلى المدرسة أتوجّه إلى محطة سول. في كل مرة أفكّر في أخي الأكبر وهو يصيح في وجهي بأن أحزم أغراضي وأعود إلى الريف، أشعر بخدرٍ مفاجئٍ يتسلل إلى قلبي.

أمي.

ماذا سوف أقول إلى أمي لو عدت إلى القرية بتلك الطريقة؟ لن أعود. لن أذهب إلى حيث يمكنك أن تعثر عليّ. سوف أرحل بعيدًا ولن أعود أبدًا. فلنرَ إذا كنت ستستطيع العيش من دوني. أشتري تذكرة على متن قطار

الليل إلى **بوسان**. أقطع عهدًا على نفسي بأنني لن أعود إليكَ أبدًا، لن أعود ثانية إلى تلك الحجرة.

بمجرّد أن يغادر القطار محطّة سول، تنتابني رغبة عارمة بالهبوط من القطار. أرى ذراعيَّ أخي الأكبر الثقيلتين تومضان بينما يقف عند نافذة الحجرة. باروكته المعلّقة على باب العلّية. يداه تغسلان جواربه في المطبخ كما لو كانت عادة. صوت حركته وهو يجلس في الظلام قبل أن يصعد إلى السطح بعد أن هجرته فتاته. الرائحة التي يحملها جسده عندما يعود بعد برهة طويلة، الرائحة الباردة لريح الليل، ورائحة جراحه.

لكن يتيبّس عنقي بسرعة عندما أفكر في صوته وهو يخبرني أن أحزم أغراضي وأعود إلى القرية. لن أعود. يزيد القطار من سرعته متجاوزًا ممرًا تحدوه الأنوار عند قاع جبال بعيدة. يدخل القطار نفقًا. أوبا! يمتلئ القطار بعدد لا حصر له من الروائح الغريبة. طفل يبكي وامرأة تنفجر صارخة وهي تحاول تهدئة الطفل، ورجل مسنّ يشخر، بينما تثرثر وتقهقه مجموعة من الشابات وهن يمضغن عيدان من سمك الحبّار المجفّف، ورجال غريبو الأطوار يلعبون بالورق بصخب وفظاظة. أرى انعكاسي فوق زجاج النافذة، وقد بدوت مرعوبة وسط حشد البشر هذا. **بوسان**؟! أين تقع **بوسان**؟ في كل مرة ينفتح فيها الباب، تندفع رائحة لاذعة إلى داخل العربة مع الرياح. يخفق قلبي مشتاقًا للعودة إلى أخي الأكبر.

أهبط في محطة بوسان عند بزوغ الفجر. أسارع إلى شراء تذكرة عودة إلى سول، ثم أجلس هناك انتظر من دون أن أخطو خطوة واحدة خارج المحطة لأصعد على متن القطار ثانية. يبدأ ضوء النهار في الانتشار. خارج نافذة عربتي، يحلّق سرب من الطيور الصغيرة من سلك إلى آخر. تجلجل عجلات القطار بينما ينطلق بسرعته القصوى، عائدًا إلى حجرتنا المنفردة.

أستقل قطار الأنفاق من محطة سول لأهبط عند محطة **جاريبونج**. أمشي متجاوزة استوديو التصوير، والمتجر في زاوية الزقاق لأصل إلى

البوابة الأمامية للمنزل. أخطو إلى الداخل وأنا أدفع البوابة. يندفع أخي الأكبر راكضًا من الطابق الثالث.

«أين كنتِ؟!».

يبدو أنه لم يذق طعم النوم طوال الليل. عيناه محتقنتان بالدماء بينما يضغط عليّ من أجل إجابة. تهبط كفه لتصفع خدي.

«أيتها الفتاة التعِسة!».

أنفجر باكية بينما يسحبني إلى بين ذراعيه ليعانقني. «لقد ظننت أنكِ قد تعرضت لحادثة أو شيء كهذا!».

بينما يتلاشى توتّري المرتعش بعيدًا، تظلّ الدموع تنحدر على وجهي. ينزع أخي الأكبر وجهي بعيدًا عن صدره ويقول بصوت مُجلجل: «لو فعلت ذلك ثانية، فسوف أقتلكِ، أقسم بذلك!».

***

تأتي يون سون-إم لرؤيتي في منتصف اليوم بينما أرقد وحدي في الحجرة المنفردة. أنهض مندهشة. يصل إلى مسامعي صوت راديو قادمًا من إحدى الحجرات. لماذا أتت إليَّ؟! أتململ في مكاني وأنا أتساءل، لماذا أتت إليَّ؟

«ترغبين في الاستماع إلى قصة؟».

لدى يون سون-إم سن ناتئة تجعل شفتيها تلتفان إلى أعلى في كل مرة تبتسم فيها لتكشف عن لثّةٍ حمراء متورّدة.

«لقد اضطررت إلى ترك المدرسة الثانوية... تعرفين لماذا؟».

«...».

«حدث أنني فتحت مقلمة أقلام شريكتي في منضدة الدراسة من دون تفكير حقًّا، فعثرت على مبلغ ألفي وون. لم أتخيّل للحظة أنني سوف أسرق المال. لكن قبل أن أدرك الأمر، كانت يداي تمتدان لتلتقطا المال.

فكّرت أن بإمكاني بهذا المبلغ أن أشتري لنفسي حزامًا، فقد بدا أن بطني تزداد حجمًا. انقلب الفصل بأكمله رأسًا على عقب. خضعت أغراضنا للتفتيش بما في ذلك جيوبنا. كنتُ أخفي المبلغ في ملابسي الداخلية. أرسل المعلم طالبة لتقطف بعض عيدان الصنوبر تكفي الفصل كله. ثم وزّعها علينا عند عودتها، عودًا لكل طالبة. أخبرنا أن نضع عود الصنوبر في كفّنا، وأن نمسك بها بإحكام وعينانا مغمضتان. قال لنا إن كل عيدان الصنوبر متساوية في الطول، وإنه بعد مرور عشر دقائق، سينمو عود الصنوبر فقط الذي بداخل يد السارقة بمقدار خمسة سنتيمترات. وحينها سنعرف كلنا من سرق المال، لذا الأفضل لمن أخذت المال، أن ترفع يديها إلى أعلى الآن. إذا فكرتِ في الأمر الآن، فإن ما قاله محض هراء. كيف يمكن لعود صنوبر أن ينمو داخل كفكِ؟ لكن في تلك اللحظة، شعرتُ حقًا أن العود سيطول داخل كفي. وعندما فكرت في ما سيحدث بعد أن ينمو العود، بدأ قلبي يخفق بقوة وشعرت برأسي تكاد تنفجر. أكاد أسمع صوت خشخشة عود الصنوبر وهو يكبر داخل كفي. ارتعبت إلى حد أنني انفجرت باكية، إلى حد أنني بللت ثيابي حيث كنت أجلس. وهكذا اكتشف الفصل كله أنني من سرقت المال. لم أعد مرة أخرى إلى المدرسة بعد تلك الواقعة وأخذت حياتي منعرجًا غريبًا. كنتُ أقول لوالديّ كذبًا إنني ذاهبة إلى المدرسة، ثم أجلس طوال اليوم بجوار السدّ، وأتجوّل في أنحاء ساحة السوق. اكتشف والداي أخيرًا أنني سرقت المال وضربوني بقسوة. قالت أمي لي وهي تمسك بقصبتها: «سارقة، أهذا ما كان عليك أن تصبحيه من بين كل الأشياء!». في اللحظة التي نعتتني أمي بالسارقة، قرّرت أن عليّ إنهاء حياتي... خطّطت أن أموت في أبعد مكان ممكن عن المنزل، فسرقت مال أمي وغادرت البيت... لكن انتهى الحال بي هنا. لم أتمكّن من زيارة قريتي مرة أخرى إلا بعد مرور خمس سنوات».

«...».

«لو لم أكن في حاجة ماسَّة إلى المال، لما كتبت لك تلك الرسالة».

«...».

«عودي إلى العمل غدًا... لا أفكّر فيك كسارقة. ولا أحد يعرف بالأمر. كان محض تخمين مني لأنني لاحظت أنكِ غادرت العمل مبكرًا ذلك اليوم حين عدتُ من مأموريتي. كان يمكنك أن تدّعي البراءة وحسب لكنك لم تفعلي ذلك».

«...».

«يقولون إن الشركة ستُحَلّ قريبًا. ستُسلّم إلى البنك أو شيء من هذا القبيل. لذا اصبري حتى ذلك الوقت كي تحصلي على مكافأة نهاية الخدمة والأجور المتأخّرة أيضًا... إذا انقطعتِ عن العمل الآن، فسوف تتعقّد الأمور قليلًا وسوف يتنصّلون غالبًا من إعطائك مستحقاتكِ».

«...».

مكتبة
t.me/t_pdf

«ستأتين إلى العمل غدًا، اتفقنا؟».

«...».

«إذا لم تأتي، فسوف أواصل القدوم إليك هنا».

أذهب إلى العمل في اليوم التالي وأختم بطاقتي بتوقيت الحضور. ترتسم ابتسامة عريضة على وجه يون سون-إم.

يستدعيني كبير العمال - الذي أصبح الآن رئيس قطاع الإنتاج.

«أتظنّين أن المصنع أصبح مكانًا تأتيه حين تشعرين برغبتك في ذلك؟».

أخفض عينيّ إلى أسفل وأحدّق في الأرض الإسمنتية الباردة.

لم يتغيّر أي شيء في العمل. مع عدم وجود أماكن شاغرة في موقع العمل، تجلس العاملات هنا وهناك داخل المصنع، أو فوق السطح، أو على المقاعد الخشبية، أو بجوار صنبور المياه. حتى **تشاي إيون-هِي** الشابة التي تعمل كموظفة إدارية في خط الإنتاج تجلس أيضًا في خمول

فوق مكتبها الفارغ. كانت وظيفتها تقتضي تفقد حصيلة الإنتاج في نهاية كل يوم عمل، لكن الآن ما عاد هنالك حصيلة كي تتفقّدها. الشركة تفرغ يومًا بعد الآخر.

***

أجلس وسط الضوضاء، وأحاول قمع حنقي بالتقليب في صفحات كتابي. أتوقف عند قصائد شعرية، وأقرأ بصوت مرتفع.

كل الكائنات الصغيرة في هذا العالم،
ترفع ذيولها الرائعة تجاهي،
تناديني، ماما...
كم يفتقد صغاري إلى حليبي؟!
أبكي بينما يُعتصر الحليب مني.
تلك العيون البريئة لا تجرؤ على
أن تحلم بالهروب.
لا يمكنني أن أهجركم
من أجل أي شيء آخر،
من أجل أي مكان آخر.
أستدير لأهبط من فوق الممر الجبلي.
لا تزال أسماك الأرز تسبح بأمان
في البركة[1].
أرجوك، أوقف هذه الضوضاء. أسمع صوت بيت على وشك أن يُهدم.
الجدة إيميلي ديكنسون[2]

---

(1) قصيدة كائنات صغيرة للشاعرة «را هي-دوك».

(2) إيميلي ديكنسون (1830-1886): شاعرة أمريكية كانت مغمورة إبان حياتها، لكن اكتسبت شهرة طاغية بعد مماتها. كتبت حوالى 1700 قصيدة لم ينشر منها في حياتها سوى سبع عشرة قصيدة.

حملتني على كتفها إلى بحر بعيد،
إلى الشاطئ الطيني حيث لم أذهب من قبل.
لا وحش مُتعب في الأفق.
مجرّد محار داخل أصدافها
تحيا في راحة.
تغمس الجدة كمّها الأزرق في البحر
وتغسل قدميَّ المجروحتين برقّة،
ثم تنزلهما، مثل دموع صامتة[1].

أتوسل إليك، رجاء، تعال إليّ فحسب، كي أتمكّن من التحليق فوقها، فوق المثاقيب والمطارق، التي تندفع كلّها نحوي، تسحق وتدوس كل شيء في طريقها، بينما أنا تائهة داخل وخارج حدود الحكاية.

تهبط أوراق الشجر فوق كرمة عنب،
بخجل.
منذ زمن بعيد، انطلق رجل بحثًا عن
ظل تلك الورقة[2].

مثل موج البحر، يندفع النوم إليّ. سيلتفت الشخص الذي يمسّد شعري، إلى الوراء قريبًا.

هدير الشلال يوقظ الجبل.
طائر فزَن[3] يقفز،
وكوز صنوبر يسقط.
يرفع سنجاب ذيله.
يضيء الذيل خلسة.

---

(1) قصيدة أكمام إيميلي الزرقاء للشاعرة لي سانغ-هِي.
(2) من قصيدة «نمط» للشاعر لي سي-يونغ.
(3) طائر الفزن: طائر آسيوي الأصل، من عائلة الطاووس.

يا إلهي! إنه مغني البانسوري[1]
يؤدّي أغنيته الملحمية[2].
أجل، ستفعلين. ستلتفتين إلى الوراء قريبًا.
تنهض الدموع عندما تقترب منكِ.
تقرع على باب حجرتكِ
كاحلاي اهتزا...
تنهض الدموع عندما تقترب منكِ.
أبقيت رأسي منخفضة...
لكن تتقدّمني دموعي بخطوات قليلة.
شاهدت أصابعكِ تقفل الباب
شاهدتها بين الحين والآخر[3].

***

أجد رسالة **تشانغ** في صندوق البريد على نحو غير متوقّع تمامًا. «آه!». يتحرّر سروري الكامن بداخلي في صرخة واحدة.

لقد التقيت **إيبي** بالصدفة...
إيبي هو كنية أختي الصغرى.
علمت منها بأمر الرسائل. ظننت أنكِ لا تردّين على رسائلي بسبب موضوع أبي.
كتب **تشانغ** اسمي بحب ظاهر.
إذًا، ماذا لو لم نستطع تبادل الرسائل؟ سوف أكتب في مفكّرتي كلما أردت الكتابة إليكِ. سوف أريكِ ما كتبته حين نلتقي.

---

(1) البانسوري: نوع من الموسيقى الكورية القصصية يؤديها مغنٍ وطبّال. وبانسوري كلمة من مقطعين: بان أي مكان اللقاء، و«سوري» أي الصوت.
(2) من قصيدة السير نحو أشجار الجنكة للشاعرة تشون يانغ-هِي.
(3) قصيدة زهرة البصل الأخضر للشاعرة جو أون.

يمكنك أن تفعلي الأمر ذاته أيضًا. ستعودين إلى الريف من أجل التشوسوك، أليس كذلك؟

***

لم نتمكّن من العودة إلى القرية من أجل عيد التشوسوك.

تستعير ابنة خالي كاميرا. نجهّز صندوق غداء خشبي، ونذهب للنزهة على الأقدام في جبل **جوانكسان** برفقة **هِي-جاي**. كانت ابنة خالي مفعمة بالحماسة وهي تحمل الكاميرا التي استعارتها. بدا كأنها تتصوّرني و**هِي-جاي** طيورًا فوق الشجر. كليك، تلتقط صورة لنا تحت شجرة القيقب. كليك، تلتقط صورة لنا أسفل الصخور العملاقة. كليك: «التفتا إليَّ... اجلسا. لا، قفا... فلتمسك كل منكما بيد الأخرى. حاولا أن تبدوَا أكثر عفوية... **هِي-جاي**، أعطني ابتسامة الآن!». بعد أن تنتهي ابنة خالي من التقاط الصور لنا واحدة تلو الأخرى، كما لو كنّا تلك الطيور فوق الشجر. نجلس لتناول الطعام فوق قمة الجبل. حين تصرخ ابنة خالي أقفز من مكاني فزعة من صيحاتها كأن أحدهم قد صاح: «ثعبان!»، قبل أن أسألها: «ما الأمر؟».

«لا يوجد فيلم داخل الكاميرا. لقد كانت فارغة طوال الوقت!».

«... ماذا؟!».

تضع ابنة خالي فيلمًا داخل الكاميرا وتلتقط صورًا لنا ثانية. مع هذا لم تُطبع الصور. تعود ابنة خالي من استوديو التصوير متجهّمة.

«يقولون إن الضوء قد نفذ إلى الداخل».

«الضوء؟».

اختفت صورنا من فيلم التصوير بعد أن امتص الضوء.

***

يوم خريفيّ رطب.

أستعيد ذكرى زيارتي مستشفى القلوب المقدّسة في **جانجنام** في

دايريم-دونغ. كنت أزور لأول مرة قاعة جنازة المستشفى. كانت **تشوي يانج-نيم**، موظفة في شركة **كومهو** للإلكترونيات، تبتسم في صورتها المؤطّرة بالزهور. سبب الوفاة، الاختناق بأول أكسيد الكربون المتصاعد من قوالب الفحم. تجلس أمها الداكنة البشرة القادمة من الريف، تحدّق مليًا في صورة **تشوي يانج-نيم**، وقد بدت في ملكوت آخر. أختها الصغرى نائمة، رأسها تسترخي على حضن الأم. **مي-سيو** مشرفة فصلنا تضع مبلغ التعزية الذي جمعناه أمام والدة **تشوي يانج-نيم**.

«كنَّ ثلاثة ينمن في تلك الحجرة. أتساءل لماذا إذًا فقط **يانج نيم** من ماتت؟!»، تقول الأم.

تفتح أخت **تشوي يانج**-نيم الصغرى عينيها ببطء فوق حضن أمها الداكنة البشرة.

«لا يمكن أن يكون موتها حقيقة... لا بد أن الأمر محض كابوس، أليس كذلك؟».

تبدو الأم مصدومة جدًا لدرجة أنها لا تمتلك دموعًا في مقلتيها لتذرفها. كل ما يمكنها فعله هو أن تغمغم، ونظراتها المشوّشة مثبتة على وجه ابنتها الراحلة. كل ما يمكنها أن تتذكّره هو مشهد أظافر ابنتها المتشقّقة والمتقيّحة عندما عادت إلى القرية من أجل عيد التشوسوك. ما مقدار الألم الذي لا بد عانته خلال سفرها عبر ذلك الطريق الطويل جدًّا بمثل تلك الأظافر؟

***

تحصل أوني هِي-جاي على تسريحة شعر مجعّدة. ما عادت ترتدي زيها المدرسي بعد الآن. عوضًا عن حذاء المدرسة، تنتعل الآن حذاءها الأحمر الداكن ذا الكعب العالي. يقبع حذاء المدرسة الآن على رفّها كأنه رمزٌ ما. لقد طرأ تغير على هِي-جاي. بدلًا من زيها المعتاد ذي الياقة البيضاء، ترتدي الآن بلورة تغلق أزرارها حتى عنقها، وتدسّها داخل تنورتها المزركشة. ترفرف تنورتها اللامعة عندما تهبّ الرياح. أحيانًا ألمحها

تحمل حقيبة صغيرة على كتفها بدلًا من حقيبة المدرسة الحمراء. ظهرها نحوي بينما تنعطف في نهاية الزقاق. طقطقة كعب حذائها يصل إلى أذني، بينما تهبط الدرج على الجانب الآخر من المعبر الفوقي، بجسمها الضئيل وتختفي سريعًا داخل السوق.

يسألني أخي الأكبر إذا كانت تعمل في حانة ليلية، أنظر إليه كما لو أنني قد سمعت للتو شيئًا يجب ألا أسمعه، قبل أن أنفي الأمر نفيًا حاسمًا.

«لا، لقد أخبرتك أن ذلك غير صحيح».

لا بد أنني أبدو كأنني على وشك البكاء، إذ إنه نظر إليّ باستغراب وهو يواصل إضافة عبارات موحية: «إذًا لماذا تعود إلى البيت في ساعات الصباح الأولى؟ لقد رأيت رجلًا غريبًا يغادر حجرتها مبكرًا في الصباح».

«رجل؟!».

عندما أرد على سؤاله بسؤال، يقول أخي الأكبر: «أخيها، ربما؟»، كما لو خطر بباله أن تلميحاته غير لائقة، ثم يطبق فمه.

أرى أيضًا الرجل يغادر حجرة **هِي-جاي** ذات مرة. يخرج من البوابة الأمامية، رأسه محنية إلى الأسفل إلى درجة أن أنفه تكاد تلامس الأرض. أرى على أحد خدّيه بقعة زرقاء بحجم الكف تشبه تلك التي على ظهر **هِي-جاي**. تلك البقعة؟ أين شاهدتها من قبل؟ أجل، متجر خياطة **جينهي**. إذًا هو الرجل نفسه. الخياط الذي كان يعمل إلى جانب **هِي-جاي** عندما ذهبت لأقترض منها المال. يسير الرجل ويداه مدسوستان في جيبيه، مستغرقًا في تفكيرٍ عميقٍ، إلى درجة أنه كاد أن يصدم أنفه بعمود الهاتف قبل أن يغادر الزقاق الطويل في النهاية.

***

تعلن ابنة خالي ذات يوم،: «سوف استأجر حجرة في يونجسان».

أخي الأكبر، ضابط جيش يؤدّي خدمته العسكرية، هادئ يرفض الإجابة.

«لا يمكنني أن أواصل العيش مع عائلتكما للأبد»، تقول ابنة خالي.

أختها الصغرى ستنهي المدرسة الإعدادية قريبًا، لذا ستحضرها ابنة خالي إلى سول، وتتشارك الحجرة معها. تقول إن أحد الموظفين في مكتب المقاطعة وعدها بأن يجد وظيفة لأختها هنا، وأنها ستحاول أن تُلحقها بمدرسة تجارة.

***

رقصة المامبو[1]. في ليلة شتوية، رقصنا المامبو.

نعود من المدرسة يوم السبت لنجد أنوار حجرة **هِي-جاي** مضاءة. تتوجّه ابنة خالي إلى حجرة **هِي-جاي** وهي لا تزال تحمل حقيبة المدرسة.

«سوف أنتقل من المنزل غدًا». تقول ابنة خالي داخل حجرة **هِي-جاي**.

تتسع عينا **هِي-جاي** التي كانت منهمكة في غسيل ثيابها، وتنظر إليّ، كما لو كانت تسألني إذا كنتُ سأغادر أيضًا.

«لن أنتقل. هي فقط. يجب أن نقيم حفل توديع لها».

نتّفق على اللقاء فوق السطح بعد ثلاثين دقيقة.

استبدلنا أنا وابنة خالي ثيابنا واغتسلنا وأخبرنا أخي الأكبر أننا سنقيم حفل وداع قبل أن نصعد إلى السطح ونحن نتبادل الضحك. كانت **هِي-جاي** قد فرشت حصيرة من البامبو بالفعل. تضع شموعًا على المنضدة الأرضية، وطبقًا عامرًا بشرائح كعك الأرز الحار. تخبرنا **هِي-جاي** أن ننتظر وتهبط إلى حجرتها لتحضر مُشغل الشرائط. عندما تضغط على زر التشغيل، تنبعث موسيقى **لا كومبارسيتا**[2].

بام بام بام... بام بام بام بام - بارارارا- بام بام بام...

أثناء تناولنا شرائح كعك الأرز، تنهض ابنة خالي وتغني مع الإيقاع:

---

(1) المامبو: فن موسيقي راقص ذو أصول كوبية، ويشكّل أساسًا لأشكال الرقص والموسيقى المعاصرة في أمريكا اللاتينية.

(2) لاكومبارسيتا: مقطوعة التانغو الأشهر عالميًا، ألفها خيراردو ماتوس رودريغيز سنة 1917. تتميّز بألحانها البسيطة والمباشرة.

«بام... بام... بام»، ذراعاها مفرودان وقبضتاها مشدودتان، ثم تهبط الدرج. إلى أين تذهب؟ يبتعد صوت ابنة خالي بينما ترقص.

عندما تعود، تخرج زجاجة من السوجو الرائق من جيبها. يجعل المشروب الرخيص والقوي المفعول رائحة الكحول تفوح منا سريعًا.

تناول **هِي-جاي** ابنة خالي كيس تسوق ورقيًا.

«ما هذا؟».

«هدية بمناسبة انتقالكِ».

بداخل الكيس بنطلون جينز.

«جرّبيه. سيناسب جسمك جيدًا».

يخيّم الهدوء على ابنة خالي التي كانت دائمًا تستنكر علاقتي **بهِي-جاي** لسبب ما، وسط موسيقى **لا كومبارسيتا** التي لا تزال تصدح في الخلفية. يرتجف ضوء الشمعة قبل أن ينطفئ. لا يزال السطح مشرقًا.

«لقد بان القمر!».

كان القمر في السماء مستديرًا وعاليًا فوق كل مداخن المصانع. أثمّة مناوبة ليلية الآن في المصنع؟ النوافذ في مركز التصميم والتعبئة مضاءة. هدير قطار يمضي في طريقه. تغادر الحافلة رقم 118 في آخر رحلة لها اليوم. تجرّب ابنة خالي بنطلون الجينز تحت نور القمر، هدية **هِي-جاي** لها. يناسبها على نحو مثالي.

«لقد خطته بنفسي».

«من أجلي».

«ليس تمامًا... أخي الأصغر هناك في قريتنا له نفس مقاسكِ تقريبًا».

«أخوكِ؟».

«لا يهم إذا كنت قد خطته من أجل ولد أو بنت. إنه جينز. إنه بنطلون ديسكو فضفاض ممتاز».

«لكن ماذا عن أخيك؟».

تبتسم **هِي-جاي** بشحوب. «يمكنني دائمًا خياطة بنطلون آخر».

ابنة خالي، التي تتمتع بروح مرحة دائمًا، وتحرك رأسها كلما سمعت الموسيقى حتى لو كانت منهمكة في تنظيف الأرض، تبدأ الرقص مع إيقاع **لا كومبارسيتا** وهي ترتدي بنطلون الجينز الجديد.

«فلتشاركاني الرقص».

تشد ابنة خالي **هِي-جاي** التي تنهض على مضض وتسحبني معها. مثل سرطانات بحر زحفت إلى الشاطئ بالخطأ، نتحرّك في خطوات جانبية خرقاء، **بام بام بام** - برفقة حركات ابنة خالي الرشيقة. تبتسم **هِي-جاي** بوداعة رغم حركتها المشدودة والمرتبكة. يتدلّى القمر في السماء فوق مدخنة مركز التصميم والتعبئة الشاهقة. القمر فوق المدخنة كأنه يمتصّ الدخان الأسود المتصاعد، فيبدو مكفهرًّا داكنًا. تزفر ابنة خالي التي كانت بدأت الرقص قبلنا، تزفر بإنهاك ثم تجلس فوق الحصيرة. أجلس إلى جوارها وتأتي **هِي-جاي** للجلوس بجانبي. تمسح رياح الليل العرق المتصبّب من فوق جبهاتنا، فيتسلّل البرد إلينا بسرعة. ندنو بأجسادنا من بعضنا البعض، الأذرع فوق الأكتاف كما لو كنا نتعانق. نجلس على هذه الكيفية لفترة طويلة.

بينما نجلس الكتف إلى الكتف، تجلجل أصوات عجلات آخر قطارات الليل بالقرب من رؤوسنا. يُبرز القمر المظلم فوق مدخنة مركز التصميم والتعبئة وجهه الأبيض النقي أَخيرًا.

على سطح هذه الجزيرة الصغيرة... حيث تملأ ظلال القمر
المتجمّدة الأمواج... تجمّعت أمواج بحر الشتاء المتكسِّرة...
أفكر في الحب اليتيم الجميل داخل قلب حارس منارة الجزيرة.

كنا كثلاثة أقمار. غمرتنا مشاعر دافئة كما لو أننا قد تشاركنا شيئا ما بداخل قلوبنا بينما نغني سويًا.

في ذلك الشتاء، بعد أن رقصنا رقصة المامبو على السطح فوق حجرتنا

المنفردة، تغادر ابنة خالي الزقاق كطير مهاجر، لتكون أختًا كبرى لإخوتها الصغار، كما كان أخي الأكبر بالنسبة إليّ.

***

أزور ابنة خالي في حجرتها المستأجرة في **يونجسان**، في دوّار **سامجاكجي**. زقاق طويل جدًا. البيوت متلاصقة. تجمدت أكياس القمامة الملقاة في الرياح الباردة. ثمة باب جانبي مثبت بين جدارين، قفله مفتوح. من الباب المجاور له، تبرز امرأة شعرها أشقر مصبوغ وتضع أحمر شفاه وترتدي تنورة جلدية سوداء وحذاءً جلديًا طويل الرقبة. يخرج من ورائها رجل أسود البشرة، له عينان واسعتان لامعتان، ظهره محني إلى أسفل. سارا معًا متقاربين في الزقاق المتجمّد. الرياح باردة مع هذا فإن ساقَيّ المرأة مكشوفتان تمامًا.

«ادخلي!». تفتح ابنة خالي الباب الجانبي.

«لم توقدي أي قالب فحم؟!». صحت بينما أدلف داخل حجرة ابنة خالي.

«عندما يزداد الطقس برودة، سأفعل».

تبدو لي ابنة خالي كما لو كانت قد شاخت كثيرًا فجأة. تعبير وجهها يشي بأن لا شيء في هذا العالم يمكن أن يفاجئها بعد الآن.

حجرة منفردة أخرى. حجرة طويلة وضيّقة. قدماي تتجمدان.

***

الرجل[1] الذي أراق الدماء في **غوانغجو** ودفع البلاد كلها إلى هاوية الخوف باسم التطهير الاجتماعي، يستمتع بالقيام بجولات ليلية. لا يحب

(1) الإشارة هنا إلى تشون دو-هوان، الجنرال الذي نجح انقلابه ليتولى رئاسة الجمهورية من عام 1980 حتى 1988، مؤسسًا ما يعرف بالجمهورية الخامسة. حُوكم في ما بعد بسبب مسؤوليته المباشرة عن مذبحة غوانغجو وحُكم عليه بالإعدام قبل أن ينال عفوًا رئاسيًا.

أن يعطي تحذيرًا مسبقًا. يمشي فجأة إلى داخل قسم شرطة في **إنشيون**، أو يظهر من دون مقدّمات في قاعة مدينة سول مرتديًا زيًا رسميًا. عندما يظهر، تعلو «الدهشة» وجوه المسؤولين هناك.

***

إنه وقت حصّة المحاسبة في المدرسة

تنزلق وجوه داكنة إلى داخل الرواق خارج الفصل. ينفتح الباب الخلفي لفصلنا. رئيس الجمهورية هنا. لم يكن **ها جي-سوك** لكنه يدلف إلى الداخل في منتصف الحصة. لكن على عكس **ها جي-سوك**، لم يكن حذرًا أو آسفًا. يشحب وجه المعلم وهو يقف أمام السبورة يكتب درسه عن «نظام القيد المزدوج».

تومض جبهة الرئيس العريضة تحت أضواء الفلورسنت. زوجته تقف بجواره. أذلك الرجل هناك حارسه الشخصي؟ رجل هزيل يرتدي سترة سوداء يقف خلف الزوجين مباشرة، عيناه تلمعان. عندما يربّت الرئيس على شعر زميلتي في منضدة الدراسة **آن هيانغ-سوك** عسراء اليد، يومض ضوء. كاميرا. أخفض رأسي. تومض الكاميرا ثانية بينما تلتقط زوجته مفكرتي. يغوص قلبي في مكانه رعبًا. مكتوب على الغلاف «محاسبة»، لكن لا توجد أي ملاحظات عن المحاسبة. المفكرة تمتلئ فقط برسائلي إلى **تشانغ** وقصائد شعر وفقرات نسختها من مجلات مثل **سامتو**. لحسن الحظ، تعيد زوجة الرئيس المفكرة إلى منضدتي وتخرج وراء الرئيس، تسير بطول الممر وسط الفصل. يتبعهم الرجل ذو السترة السوداء، على مبعدة وهو يحمل حذاء في يديه. بعد أن يغادروا عبر الباب الأمامي للفصل، يأتي معلم المحاسبة إليّ. يفتح المفكرة. يغوص قلبي أكثر عمقًا مما كان عندما فتحتها السيدة الأولى. يبدو المعلم مصدومًا وهو يقلّب صفحات المفكرة، فلا شيء هناك عن المحاسبة سواء عن نظام القيد

الفردي أو المزدوج. يسألني إذا كانت هذه هي المفكرة التي نظرت فيها السيدة الأولى. أعجز عن الرد.

«لقد سألتكِ إذا كانت هذه هي المفكّرة؟».

«أجل».

يميل المعلم برأسه في حيرة، «أتساءل لماذا لم تعلّق على الأمر؟ هل أمسكت المفكّرة من أجل التقاط الصورة فقط؟».

يقف هناك يقلّب في صفحات المفكّرة لفترة طويلة ثم يعيدها إلى منضدة دراستي كما فعلت زوجة الرئيس. تندفع تنهيدة ارتياح من بين شفتيّ. بعد السيدة الأولى ومعلم المحاسبة، تفتح آن هيان-سوك المفكّرة هذه المرة.

مكتبة
t.me/t_pdf

ثعبان الزهرة
المياه السوداء لـ...
ثعبان جميل...
إنه لحزن عظيم أن يولد بمثل هذا الجسم الشرير.
مثل شريط من الزهور.
لسان الثعبان الذي اعتاد جدّك على أن يثيره
ليدخل ويخرج من بين فكّين أحمرين، محرومًا من الصوت.
السماء الزرقاء...
عضْ ومزِّقْ بسخط مرير. اهربْ. أيتها الجمجمة التعيسة.

تحدّق آن هيانغ-سوك في المفكّرة ثم تلتفت إليّ.

«أنتِ من كتبتِ هذا؟».

«لا».

«من إذًا؟».

«سيو جونغ-جو»[1].

«الشاعر الذي كتب «بجوار زهرة أقحوان»؟».

«نعم».

تنظر آن هيانغ-سوك إلى المفكّرة مجدّدًا ثم تسألني عن المربّعات الفارغة بعد «المياه السوداء».

«كانت مكتوبة بحروف صينية، وكان من الصعب جدًّا أن أكتبها لذا تركت مكانها فراغات».

تقول آن هيانغ-سوك: «حسنًا»، كما لو لم يكن شيئًا مهمًا. ثم تسأل: «وما هو «ثعبان الزهرة»؟».

«لا أعرف».

«لماذا نسختِها إذا كنتِ لا تفهمين معناها؟».

«لأنها أعجبتني».

«هل تعرفين عما تتحدّث القصيدة؟».

«لا أعرف».

«لا تعرفين لكنك معجبة بها».

تحدّق في وجهي كما لو كانت مندهشة.

أكانت تلك هي الحقيقة بالنسبة إليّ أيضًا؟ تمامًا كما كانت مي-سيو تقرأ هيجل، أكان الأمر كذلك بالنسبة إليّ، فقط حين أقرأ أشخاصًا مثل بروست أو سيو جنغ-جو، كيم يو-جونغ أو تا دو-هيانغ، أو جانغ يومج-هاك أو سان تشونج-سيوب، أو فرانسيس جيمس، فقط حين أنسخ عباراتهم الآسرة في زاوية مفكرة المحاسبة من دون حتى أن أفهم ما يقصدونه، كنتُ أؤمن بداخلي أنني مختلفة عن كل الوجوه الأخرى في

---

(1) سيو جونغ-جو: شاعر كوري جنوبي. يعتبر من أهم شعراء كوريا في القرن العشرين ورُشح لنيل جائزة نوبل في الأدب خمس مرات.

ذلك الفصل؟ أكان الأمر أنني قد آمنت بأن هذه الكتب والروايات، أو حتى الشعر، سوف يحملني بعيدًا خارج الزقاق؟

***

أسقط من فوق سريري في منتصف قيلولة طويلة. بينما أعاود الصعود فوق السرير، تؤلم أشعة شمس الربيع المتسرّبة من النافذة عينيّ. فوق التلال، أصبحت رقعة الأرض حيث كانت أزهار الأزالية قد ذبُلت، خضراء. على مبعدة ومضت أزهار الكرز ببريق أبيض. كانت الأرض حيث ذبلت الزهور خضراء، لكن داعبت غمامة سوداء قدميّ. كم كنا فقراء في الماضي، امتلكنا القليل جدًا من المال. شعرت كأن صرخة تنبعث من المرآة بجانب سريري. هل أنت متأكدة أنك تذكّرت الحوادث على النحو الصحيح؟ كيف يمكن أن تكوني متأكّدة من ذلك؟ لا أصدق إمكانية ذلك! *لا تلقي اللوم عليّ، فأنا لا أصدّق إمكانية ذلك أيضًا.*

أتصل بـ«ج» من دون سبب معقول.

«فرغتِ من الكتابة؟».

«... أجل».

«أترغبين في إعداد كعك الثوم المعمَّر من أجلي؟».

«لا».

صمت.

مرتبكة، تتحدّث «ج» بنبرة مرحة. «حسنًا، دعينا نلتقي في أي مكان على أية حال!».

«لا».

«إذًا لماذا اتصلتِ بي؟».

«لأقول لكِ ذلك».

«تقولين ماذا؟».

«كي أقول لكِ: «لا»».

يمكنني تخيّل «ج» وقد تجهّم وجهها على الجانب الآخر من الخط.

***

أفتح التلفاز. آه-أو-إي. صوت يبدو كأنه كان موجودًا دائمًا في الأرجاء وداخل كل حجرات هذا العالم. الشعر ممشّط على هيئة كعكة، وخاتم من حجر اليشم، وشريط معقود فوق بلوزتها التقليدية. كانت **كيم سو-هِي**[1]، قبل عشر سنوات أو أكثر، تقف في المركز، تغني «**بونجهوا أريرانغ**» مع طالباتها.

أريرانغ، أريرانغ، أراريو... أمضي متجاوزة معبر أريرانغ، حاملة حزمتي على ظهري.

قبل يومين، أقيمت جنازة رسمية على شرفها في حديقة **مارونييه** في **دونجسنغ-دونغ**. وراء المعبر. أتخيّلها الآن تمشي في مكان ما في الطريق إلى العالم الآخر. لكن في هذه اللحظة في هذا العالم، كانت على شاشة التلفاز وقد تجمّدت الصورة. عيناها المترعتان بالحزن مرفوعتان قليلًا.

أمضي متجاوزة معبر جبل **جايبونغ**، أقبض على قلبي المرّ المؤلّم في يدي. أريرانغ، أريرانغ، أراريو. أمضي متجاوزة معبر أريرانغ.

فتحت التلفاز بالصدفة لكن شدّ غناؤها انتباهي فجلست أمام الشاشة. تشارك **آن سووك سون**، و**شين يونج-هِي**، وأخريات من طالبات كيم ذكرياتهن برفقة معلّمتهن مع مقدّم البرنامج. تلك إذًا هي **آن سوك سون**. عيناها دامعتان. أعتقد بأن الأحياء يتغذّون على الموتى. الأمر كذلك

(1) كيم سو-هِي (1917-1995): مغنية كورية مشهورة. عُرفت بغناء الموسيقى الكورية التقليدية. عملت مدرسة للموسيقى الكورية في جامعات إيوا للنساء وهيانغ وجنجانغ.

بالنسبة إلى آن سوك سون، فسوف تتغذّى على موت **كيم سو-هي**، وبذلك ستكمل حياة الميتة.

تتحوّل الشاشة إلى مشهد من حياة **كيم سو-هي**. كانت تجلس في استوديو تسجيل. نحيلة وشاحبة لكن أنيقة.

> أسجّل أغنية لكنني لست راضية عن عملي. إذا تحسّنت صحتي، فسوف أعيد تسجيلها لكنني طاعنة في السن... أشعر بأنني يجب أن أعمل على الأغنية أكثر لكن لا تسير الأمور كما اشتهي.

كانت ترتدي بلوزة من القنّب وتضع زيت الكاميليا على شعرها. يجب أن يمتلك المغنّي أسلوبه الخاص. يجب أن يعكس كل شيء يخصّ أسلوبه. حتى الطريقة التي تتحرّك بها قدماه عندما يخطو فوق خشبة مسرح. فقط حينها سيطاوعه الصوت. عندما يخطو مغنو هذه الأيام على خشبة المسرح، ينظرون هنا وهناك ليروا عدد الناس في الجمهور، لكن يجب على المغني أن يفكّر دائمًا، «العازف وأنا فقط هنا. فقط نحن الاثنان».

في هذه الليلة الربيعية الساكنة، أمد ذراعي وأرفع صوت التلفاز.

> طيور، طيور... طيور تحلّق. كل الطيور في هذا العالم. **العنقاء** أبو الطيور، طائر الحصاد العظيم عند بوابة الخلود. عدد لا يحصى من الطيور تحلّق في أزواج. تجيب بالغناء، ثملة بالربيع. الببغاء الثرثار، والكركي بتاج رأسه الأحمر الراقص الرشيق، تغني... طائر **القمري**...

لا بد أن ينبع الغناء من جسدك وروحك. فهو ليس غناء إذا كنت فقط تحرّك شفتيك. يجب أن ينبع الغناء من قلبك ثم يتردّد صداه عبر أحشائك ويدور داخل جسمك كلّه. لا بد أن يتحمل المرء كل هذا ويتغلّب عليه كي يغني حقًا.

> طائر الذعرة العجوز يبدو ضعيفًا جدًا، سيموت جوعًا حتى لو وضعت أمامه عشر ملاعق من الأرز، يترنّح، يهزّ ذيله، يسقط،

يتدحرج، يصاب بطلق ناري. طائر الذعرة العجوز يبكي، يطير يسارًا ويمينا. تطير حمامة إلى داخل الحديقة. أيها الطائر الشاب، تعال وارمي إليّ بعض الحبوب.

لا بد أن ينبع الغناء من جسمك وروحك. فهو ليس غناء إذا كنت تحرّك شفتيك وحسب... بدت كلماتها كأنها تبتعد ثم تدنو من جديد... تبتعد ثم تدنو من جديد. بينما تمشي خارج حدود الشاشة وتتسلّل بهدوء إلى داخل قلبي، شعرها يلمع بزيت الكاميليا وتحمل فوق رأسها جرّة خزفية، يطلق طائر أبو منجل صرخة، مندهشًا لمصادفة نَفسٍ، لمصادفة روح.

***

الجزء الرابع

لقد تحدّثت بالصوت الذي وهبتَني إياه، وكتبت بالكلمات التي علّمتَها لوالديّ اللذين علماني. أمضي في الطريق كحمار رأسه محنية، مُحمّلًا بالأثقال، يُضحِك الأطفال.

فرانسيس جيمس[1]

(1) فرانسيس جيمس (1868–1938): شاعر فرنسي أمضى معظم حياته في مسقط رأسه في باران وبلاد الباسك. قصائده معروفة بالتغني بملذات الحياة الريفية المتواضعة.

خلال عطلة نهاية الأسبوع، تأخذ المدرسة طالبات السنة الأخيرة فقط في رحلة ميدانية. إنها رحلة تمتد خلال الليل، لذا، عدد كبير من الطالبات اللاتي يعملن في مناوبات إضافية يوم الأحد لن يستطعن الانضمام إلى الرحلة.

رحلتي الأولى والأخيرة معهن.

أتذكّر رحلتنا إلى **جيونغجو**، ولون وجه **ها جي-سوك**، ها جي-سوك التي هاتفتني بعد سنوات طويلة لتسألني: «لماذا لا تكتبين عنا؟». أتذكّر اللون الذي كسا وجوه آن **هيانغ-سوك** وقارئة هيجل **مي-سيو** و**مين-سوك** من شركة الفراء. وجوههنّ صفراء في مقابل الهضاب الخضراء للمعابد العتيقة. أتذكّر **هيانغ-جيو** و**ميونج-هاي** و**هيوك-جيو**. بينما يجتاز القطار نفقًا، نصيح بعبارات الإعجاب. نخبّئ حذاء ومعطف معلمنا أثناء نومه، ثم نتظاهر بالبراءة. نتمشّى على مهل في شوارع **جيونغجيو** الليلية، مرتديات بنطلونات جينز وقمصان سادة ضيّقة وخليعة. نتبختر ونتمايل بينما نرتدي قبعات حمراء.

لكن سرعان ما يسيطر علينا شعور بالارتباك. اللوم في ذلك يقع على أشعة الشمس. إنه ارتباك مواجهة وجوه لم ترها سوى في الليل تحت أضواء مصابيح الفصل الفلورسنت لأول مرة تحت ضوء الشمس المشرقة. لأننا لم نتقابل أبدًا أثناء النهار، كنا في حيرة تامّة كيف يجب علينا أن نتعامل مع بعضنا البعض، بينما نوجّه نظراتنا المرتبكة نحو معبد **الحصان المقدّس**، ومرصد **تشيومسيونجداي**. نتسلّق جبل **نامسان**. عينا ابنة خالي لا تفارقان كاميراها. تدفع ابنة خالي التي تريد أن تصبح مصوّرة فوتوغرافية، عدسات كاميراها في أي اتجاه تشتهيه. أجبرتني ومي-سيو قارئة **هيجل** أن نقرّب وجهينا من بعضنا البعض ونبتسم. الارتباك الذي

سبّبه الضوء جعل محاولتنا أن نبتسم تنتهي بتجهّم وجهينا في الصورة. تجعل ابنة خالي **آن هيانغ-سوك** تثبت وجهها فوق تمثال بلا رأس لبوذا وتنظر نحو عدسة الكاميرا.

«ابتسمي».

تشعر **آن هيانغ-سوك** التي تضطرّ إلى لف عشرين ألف قطعة حلوى بلفافات البلاستيك في اليوم الواحد، بالارتباك أيضًا من التواجد في هذه الرحلة. تحاول الابتسامة، لكن ينتهي الأمر وقد عبست أيضًا.

«حمقاوات».

يتسلّل الضجر إلى ابنة خالي، الشغوفة بالتقاط الصور، من عارضاتها الشاحبات الوجوه غير المستجيبات لتعليماتها.

«سوف أصوّر الطيور. سوف أنطلق لتصوير الطيور بدلًا من هؤلاء الحمقاوات».

***

في أي مكان وفي أي ليلة، ثمة شخص على الأقل في العالم يعاني من عذابات الحب.

تطلق **لي آي-سون**، التي تعشق رئيس الاتحاد في مصنع النسيج حيث تعمل، تنهيدة طويلة في هذه الليلة في **جيونغجو**. تخرج كلمة «مستخدمينا» من فم **لي آي-سون**. فنصمت جميعنا فجأة. مستخدمينا الذين يستخدموننا.

«أتمنى لو لم نكن مضطرّات للعودة».

كنا نغني لكن نتوقّف فجأة عن الغناء.

«الأمور مروعة إلى حدٍّ لا يُصدق في العمل. لقد خضع رئيس الاتحاد للتحقيق في مقر تطبيق قانون الطوارئ العسكري ثم حُوكم عسكريًا. أليس ذلك مخيفًا؟ المحاكمة عسكريًا فقط بسبب مطالبته بزيادة في الأجر».

«ماذا حدث بعد ذلك؟».

«أُطلق سراحه لكن بعد أن وصموه بأنه خاضع للتطهير الاجتماعي وطالبوه بالاستقالة، لكنه يقاوم».

«ماذا تقصدين بأنه خاضع للتطهير الاجتماعي؟».
«لا أعرف، لكن ثمة حملة تطهير اجتماعي من نوع ما تجري في البلاد».
تمتلئ ليلتنا بهمسات قلقة.
«لا يوكلون العمل إلى أعضاء الاتحاد. إنها مكيدة لإرغامهم على الاستقالة. يرسلون كل العمل إلى مقاولين خارجيين، ثم يعطون المقشّات إلى أعضاء الاتحاد، ويطلبون منهم تنظيف المصنع».
«الأمر نفسه حيث أعمل. يبدو أن الشرطة ستتمركز هناك للأبد».
«ربما كان الحال سيكون أفضل من دون ربيع سول ذاك، أو مهما كانوا يطلقون عليه – ربما ما كانت الأشياء لتصبح مرعبة جدًا كما هي الآن... كل من احتجّ مطالبًا بزيادة الأجور وقتها، رافضًا العمل لساعات إضافية، اعتُقل واقتيد إلى مقر التحقيق الجماعي للخضوع للاستجواب».
«الأمر ذاته حيث أعمل أيضًا. رعب تام، هكذا يبدو الأمر. في الشتاء الماضي لم يُشغّلوا التدفئة حيث يعمل أعضاء الاتحاد. استقال أكثر من مئتي عامل قبل حلول الربيع. تبقّى أقل من تسعين عاملًا فقط في المصنع. مخطّط خبيث لإرغام العمال على الاستقالة كي تستطيع الإدارة إغلاق المصنع بشكلٍ مؤقتٍ. على أية حال، سوف أحتاج إلى وظيفة جديدة لو أغلقوا المصنعَ فعلًا، لذا، حاولن أن تعرفن إذا كان هنالك مكان شاغر في أي مصنع آخر، حسنًا؟».

***

الليلة التي أعود فيها من الرحلة، ينادي أخي الأكبر عليّ بينما نستعد للنوم. تبدو الحجرة لي مهجورة مع رحيل أخي الثالث وابنة خالي. لا يقول أخي الأكبر أي شيء بعد أن ينادي اسمي، وهو ما يوتّرني. هل يعاني من وجع في صدره كالمرة السابقة؟
«ما الأمر؟... ما الأمر؟ أتشعر بوجع في صدرك ثانية؟».
أتذكّر الطريقة التي بدا عليها وهو يقبض على صدره من الألم، أزيح الملاءات وأجلس. كنت ارتجف خوفًا بالفعل في عدم وجود ابنة خالي.

«إذًا تريدين الأمر بشدّة؟ الذهاب إلى الجامعة؟».

تتسع عيناي المفزوعتان في الظلام، ببريق. يبدو لي للحظة أن نور القمر أو ضوء نجم يغمرني. أنزل ثانية تحت الملاءات.

«ألا زلت ترغبين في أن تصبحي كاتبة؟».

ألتزم بالصمت. لم أذكر لأخي الأكبر أني أتمنّى الذهاب إلى الجامعة. لم أذكر الأمر له ولا لأي أحد.

«كي يصبح المرء كاتبًا، فإنه يحتاج إلى قراءة عدد عظيم من الكتب، واكتساب قدر هائل من المعرفة».

أدركُ أن أخي الأكبر قد اطلع على مفكرتي أثناء غيابي في رحلة المدرسة.

«القبول بالجامعة أمر صعب جدًا بالنسبة حتى للطلاب الذين لا يفعلون شيئًا سوى المذاكرة لثلاث سنوات متواصلة». يحمل صوته مزيجًا من القلق والإعجاب. أزيح الملاءات ثانية وأطلّ بوجهي نحو أخي الأكبر المستلقي هناك وظهره المتعَب يواجهني.

«لا تقلق، يا أوبا. لن أذهب إلى الجامعة».

بينما أسير إلى المطبخ فجرًا لأطهو طعام الإفطار، أفتح حقيبة مدرستي وأبحث عن مفكّرتي. ما الذي كتبتُه هناك وجعل أخي الأكبر يقول ما قاله ليلة الأمس؟ لم تكن المفكرة في الحقيبة. أنظر هنا وهناك حيث ربما أكون قد تركتها من دون وعي مني، لكن بلا جدوى. أهبط العلّية بحذر وأذهب إلى مكتب أخي الأكبر. ها هي تحت نسختي من رواية **«القزم يقذف كرة صغيرة»** ملفوفة بغلاف كتاب. لا بد أنني تركت مفكرتي فوق مكتب أخي الأكبر بعد أن دوّنت فيها هذا وذاك في الليلة السابقة للرحلة. بدا والمفكرة في مكانها هذا، أنني قد تركتها هناك عمدًا كي يقرأها. أصعد إلى السطح، وأنا أحمل المفكرة معي. يبزغ الفجر. النجوم في السماء تتلاشى نجمة تلو الأخرى. أسفل ضوء النجوم المتلاشي، كانت امرأة تستند إلى الدرابزين، تبدو كأنها على وشك الطيران بعيدًا في أي لحظة. كانت هِي-جاي تجلس

كطائر فوق درابزين السطح، وهي تراقب بزوغ ضوء النهار الأول ليس بين شجرتي خوخ وتفاح، بل بين مداخن المصانع العالية المهيبة. يبدو ضوء الفجر أزرق حتى وسط روائح الشحم المتصاعدة من المصانع. في ضوء الفجر، ينضح كل شيء في العالم برائحة براعم متفتحة ناعمة خلابة، حتى مداخن المصانع.

«مرحبًا». أدنو من هِي-جاي وأضربها على كتفها برقّة. تتفاجأ.

«ماذا تفعلين هنا؟».

«أنشر الغسيل».

منذ متى هي هنا، كي تكون قد انتهت من نشر الغسيل بالفعل؟ على حبل الغسيل، يتدلّى مفرش مائدة، وبنطلون كارجو رجالي وجوارب. عندما أحدّق إلى البنطلون الرجالي، تبتسم بارتباك.

«ماذا تفعلين أنتِ في الأعلى هنا في مثل هذا الوقت المبكر؟».

أخفي مفكرتي وراء ظهري.

«ما هذا؟».

«لا شيء؟».

«إذًا لماذا تخفينه لو كان لا شيء؟».

عندما ألاحظ أن الأمر قد ضايقها، أدفع المفكرة نحوها.

«إنها مفكرة إذًا». تقلّب في صفحاتها. «هل تريدين الذهاب إلى الجامعة؟».

تسألني بصوت خافت وعيناها على إحدى الصفحات. أريد الذهاب إلى الجامعة، لقد كُتبت الكلمات ذاتها مرات عديدة فوق بعضها البعض لتبرز واضحة وسط كل شيء آخر مكتوب في الصفحة. هذا ما قرأه أخي الأكبر أيضًا. في أي صفحة، كانت العبارة تجد طريقها إليها كما لو كانت صلاة - أريد الذهاب إلى الجامعة، أريد الذهاب إلى الجامعة.

بدأ الأمر حين قال لي تشانغ في الصيف الماضي. «دعينا نبذل قصارى جهدنا لنلتحق بالجامعة. يجب أن نفعل ذلك».

ينتهي بي الأمر وأنا أشعر بالذنب والإحراج نحو **هِي-جاي** المستندة إلى الدرابزين فوق السطح، ونحو أخي الأكبر المستغرق في نوم مُنهَك.

«لن أذهب إلى الجامعة». أقول هذا كما لو كنت أستطيع أن أذهب، لكنني اختار عدم الذهاب. بينما أستردّ مفكرتي وأهم بالهبوط، تناديني **هِي-جاي** من الخلف.

«كما ترين فقد...»، تحدّق في وجهي عندما ألتفت لأواجهها. تبدو شاحبة.

«ما الأمر؟».

«الأمر أنه...»، تتلعثم.

«أخبريني، ما الأمر؟».

«حسنًا، الأمر فقط أنه...». أحدّق بدوري في **هِي-جاي** التي تعجز عن حمل نفسها على قول ما تحاول أن تخبرني به، مكرّرة الكلمات نفسها مرارًا.

«لقد قرّرت السماح له بالانتقال للعيش معي».

له؟ لذلك الرجل في متجر خياطة **جينهي**، الرجل صاحب البقعة فوق خده؟

«لقد شعرت فقط أنني يجب أن أخبرك... عندما أدخر مليوني وون، سوف أعطي المال لأخي الأصغر وحينها سنتمكّن من الزواج».

الزواج. أجل، بالطبع، سوف يتزوجان.

أحدّق بنظرات جامدة إلى البنطلون الرجالي المعلّق فوق حبل الغسيل.

***

عندما عدت إلى البيت بعد أن سلّمت نسخًا مطبوعة من مجموعة مقالاتي إلى ناشري، دسست المفتاح بداخل ثقب باب شقتي الخالية. شعرت برعشة في أطراف أصابعي. حرّرت يدي ووقفت خارج الباب لفترة. ملأ مجال بصري ورقة صفراء ملصقة على الجدار تُروّج لخدمة إصلاح أقفال. كل ما أردت أن أفعله عندما ترجّلت من سيارة الأجرة، هو

أن أسرع إلى داخل البيت واستلقي لكن الآن أشعر كما لو أنني قد تعثّرت بشيء ما.

فتحت الباب وتوجّهت إلى الحمام. وضعت حقيبة كتفي فوق حافة حوض الاستحمام. عندما أدرت الصنبور، تناثرت قطرات المياه فوق الحقيبة. نقلت الحقيبة إلى حوض الاستحمام. ماذا كانت؟ ماذا كانت تلك العبارة التي تعثّر بها قلبي؟

فردتُ كفيّ ورفعتهما أمام المرآة. ماذا اقترفتُ بهاتين اليدين؟ رأيت انعكاسي ويدايّ يصطدمان بعيني في المرآة. أسحب يديّ إلى الوراء بسرعة وأدسهما تحت الماء المندفع. بدا كأن أصابعي تنتفخ تحت الماء، أصابعي تفقد الثقة عندما لا تلمس أو تمسك أو تكتب شيئًا. الوحدة الكامنة في كل إصبع من أصابعي العشر. ماذا كانت تحاول أن تفعل؟ تتعانق هنا في هذه الحالة التي كانت عليها، تتلوى وتخربش؟

تدفّق الماء فوقها. ضغطت على السدادة لأسمح للماء بأن يُصرف. فرّ الماء المتجمّع عبر الأنابيب مصدرًا صوتًا مُوحشًا لا يمكن أن تعبّر عنه الكلمات. أغلقت الصنبور وحدّقت للحظة في المرآة. كان قلبي مُوحِشًا أيضًا. لم أرغب في التزحزح من مكاني قيد أنملة. انزلقت وجلست على الأرض وقدماي مفرودتان على آخرهما، ظهري يستند إلى حوض الاستحمام حيث ترقد حقيبتي. بدا الحمام الضيّق شاسعًا وأجرد. عندما أتقدّم إلى باب الحمام لأفتحه بأطراف أصابع قدمي، ينغلق الباب ويُظلِم كل شيء.

ماذا كانت؟

ماذا كانت الجملة الخفية التي غرزت نصلًا بداخل قلبي عندما فتحت الباب؟

... صمت غريب.

خرير الماء المندفع بداخل ذلك الصمت... طقطقة خطوات أقدام على الأرض ممتزجةً بصوت الماء المُوحِش، وهو يرتحل صاعدًا الأنابيب وعبر

الظلام... تك توك... شخص يمشي حافي القدمين؟... تك توك... يرتحل عائدًا عبر نور القمر، والبحار العميقة، عبر الشباك والشطآن الطينية... تك توك... ساقين حذرتين يبدو أنني أتذكّرهما من مكان ما... تك توك... التنورة المزركشة المزخرفة بأشكال زهور صغيرة... تك توك...

***

«لماذا استدعيتني إلى هنا؟».

«لدي شيء أحتاج إلى إنهائه».

«ماذا تعنين؟».

هذه هي نهاية الأمر. لم أعد في التاسعة عشرة بل في الثانية والثلاثين. عندما بدأت في كتابة هذا الكتاب بادئ الأمر، تمنّيت أن أكون قد فرغت منه بحلول الآن. سأستطيع أن أقول إنني قد حكيت قصة الماضي، وأنني أشعر شعورًا أفضل لأنني قد فعلت ذلك. لكن ليس هذه هي الحالة الآن.

لقد خرج الأمر عن سيطرتكِ الآن.

...

أخبريني عن ذلك الصباح...

لماذا طلبت مني أن أقفل باب حجرتك؟

لماذا أنا من بين كلِّ الناس؟

حتى بعد أن رحلت عن ذلك المكان، أينما لمحت شخصًا يشبهكِ، أو حجرة مشابهة لتلك الحجرة، تتسارع نبضات قلبي، وتتركني منقطعة الأنفاس. يُشَلّ تفكيري أو أصبح مهتاجة. أفقد التركيز واستيقظ في منتصف الليل أرقة، عاجزة عن العودة إلى النوم. أحيانًا أفقد رشدي كما لو كنت طفلة، وأجد نفسي عالقة في رغبة أن أفقد نفسي في شخص

ما... يداهمني الاكتئاب أثناء قراءتي كتاب... وعندما أعبر جسرًا، تنتابني رغبة عارمة في أن أقفز من فوق حاجز الجسر... أحيانًا يجتاحني شعور أن الستائر أو حبل الغسيل يوشك أن يهاجمني. هل تعرفين ذلك؟ كنتِ أصفادي. أصفاد في بناء علاقاتي، أصفاد تجعلني أبعده عني حتى عندما أكون سعيدة لتواجدي معه... تعرفين أفضل مني ذلك التعب الذي يتولد من حالة اليقظة المفرطة... لم أعد أبدًا إلى ذلك المكان. ولا حتى إلى مكان في نطاقه. لكن في ذهني، كلمات وأسماء مثل مصانع، وعاملات، ومحطة قطار، وسوق جاريبونج، ودوكسان-دونغ، وجيرو-دونغ عند مدخل المجمّع الصناعي، تتحوّل إلى فيضان من الصور محبوسة داخل خندق... الأمر بين يديك الآن...

لماذا كانت أنا من بين كل الناس؟

لماذا أنا؟

لقد كنتُ في التاسعة عشرة فقط.

أرفع ظهري عن حوض الاستحمام بينما أجلس في الظلام. كانت هذه هي. مواجهتي مع الموت. أخرج من الحمّام وأتصل بناشري. العبارات التي غرزت نصلًا في قلبي عندما فتحت الباب عند عودتي إلى شقّتي الفارغة كانت جزءًا من «مواجهتي مع الموت» قسمًا جديدًا سيُضَمُّ إلى مجموعة مقالاتي. لقد راجعتها مرارًا لكن النصل لا يزال هناك. النصل بحافته الحادّة المصوّبة نحوي.

أوقفت سيارة أجرة وعدت أدراجي إلى دار النشر. كانوا قد فرغوا من ترقيم الصفحات. صمت مرتبك... بين إصراري -أحتاج إلى محو بعض السطور- وتساؤل ناشري -ما الأمر؟- أعاد تسليم النسخ المطبوعة من مجموعة مقالاتي إليّ. دسست القلم بين أصابعي. أمرر أصابعي وأستبدل كلمة «ابن عمتي مات». إلى «ابن عمة أكبر». وشطبت كلمة «عمّة»

واستبدلتها بـ«قريبة». لا تقرأ عمّتي الأعمال الروائية لكن هذا كتاب مقالات، وسوف يتسبّب لها بمقدار كبير من الألم، تذكّر فقد مرّ عليه أكثر من عشر سنوات إذا قرأت ابنتها المقال لها بالصدفة؟ استبدلت «عائلة عمتي «ب» عائلتها». واستبدلت «جسده المنسحق، والممزّق، والمغطّى بالدم «ب» جسد لم يعد يُمكن التعرّف عليه...»؛ و«في مواجهة موت ابن عمتي» إلى «في مواجهة الموت، مواجهة رجل صدمه قطار». في الحقيقة لم يكن ذلك هو السبب في ظهور النصل الحاد في قلبي.

حذفتُ فقرة بأكملها عما حدث «لها» في ذلك الصباح. عبارات حُذفت مباشرة قبل أن تُطْبع.

كانت تقف هناك داخل العبارات المحذوفة. كانت النصل الذي انغرس في قلبي.

***

أخبر هِي-جاي أن رجلها يبدو وكأنه لا يستطيع الحديث، وأسألها لماذا لا يتحدّث أبدًا. لا تفهم ما أحاول أن أقوله لها.

«ماذا تقصدين أنه لا يقول أي شيء؟ تعرفين أنه مغنٍ بارعٌ». تجيب هِي-جاي على سؤالي بآخر.

«لكن لم أسمعه يقول أي شيء». ولم أسمعه يغني أيضًا، قلت لنفسي.

«لا، إنه ماهر مع الكلمات. وهو مغنٍ جيّد أيضًا». ربما لا يتحدّثان سوى في متجر خياطة جينهي. داخل المتجر حيث يقصّ الرجل القماش وفقًا للحجم المطلوب، وحيث تخيط هِي-جاي قطع القماش التي جهّزها هو. ربما تتدفّق حواراتهم بين قَطع القماش خياطة الفساتين. بين سجائره التي تشعلها له خلال الاستراحة، بين أصابعه وهي تزيح خصلة من شعرها وتعود لتنهمك في الخياطة.

بينهما، يمتلكان كلمات لا اسم لها، كلمات غير معروفة لهذا العالم.

لم تسنح الفرصة لي أبدًا كي ألقي نظرة جيدة على وجهه، لذا كان من الصعب بالنسبة إليّ أن أتحدّث عنه. يبقى بالنسبة إليّ، بنطلون الكارجو

الذي يرتديه، وفردتا حذائه فوق رف مطبخ هِي-جاي. تدافع هِي-جاي عن هذا الرجل على الرغم من أنه ينظر في الجهة المقابلة عندما أقابله بالصدفة، وتقول إن ذلك لأنه لم يلقَ الرعاية في طفولته.

«لم يعتنِ به أي أحد. منذ كان صغيرًا، عرف ألا أحد في هذا العالم ليرعاه. لذا كي يكتسب الشجاعة، ذهب إلى الجبال مع أصدقائه، وطلب منهم أن يربطوه إلى شجرة. ثم طلب منهم أن يعودوا ويفكّوا وثاقه بعد ثلاثة أيام».

«لماذا فعل مثل هذا الشيء؟».

«كي يكتسب الشجاعة كما قلت...».

«الشجاعة؟».

«»عليكِ أن تتحلّي بالشجاعة كيلا تعيشي في خوف».

«إذًا فقد ظلّ وحيدًا في الجبل لثلاثة أيام؟».

«ذلك ما قاله لي».

«حقًا؟».

«تعتقدين بأنه يكذب؟».

«لا... الأمر ليس... الأمر فقط أنه من الصعب أن أصدّق...».

«حسنًا، يقول إنه بعد أن قضى ثلاثة أيام في الجبل، أصبح أكثر خوفًا. كان يشعر بقشعريرة في ذراعيه عند أقل ضوضاء، وحين يهبط الغسق ويدنو الليل. لا يزال يشعر بذلك حتى الآن».

«حتى الآن؟».

«هذا صحيح، لهذا ينام والنور مضاء». تضحك هِي-جاي وهي تلتفت إليّ: «من دون رعايتي، سيصبح أخي الأصغر مثله. سوف يكون بخير الآن فأنا أعتني به».

منذ أن انتقلا للعيش معًا، أصبح حذاؤه يحتل البقعة على الرف بجوار حذاء المدرسة الخاص بهِي-جاي، والذي اعتادت أن ترتديه حين كانت طالبة مثلي. أتذكّره فقط زوجًا من الأحذية وبنطلون كارجو، وتلك البقعة

على وجهه. سيتذكّرني كفتاة تحمل سمكة في كيس بلاستيكي، أو فتاة تصعد إلى السطح يوم الأحد وهي تحمل الغسيل في طست. ربما يفكّر بأنه لم يسمعني أتحدّث أبدًا تمامًا كما أعتقد بأنني لم أسمعه يتحدّث أبدًا. أو ربما كانت اللغة التي تشاركها مع هِي-جاي لغة لا اسم لها، غير معروفة للعالم.

حين أفكّر في الأمر الآن، أجد أننا -أنا وهِي-جاي- ربما قد عشنا قريبًا من بعضنا البعض، لكننا لم نحب ذات الطعام ولا قضينا الكثير من الوقت معًا. لا أمتلك ذكرى لنا ونحن نتجادل في أمر ما. لم يكن هنالك شيء لنتصارع عليه. لم يكن لديها رغبة في أي شيء داخل قلبها. ما عدا الأمور المتعلّقة بأخيها، وبذلك الرجل الذي كان عليها الاعتناء به. لا أتذكّر أنها ذكرت أي شيء عن أنها تخطّط لتحقيق شيء ما، أو قالت أي شيء عما تتمنى أن تصبح... أو أي شيء عما تحبه. دأبت ابنة خالي على القول، سوف أصبح مصوّرة فوتوغرافية، تمامًا كما دأبت أنا على القول إنني سوف أصبح كاتبة. حيوية ابنة خالي واكتئابي ربما كانا ينبعان من إدراكنا الدائم أننا مختلفتان عن الناس في ذلك المكان، على الرّغم من أننا عشنا هناك.

لم أمتلك وابنة خالي أي نية للبقاء هناك طويلًا. لقد غادرت ابنة خالي بالفعل، وقريبًا سأغادر أنا أيضًا. عرف كلانا أن علينا الرحيل، ولهذا السبب كان لدينا أشياء رغبنا في فعلها، كنا متأكّدتين مما أردنا أن نصبح، أردنا أن نشاهد الكثير من الأشياء حتى لو لم نستطع امتلاكها. لهذا كان لديَّ وابنة خالي الكثير من الأشياء لنتجادل بشأنها. لم تكن تلك هي الحالة مع هِي-جاي.

حين أفكّر في الأمر، أدرك أن هِي-جاي كانت الزقاق نفسه. كانت عمود الطاقة، كانت القيء، كانت النُزل الصغير. كانت مدخنة المصنع، كانت ساحة السوق المظلمة، كانت ماكينة الخياطة. الحجرات المنفردة السبع والثلاثين كانت هِي-جاي. كانت الحجرات مسرح حياتها.

بدا أن كلاهما-هِي-جاي ورجلها- يحب الآخر بشدّة. لم أسمعهما أبدًا يقولان كلمة «حب» لهذا أستطيع أن أكتب فقط «بدا أن».

لم أستطع أن أعثر على الكلمة الصحيحة للإشارة إليه، لهذا أشير إليه ذات يوم بـ«عمي». تنفجر هِي-جاي التي كانت تغسل البرقوق في مطبخها ضاحكة.

«عمي؟ سيعتقد بأن الأمر مثيرٌ للضحك!». تبتسم ابتسامة عريضة نادرة وهي تحضر سلة لتجفّف فيها البرقوق الذي كان لا يزال لامعًا بالماء. ترشّ الماء بمرح تجاهي بيدها المبللة. أتبلل بالماء، الذي يحمل رائحة البرقوق.

«حسنًا، يدعونني بـ «القبضة»!».

أنا من تضحك هذه المرة. «لكنك تمتلكين يدين ضئيلتين جدًا!».

يداها ضئيلتان جدًا، إلى حدٍّ لا يمكن أن يدعوها أحدهم بـ«قبضة». يدان ضئيلتان، تدفعان القماش المحدّد باستمرار تحت إبرة ماكينة الخياطة. يدان رقيقتان مليئتان بندبات خلّفتها الإبرة.

«يقول إنني عندما أنام، تكون يداي مغلقتين بإحكام كقبضتين، مثل شخص يتأهب للمصارعة».

يدان وحيدتان.

نغنّي. ذات ليلة جلسنا نغني على سطح المبني الذي يضم حجراتنا المنفردة. هِي-جاي وأنا والرجل الذي أدعوه «عمّي».

ينهمر المطر البارد فوق الخشب ليمحو آثار الحب.

كما قالت هِي-جاي فإن «عمّي» مغنٍ بارع. بدا لي كأنه كان يغني دائمًا عوَضًا عن الكلام.

إنه وجهكِ المستدير الذي أراه بينما تهبّ رياح في الصباح...

غناؤه سلس حتى في النوتات العالية الصعبة. لا تردّد في صوته كما لو أن الأغنية تتدفّق خارجة من البقعة الزرقاء فوق وجهه.

احترق مثل كاميليا فوق جرف مظلم، تتحمّل ندًى باردًا، زهرة، هي ما سوف أصبحه.

عندما ينتهي من أغنيه، يجد صوته أغنية أخرى من دون توقف. غنى لأكثر من ساعة، ومع هذا يواصل العثور على المزيد من الأغاني.

لو أصبحت زهرة. فهل ستحلّق طيور الجبل نحوي؟... هل ستصبح روح محبوبتي زهرة أيضًا؟

يناديني أخي الأكبر من الظلام البعيد. ينقطع الغناء ويحوم صمت مرتبك بيننا. صمت أثقل من مبنى المصنع.

«ماذا تفعلين في الأعلى هناك؟».

«اذهبي». تدفعني **هِي-جاي**.

في حجرتنا يدير أخي الأكبر ظهره نحوي، قاسيًا وعنيدًا.

«ألم تسمعي ما قلته... أخبرتكِ أن تبقي بعيدًا عنها».

صوت أخي راعد. أتمنّى لو كان قد تحدّث بصوت أهدأ... إذا سمعت **هِي-جاي** صوته البارد، فسوف تبكي.

***

كانت الساعة حوالى السادسة مساء. لا بد أنني قد غفوت أثناء القراءة. كان أخي الأصغر الذي يرتاد الجامعة في **إينشيون**، على الهاتف، وقد أيقظني من نومي. قال من دون مقدّمات، «أنتِ بخير؟» عندما أردّ على الهاتف. أسأله عما يتحدّث، فيقول إنه في مطعم قرب الجامعة، وأن التلفاز قد أذاع خبر انهيار مجمّع تجاري، لذا فكّر في الاتصال بي ليتفقّدني.

«مجمع تجاري؟ حقًا؟».

أشغل التلفاز بينما لا تزال السماعة في يدي. تعرض الشاشة فقط منظر المبنى قبل الانهيار. يعلن مقدّم نشرة الأخبار عن الكارثة بنبرة مرتبكة، لكن لا يبدو لي الأمر حقيقيًا لأن مشهد الانهيار غير معروض. كان مجمع **سامبونج**[1] التجاري في **سيوتشو-دونغ** في **جانجنام** في سول جنوب نهر الهان. بينما تأخذ أسماء الضحايا والمصابين في الظهور على الشاشة،

---

(1) انهيار مجمّع مقاطعة سامبونج التجاري 1995: يعتبر أسوأ حادثة في تاريخ كوريا الجنوبية بعيدًا عن الحروب، حيث أودى بحياة 502 شخص، وجرح ما يقرب من الألف.

يداهمني القلق فأنهي المكالمة لأهاتف أخي الأكبر الذي يعيش في **جانجنام** لأتفقّده أيضًا. ظهرت مشاهد حية من موقع الانهيار على الهواء مباشرة فيُشَل تفكيري. كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ كانت أشبه بساحة معركة. ظننت أن المقصود بالانهيار هو أن جانبًا من المبنى قد تهدّم، لكن لا، كان المبنى ذو الخمسة طوابق بالإضافة إلى ثلاثة مستويات تحت الأرض قد انهار عن بكرة أبيه، كما لو كان قد خضع لعملية هدم مخطّط لها بعناية. بدا كأن المبنى لم يكن موجودًا أبدًا في هذا الموقع. كانت الشوارع مكدَّسة بأشلاء من جراء الانهيار، وأناس يُحمَلون خارج الأنقاض، تغطيهم الدماء. أصوات صرخات. فوضى عارمة. انمحت أفكاري. يقول شهود عيان تمكّنوا من الخروج من المبنى إنهم سمعوا دوي انفجار قبل الانهيار. انفجار؟ هجوم إرهابي؟ لأنه كان مجمّعًا تجاريًّا يعج دائمًا بالناس، مجمّع فخم يقع وسط مبانٍ سكنية وشركات مرموقة في **جانجنام**، لم يخطر ببالي أبدًا أن خطأ في البناء أو إجراءات الأمان قد تكون السبب. بات المشهد أكثر رُعبًا مع مرور الوقت. بشر مدفونون تحت أنقاض مبنى ذي خمسة طوابق. خمسة طوابق فوق الأرض وثلاثة تحتها. يتصاعد دخان كثيف من الغازات السّامّة في الهواء. تذكر الأخبار أنه بالإضافة إلى الناجين العالقين بالداخل، هنالك مخاطر انفجار غاز سام أو انهيار ما تبقى من المبنى، وهو ما ترك كاميرات الأخبار في حالة ترقب.

حدث الانفجار في حوالى الساعة السادسة مساء. الطابق الأرضي (القبو) كان مخصّصًا بشكل أساسي لقسم بيع الأطعمة، لذا كان معظم العالقين في القبو -أصعب من يمكن لرجال الإنقاذ الوصول إليهم- هنّ ربات البيوت اللاتي كنا يشترين البقالة اللازمة لإعداد العشاء. تواصلت التقارير الإخبارية.

... عُثر على الكثير من الأطفال موتى في قسم ملابس الأطفال في الطابق الأرضي.

... هنالك حوالى خمسين شخصًا عالقين الآن في مطعم الطابق الأرضي.

... عُثر على ساق امرأة يسرى مبتورة ونُقِلت إلى المستشفى. إذا عثروا على الشخص المبتورة منه هذه الساق خلال فترة قصيرة فسيتمكّنون من إعادة ربط الساق...

***

يأتي عيد ميلاد أخي الأكبر في يوم سبت. تصل أمي من **جيونغيوب**.

أمشي إلى موقف الحافلات بعد المدرسة، عندما تناديني ابنة خالي وهي تلهث. منذ انتقلت إلى يونجسان، لم نعد نستقل الحافلة ذاتها. بعد انتهاء الحصّة، تستقلّ معظم الطالبات حافلة الليل العائدة إلى المجمّع الصناعي في **سينجيل-دونغ** في مقاطعة **يونجدونجبو**، لكن تسير ابنة خالي في الاتجاه المعاكس لتلحق بالحافلة التي تحملها إلى خارج **يونجدونجبو**.

«هل تتمرنين من أجل سباق جري أو شيء من هذا القبيل؟ انظري كيف تسيرين بسرعة! ألم تسمعيني أناديكِ؟».

«تناديينى؟».

«ماذا؟ تسألين حقًا إذا كنتُ قد ناديتُك؟ كان شخص أصمّ ليسمعني حتى».

«آسفة. لقد وصلت أمي غالبًا لهذا أسير بسرعة».

«عمتي؟».

«نعم.».

«إذًا، هيا، دعينا نواصل السير».

«ستأتين أيضًا؟».

«بالطبع، إنه عيد ميلاد أوبا، أليس كذلك؟».

«ظننتك نسيتِ ذلك؟».

«ماذا تعنين بـ«نسيت»؟ هل أعددتِ له حساء الكيم (نوع من الأعشاب البحرية) على الفطور؟».

«لا يحب أخي الأكبر حساء الكيم، أتتذكرين؟».

«أجل، ذلك صحيح. ولا يتناول براعم الفاصوليا أيضًا. لماذا؟».

«لقد ذهب في رحلة مدرسية في المرحلة السادسة وشاهد في ذلك المطعم إحدى الطاهيات تخطو بحذائها داخل قدر ضخم لتقلب براعم الفاصوليا بجاروف.».

«جاروف؟».

«أجل.».

«ما كمية براعم الفاصوليا الهائلة تلك التي تحتاج إلى استخدام جاروف لتقليبها؟!».

«أعرف!».

«لكن مضى على ذلك وقت طويل جدًا. ألا يزال يمتنع عن تناولها بسبب ذلك؟».

«إنك ما زلت لا تعرفينه جيدًا بعد كل هذا الوقت؟ هل سيتناولها مرة أخرى بعد أن شاهد بأم عينيه شخصًا يقف داخل قِدر مليء بها بحذائه ومعه جاروف؟».

«وماذا عن حساء الكيم، لماذا لا يأكله؟».

«ذلك لا أعرفه. ربما خطا شخص ما داخل قدر حساء كيم بحذائه ليسكبه؟!».

أنفجر وابنة خالي ضاحكتين. أخي الأكبر الذي لم يكن يتناول حساء الكيم ولا براعم الفاصوليا ولا التوفو، فيرغمنا ذلك على عدم شراء الكيم الجاف وبراعم الفاصوليا والتوفو بسبب ذلك. كنتُ وابنة خالي بعد أن تبقت لنا خيارات محدودة للاختيار منها كي لا نزعج أخي الأكبر، نتوقّف مليًّا أمام الباعة الذين يبيعون السبانخ أو سمك الماكريل.

أخطو إلى الزقاق برفقة ابنة خالي لأول مرة منذ فترة. بعد أن نعبر أمام لافتة النُزل، يُظلم الزقاق. في العادة كان نور مصباح المتجر في الزاوية يُبقِي الزقاق مضاء بعد منتصف الليل.

«لا يزال المتجر يغلق مبكرًا جدًا؟».

«الجدّة مالكة المتجر مريضة».

بعد أن نتجاوز عمود الطاقة ثم المتجر، تحدّق ابنة خالي إلى المقعد الخالي خارجه.

«لا أخبار عن ابنها؟».

«لا».

لم يعد مالك المتجر الذي كان يصنع تماثيل مريم العذراء من الفخّار. كانت الجدّة التي لم تصلها أي أخبار منذ أن قبض على ابنها أولئك الرجال الذين اقتحموا الزقاق في منتصف تلك الليلة، تمسك بتلابيب أي شخص في محطة قطار الأنفاق وتسأله عن ابنها.

«انظر إليّ الآن، رجاء أخبرني أين ولدي، ذلك كل ما أحتاج لمعرفته. أنا أموت هنا، كما لو أن أحشائي تحترق».

يقف العابرون في حيرة، وقد تشبّثت الجدّة بذراعهم. ذات يوم شاهدتها تتشبّث بذراع أخي الأكبر.

«تبدو كرجل متعلّم، لذا لا بد أنك تعرف. لقد اقترف إثمًا في الماضي، لكن انقضى الأمر وصار رجلًا صالحًا. قضى فترة عقوبته، ودفع جسده ثمن كل الخطايا التي ارتكبها. لماذا يجرّوه في منتصف الليل، لماذا لا يرسلونه إلى القرية وحسب؟».

بينما تتحدّث بلهجة شمالية غليظة، تخلع الجدة خاتمًا مزدوجًا عائليًا وتناوله إلى أخي الأكبر.

«إنه من الذهب، عشرون دون [1] على الأقل... سوف أعطيه لك، كل ما أحتاجه منك هو أن تخبرني الآن إذا كان ميتًا أم حيًا، وإذا كان حيًا، فأين هو، هذا كل شيء، أتسمعني؟».

لا يملك أخي الأكبر شيئًا ليقوله.

---

(1) وحدة كورية تقليدية لقياس المعادن.

«مهما كان الإثم الذي اقترفه، فقد بات ماضيًا الآن. لقد دفع جسده ثمن كل الخطايا التي ارتكبها... لهذا لم يكن يمتلك زوجة ولا أطفال في سنّه هذه. ما الأمل الذي يمكنني أن أمتلكه في سنّي الهرم هذا. ربما يكون عديم القيمة في هذا العالم، لكنه الابن الوحيد الذي حظيت به. هناك في الشمال، كانت حياتي حياة مُحترمة. زوج وخمسة أطفال. لكن ماتوا جميعًا في الحرب إلا هو... نجاته وقتها لم تكن منطقية لكن الآن بعد كل هذا الوقت فإن الشيء غير المنطقي هو عدم معرفتي إذا كان ميتًا أم حيًا».

«أنا مثلك لا أعرف شيئًا يا سيدتي. كل ما يمكننا فعله هو الانتظار».

«تقول لي أن انتظر بعد أن مرّ كل هذا الوقت... لو كان لا يزال حيًّا، لكان قد أرسل إليّ ليطمئنني، أليس كذلك؟ سمعت أنك كنت تعمل في الحكومة، إذًا كيف لا تعرف؟ خاتمي ليس كافيًا، أليس كذلك؟».

«رجاء يا جدتي!».

تقذف الجدة خاتمها المزدوج الذي كانت تحاول إعطاءه إلى أخي الأكبر، على الأرض بعنف.

«ما الخير في هذا كله... فليخبرني أحدكم فقط ماذا حدث لابني!».

لم يعد متجر الجدة يخزّن صابون الغسيل ولا مناديل الحمام ولا حتى مقرمشات ساندو. تجلس الجدّة على مقعدها فقط خارج المتجر، وعيناها مثبتتان على الزقاق. عندما يطلب عمال المصانع الشبان شراء السجائر، تقول لهم: «خذوها». من دون أن تتأكّد إذا كانوا قد دفعوا المبلغ الصحيح. تجلس هناك وحسب في البقعة نفسها حيث كان ابنها المختفي يفتح المتجر عند بزوغ الفجر، حيث يضع صندوقًا من التوفو الطازج أو يحمل دلوًا مليئًا ببراعم الفاصولياء.

***

انظروا ماذا فعلت أمي. لقد حبست داخل مطبخ الحجرة المنفردة، ديكًا له عُرف أحمر منتصب وريش قرمزي أملس. الطائر الذي رُبِطت قدماه بحبل من القش وغُطِي بلفافة قماش زرقاء، يثور في فزع بينما نفتح أنا وابنة

خالي باب المطبخ على مصراعيه ونهتف: «أمي! عمّتي!». كنا عاجزتين عن الدخول إلى المطبخ، حقيبتا المدرسة لا تزالان بين أيدينا. نقف هناك متسمّرتين في مكاننا نحدّق إلى الديك، متجاهلتين أمي وابتسامتها العريضة.

«ماذا يفعل الديك هنا؟».

كان الديك في ثورة عارمة. الطريقة التي يحملق بها في وجهي ويزعق، تجعله يبدو وكأنه سيقرص ساقيَّ في اللحظة التي ينفك فيها الحبل.

«أحضرت ديكًا حيًّا يا أمي؟».

«هل الديك كل ما ترينه وليس أمكِ؟».

تقودنا أمي خارج المطبخ إلى داخل الحجرة لنجهِّز المائدة لتناول عشاء متأخر. لم يعد المصنع يقدّم العشاء للعاملات اللاتي يذهبن إلى المدرسة. انقضضنا على الطعام بعد أن عدنا إلى البيت بمعدة فارغة. عندما يعود أخي الأكبر ويلمح الديك من خارج باب المطبخ، يُصعق بدوره.

«ما هذا؟».

ترفع أمي عينيها إلى حيث يقف، «ماذا دهاكم جميعًا؟ كل ما يلفت انتباهكم هو الديك لا أنا!».

حينها فقط تملأ وجه أخي الأكبر ابتسامة حنونة تجاه أمي. وجدنا صعوبة في النوم وديك أمي يقرقر في المطبخ. يقول أخي الأكبر وهو يتقلّب في نومه كلما نعق الديك: «ذلك الديك اللعين!».

يبدو أن المدينة مكانٌ غريبٌ بالنسبة للديك أيضًا. لم يؤثر أي من هذا في أمي التي كانت تشخر بسلام، كما لو أن اهتياج الديك موسيقى لأذنيها. بعد أن تقلّب أخي الأكبر في مرقده عدة مرات، تنقر ابنة خالي على ظهري.

«ما الأمر؟».

«هيا، اتبعيني».

«أنا نعسانة جدًا».

«هيا!».

مكتبة
t.me/t_pdf

تحمل ابنة خالي الديك وأجنحته المرفرفة بين ذراعيها وتخرج من المطبخ. «إلى أين تذهبين؟».

تخطو ابنة خالي بحذر كما لو كانت سارقة دجاج. أتبعها، محاولة أن أسير بحذر مثلها. كانت وجهة ابنة خالي التي حملت الديك الملفوف بقماشة وقدماه مربوطتان، هي السطح. بمجرد أن نصل إلى هناك، تلقي ابنة خالي الديك فوق السطح. ينعق الديك بصوتٍ عالٍ في الظلام.

«دعينا نعود إلى أسفل».

«ماذا عن الديك؟».

«هنا أفضل له مقارنة بالمطبخ الضيّق. كما يجب أن نحظى ببعض النوم».

عندما أنظر إلى الديك بتردّد، تفك ابنة خالي اللفة لتحرّره.

«سيساعده ذلك على التنفس».

بعد أن نربط الديك بعمود الغسيل باستخدام الحبل في قدمه، نهبط إلى الحجرة.

في الصباح التالي، تخبر أمي أخي الأكبر: «فلتذبح أنت الديك».

«لكني لم أقم بذلك من قبل أبدًا يا أمي».

«حسنًا، لم أقم بذلك أنا أيضًا».

«إذًا لماذا جلبتِ معكِ ديكًا حيًا؟».

«أردت أن أطعمك لحمًا طازجًا».

«حسنًا، لا أستطيع ذبحه».

«هل أطلب منك ذبح بقرة أو خنزير؟ أنت رجل، وتخبرني أنك لا تستطيع أن تذبح حتى ذلك الديك الصغير؟ لقد شاهدت أباك يفعلها مئة مرة، أليس كذلك؟».

«لا يعني ذلك أنني أستطيع فعل هذا. لا أستطيع».

«لم أحسن تنشئتك!».

محبَطة من أخي الأكبر، تلتفت أمي إلى ابنة خالي، «لا أستطيع فعلها يا عمتي!».

تقفز ابنة خالي وهي تلوّح بيديها.

كنت متعجّبة من رؤية أمي في حيرة من أمرها حيال ديكٍ حيٍّ. اكتشفت أخيرًا أن ثمة أشياء لا تستطيع أمي فعلها.

كان أبي مَنْ يذبح الدجاج دائمًا. تضع أمي قِدرًا كبيرًا فوق الموقد في الفناء الخلفي، وأشرع وأختي الصغرى في تقطيع الثوم. أقول لأخي الأصغر، يمكنك أن تريح رأسك على ركبتي وتأخذ قيلولة صغيرة يا أخي الأصغر. إذا أنزلت رأسك على الأرض، جد طريقك إلى حضني من جديد واحظ بمزيد من النوم. سينادي أبي عليك من الفناء عندما يفرغ من طهو الدجاج.

«اجلبي لي الماء عندما يبدأ في الغليان». تصب أمي الماء المغلي داخل الدلو. «احترسي الآن».

ترقد ثلاث دجاجات مذبوحة بجوار أبي، رقابها ملتوية. ينقع أبي الدجاج في الماء المغليّ وينتف الريش. كان أخي الأصغر قد تبعني إلى الخارج إلى الفناء خلسة، ويقف إلى جانب أبي. عندما ينتهي من نتف الريش، يُخرج أعواد الثقاب من جيبه ويحرق الريش. تنتشر الرائحة النتنة الطازجة في أنحاء الفناء.

يمكن لأمي طبخ العديد من الأطباق بلحم الدجاج. تعدّ يخنة الدجاج الحارة وقد حشتها بقطع البطاطس، أو تقطع لحم الدجاج إلى قطع وتجففها من أجل القلي، أو تقطع لحم الدجاج المسلوق إلى شرائح تُقدّمها باردة مع الخضراوات... منذ انتقالي إلى المدينة، أضحت أمي تكدّس طبقي بأكوام من الأصناف التي تكون قد طبختها كلما زرت القرية.

اليوم تملأ عصيدة الدجاج المطهوّة مع الثوم والأرز الطبق أمامي. عندما تجد ورك دجاجة في مغرفتها بينما تقدّم العصيدة، تضيفه إلى طبقي.

«تناولي كل أكلكِ قبل أن يبرد».

يلتقط أخي الأصغر فخذ دجاجة من طبقه ويضعه في طبقي مُقلِّدًا كلمات أمي.

«تناولي كل أكلكِ قبل أن يبرد».

تطرق أختي الصغرى على رأسه بمفاصل أصابعها قائلة: «أيها الوغد الصغير».

الطعام. كانت طريقة أمي لرفع روحها المعنوية وروح من حولها هي طهو الطعام في المطبخ العتيق في المنزل. كلما واجهت العائلة كربًا عظيمًا، تخطو أمي إلى داخل مطبخها العتيق الطراز.

رجال البيت. أبي الذي تحبّه لكن تجد أحيانًا صعوبة في فهمه، وأولادها الذين أضحوا رجالًا بالغين - كلما أحبطوها، كانت تدخل إلى المطبخ، خطواتها واهنة. فعلت ذلك أيضًا عندما صُدمت من ابنتها التي صاحت في وجهها، «لا تعرفين أي شيء!». عند فتحة الوقود داخل الفرن، أو بجوار الرف حيث وُضعت الأطباق مقلوبة أو في أي ركن آخر داخل المطبخ العتيق الطراز في ذلك البيت، كان ذلك هو المكان الوحيد حيث تتمكّن أمي من تحمّل الحزن الذي يغزو قلبها. هناك سوف تستعيد شجاعتها كما لو أن روح المطبخ سوف تبث طاقة جديدة فيها. عندما تبتهج أو يؤلمها قلبها أو يرحل أحدهم أو يعود، تطهو أمي الطعام، وتجهز المائدة وتُجلس العائلة حولها، وتدفع الطبق المليء بالطعام أمام الشخص الذي سيغادر أو الذي عاد، ولا تكف عن قولها: «تناول المزيد. جرّب بعضًا من هذا. تناول الطعام قبل أن يبرد. خذ بعضًا من ذلك أيضًا».

نربط أنا وأمي وابنة خالي الديك فوق السطح ونلفّه في حزمة، ونحمله عبر المعبر الفوقي، إلى بائع الدجاج في السوق لنطلب منه ذبح الديك من أجلنا. يبدو أن السوق غير مفتوح. متجر بائع الدجاج مغلق، وكذلك متجر بائع السمك، وبائع الخضراوات ومقصف الوجبات الخفيفة الذي أذهب وابنة خالي إليه كثيرًا. نتمكّن فقط من شراء سمكتي ماكريل مملحتين من بائع متجول، وكذلك قِدر بخاري مصنوع من النيكل لنعد كعك الأرز.

أمي محبطة لأنها رغبت في طهو شيء مميّز لأخي الأكبر. بينما تعيد ربط الديك فوق السطح، تخبرنا أمي: «يجب أن أعود على متن قطار الليل، لذا بمجرد أن يتاح لكما الوقت، أريدكما أن تأخذا الديك إلى البائع في السوق وتطلبا منه ذبحه وغليه ببطء كي تأكلاه وأخوكما الأكبر.».

تستطرد: «لقد أحضرت الكثير من الثوم، مُقشّر ومُنظّف، لذا عندما تذبحان الديك، احشوَا معدته بالثوم واطهواه على نار هادئة، ثم انقعا صحنًا من الأرز واحشواه بداخله أيضًا، ثم واصلا طهوه على نار هادئة».

«حسنًا».

«إنه ديكٌ من سلالة محلّية وتربّى في القرية، ويختلف عن الأنواع التي تشترونها من السوق. لقد أطعمته جيدًا. لذا افعلا كما قلت لكما، حسنًا؟»:

«حسنًا».

من دون أي خيار آخر، تستسلم أمي للأمر الواقع، وتعِدّ عشاء عيد ميلاد أخي الأكبر بمكونات أخرى أحضرَتها معها. تقشر البازلاء لطهوها بالبخار مع الأرز. تقطع الفجل على هيئة مكعّبات، وتشوي سمك الماكريل. تطهو الفاصولياء الحمراء بالبخار لتعد كعكًا دبقًا بدقيق الأرز الذي طحنته. تعد الكيمتشي. تجهز لفائف الكيمتشي بالفجل والملفوف الذي أحضرته معها من القرية. تقطع الكوسى التي قطفتها من رقعة الخضراوات الخاصة بنا على هيئة مكعَّبات صغيرة، لتطهو حساء معجون الفاصوليا، وتعدّ سلّة فيها كمية من الفلفل الأخضر والخيار الصغير وأوراق البيريلا وأوراق الفجل الأخضر والملفوف الأصفر لتصنع منها لفائف بالأرز. تطهو أيضًا بعض البازلاء الخضراء داخل قرناتها (أغلفتها). عندما تنتهي من صنع كعك الأرز، تضع القِدر البخاري فوق المائدة وصحنًا كبيرًا من الماء بجواره. تغرس الشموع داخل كعك الأرز وتشعلها. هذا ما تفعله في منزل القرية، تطهو كعك الأرز وتقدّم قربانًا من الماء الصافي النقي وتشعل الشموع حتى حين يحتفل فرد من العائلة بعيد ميلاده بعيدًا عن المنزل.

تقدم ابنة خالي هدية إلى أخي الأكبر، قميصًا أبيض بزرٍّ في ياقته. «سوف تنتهي خدمتك العسكرية قريبًا. وحينها ستستطيع ارتداءه».

تحمل مائدة العشاء التي أعدّتها أمي عبق البيت. الروائح من جحر الأرانب، وحظيرة الخنازير والأرضية الخشبية للشرفة في منتصف اليوم وقد تلطخت بفضلات الدجاج، وشذا الورود قرب الجدول. معجون الفلفل الحار الممزوج بالثوم والفلفل الأخضر المقطّع يحمل رائحة رقعة الخضراوات الخاصّة بأمي، وركن أمي الخاصّ في الحديقة خلف شرفة أواني الصلصات الفخارية. تمتزج الظلال الشاحبة لأفراد عائلتنا بداخل روائح البيت. كمُّ أخي الأصغر الملطخ بمخاط أنفه، وأبي يشوي اللحم المنقوع في الخل فوق الشواية، وإخوتي الكبار وهم يحاولون إطالة قلمي الرصاص الضئيل بوضعه داخل قصبة قلم جاف. ورفرفة شعر أختي الصغرى القصير وهي تناديني: «أوني!». أتذكّر وجود سقيفة في البيت لتعليق أدوات الزراعة. هناك تُعلق على الجدار مناجل ومجارف ومعاول ومذارٍ تفوح منها روائح التربة. المذراة. يجتاحني إحساس مفاجئ بالألم. أتوقّفُ عن أخذ ملعقة من حساء معجون الفاصولياء وأتحسّس باطن قدمي.

أتذكّر، أن ثمة بئرًا في البيت. وأتذكّر فتاة في السادسة عشرة حملت من السقيفة المذراة التي جرحت بها قدمها وتوجّهت إلى البئر، تسحب قدمها الملفوفة بروث البقر، لتلقي المذراة عميقًا بداخلها.

***

كانت ابنة خالي أول من يغادر بعد الظهر، وقد أخذت بعضًا من كعك الأرز معها من أجل أختها. قرب وقت العشاء تحزم أمي لفافاتها وحقائبها الفارغة وتغادر كي تعود إلى القرية. يذهب أخي ليودّعها عند محطة **يونجدونجبو**. بينما تمشي لتخرج من الزقاق كي تلحق بقطار الأنفاق المتّجه إلى محطة سول، تحثّني على أن آخذ الديك إلى البائع في السوق وأطلب منه أن يذبحه كي أتناوله مع أخي الأكبر.

«سمعتِني؟».

« أجل».

بعد رحيل أمي، يبدو المطبخ، في الحجرة المنفردة، الذي كانت تفوح منه رائحة القرية، مُوحِشًا. تمتلئ عيناي بالدموع بينما أجلس وحدي عند عتبته. أحمل بعضًا من كعك الأرز إلى حجرة هِي-جاي لكن الباب مقفول. أنظِّف خزانة المطبخ وأنقع الصحون والمعالق ولوح التقطيع والسكاكين والقدور بماء رائق. عندما أعيد كل شيء إلى مكانه، لا يتبقى سوى القِدر البخاري الفضي المصنوع من النيكل الذي استخدمناه لإعداد كعك الأرز، خاليًا وساكنًا. يبدو القدر البخاري اللامع وكأنه لا ينتمي إلى هذا المطبخ. أنقع القدر في الماء ثم أجفّفه بقماشة وأضعه فوق الرف.

أصعد إلى السطح حاملة صحنًا صغيرًا من الماء. كان الديك يرقد منهكًا للغاية. أضع الصحن قرب منقاره. لا بد أنه عطشان. أشعر بالأسف نحو الطائر الذي يندفع كي يشرب من الصحن، متخبّط الخطوات. أهبط لأُحضر حفنة من الأرز وأبعثر الحبوب أمام الديك.

أترك الديك فوق السطح بدلًا من أن أحمله إلى بائع الدجاج في السوق. تراقبني هِي-جاي بينما أدير الطست المطاطي الكبير الذي كان مقلوبًا فوق السطح كي أرى إذا كان يستطيع الديك الحركة بداخله بحريّة.

«كيف يمكنك أن تربي ديكًا داخل طست مطاطي؟ هل ستضعين غطاء فوقه طوال الوقت؟».

«ماذا يجب أن أفعل؟».

«لدينا لوح خشب ضخم في المتجر لا نحتاج إليه. هل أسأله أن يحضره ويضعه في الأعلى هناك».

تشير إلى ركن قرب الدرابزين.

«لوح خشب؟».

«سوف يبلّله المطر لو تركتِه هنا هكذا».

أصعد إلى السطح في اليوم التالي لأجد لوح الخشب مثبتًا فوق

الدرابزين، يتحرّك الديك تحته. استبدل حبل القش حول قدميه بحبل طويل محاك بخيوط صفراء وبنفسجية، يمتد فوق اللوح عبر ثقب. بفضل الحبل الجديد، يستطيع الديك الآن الحركة في الأرجاء تحت اللوح بحرية.

أفكّر في الديك تحت اللوح فوق السطح من وقت إلى آخر بينما أنا في العمل والمدرسة. أبتهج حين أحمل له الماء والطعام. وحينما أخطو فوق آخر مجموعة من الدرجات المؤدّية إلى السطح، أضحى الديك يقرقر كما لو كان قد تعرّف عليّ.

منذ أن احتفظت بالديك فوق شرفة السطح، أصبحت أصادف رجل **هِي-جاي** هناك كثيرًا. يبدو أن الديك يتعرّف على خطوات أقدامه أيضًا. يعزف الرجل على الهارمونيكا خاصته من أجل الديك. أحيانًا تكون **هِي-جاي** إلى جانبه حين يعزف، وجهها مستريح في حضنه.

ذات يوم أجد إلى جانب قفص الديك المؤقت، أصيصًا مصنوعًا من البلاستيك. بداخله شجيرات محشورة معًا، تنمو فوقها زهور قرمزية. ثم ذات يوم أجد بجانب الأصيص، صندوق تفاح ضخم ممتلئ بالتربة. عندما أسأل **هِي-جاي** عنه، تخبرني أن الرجل قد غرس بذور خس بداخله. ثم بعد عدة أيام بدأت أوراق خس خضراء تبرز خارج التربة، تجاه الديك. بدا أنهما قد قرّرا أن يبنيا بيتًا صغيرًا فوق السطح. أحيانًا يفردان حصيرة بامبو ويأخذان قيلولة بجانب قفص الديك، وأصيص الزهور والرقعة المزروعة بالخس.

ذات مرة أصعد إلى السطح، أحمل طعامًا للديك، لأجد الرجل هناك. كان يغمغم بشيء ما للديك بينما يطعمه. أعرف كيف يبدو الأمر محرجًا حين يلمحني أحدهم وأنا أحدّث نفسي. أحيانًا أتكلّم بصوت مسموع بما أرغب في قوله إلى **تشانغ** البعيد جدًا عني، لكن أشعر بأن أحدهم قد سمعني، فأطيل في نطق مقاطع الكلمات لأحولها إلى غناء. أراه يتحدّث إلى الديك، ظهره إليّ، ثم يستدير ويهبط إلى أسفل.

لقد غدا الديك ملكهما. ذلك ما حدث. من دون أن تعي أمي ذلك، أهدتهما هدية كبيرة.

***

أتلقى رسالة من **تشانغ**، الذي غدا الآن طالبًا جامعيًا. تتضمّن الرسالة تعبير «بطاقة المكتبة». يذكر أنه قد اطلع على كتاب «مقدمة في علم الجماليات» بفضل بطاقة المكتبة. يخبرني أنه يكتب الرسالة وهو يسندها فوق الكتاب. حيَّرني تعبير «بطاقة المكتبة» الذي كنت أسمعه لأول مرة. وقفت متسمّرة في مكاني مستندة إلى بوابة المنزل ذي السبع وثلاثين حجرة لوقت طويل. أحدّق مليًا في عنوان **تشانغ** الجديد فوق المظروف، «سكن طلاب السنة الجامعية الأولى - كلية الفنون».

نرحل جميعًا عن مكان ولادتنا، كي ننضج. يبدو أن **تشانغ** أيضًا قد رحل عن القرية حيث ترعرعنا كي يلتحق بالجامعة. عندما أفكر أن **تشانغ** لم يعد هناك بعد الآن، تنطفئ أضواء القرية كلّها في اللحظة ذاتها أمام عينيَّ.

***

أخبرتني امرأة التقيتها اليوم أن مكان مولدها هو إقليم **نينجان** في مقاطعة **هيلونغجيانغ** في الصين. اسمها **كيم يونج-أوك**. نُشِر كتابها في كوريا تحت عنوان: امرأة مجنونة. النبذة عنها ككاتبة في بداية الكتاب كالآتي:

> ولدت كيم **يونج-أوك** سنة 1971 في إقليم **نينجان** في مقاطعة **هيلونغجيانغ** في الصين. حازت على الجائزة الأولى في المسابقة الكورية الوطنية لكتابة الأطفال في عمر الحادية عشرة وهي في المرحلة الرابعة من المدرسة الابتدائية، مكتسبة سمعة كمعجزة أدبية، وكاتبة عبقرية. في سن الخامسة عشرة، في السنة الثالثة من المدرسة المتوسطة، اختيرت كواحدة ضمن قائمة عباقرة الصين الصغار الاثني عشر من قبل صحيفة **هاينان** اليومية ذات التأثير الكبير، وفي سن السابعة عشرة، اختيرت من قبل الحكومة ضمن نجوم الصين الشبّان وسط دهشة الشعب

الصيني الذي يقدر بمليار ومئتي مليون مواطنٍ. كانت الوحيدة الكورية العرق في القائمة، وهو ما كان مصدرَ فخر للكوريين. بعد تخرّجها من المدرسة المتوسّطة، التحقت مباشرة بكلية اللغة الكورية والدراسات الكورية في جامعة **يانبيان**، وبعد أن حصلت على درجة البكالوريوس، عملت كمحرّرة تغطي أخبار الفنون والأدب في جريدة **يانبيان** اليومية. في أبريل 1994، بدأت دراسات الماجستير في أكاديمية الدراسات الكورية في كوريا. كنيتها هو **دالليو** أي امرأة لا تتوقف عن الحركة.

كنت أوقّع على كتبي في متجر كتب **كيوبو** بعد أن ألقيت كلمة منذ عدة أيام حين رأيتها، هذه المرأة التي تُلقب بـ«دالليو» تقف أمامي مع صحافي أتذكّر أنني قابلته من قبل. لها شعر قصير وترتدي سترة صوف فوق تنورة ضيقة. قالت لي وهي تناولني نسختها من كتابي، «يسرّني لو ألتقينا في وقت ما».

تقابلنا بعد أربعة أيام. ذهبنا لتناول **الماندو**[1] في **سونجونج-دونغ**. بعد أن احتسينا الشاي في مركز إعلام سول، غادر الصحافي الذي يرافقها. اقترحت أن نذهب إلى متجر كتب **كيوبو** لأحصل على نسخة من كتابها. كانت خجولة فقلت: «لقد قرأتِ أعمالي لكني لا أعرف أي شيء عنكِ على الإطلاق، وهو ما يجعلني أشعر بعدم الارتياح».

حصلنا على الكتاب ثم تمشّينا حتى **إنسا-دونغ**. جلسنا في ركن داخل مقهى شاي يدعى **فولجا**، حيث طلبت منها أن توقّع لي على كتابها.

قالت إنها تعيش في كوريا منذ عام ونصف العام الآن. أسألها إذا كان هنالك أي شيء غريب أو غير مريح بخصوص الحياة هنا، فتقول إنها لا تشعر كذلك على الإطلاق. إنها لم تشعر أبدًا أنها كانت في بلد آخر. إن

---

(1) الماندو: من الأكلات الكورية المشهورة حيث تحشا عجينة الماندو بالخضراوات و/ أو اللحم ويطهى على البخار أو يسلق أو يقلى.

ذلك ربما بسبب عدم وجود أي شيء غير مألوف سواء تعلق ذلك بالطعام أو الأزياء. كان لديها الاختيار بين الدراسة في اليابان أو كوريا، وأنها ممتنّة حقًا أنها قد أتت في النهاية إلى كوريا. تطرّق حديثنا بشكل عفوي إلي انهيار مجمع **سامبونج** التجاري. إنها مصدومة، قالت. فكرت أن ذلك طبيعي لكنها شرحت أن الانهيار ليس ما صدمها، لكن حقيقة أن مشهد الكارثة بالكامل قد عُرض للعامة، وحقيقة أن الناس قد عبرت عن غضبها.

شُلَّ تفكيري للحظة. استطردت: «لو حدث شيء كذلك في الصين، ما كانوا ليذيعوه».

«...».

«مشاهدة الكوريين يعبّرون عن غضبهم، جعلني أشعر بأن ثمة أملًا. لا يهتم الصينيون حتى لو حدث أمر ما بالقرب منهم. حتى لو تعرّضت امرأة حامل للتحرّش في وضح النهار في وسط الشارع، سيقف الناس ببساطة من حولها ويتفرّجون. قد يستمر الأمر لثلاث ساعات ولن يوقف أحد المتحرّشين. أمر لا يمكن تصوّره هنا في هذا البلد».

«...».

«ذات مرة سقطت امرأة في النهر في مقاطعة **هيلونغجيانغ** حيث وُلدتُ. لم يقفز شخص واحد في الماء ليحاول إنقاذها قبل أن تصل عائلتها. وقف الجميع هناك، أذرعهم معقودة، يشاهدون المرأة تتخبط بينما تغرق. عندما وصلت العائلة، وعرضت المال كي يقوم أحدهم بإنقاذها، بدأ الناس يتفاوضون على المبلغ الذي سوف يدفعونه. ماتت المرأة أثناء ذلك».

«...».

«هكذا تجري الأمور في الصين الآن. لا أحد يعبأ إذا كان شخص ما يحتضر أمامه. يزداد اهتمام الناس بالمال فقط. لم يكن يفترض للانهيار أن يحدث، لكن مشاهدة الناس يظهرون اهتمامهم ويعبّرون عن غضبهم، أشعرني أن ثمة أملًا ما في الناس هنا».

دافعت بعناد عن ذوي الأصل الكوري الذين يعيشون في الصين.

تقول إن الكوريين لا يطمسون لونهم الأصلي أينما عاشوا. سواء أكانوا في اليابان أو أستراليا أو صقلية، يشكّل الكوريون المغتربون بلدات كورية. تقول إنه مهما مرّ من الزمن، سيبقى الكوريون كوريين، لا يمكن أن يصبحوا صينيين.

«هل تعرفين كم أنتِ محظوظة؟ تحمل كتابتك عاطفة وروح الكوريين من دون تلطيخ. شيء لا يمكنني امتلاكه أبدًا. لقد ولدت ككورية في الصين. منذ البداية كان وطني الأم بعيدًا جدًا. عندما أقرأ رواياتكِ، يمكنني أن أحسّ برائحة قوية لشخص ترعرع في هذه الأرض، سواء كنت تكتبين عن الموت أو العشق أو الفراق. إنه ليس شيئًا يمكنك أن تسعى لاكتسابه. لا تمتلكين أجدادًا لم يكن لديهم خيارٌ سوى مغادرة هذه الأرض، أليس كذلك؟ ليس لديك عائلة في الشمال مثلي؟».

أجدادي؟!

أرفع رأسي من فوق شاي التوت المنغولي **(أومجيا)** لأنظر إلى وجهها بينما تسألني عن أجدادي. لم يضطرّ أيٌّ من أجدادي إلى مغادرة هذه الأرض. أجدادي كانوا ذات يوم عشيرة نمَت وازدهرت وامتلكت الكثير للذَّوْد عنه. بوابتهم الشامخة انهارت بينما يكتسح الحكم الاستعماري والأوبئة والحرب كل شيء في طريقها، لكن بقي منهم أفراد طاعنون في السن حدّثوا شجرة العائلة. لسنوات وسنوات، صان أجدادي مقبرة العائلة هنا في الجنوب، ونمت حقول أرز العشيرة في الجوار. لم نمرّ بمعاناة الانفصال عن العائلة في الشمال. لم يبرح أجدادي أرضهم في الجنوب. لم أزر مدنًا مثل **سينويجو** ولا **هامهنغ**[1] إلا في الكتب، وغيرها الكثير من الأماكن الأخرى. لا يزال معظم أفراد عائلتي وأبناء عمومتي من الجيلين الأول والثاني يعيشون في المنطقة ذاتها. ولم ينتقلوا لأبعد من بلدات أو مدن قريبة مثل **جينجو**. لم يهاجر أي من أفراد عائلتي إلى أمريكا أو الصين.

---

(1) مدينتان في كوريا الشمالية.

هذه المدينة -سول- هي أبعد ما سافر إليه أيٌّ من أفراد عائلتي، وكان جيلنا من أقدمَ على ذلك.

أخبرتني: «أنتِ وأنا مختلفتان، تمامًا كاختلاف حقيقة أن عائلتكِ هنا على هذه الأرض في الجنوب، وعائلتي بعيدة على التراب الصيني حيث يعيشون بأرواح مُغتربة دائمًا. في الصين، أنا كورية العِرق، وهنا أنا شخص من مقاطعة **هيلّونغجيانغ**. لكن أنتِ كورية بالكامل، سواء أكنتِ في مقاطعة **هيلونغجيانغ** أو هنا. لهذا سوف تتمكّنين من التأقلم حيثما ذهبت».

عندما نفترق، تقلّد معصمي بإسوارة مطلية مُزخرفة قالت إنها جلبتها معها من الصين. تلمع الإسوارة الخضراء، مرصّعة بزخرفة ورقة شجر وزهرة، في ضوء الشمس. بدت حزينة لسبب ما. اقترحت أن نكرّر اللقاء في أغسطس. اقترحت أن نذهب معًا إلى جبل **جايا** ونزور معبد **هايين** هناك.

***

ذات يوم تطلب مني **يون سون**-إم أن أرافقها لنتفقّد زميلة لنا مريضة.

«من؟».

«الآنسة **لي**».

«أهي مريضة؟».

«هششش». ترفع **يون سون-إم** إصبعها أمام شفتيها. عندما أرمقها بنظرة فضول، تهمس في أذني: « يجب ألا تخبري أي أحد أننا سوف نذهب لزيارة الآنسة **لي**».

«لماذا؟».

تلتفت حولها وتضع إصبعها فوق شفتيها من جديد. أشعر ببرودة تجتاحني وأنا أراقب سلوكها الحذر. الربيع هنا لكن لا تظهر أزهار الليلك في بستان الزهور في فناء المصنع أيّ علامة على الازدهار.

نمر بمكتب الإدارة ونحصل على إذنٍ بالمغادرة مبكرًا. أعتقدت بأننا سوف نذهب إلى مستشفى، لكن تقودني **يون سون**-إم إلى حجرة الآنسة

لي المستأجَرة. بينما نجتاز مدخل المجمع الصناعي، ألقي نظرة طويلة على مركز التدريب المهني حيث مكثت حين أتيت إلى هنا أول مرة، كأن أحدهم يشدّني إلى هناك. هناك كان المعلم الذي كتب لنا على السبورة: «كم من الجميل أن تنظر من الوراء، إلى شخص يعرف جيدًا متى يجب عليه الرحيل». وهناك كانت أمي التي رافقتني إلى المدينة، حيث تركتني ثم استدارت مغادرة. وكان هناك أخي الأكبر يزورني كل أحد ويشتري المعجنات من أجلي وابنة خالي. لقد مرّت ثلاث سنوات منذ ذلك الوقت. لقد عملت بجد لكن لم يتغير أي شيء في تلك السنوات الثلاث. لا شيء سوى أنني بدأت المدرسة الثانوية وها أنا سأنتقل إلى السنة الثالثة. لا شيء سوى ندبة بيضاء فوق إبهامي خلّفها تناثر كتلة ساخنة من معجون اللحام بينما أتعلم مهارات اللحام في مركز التدريب المهني، وقد أضحت باهتة الآن.

لم يذب الجليد فوق منحدرات ضاحية **دوكسانجسونج** بعد. أنتعل حذاءً مسطحًا، لكن **يون سون-إم** تنتعل حذاء ذا كعب عالٍ. تبدو حذرة وهي تتسلّق طريق التل كما كانت، وهي تضع إصبعها فوق فمها في المصنع.

«ألا يجب أن نأخذ معنا بعض الكليمونتين؟».

نشتري بعضًا من برتقال الكليمونتين المعروض في ركن بعيد عن الأنظار في متجر صغير فوق المنحدر ثم نواصل طريقنا. ننعطف نحو سفح التل ثم نواصل صعودًا حتى نعبر زقاقًا تحده أنابيب الأفران.

« إنه هذا المنزل». **تشير يون سون-إم** إلى أحد المنازل، ربما الرابع في الزقاق. كانت بناية من طابق واحد. ندفع البوابة التي كانت مفتوحة، ونخطو إلى الداخل لنجد بابين، يحملان الرقمين 101 و102 على التوالي. يوجد نحو عشر حجرات بطول الممر، وهنالك صف من مواقد الطهو في الممر خارج الحجرات. وبجوار المواقد توجد قدور، ومصافٍ، وسلال بداخلها وضعت صحون مقلوبة لتجف... أدوات مطبخ من دون مطبخ

لتوضع فيه. نفتح أحد الأبواب وندخل. ترقد الآنسة لي على الأرض. تحاول الجلوس لكن يون سون-إم توقفها.

«لا بأس. ابقي كما أنتِ».

يبدو أنها لا تستطيع أن ترفع جسمها إلى أعلى حتى لو أرادت. ترقد من جديد، وجهها مجعّد.

«كيف حالكِ؟».

من دون أن تجيب على سؤال يون سون-إم، تعدّل الآنسة لي من تقطيب حاجبيها لتمنحني ابتسامة قائلة: «إنها أنت».

تقول يون سون-إم لي: «اجلسي». ثم تلتفت إلى الآنسة لي: «لقد قلتِ إنك اشتقتِ إليها فأحضرتها معي».

اشتاقت إليّ؟ أخفض رأسي وقد شعرت بالخجل. كنتُ دائمًا على الجانب المناقض لما تفعله الآنسة لي. عندما أضرب الاتحاد عن العمل في مناوبات الساعات الإضافية، ظللت في مكاني أمام الحزام الناقل. عندما سلّم الاتحاد شرائط كُتب عليها: «فلنطالب بحقوقنا» إلى العاملات، دسستها في جيبي ولم أضعها. لكن بالرغم من هذا كانت تشتاق إليّ؟

تسأل الآنسة لي يون سون-إم: «لا أخبار من رئيس الاتحاد؟».

تهز يون سون إم رأسها نفيًا.

«لا بد أنه لم يُعتقل بعد. لو اعتقلوه فسوف يرسلونه إلى مركز تدريب للتطهير الاجتماعي. لقد حصلت على تصنيف «د»، وأُطلق سراحي، لكن لا أعتقد أنهم سيفعلون الشيء نفسه مع الرئيس».

علت نظرة قلق وجه يون سون-إم.

«لا تقلقي كثيرًا. أنا متأكّدة أنك سوف تسمعين منه قريبًا».

مع كلمات الآنسة لي، تتفرّس يون سون-إم في وجهي. يون سون-إم ورئيس الاتحاد؟ الاثنان في علاقة؟

«هؤلاء السفاحون غير الآدميين، يقولون إن البلاد في مأزق بسبب الناس من أمثالي».

عندما تقول الآنسة **لي** ذلك بيأس، ترفع **يون سون-إم** البطانية عنها، تحتها، كانت ساقا الآنسة **لي** ملفوفتين بالجبس. الساقان اللتان كانتا تهرولان بنشاط في أنحاء المصنع.

«كيف حال كتفكِ؟».

«أحسن الآن».

«بحق السماء، ماذا فعلوا بكِ؟».

«لقد رَكلوني فوق السلالم المؤدية إلى القبو. تدحرج جسدي بطول السلالم حتى أسفل. كانت حجرة الاستجواب في القبو. وكانت يداي وقدماي مربوطتين طوال الوقت لذا كانت الإصابة بالغة».

«أكانوا يحاولون قتلك، بدفعك فوق السلالم، ويداك وقدماك مربوطتان».

«لكن ما زلت على قيد الحياة، أليس كذلك؟».

«يفاجئني ما تقولين!».

«لقد نجحت في الخروج، ذلك هو المهم. لن يتمكّن الرئيس من الخروج لو قبضوا عليه. لذا إذا سمعت منه، عليكِ أن تخبريه بذلك. أولئك الناس لن يتورّعوا عن إيذائه. سمعت أنهم إذا حلقوا رأس أحد المعتقلين فهذا يعني أنهم سوف يقتلونه. البعض أُوسع ضربًا إلى درجة أن أمعاءهم قد انفجرت».

تغلق **يون سون-إم** عينيها بإحكام ثم تفتحهما، «عليكِ أن تتناولي الغداء.»

تخرج **يون سون- إم** إلى الممر وتشعل الموقد لتطبخ عبوتين من شعيرية الراميون. الحساء دافئ وشهي، ويزيد من الإحساس بذلك أن الحجرة باردة جدًا.

تضع الآنسة **لي** عيدان أكلها بعد برهة قصيرة فتقشّر لها يون سون-إم ثمرة كليمنتين.

«كيف تتمكّنين من إعداد الطعام؟».

«تقطن سيو-سيون في الحجرة المجاورة. تتمتّع بروح قوية».

تتوقّف الآنسة لي في خضم حديثها عن سيو-سيون، وتلتفت إليّ: «وأنتِ أيضًا، يجدر بكِ أن تكوني قوية الروح. لا تدَعي شيئًا يُثبط عزيمتك. هل تواصلين الكتابة؟ كلّما لمحتكِ تكتبين في مفكّرتك فوق الحزام الناقل، كان ينتابني شعور جيد لسبب ما».

«لم تكن كتابتي. كنتُ أنسخ كتابة شخص آخر».

«عندما تصبحين كاتبة يومًا ما، يجب أن تكتبي عنا أيضًا».

تبتسم الآنسة لي وهي تربّت على رأسي.

***

يأتي المزيد من العمال الآن إلى المصنع للحصول على مكافأة نهاية الخدمة، أو الأجور المتأخرة أكثر ممن يأتي ليعمل. يبدو أن الشركة لم تعد تعبأ بالإنتاج، ولم يعد مدراؤنا مهتمّين بتوظيفنا. يودّون أن ننسى فترة عملنا هنا ونتبخّر إلى العدم. نفتقد تلك الأيام التي كنا نرفض فيها العمل لساعات إضافية مطالبين بساعات عمل أقلّ، والرفاهية وبيئة عمل نظيفة ورفع أجور العمل الإضافي. تشعر أيدينا بالتوتر الآن وقد توقّفت عن إنتاج البضائع. لم يعد مدراؤنا يجرؤون على فصل العمال بشكل جماعي. فالفصل يعني دفع مكافآت نهاية الخدمة. مكتب الأمن، الذي كان يبقي عينًا صارمة على الانضباط والدقة في الحضور والانصراف، بات صامتًا الآن. من الصعب أن أصدق أنه كان يومًا ساحة للكثير من المشاجرات، يخصم أجر ساعة من أي عامل يتأخر عن العمل لدقيقة واحدة فقط.

ذات صباح يطرح أخي الأكبر سؤالًا عليّ أثناء تناول الإفطار. «هل مسموح لكِ بأن تواصلي الذهاب إلى المدرسة بعد ترك العمل في المصنع؟ تحتاجين أن تذاكري بجد إذا أردت الالتحاق بالجامعة».

يفكّر أخي الأكبر مليًا ثم يسألني من جديد: «بما أن ابنة خالكِ لم تجد صعوبة في الاستمرار في المدرسة بعد ترك العمل في المصنع، فسوف تكون أموركِ على ما يرام، أليس كذلك؟ مهما كانت اللوائح، فأنتِ الآن

طالبة في السنة الثالثة لذا لن يطردوك من المدرسة أو شيء كهذا، أليس كذلك؟».

«...».

«يجب أن تستقيلي من العمل».

أستقيل؟ هذا ما تريده الشركة. أن نترك العمل بمحض إرادتنا. أجور ثلاثة شهور قد تأخّرت. لذا حتى لو دفعوا لنا أجورنا، فسوف نحصل على مستحقات عملنا عن الثلاثة شهور المنقضية. إذا استقلت الآن فربما يتعنّتوا في الدفع. كيف يمكنني الاستقالة وأخي الأكبر عاطل عن العمل أيضًا بعد أن أُغلِق مركز التدريس الخاص.

«سوف أُسرَّح من الخدمة العسكرية قريبًا. سأستقيل من العمل في الخدمة المدنية وأحصل على وظيفة في شركة».

«شركة؟».

«شركة ضخمة. هل رأيت المبنى الشاهق في الشارع المقابل لمحطة سول؟».

لقد رأيته. بدا المبنى كوحشٍ عملاقٍ عندما هبطت من قطار الليل لأول مرة في هذه المدينة برفقة أمي. لقد أخبرتني أن لا شيء لأخافه، فهو مجرّد هياكل خرسانية.

«سوف أذهب للعمل هناك؟».

«في تلك الهياكل الخرسانية؟».

«اصبري لفترة فقط. سوف أستقيل من وظيفتي في الخدمة المدنية. سوف أحصل على مكافأة نهاية خدمة معقولة. حينها سوف ننتقل من هنا».

«ننتقل؟».

«نعم، سوف ننتقل». يبتسم أخي الأكبر مجدّدًا بصعوبة.

في المساء يتطرّق أخي الأكبر إلى الأمر ثانية: «هل قدمتِ استقالتكِ؟».

«لا».

«لقد أخبرتكِ أن تفعلي!».

في اليوم التالي يكرّر السؤال،و حين أقول له إنني لم أفعل، ينظر إليّ غير مصدّق ما أقوله.

«لديكِ فرصة ضعيفة جدًا للالتحاق بالجامعة حتى إذا لم تفعلي أي شيء سواء المذاكرة من الآن حتى موعد الامتحان». أبادله نظرات عدم التصديق. حتى لو أنه سيبدأ العمل في شركة قريبًا، إذا تركت العمل الآن فكيف سيدفع الإيجار و...؟ يبدو أن أخي الأكبر لا يهتم برأيي. يشير إلى مكتبه حيث توجد ثلاثة أكياس تسوّق مليئة بالكتب.

«لقد اشتريت الكتب التي تحتاجين لمذاكرتها من أجل امتحان دخول الجامعة. لا تفكّري حتى في الرياضيات أو اللغة الإنجليزية. ركّزي الآن فقط في المواد التي تستطيعين استذكارها عن ظهر قلب».

يسحب بعض المال من جيبه.

«ذاكري مادة الاقتصاد المنزلي كمادتك الاختيارية. لم أعرف أي كتاب مذاكرة يجب أن أحضره لهذه المادة. اذهبي إلى أي متجر كتب قرب المدرسة واسألي عن الكتاب الذي يستخدمه معظم طالبات الدوام الصباحي».

أُنزل ملعقتي على المنضدة، مذعورة، وأحدّق في أخي الأكبر. ابتلع الطعام في فمي بصعوبة من دون أن أمضغه.

«إنها بداية متأخّرة، لكن لو عملتِ بجد، فسوف تتمكّنين من الالتحاق بإحدى الكليات الصغرى (الأهلية) على الأقل». يبدو صوته أشبه بجدول ماء. حين يتحدّث عن الكلية، يتراءى لي مكانًا ما، مكانًا لا أعرف أين هو، حيث تتفتّح كل زهوري المفضلة فجأة وفي اللحظة نفسها.

«دعينا نتناول الطعام».

تتوجّه عيدان أكل أخي الأكبر نحو السبانخ المطهوة بالبخار فوق المنضدة. يحدّق إليّ، وأنا أجلس هناك ساكنة ووجهي خالٍ من أي تعبير.

«ما الأمر؟».

أنزل ملعقتي وأدنو منه. «أوبَا!».

يكفّ أخي الأكبر عن الأكل ويلتفت إليّ.

«أتعني ذلك حقًا؟».

«أعني ماذا؟».

«هل تعني أنني أستطيع البدء في المذاكرة الآن وسأتمكّن من دخول الجامعة؟».

«أجل.».

«حقًا؟».

«أجل».

ينزل الملعقة ويبتسم ثانية ابتسامته المنهَكة.

***

اسم الفتاة هو يو جي-هوان. أُنقِذت بأعجوبة بعد مرور ثلاثة عشر يومًا من انهيار المجمَّع التجاري. حرّكت أصابع قدميها. حُملت فوق نقالة بعد أن أُخرجت من ظلام حالك السواد وأنقاض القضبان الخرسانية والإسمنت. رفعت بوهنٍ المنديل الأصفر الذي وضعته فوق عينيها لتحميهما من هجمة ضوء الشمس المباغتة. ثم حدّقت إلى العالم بعيون ملؤها الخوف. كانت عيناي مثبتتين على شاشة التلفاز. وجه بدا كأنني لم أره من قبل أبدًا... وجه أحببته يومًا. يغوص قلبي في مكانه بهدير مكتوم.

أرغب في احتساء بعض القهوة المثلّجة... أعتقد أنني نمت لقرابة خمسة أيام... لقد فكّرت في ما اعتادت أمي أن تخبرني به، يجب ألّا تفقدي الأمل مهما حدث.

ذلك الوجه، الوجه الذي أحببته يومًا. كانت هي. الوجه الذي عاد إلى الحياة من قلب ظلام حالك السواد. كنت عاجزة عن إبعاد نفسي عن شاشة التلفاز. كانت الفتاة جميلة ولطيفة المعشر. قصصت صورها من عدة جرائد مختلفة. كم كانت جميلة! منذ انهيار المبنى، شعرت بوحشة كما لو أن حبل أفكاري قد انقطع فجأة وفي لحظة واحدة. لم تكن هذه حربًا نخوض رحاها؛ مع هذا فُقدت الكثير جدًا من الأرواح بين لحظة

وانقضائها. تملّكني إحساس عميق بالهزيمة حيال الحياة، وجلب هذا الإحساس معه مغزى الحياة برمّتها، الصراع الدائم لمواصلة الحياة.

ما هذا الشيء الذي يجب أن نحاول أن ندافع عنه في الحياة؟ الصدمة غير المتوقَّعة جرّدتني من الإرادة، وجعلتني أستجيب لكل ذلك بسخرية، وتسببت في تعتيم لكل تأمّلاتي المتواصلة والمركَّزة عن الإنسان.

لكن هذه الفتاة؟

لقد استغرقت الفتاة في النوم بينما تتلقّى محاليل وريدية، وبمجرّد أن فتحت عينيها، سألها أخوها الأكبر هذا السؤال: «أترغبين في تناول أي شيء؟».

أجابت الفتاة وهي تبتسم له: «أرغب في صحن من حساء اللحم البقري الرائق. لكن لا أستطيع أن أتناوله الآن وأنا في هذه الحالة. لذا يجدر بك أن تذهب مع أصدقائك وتتناول بعضًا منه من أجلي».

كنت مستغرقة بشدّة في أفكاري حول هذه الفتاة كما لو كنت مصممة ألا أُغفل أي كلمة تنطقها، وأي حركة تبدر عنها. كلّما فكرت فيها بعمق أكبر، كلما هدأ ذهني المهزوز، وشعرت بحميمة عفوية تجاهها كما لو كنتُ أعرفها منذ وقت طويل جدًا.

شكرًا لك يا جي-هوان، شكرًا لأنكِ على قيد الحياة. الصيف هنا. صيف آخر يشبه صيف ذلك العام. لا يبدو أنني أتذكّر إذا كنت قد تسلّمت أجوري المتأخرة، أو مكافأة نهاية الخدمة.

كم أتمنى لو أستطيع الكتابة. لا يبدو أنني أتذكّر ذلك الصيف... لا يبدو أنني أتذكّر.

***

أزور السيد تشوي هونغ-إي الذي لم يعد يدرّس لنا في المدرسة. عندما يسمع أنني أخطط للدراسة في الجامعة، يتأمّل الموقف. يبدو مهتمًا وهو يقول: «عليكِ أن تقدّمي درجاتك في المدرسة الثانوية بداية من هذه السنة أيضًا كي تُقبلي في الجامعة. لكن درجاتك في مادتي المحاسبة والحساب

بالمعداد متدنّية، أليس كذلك؟ لكن لحسن الحظ فقط الدرجات بداية من سنتك الثانية تُؤخذ بالاعتبار لذا ابدئي في التركيز على مذاكرتكِ الآن. حسّني درجاتك. درجات المدرسة الثانوية تنقسم إلى أربعة عشر مستوى - يجب أن تكوني على الأقل في المنتصف».

حينها فقط أفتح كتاب المحاسبة. دَيْن، قرض، الموازنة العامة. كل ما جنيته من قراءته هو صداع رهيب. أجلس مقطبة الجبين. تأتي ابنة خالي وتسألني: «ما الأمر؟».

«لا أفهم أيًّا من هذا».

«ولا أنا».

«لكن يجب أن أفهم الآن».

«إذًا وفّري بعض الوقت خلال النهار واذهبي لحضور حصة المحاسبة».

«ظننت أنهم أغلقوا كل الأكاديميات الخاصة».

«ليس تلك التي تقدّم حصصًا للبالغين. سمعت أن الكثيرات من الطالبات يحضرنها».

تعطيني ابنة خالي بعض المال.

يزداد وجهي عبوسًا.

«سوف تتمكّنين من اللحاق بما فاتك. تحتاجين فقط إلى تعلّم المبادئ الرئيسية - الأمر فقط أنك لم تحاولي أبدًا. أخبرني أحدهم أن تلك الأكاديميات تستطيع تعليمكِ في شهر واحد ما قد تحتاجين إلى ثلاث سنوات كي تتعلّميه في المدرسة... ربما يقدّمون حصصًا مُكثّفة. انضمي إلى تلك الحصص. عندما تفعلين ذلك، ستبدو امتحانات المدرسة تافهة».

مع هذا أبقى متجهّمة. تمسك ابنة خالي بيدي التي تحمل المال.

«خذي المال وانضمي إلى الحصص».

تلتقط ابنة خالي حقيبة مدرستها وتندفع خارجة قبل أن أستطيع قول أي شيء. ابنة خالي التي قالت إنها لن تسمح لنفسها بأن تصبح نكرة، وإنها سوف تجلب أختها الصغرى إلى سول بعد أن تُنهي مدرستها المتوسطة

في القرية وتلحقها بمدرسة تجارة - حتى لو لم تكن مدرسة نظامية، فلن أستطيع حمل نفسي على إرسال أختي للعمل في مصنع... يجب ألا تسمحي لنفسك بأن تصبحي نكرة أيضًا، أقول لنفسي.

إنني أتذكّر صيف تلك السنة. ذكرياتي عن ذلك الصيف ليست كلها ذكريات أود محوها من ذاكرتي تمامًا. كان هنالك ذكريات أحببتها. شهد ذلك الصيف أيضًا تلك الليلة التي مشيت فيها طويلًا مع **تشانغ**...

يناولني أخي الأصغر قصاصة ورق. أهمُّ بسؤاله عنها لكنه يرفع إصبعه أمام شفتيه وهو يختلس نظرة تجاه المطبخ حيث تعمل أمي. كانت الورقة من **تشانغ**. كتب ليطلب مني أن ألقاه بجوار طريق السكة الحديدية. أغسل وجهي وشعري بعد العشاء. آخذ كريم تفتيح البشرة الخاصّ بأمي وأمسح به فوق وجهي. أتظاهر بأنني سأخرج إلى الحديقة لأستنشق بعض الهواء ثم أتسلّل خارج البوابة.

يقف **تشانغ** عند طريق السكة الحديدية، يصفّر لحنًا ما. يسكت عندما أقترب منه. تومض النجوم في السماء. لا تزال الأرض تحتفظ بحرارة النهار. أمشي و**تشانغ** جنبًا إلى جنب بطول قضبان السكة الحديدية المتّجهة جنوبًا. منذ بدء ارتياد الجامعة، أمسى تشانغ صموتًا، متحفّظًا، ومكتئبًا. يذكّرني وجهه الآن بوجه أخي الثالث الذي رضخ لإلحاح أخي الأكبر، وحزم كتب القانون الخاصّة به، وشدّ الرحال إلى المزرعة بعيدًا عن سول. مشينا ومشينا، نطوف حول القرية.

«هل سمعتَ عن حادثة غوانغجو؟». يرتاد تشانغ جامعة في مدينة غوانغجو.

«لم تكن حادثة بل ثورة».

يسود صمت متوتّر بيننا.

«لقد شاهدت الكثير من الصور في النادي الذي انضممت إليه... أشياء لا يمكنك حتى تخيلها قد حدثت في غوانغجو. أيمكنك تصوّر جندي يطعن مدنيًا بحربة؟ وليس أي مدني بل امرأة حامل؟».

صمت جديد. أشعر فجأة بأن صمتي يُثقلني. شعرت بأنني يجب أن أقول شيئًا. كيف يتحوّل وجه الجميع هكذا عندما يذهبون إلى الجامعة».

«لم أعد أعمل في المصنع بعد الآن». لستُ متأكدة لماذا تفوّهت بهذا فجأة.

واصلنا المشي حتى وصلنا إلى الطريق المعبّد في ضواحي القرية البعيدة.

«دعينا نتوقّف هنا لبعض الوقت». يرقد تشانغ على ظهره في منتصف الطريق المعبد. يتسلل الهواء المنعش لليل الصيف إلى داخل جسدينا. نور القمر وأوراق العشب الأخضر، والأضواء القادمة من القرية البعيدة، وخرير الماء.

«في أحد الأيام انضممت إلى احتجاج في حرم الجامعة، وطاردتني شرطة مكافحة الشغب طوال اليوم حتى شارع مسدود، حيث اختبأت خلف شرفة أواني الصلصات في نُزل صغير. لاحقوني وأوسعوني ضربًا».

«...».

«في تلك الليلة، ضاجعت امرأة لم ألتقِها من قبل».

«...».

«حين استيقظت، مددت يدي ظنًا مني أنني قد أتحسّس نهديها في الظلام لكنني لذت بالفرار وسارعت إلى الخروج من هناك».

«...».

«كان نهداها متجعّدين ومنكمشَيْن. لاحظت حينها فقط أنها كانت بعمر أمي... عندما عدت إلى حرم الجامعة، تقيّأت بشدة».

«...».

«آسف أنني أخبرك بهذا». يضحك تشانغ ضحكة مُحرجة سريعة بينما يدسّ يده داخل جيبه ويخرج شيئًا ما كما لو كان قد تذكّر شيئًا ما فجأة.

كان شيئًا صغيرًا بحجم إبهام، يومض في كف تشانغ المفتوح كنجمة. كانت دمية دب ضئيل جدًا. دبّ فلورسنت يومض عند الضغط عليه. وسط

لمسات رياح الليل الناعمة، يبدو **تشانغ** كأنه يرفع نفسه ليجلس، لكن في الحقيقة كان يجثو على ركبتيه. لا تفعل هذا.

تدفّق حزن داخل قلبي. أقبض بيدي على دبّ الفلورسنت لكن لا يتوقف الحزن. سرى إدراك كالصاعقة بداخلي أنني و**تشانغ** سوف نفترق يومًا ما. يبدو وجودنا معًا بهذه الطريقة الآن أشبه بالحلم. قد نستيقظ في أي لحظة من هذا الحلم. ينتابني شعور بشفقة بالغة نحو **تشانغ**. شعور جارف إلى درجة أن دمعة قد فرّت من عيني. أبحث عن يد **تشانغ** في الظلام بينما يجلس على ركبتيه، عيناه تحدّقان في الفراغ.

«ألا تريد أن تلمسهما لمرة واحدة فقط؟».

أمسك بيدَي **تشانغ** وأضعهما فوق نهديّ.

عندما نفترق، عندما يتحطّم هذا الحلم داخل قلبي، أين سأكون؟ وأين ستكون؟ أين سنكون ونحن ننظر إلى الوراء إلى هذه اللحظة؟

***

أيًا كان الطريق الآخر الملتوي الذي سلكته، تتذكّر كتابتي ذلك الصيف. مهما حاولت أن أدفعه عميقًا بداخلي، يطفو صيف ذلك العام إلى السطح من جديد. يتسرّب إلى الداخل حتى إلى داخل تلك اللحظات التي شاركتها معه، وابتسمنا فيها سويًا. حتى في أكثر اللحظات غير المتوقّعة، مثل ريح الليل، أو مثل مدٍّ مرتفع، أو ضباب.

ذات يوم، عند عودته إلى حجرتنا المنفردة متأخّرًا، يفاجئني أخي الأكبر بهذا السؤال، «أتعتقدين أنك تستطيعين العيش بمفردك؟».

كان يعود إلى البيت متأخّرًا منذ تم تسريحه من الخدمة العسكرية.

«أين كنت؟».

«يبدو أنهم سيعيّنونني في وظيفة في **تشنجمو**».

«**تشنجمو**؟».

«لقد فعلت كل ما بوسعي للحصول على وظيفة في سول، لكن يبدو أنني سوف أضطر إلى الذهاب. لن يكون ذلك لمدة طويلة. سأتمكّن من

العودة إلى هنا في خلال شهرين أو نحو ذلك. أستكونين على ما يرام بمفردك؟».

يغوص قلبي في مكانه. سوف أبقى بمفردي هنا في هذا الزقاق في هذه الحجرة المنفردة.

«لا حل آخر».

أعرف هذا. لو كان هنالك حل آخر، لما كان أخي الأكبر سيذهب إلى **تشنجمو** بمفرده ويتركني هنا وحدي. إنه يعتني بي كما لو كنت حجرًا ثمينًا.

«سأكون بخير. سأتمكّن من العيش بمفردي».

« ابق بعيدًا عن المرأة في الطابق السفلي».

منذ أن أنتقل الرجل للعيش مع **هِي-جاي**، أصبح أخي الأكبر لا يرتاح لها. كان يشير إليها باسمها، لكن الآن أضحت «المرأة في الطابق السفلي». تعرف **هِي- جاي** أنه غير مرتاح من ناحيتها رغم أنه لم يصارحها بذلك وجهًا لوجه. عندما تمرّ علينا وهي تحمل صحنًا من الشعيرية طهته لي ويكون أخي الأكبر في البيت، تضعه على المنضدة وتسارع إلى هبوط الدرج كما لو كانت مُطاردة.

«أتوجد مكتبة في المدرسة؟».

«هنالك واحدة».

«إذًا ذاكري هناك».

أنظر إليه بحيرة.

«تحتاجين إلى مناخ مناسب للمذاكرة... لكن هنا كل ما تشاهدينه وتسمعينه هو... احزمي فطورك واذهبي إلى المدرسة للمذاكرة في الصباح.».

لا يملك أخي الأكبر أدنى فكرة عن أنني أذهب إلى أكاديمية **هالليم**، الواقعة وراء محطة **يونجدونجبو**، لأحضر دورة في المحاسبة بالمال الذي أعطتني إياه ابنة خالي. ولا يعرف أنه على الرغم من أن الدورة التي تمتد لشهر لم تنته بعد، لكني أصبحت الآن أفضل طالبة في حصة مادة

المحاسبة. ولا يعرف أيضًا أن هِي-جاي تجلب لنا لوازم البيت كل ليلة منذ بدأت المذاكرة من أجل الجامعة. يقول أخي الأكبر إن من يستسلم قبل أن يحاول، شخصٌ جبانُ. لا ريب في أنه يستهجن سلوكَ هِي-جاي التي تركت المدرسة. رجل ذو شخصية مستقيمة مثله، لديه تحفّظات على امرأة تعود إلى منزلها في ساعات النهار الأولى، وتعيش مع رجل من دون أن تتزوّجه. ينتابه القلق أن لأخته الصغرى علاقة وثيقة بمثل هذه المرأة.

يجلب أخي الأكبر حقيبة سفر بعجلات. أضع بعض الشمام الأصفر في الماء ليبرد. يحزم أخي الأكبر حقيبة السفر بقمصانه الرسمية وملابسه الداخلية وجواربه ومناديله وثياب منزلية مريحة. يحزم أيضًا فرشاة أسنانه ومعجون أسنان وقطعة صابون وشفرة حلاقة. في الليلة الأخيرة قبل رحيله، أقطع الشمام الأصفر في شرائح للتحلية. عندما أنزع البذور بسكين، يقول لي إنها ألذّ جزء من الفاكهة.

«لا تعرفين الطريقة الصحيحة لأكل الشمّام».

«لكن لا أريد أن أُصاب بمغص معويّ».

«ذلك هراء. إنه ألذّ جزء».

حتى حين نستعد للخلود إلى النوم، يطلب مني أخي الأكبر مجدّدًا أن أبقى بعيدًا عن المرأة في الطابق السفلي.

«إنها ليست إنسانة سيئة».

«لا أرغب في الاستماع إلى هذا!».

«أعني ذلك، أنها ليست كذلك.».

«قلتُ لك إنني لا أرغب في الاستماع لهذا».

***

بينما أستمع إلى رستروبوفيتش يعزف سونيتات التشيلو لباخ، أنزع سلك الهاتف ثانية.

لا يمكنني تأجيل الأمر أكثر من ذلك. لا بد أن أنتهي من كتابة هذا الكتاب. كل شيء جاهز. لقد قمت بترتيبات بحيث لا أضطر للقاء أي أحد

ولا أمتلك أعمالًا أخرى أحتاج للعمل عليها سوى هذا الكتاب. مكتبي مرتّب، وأنهيت تنظيف حوض الحمام. ليس لدي غسيل لأغسله، وقد ملأت ثلاجتي بالبقالة، وليس لديَّ أي التزام تجاه أي شخص. مع هذا لا أستطيع حمل نفسي على الجلوس فوق المكتب. لا أفعل أي شيء سوى الاستماع إلى تشيلو رستروبوفيتش طوال اليوم. في الملاحظات الخطية المرفقة بالتسجيل، يذكر عازف التشيلو المسنّ أنه لوقت طويل كان باخ مُقدّسًا بالنسبة إليه. يقول إنه منذ التقى باخ عندما كان في السادسة عشرة من عمره، أضحى يبجّل الملحن حد العبادة، وهو ما منعه من تسجيل المجموعة الكاملة من معزوفات سوناتات التشيلو الخاصة بباخ.

كل ما كان يمكنني فعله هو التحديق ببلاهة في وجهه في النوتات الموسيقية.

لقد سجلت تسجيلَيْن لسوناتات باخ. سجّلت قبل أربعين سنة في موسكو، السوناتة رقم اثنين، وفي العام 1960 في نيويورك سجّلت السوناتة رقم خمسة. لا أستطيع أن أغفر لنفسي حين أفكّر في هذين التسجيلَيْن. لكن أي أحد ينظر إلى الوراء في الماضي، سيكون ناقدًا للذات، ولا بد من وجود أشياء سيتمنى لو لم يفعلها. ماذا يمكنك أن تفعل حيال أشياء قد فعلتها بالفعل وانتهى الأمر. ستواصل الحياة تدفّقها بفخر وغطرسة. لهذا الآن يجب أن أستدعي شجاعة كافية لأسجّل المجموعة الكاملة لسوناتات تشيلو لباخ، عمل فني له اتصال عميق بحياتي. لا شيء أثمّنه أكثر من تلك السوناتات. أكتشف شيئًا جديدًا في كل مرة أستمع إليها. كل ساعة، كل ثانية تقضيها في التفكير في تلك الألحان، سوف تصل فيها إلى فهم أعمق لها. في يوم ما قد تعتقد أنك قد عرفت كل شيء عن تلك السوناتات، لكنك ستكتشف شيئًا جديدًا في اليوم التالي مباشرة.

يواصل العازف الحديث بالأسلوب نفسه، أن باخ لم يكن أبدًا جلفًا

أو متقلب المزاج أو يسمح بالغضب أن يسيطر عليه، لدرجة أنه حتى حين ابتعد عنه معارفه المقرَّبون، لم يتحدّث عنهم بسوء قط.

أكنت مذهولة بعزف **رستروبوفيتش** على التشيلو، أم مفتونة بتأويل **رستروبوفيتش** لشخصية **باخ**، **رستروبوفيتش** الذي كان بحد ذاته مفتونًا **بباخ**؟ لست متأكدة من شعوري. عندما يناقش شخصية **باخ**، يكتسي وجه **رستروبوفيتش** بعظمة صوت التشيلو. أحيانًا يتّخذ مظهرًا شديد الوقار.

يقول: «الآن يجب أن استدعي الشجاعة الكافية لأسجل المجموعة الكاملة من سوناتات تشيلو الخاصّة بباخ».

يبدو لي **رستروبوفيتش** شخصًا خبيرًا بالحياة، بشغفها وحزنها وحِدّتها. لقد بحث طويلًا عن المكان المناسب لعزف السوناتات حتى وجد كاتدرائية بُنيت منذ تسعمائة سنة.

> تحوي المجموعة على مقطوعة **ساراباندي** رائعة... تعكس نوعًا مميزًا من الصراحة والجدية، ورِقّة موسيقية أيضًا. لا يمكن أن تُعزف هذه المقطوعة للمستمعين بل يعزفها المرء لنفسه فقط حيث إن المستمعين سيحدّقون ببساطة إلى فنان يركز بكل حواسه في موسيقاه، في عزلة شديدة، عزلة باردة، وفي الوقت ذاته ساخنة.
>
> لقد عزفت هذا الساراباندي مرات كثيرة من أجل أولئك التائهين في أحزانهم.

أعدّل مشغِّل الأسطوانات لتبدأ السوناتة رقم اثنين.

من أجل أولئك التائهين في أحزانهم؟ أتفرّس في وجه **رستروبوفيتش** مجدّدًا. إنه يعزف من أجل أولئك التائهين في أحزانهم!

***

تجلس **هِي-جاي** أمام الديك الميت. يعلو وجهها تعبير بارد. كانت **هِي-جاي** والرجل الذي يعيش معها أكثر من أحبّا الديك لكن الرجل لم

يكن متواجدًا. حين أُخبر هِي-جاي أنه يبدو أن أحدهم قد أطعم الديك سمًا، تزداد ملامح هِي-جاي برودًا.

حتى أثناء موسم المطر، تستمر أعمال البناء في الأرض الخالية. يحفر الحفّار الآلي في الأرض ساحقًا الملفوف النامي في رقعة مجاورة. تُصب أعمدة خرسانية عالية وتُنقل قوالب طوب إلى الأرض. الآن لم نعد نستطيع رؤية محطّة قطار الأنفاق خارج النافذة. ما نراه الآن هم العمال، يصعدون ويهبطون المنحدرات في مكان البناء، ورجال يرتدون خوذات بلاستيكية قرمزية لها شكل اليقطين. أتذكّر يوم سبت. في ذلك الحين لم نعد نرى الركاب يتدفّقون خارج محطة قطار الأنفاق كَمَدٍّ مرتفعٍ. في ذلك اليوم انهارت أكوام قوالب الفحم المخزّنة في قبو المنزل ذي السبع وثلاثين حجرة. لولا هذا الانهيار، لما عرفت أن للبيت قبوًا.

كانت هِي-جاي في القبو تغرف قوالب الفحم الأسود المفتّتة، وجهها ملطّخ بالفحم الحجري.

«أين الجميع؟ الماء يتصاعد ويُغرق قوالب الفحم».

«أين عمّي؟»، أشير إلى الرجل الذي يعيش معها. يزداد وجه هِي-جاي الملطّخ بالفحم، سوادًا. تهبط إلى القبو ثانية. تعاود الظهور وهي تحمل دلوًا ممتلئًا حتى حافّته بمياه سوداء.

«لا يمكنك التعامل مع الأمر بنفسك. اخرجي من هناك».

«نصف قوالب الفحم في القبو تخصّنا».

«أين عمي؟».

«لقد رحل».

تدخل هِي-جاي إلى القبو ثانية. رحل؟ أين؟

أتبعها إلى أسفل وقد تملّكتني الحيرة. الماء في القبو يصل حتى كاحليَّ. حوّلت قوالب الفحم المتكسّرة لون الماء إلى الأسود.

«أين رحل؟».

تتوقّف هِي-جاي لتزيح شعرها بعيدًا عن وجهها إلى وراء أذنيها. يلطخ الفحم وجهها.

«لا تذكّريه ثانية».

«لماذا؟».

«لن يعود مرة أخرى أبدًا».

أطبق فمي. تبقى هي-جاي صامتة بينما تفرغ المياه السوداء من القبو. لا يمكنني أن أتركها بمفردها. تخبرني أن أتوقّف عن تتبّعها وأن أذهب للمذاكرة لكنني لا أستطيع. في لحظة ما، تجثو هِي-جاي على ركبتيها وتبدأ في التقيؤ.

«تحتاجين استراحة يا أوني، اصعدي إلى حجرتكِ».

لا يبدو أنها قد سمعتني، فقد واصلت غرف كومة قوالب الفحم المبتل خارج المياه. كان الوقت بعد الظهر بالفعل حين انتهينا أخيرًا. تنحني على الأرض في مطبخها وتتقيّأ بشدة. أرتعب من أنها على وشك أن تموت. أغلي بعض الماء فوق موقد الكيروسين وأغسل جسدها. أمسح جسدها بقوّة، لكن لا تزال تفوح منه رائحة طعام عفن. ثم أعتقد أنني قد استغرقت في النوم بعد ذلك. أشعر بشخص ما يقلّم أظافري. أفتح عينيّ لأجد هِي-جاي تقلم أظافري وقد جلست القرفصاء ويدي فوق ركبتها.

«أظافرك مسودة بسبب الفحم».

جلست ساكنة وقد شعرت بالدفء والسلام، حتى تنتهي.

«كيف معدتكِ؟».

«أحسن». تكاد تنتهي من تقليم أظافر يديّ عندما يعلو وجهها تعبيرٌ باردٌ من جديد وهي تذكر الديك الميت.

«تتذكّرين الديك؟».

يمكنني فهم كم هي حزينة. أجيب: «من قد يفعل شيئًا فظيعًا كهذا؟».

«كان أنا».

يُشلّ عقلي. لا بد أنني قد سمعت ما قالته على نحو خاطئ.

«لقد أطعمته السم».

يرتجّ جسمي من الذهول فيمزّق مقلم الأظافر في يدها طرف إصبعي. في تلك اللحظة ما كانت الشخص نفسه التي أعرفها. كانت صارمة وباردة.

«لماذا فعلتِ شيئًا كذلك؟».

«لأن الديك كان الشيء الذي أحبه بشدة».

هو؟ سحبت يدي من فوق ركبتها. الشيء الذي أحبّه بشدة؟ تسرّبت العفونة الرطبة من القبو إلى كل ركن في جسدها وجسدي.

تسطع الشمس بعد الظهر. كنتُ أغسل ثيابي ثم بعد أن فرغت من نشرها فوق السطح، أفتح باب حجرتها لأتفقّدها. كانت نائمة ووجهها إلى أسفل. أغلق الباب برقّة حذرة ألّا أوقظها. ثم أفتح الباب ثانية مفكّرة أنها ربما تكون مستيقظة الآن. وهكذا أفتح بابها وأغلقه ثلاث أو أربع مرات أخرى. تنام من دون أن تتحرّك على الإطلاق. تغرب الشمس. أحضر الغسيل من فوق السطح. أجهّز العشاء وأحمل بعض الطعام على صينية إليها، لكنها لا تزال لا تتحرّك. أترك الصينية هناك، وأهمّ بإغلاق الباب خلفي عندما يداهمني ذعر مفاجئ. أدفع الباب لأفتحه على مصراعيه وأضيء مصباح الفلورسنت. لقد شعرت أن جسدها فوق الأرض يظهر ويختفي تحت بصيص الضوء الخافت. يخطر ببالي أن اللحم تحت كتفيها الأشبه بالطير ربما قد تجمد من البرد. أركع على الأرض وأرفع البطانية عن جسدها. كانت تلتف حول نفسها ككرة وقبضتا يديها مغلقتين بإحكام. شعرها الأسود المنسدل، يخفي وجهها، جلدها أصفر شاحب. أهزّها لأوقظها.

«أوني، أوني؟!».

أهزّها برفق بادئ الأمر ثم بقوة. تستدير بجسدها، وهي تئنّ. لم أطمئن بعد وقبل أن أدرك الأمر، أجد نفسي أصفعها على خديها وأنا أصرخ.

«استيقظي!»، تفتح عينيها، مقلتاها غائمتان. تجلس.

«ما الأمر...؟». تحدّق في عينيّ المرعوبتين. لا يبدو عليها أنها كانت نائمة طيلة هذا الوقت.

«... ما الأمر؟ أخبريني».

«لا، الأمر فقط...». لا أستطيع حمل نفسي على القول إنها قد بدت ميتة.

«كفى، أنت تتصرّفين بسخافة».

تفتح باب حجرتها وتقول بدهشة: «لقد حلّ الليل بالفعل».

بدت غير واعية أنها قد نامت طيلة فترة بعد الظهر، وأن قبضتيها كانتا مغلقتين بإحكام، حتى إنني قد هززتها وقد ملأني الرعب من أن تكون قد فارقت الحياة، إلى درجة أنني قد صفعت خديها... وكانت ردة فعلها الوحيدة أن قرّبت كفها من معصمها، كما لو كان الشيء الوحيد الذي فاجأها وأربكها هو حلول الليل. تعود إلى ذاتها الغريبة.

يبدو أن **هِي-جاي** لم تعد تذهب إلى العمل في متجر الخياطة، ولم تعد تعمل في وظيفتين. في أثناء عطلة المدرسة الصيفية، حين كنتُ أعود وقت الغسق بعد أن أكون قد جلست اليوم بطوله في مكتبة المدرسة، تكون **هِي-جاي** قد عادت من العمل، ونائمة في حجرتها.

منذ تلك اللحظة، كانت **هِي-جاي** نائمة دائمًا كلما وقعت عيناي عليها. قبضتاها مغلقتان بإحكام.

***

تشانغ في زيارة إلى سول.

كنتُ أنشر الغسيل فوق السطح، أعصر المياه من الثياب، عندما أشاهد شخصًا في الأسفل يلوّح لي. إنه **تشانغ**. لم يكن بمفرده. تقف فتاة لطيفة بجانبه، شعرها الأسود يهتز فوق كتفيها. أهتف إلى **تشانغ** كي ينتظر هناك في الأسفل. لا أرغب في أن أريه حجرتنا المنفردة. أسرع إلى الحجرة وأغير ثيابي، ثم أركض إلى الخارج حيث **تشانغ**. نتوجّه إلى مقهى شاي المرج الأخضر قرب سوق **جاريبونغ**.

«سوف التحق بالخدمة العسكرية».

أسكب القهوة فوق تنّورتي.

«ما المفاجئ في ما قلته؟».
«من قال إنني تفاجأت؟».
يطلب **تشانغ** أن آخذه في جولة في سول. جولة؟! الجزء الوحيد المألوف بالنسبة إليّ في سول هو **يونجدونجبو**. خارج حدود **يونجدونجبو**، فإن الأماكن الوحيدة التي ذهبت إليها هي كاتدرائية **ميونجدونغ** ومسرح كوريا الذي اصطحبنا إليه أخي الأكبر في الكريسماس، ومتجر كتب **دونجنو** الذي يقع خارج محطة قطار أنفاق **جونغجاك** مباشرة، وذلك الزقاق حيث تعيش ابنة خالي في **يونجسان**. لكنني أردت أن يحظى بوقت جيد في سول. أخبرته أن يمكث هنا قليلًا ثم ذهبت للاتصال بابنة خالي لأسألها أين يجب أن أصطحب **تشانغ** الذي يزور سول لأول مرة. تخبرني ابنة خالي أن آخذه إلى جبل **نامسان**. أحصل على الطريق الذي تعبر منه الحافلة المتّجهة إلى الجبل من ابنة خالي. فوق جبل **نامسان**، نستأجر مضارب لنلعب كرة الريشة. لم تكن الفتاة التي أحضرها **تشانغ** معه قد لعبت كرة الريشة من قبل أبدًا، بينما كنتُ و**تشانغ** نلعبها منذ المدرسة الابتدائية، لذا يقتصر اللعب علينا نحن الاثنين فقط. تجلس الفتاة على مبعدة. يقول لها **تشانغ** بين الفينة والأخرى: «لا بد أنك ضجرة». فتلوّح بيدها قائلة: «لا». تبدو لطيفة. عندما يهبط الغسق، يسألني **تشانغ** إذا كان يُفترض بي الذهاب إلى المدرسة، فأخبره أنني لن أذهب اليوم. بعد العشاء، نذهب إلى مقهى شاي آخر عند قدم جبل **نامسان**. يخرج **تشانغ** مفكّرة ومجموعة صور من حقيبته. كانت المفكّرة التي أرسلتها إليه حيث نسخت رواية «**القزم يطلق كرة صغيرة**». يناولني المفكّرة ويعطي الصور إلى الفتاة. أفتح المفكرة. كان قد ملأ حوافّ الصفحات التي تخلو من كتابتي برسوماته.
«لقد رسمت هذه الرسومات كلما خطرتِ في بالي».
ذاب شعور الاختناق المكبوت في قلبي لسماع كلماته. الوقت متأخّر الآن ويطلب **تشانغ** مني أن يجري مكالمة هاتفية.
«إلى من؟».

تنظر الفتاة إلى أسفل من دون أن تتفوّه بكلمة. يدفع **تشانغ** قصاصة ورق نحوي ويقول إنها تحوي رقم شقيقة الفتاة الكبرى. يطلب مني أن أخبرها أن الفتاة ستقضي الليلة في حجرتي.

«حجرتي؟». أرفع عينيّ نحو **تشانغ**، مندهشة. لا تنظر الفتاة إليّ. يبتسم **تشانغ** في حياء. يكتب اسم الفتاة على قصاصة الورق. كان اسمها **هاي-سيون**. يناديها **تشانغ سيون-إي** لذا ظننت أن اسمها في البداية هو **سيون** أو **سيون-هِي**. أنهض واتصل بالرقم. تجيب امرأة لها نبرة صوت حادّة على الهاتف.

«أنا زميلة **هاي-سيون** في المدرسة. الوقت قد تأخّر لذا دعوت **هاي-سيون** للمبيت في منزلي».

«أين تعيشين؟».

مكتبة
t.me/t_pdf

«في... في **جاريبونغ -دونغ**».

«أيمكن أن تكلّمني **هاي-سيون**؟».

«أجل».

«أود الحديث معها».

أناول السماعة إلى الفتاة التي تجلس بجوار **تشانغ**.

بينما تتحدّث الفتاة إلى شقيقتها، أسأل **تشانغ** متى سيعود إلى القرية.

«غدًا. كانت **هاي-سيون** قادمة إلى هنا لزيارة أختها لذا أتيت لأودّعها قبل أن أتوجّه إلى القرية».

«هل اشتريت تذكرة القطار؟».

«لا، سوف أستقل الحافلة السريعة».

«متى ستبدأ الخدمة العسكرية».

«بعد غدٍ».

أعود إلى حجرتي المنفردة بعد أن أفارق **تشانغ** والفتاة. أبقى ملتفّة تحت بطانيتي لوقت طويل من دون أن أضيء النور. ثم أنهض وأضيء النور وأفتح المفكرة التي أعطاها **تشانغ** إليّ. أعبث بدمية الدبّ الفلورسنت في جيبي.

ماذا يفعل في هذه الساعة؟ أجلس لأتأمل رسومات **تشانغ** الصغيرة على حواف صفحات المفكّرة ثم أهبط إلى حجرة **هِي-جاي**، حاملة وسادتي.

«سأنام هنا، يا أوني».

تقول هِي-جاي،: «لا بأس. أثمة خطب ما؟».

«لا».

«تحدّثي إليّ. الحديث يجعل الأشياء أحسن.».

لا أتحدّث. تلتفت **هِي-جاي** إليّ وفمي مغلق بإحكام، ثم تنهض وتدخل المطبخ حيث تضع قدرًا من الماء فوق موقد الكيروسين.

«ماذا تفعلين؟».

«سأطهو لك بعض الشعيرية. ستشعرين بشكل أفضل بمعدة ممتلئة».

في الصباح، استقلّ قطار الأنفاق إلى محطة سول ومن هناك أركب الحافلة المتجهة إلى موقف الحافلات السريعة. وجهي منتفخ ومتورّد بعد تناولي شعيرية **هِي-جاي** في ساعة متأخرة من الليل. أنتظر **تشانغ** عند كابينة شراء التذاكر إلى **جونغيوب**. تجاوزت الساعة الثانية عشرة ظهرًا، ولم يظهر **تشانغ** بعد. كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة بعد الظهر عندما يظهر **تشانغ** أخيرًا على مبعدة، يسير وكتفاه متدليان. تتسع عيناه عندما يراني.

«منذ متى وأنتِ هنا؟».

«منذ فترة قصيرة.».

«لكنكِ لم تكوني تعرفين متى سآتي.».

«شعرت بأنني سأراك إذا أتيت».

نجلس هناك فوق المقعد الخشبي في حجرة الانتظار.

«أتسير دراستك بشكل جيد؟».

«أجل.».

أتجنّب و**تشانغ** ذكر الفتاة. أردت أن أخبره بشيء لطيف، لكنني أندفع قائلة شيئًا مختلفًا تمامًا. «لن أكتب إليك مرة أخرى!».

«أعرف!».

«كيف تعرف ذلك؟».

«لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة كتبتِ فيها».

كلما حاولت أن أتحدّث بنبرة مرحة، يسوء الألم الخانق الذي يطبق على قلبي. محاولتي رسم تعبير مغاير لما أشعر به بداخلي تشعرني بعدم الارتياح. أفكر أنني من الآن فصاعدًا سوف أبدأ الحياة على نحو يناقض مشاعري. أضحكُ حين أشعر برغبة في البكاء، أقول إنني لست غاضبة حين أكون كذلك، أجيب أنني هنا منذ فترة قصيرة بينما أنا هنا منذ وقت طويل حقًا.

يحين وقت رحيله فينهض **تشانغ** على قدميه. عند بوابة التذاكر، يلتفت إلى الوراء نحوي ويقول: «سوف أعود قريبًا». كما لو كان سيذهب لقضاء مأمورية كلفته بها أمه لا للالتحاق بالخدمة العسكرية.

***

ليلة صيفية راعدة. يبدو كأن العاصفة على وشك أن تُطيّر أسطح البنايات من قوتها. مرعوبة من أشعة البرق التي تضرب الحجرة المنفردة، أهبط إلى حجرة **هِي-جاي** وأنا أحمل معي وسادتي. كانت تجلس وقد تركت باب حجرتها مفتوحًا، وعيناها تحدقان في الفراغ.

أغلق الباب ورائي بينما أخطو إلى داخل الحجرة لكنها تظل ساكنة.

«أوني». أغطي عينيها بكفيّ. تبلل كفاي. كانت تبكي.

«لماذا الحياة صعبة جدًا؟».

أقف متسمّرة في مكاني أمسك بوسادتي.

«هل الأمر يقتصر عليّ؟ أم إنها صعبة بالنسبة إلى الجميع؟!».

***

يرسل أخي الأكبر المال إليّ من تشنجمو. يكتب أخي الأكبر في رسالته كما لو كان قد ولِد في هذا العالم فقط كي يعتني بي.

ادفعي الإيجار في الوقت المحدّد. لا تكوني مقتصدة بشكل

مبالغ فيه، الطقس حار هذه الأيام لذا اشتري بعض البطيخ لتأكليه.

***

منذ بدأت كتابه هذا الكتاب، جاء الخريف والشتاء والربيع وذهبت كلّها، والآن أتى الصيف. يجب أن أنتهي منه قبل انقضاء الصيف. منذ أن بدأته، تمنيت أن أفرغ منه بأسرع وقت ممكن لكن قلبي الآن مخنوق كما لو أنني لم أتوقّع أبدًا نهاية له. كان سلك الهاتف منزوعًا لأكثر من عشر ة أيام. لكن الآن فقط أجبر نفسي على الجلوس على المكتب.

خلال الأيام التي نزعت فيها سلك الهاتف، كنت فقط أحوم حول المكتب ليل نهار، أستلقي ثم انهض ثانية. كي أبعد نفسي عن أي توتّر وسط المطر المنهمر من دون انقطاع، تتبّعت عن كثب الأخبار في الصحافة وفي التلفاز. مضى الإعصار، واصطدمت حاوية نفط بصخرة عند الساحل الجنوبي. أظهرت شاشة التلفاز بقع نفط سوداء فوق البحر الجنوبي. طفا المحار والسمك في المزارع السمكية فوق سطح الماء بعد أن نفقت بشكل جماعي.

بينما أشاهد طائرات هليكوبتر ترش موادَّ كيميائية فوق سطح البحر، التصقت عيناي بالشاشة وتساءلت إنْ كنت أحتفظ في ذاكرتي بكل شيء قرأته وشاهدته في حياتي. لن يتمكّن أي مخلوق حي من العيش في تلك الأعماق الآن.

لماذا أطلقوا الرصاص على مدنيين يرفعون أعلامًا بيضاء؟ قررت المحكمة ألّا تدين أيًا من الثمانية وخمسين رجلًا المتهمين بارتكاب جرائم متعلّقة بانتفاضة **غوانغجو** 18 مايو. قالوا إنهم لن يأخذوا القضية إلى القضاء من أجل المحاكمة الجنائية. كان النهج الذي سلكه المدعي العام لمعالجة قضية انتفاضة 18 مايو هو الاعتراف بأنه لا يملك سلطة مقاضاة المتهمين. التسليم بأنه لا يمكن معاقبة انقلاب ناجح.

هذا الرجل الذي دفع من أجل تشكيل حكومة مدنية كلما سنحت له

الفرصة، الذي صرّح بجرأة بينما يتخلّى عن كونه قائدًا للمعارضة وينضم إلى الحزب الحاكم، إنه كي يصطاد المرء نمرًا، فعليه أن يدخل كهفه، هو نفس الرجل الذي يقول إن علينا ترك قضية انتفاضة 18 مايو للتاريخ.

لماذا لا يلاحقون النمر؟ يجيب على سؤالي بابتسامة كأنه يقول لا شيء جديدًا. كيف يوجد قتلى ولا يوجد قاتل؟! أسأله. تظل تعابير وجهه متجهّمة.

«قادة هذه البلد يعتبرون المواطنين محض أتباع. لماذا سيخاف السادة ممن يعتبرونهم خدّامهم؟ عندما يعصي تابع سيده، فإن ردة فعله هي محاكمة من عصاه عُرفيًا. هنالك دراما إذاعية اسمها: «الجمهورية الخامسة و...».

ذكر مصطلح «الجمهورية الخامسة» شدّني إلى حديثه.

«في الأيام الأولى للجمهورية الخامسة، كان الحصاد سيئًا، وفي العام 1982 اضطروا إلى استيراد الأرز. عُرض مشهد في البرنامج حيث يتذكّر رئيس الجمهورية الخامسة تلك الفترة...».

يتوقّف عن الكلام ويفرد رقبته. ثم تكلّم بصوت يقلّد به صوت الرئيس. «انخرطت في حرب سيكولوجية في تلك الفترة. اجتاح التوتر سكان هذه البلد بسبب قلقهم من نقص الطعام بسبب الحصاد السيئ. كنتُ أرسل الأوامر كي تجوب الشاحنات وسط المدينة ست أو سبع مرات قبل أن تفرغ شحنات الأرز في محطة **غوانغجو**. الشيء نفسه بالنسبة للشاحنات المتوجهة إلى **دايجو**. كنت أشن حربًا نفسية».

يبدو أنه يتقمص أداءً كوميديًا يدفعني إلى الضحك. لكن سرعان ما يعبس وجهه ويعود إلى جَديّته «تستورد الحكومة الأرز بعد موسم حصاد سيئ - كيف يكون ذلك دعوة لحرب سيكولوجية؟ لقد وصل إلى سدة الحكم بعد انتصار ساحق في «المعركة» في **غوانغجو** في مايو 1980، لهذا حتى بعد أن أصبح رئيسًا، فإنه ينخرط في حرب ضد الشعب. قد يكون الأمر مفهومًا لو كنا في حرب والجيش عاجز عن توفير إمدادات الأرز

ومعنويات الجنود في الحضيض؛ لكن الرئيس شن حربًا سيكولوجية ضد المدنيين في وقت سلام... لا طريقة أخرى للنظر إلى الأمر سوى أنه قد اعتبر الوطن ثكنات عسكرية والشعب أتباع تحت إمرته».

أشعر كأن وجهي وقلبي يتورّمان.

أجلست نفسي على المكتب الآن. لم يتبق الكثير قبل أن تنتهي كتابة هذا الكتاب. سوف أنهيه الآن. قريبًا لن أمتلك المزيد لأقوله.

في الليل، عندما أجلس على المقعد وقد أُطفئت كل الأنوار، أشاهد الغابة خارج نافذتي. عندما تهب الرياح، تهتز أشجار الصنوبر بحفيف مسموع. عندما تمطر، تصيح طيور العقعق الجالسة فوق أغصان أشجار الصنوبر البيضاء. هل تأمّلت غابة تتحرّك وتثور تحت هجوم المطر والريح؟ هل سمعت يومًا أشجار الصنوبر والتمر حنة والشجيرات تهتز وتثرثر؟ بدا أن الأشجار في الليل تتحوّل إلى كائنات روحية. بدا أنها تستدعي أولئك الذين قد طالهم النسيان. يستدعون إلى الذهن ما لا نزال نتذكّره، إصبع شخص، أو عنقه أو حتى المنطقة تحت العين. هل شعرت يومًا بأن شخصًا ما يمشي نحوك في الممر الضيّق بين الأشجار، هذا الشخص الذي لم يعد بإمكانك أن تكون معه، هذا الشخص الذي فقد كلماته للأبد؟ إذا لم تشعر أبدًا بأي رعشة في قلبك لمشاهدة الغابة تهتز وتهمس في ليلة ممطرة عاصفة، فهذا يعني أن ليس لديك ذنب لتندم عليه. بالنسبة إليّ، أنا أرتعب من مشهد كهذا. مع ذلك، كل ليلة أطفئ كل الأنوار وأجلس على مقعدي وأجول ببصري في الغابة. كلما تملكني الخوف، ينتصب جسمي وأضع ذراعيّ على إطار النافذة.

أجل... قولي ما حدث ذلك النهار. قوليه وانتهِ من الأمر.

***

ذلك النهار، صادفتها في الزقاق. حين أفكر في الأمر الآن، لم نلتق صدفة. كانت تنتظرني. نمشي معًا مغادرتَين الزقاق ثم قبل أن نفترق، تخبرني شيئًا ما كما لو كانت قد تذكّرته للتو. تخبرني أنها ستسافر في

إجازة. إنها ستتوجه إلى الريف بعد الظهر، لكنها نسيت أن تغلق الباب بالقفل. إنها ستقضي بضعة أيام في الريف، سألتني إن كان بإمكاني أن أقفل الباب عندما أعود في المساء. ثم تضيف أن القفل معلّق على مزلاج الباب. لم تكن مهمة صعبة، أجيبها أنني سأفعل. لا، أعتقد أنني ربما سألتها لماذا لا نقفله أثناء النهار، قلت لها، ألن يكون أكثر أمانًا لو عدت الآن وأقفلت الباب؟ قالت ألّا شيء في البيت يستحقّ السرقة حتى لو تركت الباب غير مقفل، وهو ما كان صحيحًا. لم نكن نمتلك شيئًا قد يرغب الآخرون في سرقته. أعود من المدرسة في المساء، وقبل أن أصعد إلى حجرتنا في الطابق الثالث، أحكم إغلاق القفل على بابها في الطابق الأول. كان القفل متدليًا على مزلاج الباب غير مقفول. أعتقد بأنني ربما قد اختلست نظرة داخل المطبخ للحظة بينما أولج القفل داخل المزلاج. كان طشت الغسيل وصندوق الصابون الخاصّ بها مرتبين بعناية كأي يوم. يمكنني أن استشعر آثار يدها على قماشة جلي المواعين التي قد غُسلت وعُصرت، وقِدرها مغسول ومفروك بلبدة معدنية، قد وُضع مقلوبًا فوق موقد الكيروسين ساكنًا ولامعًا. أعتقد بأنني ربما لمحت حذاء المدرسة الذي انتعلته لفترة قصيرة. كان هذا هو كل شيء. كل ما فعلته هو أن التقطت القفل المتدلّي على الباب وثبّته في المزلاج كما طلبت مني.

***

لن أغادر مكاني فوق المكتب، أخبر نفسي... لو غادرت الآن، فلن أستطيع العودة مرة ثانية.

***

تمرّ عدة أيام. يظل باب حجرتها مغلقًا والقفل مثبتًا في مكانه. كل صباح، أطهو أرزًا جديدًا وأعدّ صندوق غدائي وأمشي متجاوزة محطة قطار الأنفاق، تاركة ورائي بابها المقفل في الطابق الأول. أستقل الحافلة رقم 109 أمام المجمّع الصناعي رقم ثلاثة إلى المدرسة. في المكتبة أستذكر أوراق اختبار مادة الاقتصاد المنزلي، تنّورتي مشدودة لأعلى حتى

ركبتي، حتى يحين موعد عودتي إلى البيت. كما أرشدني أخي الأكبر، ألّا أفكر الآن في مذاكرة مادتَيّ اللغة الإنجليزية والرياضيات. في بعض الأيام، أستبدل زي المدرسة بسترتي الرياضية وأتمرّن على سباق المائة متر بمفردي في الملعب الرياضي الفارغ، أو أتمرَّن على العقلة.

أغادر عبر بوابات المدرسة قرب الغسق، أجلس داخل الحافلة في طريق عودتي إلى الحجرة المنفردة بينما أفكّر فيها. أتمنّى لو كانت قد عادت الآن. لقد ذهبت ابنة خالي إلى يونجسان، وأخي الثالث إلى المزرعة، وأخي الأكبر إلى تشنجمو لهذا أنتظرها بشدة. بعد رحيل الجميع، أصبحت وحيدة تمامًا.

أهبط من الحافلة عند المجمَّع الصناعي رقم ثلاثة وأعبر أمام محطة مترو الأنفاق متجاوزة الأرض الفارغة قبل أن أخطو عبر البوابة داخل الزقاق. ألقي نظرة على بابها كما لو أضحت عادة. مقفل، لا يزال الباب مقفَلًا. لا شيء آخر ملفتًا للانتباه. كيف تستطيع أن تأخذ عطلة طويلة هكذا، أتساءل حين يقترب رجل هِي-جاي مني. أحييه بانحناءة. يسألني عنها بارتباك.

«أنها في إجازة.».

«إجازة؟ أين؟».

«قالت لي، إلى الريف، إلى بيتها».

«بيتها؟! لكنها لا تمتلك بيتًا في الريف».

حينها فقط استشعر بأن في الأمر شيء مريب. أدرك أنها طوال هذا الوقت لم تذكر أبدًا زيارة بيتها في الريف. حتى أثناء العطلات، كانت تمكث بمفردها في حجرتها. لكن الآن قد ذهبت إلى الريف في إجازة؟!

يجلس الرجل خارج الباب المقفول لفترة ثم يرحل.

***

يرن جرس بابي في منتصف الليل، رنينًا طويلًا عاليًا. يبقي الطارق إصبعه فوق الجرس. يرن الجرس طويلًا من دون انقطاع. مَنْ هناك؟

صوتي العصبي من داخل الباب يقابله «إنها أنا!»، صوت أختي الصغرى خارج الباب.

ماذا تفعل هنا في هذا الوقت المتأخّر من الليل؟ أفتح الباب فتثور أختي الصغرى وطفلها بين ذراعيها، في وجهي.

«لماذا لا تردّين على هاتفك إذا كنتِ في البيت؟».

الهاتف؟ لكن الهاتف لم يرنّ! أخبرتها أنني قد نزعت سلك الهاتف. تبدو أكثر غضبًا وهي تعيد توصيل السلك بمجرّد أن تخطو إلى الداخل، وتطلب رقمًا ثم تدفع السماعة نحوي.

«من هذا؟».

«ستعرفين عندما تردين!»، كانت ساخطة. كان الصوت على الجانب الآخر من الخط هو صوت أمي.

«لماذا لا تجيبين على الهاتف كل هذه الفترة؟ لقد أصابني الرعب من أن يكون شيء قد ألمّ بكِ فأخبرت أختكِ الصغرى أن تذهب وتتفقدك!».

ألتفت إلى أختي الصغرى بينما أتحدّث إلى أمي. كانت منهمكة في غسل كومة فناجين القهوة والصحون المكدّسة في حوض مطبخي.

«هل أكلتِ أي شيء لائق على الإطلاق؟».

كانت تفتح وعاء الأرز وقِدر الحساء الكبير فوق البوتاجاز. أصابها الإحباط إذ وجدتها فارغة تمامًا. قلبَ طفلها صحن السكر رأسًا على عقب. صفع زوجها مؤخرة الطفل الذي انفجر باكيًا دموعًا صافية شفافة. أودِّع عائلة أختي الصغرى ثم أنزع سلك الهاتف مرة أخرى.

قبل ست سنوات، كتبت عن حوادث الأيام القليلة التالية لقدوم ذلك الرجل.

***

تذكّرت فجأة الحوادث التالية كما لو كانت أسطورة. كنتُ أعبر محطة قطار الأنفاق من أجل عمل ما، ثم داهمني ألمٌ حادٌّ وقويٌّ، يسري بداخلي

بسرعة أكبر من سرعة قطار الأنفاق. ألم أنها لن تعود أبدًا، وأن ذلك الرجل قد حطّمَ الباب.

أعجز عن تحمّل الرائحة، أعجز عن الانتظار لمدة أطول.

... ألم ألّا أحد سيستطيع دخول الحجرة.

***

أجري إلى ابنة خالي، وأنا أرتجف. تتقلّب وتهتزّ دمية الدب الفلورسنت التي أهداها لي **تشانغ**. هل ستتوهّج حتى داخل جيبي؟ وقفت خارج الباب، باردة من شدة الشحوب. تجلب ابنة خالي بعض الماء لي.

«ماذا حدث؟».

لا تخرج أي كلمة مني؛ دموع فقط. تحاول ابنة خالي أن تهدِّئني في البداية قبل أن تهتف باسمي. أرى عينيها توشكان على البكاء. عندما أسمع صوت ابنة خالي الدافئ والباكي، أدفن وجهي في حضنها وأبدأ بالنحيب. تمسّد ابنة خالي ظهري من دون أن تعي ما يحدث.

ذلك اليوم أفرّ من حجرتنا المنفردة، من الزقاق ولا أعود أبدًا. عندما أرفض أن أعود مرة أخرى، تتكفّل ابنة خالي بإحضار متعلّقاتي وأدواتي المدرسية إلى حجرتها. أخبرتني أن كل شيء على ما يرام. لكنها كانت ترتجف أيضًا.

يعود أخي الأكبر من تشنجميو قبل أن يكتمل البناء في الأرض الفارغة. ننتقل إلى **دايريم-دونغ** تاركين وراءنا باروكته داخل باب العلية في تلك الحجرة.

كيف تم التعامل مع ذلك الموت المجهول؟ وحقيقة أن باب الحجرة كان مقفلًا من الخارج كان أمرًا يصعب تفسيره حتى لو وجدوا رسالة انتحار داخل حجرتها.

هذا ما كتبتُه.

***

لوقت طويل حلمتُ أن سقف العلية ينهار... تذكّرت ثم نسيت يأس

الرجل الممتزج بالخوف والأسى. لقد أخبرتها أن تجهض الجنين. لم أكن أنفصل عنها... الأمر فقط أن التوقيت كان... كان... لكن لا أعتقد بأن كلماته هي ما حوّلتها إلى طعام للدود. ابتسامتها الشاحبة... خصرها النحيل بحجم كف... حسابها البنكي الذي تركته وراءها وبه مدّخرات بمليون وون... قال الرجل، اجهضي الجنين...

وأنا أحكمت إغلاق القفل وتركتها بالداخل بينما ترسم ابتسامتها الشاحبة أو ربما تبكي دموعًا باهتة، تاركة بالداخل على الرف حذاء مدرستها الذي انتعلته لأقل من ستة شهور.

المكان الذي انتقلنا إليه بعد مغادرة الحجرة المنفردة كان وحدة سكنية في شقق **ويوجين** في **دايريم-دونغ**. بناية قديمة بنظام تدفئة كهربائي. يبدو أن أخي الأكبر قد استخدم أجر نهاية الخدمة وحصل على قرض من عمله الجديد ليدفع تكاليف المكان. للشقة حجرتان. نركّب هاتفًا حتى. أتى أخي الأكبر ليصحبني من حجرة ابنة خالي بعد أن نقل كل حاجياتنا من الحجرة المنفردة. يعود أخي الثالث بدوره من المزرعة ويرجع إلى الكلية. بعد انتقالي إلى هذه الشقة القديمة، كنت أخاف من مغادرة البيت ما عدا الذهاب إلى المدرسة في المساء. لم أرغب في اقتراب الناس مني أيضًا. لم أرغب في رؤية أي أحد. أبقى في البيت بمفردي طوال النهار وعندما تغرب الشمس، أعدّ العشاء لشقيقيّ، ثم أغطي المائدة بقطعة قماش قبل أن استقلّ الحافلة إلى المدرسة. كانت ابنة خالي فقط من يعرف أنني أذاكر من أجل الجامعة.

أنا في الشقة طوال اليوم، أجلس إلى مكتبي أو استلقي على الأرض. يهطل المطر ثم يتوقّف. تتدفّق شمس الخريف الشفافة إلى الداخل عبر النافذة. يصبح المكان مشرقًا للغاية داخل الحجرة فأغلق الستائر. يصيبني الدوار فأغفو. استيقظ مفزوعة. رأيتها في حلمي المقتضب. جسمها ثقيل وخامد ينتشر فيه الدود. يغطّيني عرق بارد. أشعر كأنني حلزونًا عالقًا داخل سد. أجبر نفسي على النهوض وأرفع الستائر وأفتح النافذة.

أشعة الشمس، المرقَّطة بعد المطر، تملأ الفراغ بين الأرض والطابق السادس. أجول ببصري في هذا الهواء الشفّاف أمامي حين أشعر بتشنّج في أسفل ذقني. تعبر فكرة يقشعر لها بدني وقبل أن أدرك الأمر، أرى نفسي على الأرض منهارة، أطرافي منبسطة. أندفع لإغلاق النافذة وقد تملّكني الفزع.

أفقد رغبتي في الكلام بسرعة. ثمة أيام كنت لا أتفوّه فيها بكلمة واحدة. تحاول آن هيانغ-سوك العسراء اليد ومي-سيو قارئة هيجل أن تجعلاني أتحدّث لكن ينتهي بهما الأمر وقد فقدا أعصابهما.

لا تحاول ابنة خالي أن تجعلني أتكلّم. تلتزم بالصمت مثلي. كانت فضولية لكنها لا تسألني أي شيء عن هِي-جاي. وكذلك أخي الأكبر. لأنني كنتُ مقرَّبة إليها بشكل خاص، ربما اعتقدوا أن مجرد ذكر اسمها سيكون موجعًا بالنسبة إليّ.

ذات مرة كنّا في حفل زفاف عائلي حيث قُدّمت لنا الشعيرية، وأرادت ابنة خالي أن تعطيني البيضة المسلوقة (خلال أيامنا في الحجرة المنفردة كانت البيضة المسلوقة داخل حساء الشعيرية الحارة أو الباردة المفضلة بالنسبة إليّ)، لكنها تسقط على الأرض. في تلك اللحظة تنهّدت ابنة خالي وهتفت باسمي. تحدّق ابنة خالي - الآن ربة منزل متزوّجة من طيار- إليّ وقد علا وجهها تعبير كأنها قد تذكّرت شيئًا لكن تناسته بسرعة، وقالت إن علينا أن نسرع ونأكل. حدّقت بوجه جامد إلى صحن الشعيرية. يبدو الماضي بعيدًا جدًا بالنسبة إليّ.

ذلك الوقت حين كان يجلس ثلاثتنا في انتظار الشعيرية الحارة في مقصف الوجبات الخفيفة في سوق جاريبونغ-دونغ. عندما تُقدّم لنا أطباق الشعيرية، كانت هِي-جاي وابنة خالي تلتقطان نصفَي البيضة فوق طبق الشعيرية الخاصة بكل منهما بعصيّ الأكل الخشبية وتضعانهما في طبقي. لم تفعلا ذلك لأنهما لا تحبان البيض، بل لأنني كنتُ أحب البيض. أحيانًا

بينما تحاولان نقل نصفَي البيضة إلى طبقي، كما لو كانت عادة، يصطدم ذراعاهما ويسقط نصف بيضة على الأرض.

في الشقّة القديمة حيث عشنا حتى تزوج أخي الأكبر، كلما استيقظت في منتصف الليل، أتسلل إلى داخل الحجرة حيث ينام شقيقاي وأنا أحمل وسادتي. أحاول العودة إلى النوم وأنا أنصت إلى صوت تنفّسهما. بينما أستمع إلى صوت تنفّسهما، كنت أستطيع نسيان القلق والوحدة المتنامية بداخلي كل يوم. فقط حين يمتلئ صدري بأنفاس عائلتي، علاقات الدم التي لن تهجرني أبدًا، فقط حينها أستطيع الخلود إلى النوم.

أؤدي امتحان اللياقة البدنية مع طالبات المدرسة الصباحية. كان يومًا خريفيًا صافيًا ومشمسًا. كنتُ ارتدي سترتي الرياضية، والبلوزة السماوية ذات الياقة المثلثة. كان لنسمة الهواء إحساس بارد وناعم على وجهي. يبدو أن ثمة طراوة في رائحة أوراق الشجر في الريح. جاء دوري للقيام بتمارين المعدة. تشكّل ست طالبات صفًا ويرقدن على حصيرة بيضاء. ابدأن! اليدان متشابكتان خلف الرأس والساعدان يندفعان إلى الأمام ليلمسا الركبتين المثنيتين.

بعد أن أؤدّي التمرين ست مرات، لا أقوى على رفع جذعي.

من بين السحب البيضاء الصافية، يبرز وجهها. يقترب مني ثم يتراجع إلى الوراء في كل مرة أجلس فيها ثم أسقط إلى الوراء. أتخلّى عن أداء التمرين وأستلقي على الحصيرة محدّقة إلى السحب. قبل أن أدرك الأمر، تنحدر دمعة على خدي. يصيح مراقب الامتحان المسؤول عن العدّ: «اثنتا عشرة!»، معتقدًا ربما أنني أبكي بسبب أدائي الضعيف.

بسبب هذا، ربما حصلت على ثماني نقاط، درجة عالية بشكل غير متوقَّع في اختبار اللياقة.

أجلس وسط غرباء، لا وجه واحدًا أعرفه، وأؤدي امتحان التحصيل المدرسي. عدد الأسئلة التي لا أستطيع الإجابة عنها أكبر بكثير من تلك التي أستطيع الإجابة عنها. الامتحان الأخير في مادة الرياضيات. املأ ورقة

الإجابة من دون أن أقرأ الأسئلة حتى. عندما أغادر الفصل، كان والداي في انتظاري خارج بوابات المدرسة. لم أهتم بالنظر حولي لأنني لم أتوقّع أن يكون أي أحد هناك، ثم أسمع صوتًا مألوفًا ينادي اسمي. كان أخي الثالث.

«أوبا!».

أركض تجاهه. لا أعرف من أين اشتراه، لكنه كان يحمل ترمسًا ممتلئًا بقهوة ساخنة.

هذا ما اعتاد إخوتي على فعله، الظهور في مكان أو موقف غير متوقَّع، ومناداتي. ثم يمد أحدهما يديه يربّت على يدي ووجهي الذي يشيخ بسرعة منذ مغادرة تلك الحجرة المنفردة.

***

بينما أكتب هذا الكتاب، يغمرني من حين إلى آخر إحساس بأن شخصًا ما يراقبني. عندما يحدث ذلك، أنظر ورائي، عصبية ومتوتّرة. لبرهة بدا أن تلك النظرات التي تطاردني، تزورني بشكل منتظم في توقيت معيّن. كان ذلك يجعل الكثير من الأشياء مستحيلة بالنسبة إليّ. لم أستطع النوم. كنت غير قادرة على غلق الأبواب ليلًا. مرضت وتعبت من اضطراري لأن أكون صريحة، عاجزة عن إجبار نفسي على أن أكون رقيقة معه.

عندما أنظر إلى الوراء الآن بينما أوشك على الوصول إلى النهاية، أدرك أن ذلك الشخص الذي كان يراقبني لم يكن سواي. كنت أحاول بارتباك أن أدخل في مناقشة مع نفسي.

***

إنه شهر أغسطس الآن. لا أمتلك المزيد لأقوله. يجب أن أرسل المسوَّدة إلى ناشري، لكن أنا الأخرى بداخلي لا تكفّ عن الهمس إليّ بعناد، ابدئي من البداية... ابدئي من البداية.

ابدئي من البداية... من البداية... من البداية... مرة أخرى... من البداية... ابدئي من البداية...

عندما أسجّل حوادث معينة بالكتابة، فإن الكثير من الأمور لا تسير كما

خطّطت لها. أجزاء مهمة تتقلّص إلى فقرات صغيرة، وأجزاء تبدأ غامضة ثمّ تصبح طويلة وممتدّة. أنا من يتولّى زمام الكتابة، لكن لا أستطيع أن أكتب كما أنوي. هذه اللحظات التي لا تنفك تظهر وتختفي. لكن أبدأ في التفكير أنه الآن، مهما كانت القصة التي أختار أن أحكيها، فلا يجب أن تكون موجّهة إليّ وحدي.

***

منذ ذلك اليوم الذي فررت فيه من ذلك المكان خالية اليدين إلا من دمية الدب الفلورسنت التي أهداها إليّ **تشانغ**، لم أعد إلى هناك أبدًا ولو مرة واحدة. بذلت قصارى جهدي ألا أفكّر في الحجرة لدرجة أن تلك الفترة في ذلك المكان كانت تبدو أحيانًا وقد تلاشت بداخلي.

ثم أراها مرة أخرى في حلمي ويصبح كل شيء جليًا في ذاكرتي من جديد. ينبض قلبي بسرعة وأشعر كأنني أختنق ثم أشعر بفراغ رهيب وقد دخلت إلى حالة من اليقظة المفرطة. لكن الآن فإن المخبأ المظلم والرطب بداخل قلبي يناديني هامسًا: «كل ما تحتاجين إلى فعله هو أن تركبي قطار الأنفاق المتجه إلى **سوون** في محطة سول أو **جونغجاك**، وتهبطي في محطة **جاريبونغ**. اهبطي الدرجات المؤدية إلى مركز التصميم والتغليف لا إلى المجمع الصناعي رقم ثلاثة، وسوف تصلين إلى الأرض الفارغة. ستصلين إلى المبنى الذي كان قيد الإنشاء حيث كانت الأرض الفارغة في الماضي. هل لا يزال استوديو التصوير الذي كانت تستأجر منه ابنة خالي كاميرا هناك؟ هل لا يزال مطعم الشواء الذي كان يصحبنا أخي الأكبر إليه لتناول لحم معدة الخنزير هناك؟ هل لا تزال الجدة مالكة المتجر على قيد الحياة؟ هل لا تزال الحافلة رقم 118 تتوقّف بالقرب من الأرض الفارغة؟ ماذا كانت البناية الشاهقة التي كانوا يشيّدونها فوق الأرض الفارغة؟ هل لا يزال المنزل بحجراته السبع والثلاثين هناك؟

اتصلت **بتشانغ** وأنا أحاول تجنّب الرغبة المتنامية بداخلي لزيارة الحجرة المنفردة، والتي كانت تكبر ككرة الثلج. طلبت منه أن يقودني إلى

موقف الحافلة لأنني كنت أزور الريف. قادني بشاحنته عن طيب خاطر إلى موقف الحافلة. وصلنا عند العاشرة وعشرين دقيقة، وكانت تذاكر حافلة العاشرة وأربعين دقيقة متوفّرة في شباك التذاكر. حجزت مقعدًا في حافلة العاشرة وأربعين دقيقة لكنني استبدلت التذكرة بأخرى على متن حافلة الحادية عشرة. لم أرغب في الافتراق عنه سريعًا. احتسينا القهوة في مقهى شاي داخل موقف الحافلة حيث الموائد مرتبة عشوائيًا. بينما أصعد على متن الحافلة، لوّح لي قائلا: «رحلة سعيدة.». انطلقت الحافلة لفترة وجيزة قبل أن تتوقّف. كانت لا تزال أمامنا مسافة طويلة قبل التوقّف في **جونغيوب**، لكن الحافلة توقّفت. انفتح الباب وصعد أناس يتصبّبون عرقًا على متن الحافلة. لا بد أن الحافلة التي انطلقت قبلنا تعرّضت لحادثة. لم أفكر في الأمر كثيرًا للوهلة الأولى، لكن حين شاهدت شظايا الزجاج المبعثرة على الرصيف، تساءلت: الحافلة التي انطلقت قبلنا؟ قالوا إنها حافلة العاشرة وأربعين دقيقة. لقد تخلّيت عن المقعد لأنني لم أرغب في الافتراق عنه سريعًا. لو لم أشعر بذلك الشعور، لكنت قد ركبت الحافلة التي تعرّضت للتصادم. كانت الحافلة مركونة في وسط الطريق السريع مهشّمة ومنبعجة. قالوا إن ركّابًا فيها قد جُرحوا ونُقلوا بسيارة إسعاف. عبَرَ وجه **تشانغ** أمام عيني.

***

عندما يقول الناس: «في الماضي حيث كنا نعيش في ذلك البيت، «أو»في الماضي حيث كنا نربي الدجاج»، يبدون سعداء. بدأت أتمنّى لو احتوى هذا الكتاب على مثل هذه السعادة.

هنالك أكلات أتوق إلى تناولها عندما أزور البيت الريفي في الصيف. براعم البطاطا الحلوة المقشّرة والمخللة كالكيمتشي، ومعجون الفاصولياء الممزوج بالحلزون.

هنالك أطباق كانت أمي تطبخها كثيرًا في الصيف قبل أن أرحل عن هذا البيت إلى المدينة. كانت أمي تطهو تلك الأطباق معًا من دون مجهود كما

لو لم تكن شيئًا مميزًا، لكن عندما حاولت أن أعدّها في المدينة، لم يكن لها نفس المذاق. كم كان مثيرًا للعاب أن تأخذ حفنة من الأرز ممزوجًا بمعجون الفاصولياء السميكة المطهو مع الحلزون الطازج المستخرج من المستنقعات وبعض الفجل المقطّع. لكنني كنت أخاف من تناول الفلفل الأخضر الحار. عندما يلتقط شقيقاي حبّات الفلفل الممتلئة الطويلة ويغمسانها في صلصة معجون الفاصولياء قبل أن يأخذا قضمة كبيرة منها، كنت أحدّق إليهما قائلة: «سوف تصرخان قريبًا لأنها حارّة جدًا». لكنْ، بدلًا من الصراخ، يمدان أيديهما لالتقاط حبة فلفل أخرى.

لا تزال أمي عنيدة الآن كما كانت دائمًا. ما أريده حقًا هي براعم البطاطا الحلوة المقشّرة والمخللة كالكيمتشي، ومعجون الفاصولياء الممزوج بالحلزون، لكنها تصرّ على أن يذهب أبي إلى الجزّار في البلدة. يأخذ دراجته النارية ويعود حاملًا لفة كبيرة من اللحم لإعداد اللحم البقري المنقوع في الخل وحساء الكوارع. تغلي أمي قِدرًا أبيضَ كبيرًا ممتلئًا بالماء على موقد الغاز في الفناء الخلفي من أجل الحساء. قالت إن ثمرة يقطين ضخمة بهذا القدر (تفرد ذراعيها لترسم دائرة في الهواء)، قد نمت في الرقعة وراء البيت، لكن للأسف أخذها أحدهم.

«لقد زحفت تعريشاتنا حتى تعريشات الرقعة المجاورة لنا، لذا أخمّن أنهم قد أخذوها معتقدين أنها تعريشتهم».

«لماذا لا تذهبي وتسأليهم إذًا؟ قولي لهم إن تلك تعريشاتنا وإنك تعتقدين بأنهم قد أخذوا يقطينتنا ظنًا منهم أنها لهم».

أبرز ذقني إلى الأمام وأنا أمثّل المحادثة متقمّصة دور أمي. سرعان ما تنسى أمي اليقطين المختفي وتضحك، عيناها الواسعتان تضيقان إلى شقّين رفيعين.

«الأمر فقط أنها كانت اليقطينة الأولى هذا العام. كنت أتأمّلها كل يوم وأفكر أنه عندما تنمو وتسمن، فسوف أقطعها لتأكلها ابنتي. لكن اختفت هكذا فجأة. هذا سبب حزني».

كان القلق يساور أمي بسبب حساسية بشرتي وقدمي للتورّم، فكانت بعد الحصاد كل عام، تصنع عصير اليقطين وتجلبه إلى المدينة في غلاية من أجلي.

بعد تناول العشاء، ناقش أبي وأمي موضوع البيت بالتفصيل أثناء تناول شرائح البطيخ الأحمر. أراد أبي إعادة بناء البيت. كان قد رمّم الهيكل القديم للبيت مرات ومرات مما أعطى البيت هيئة غير ثابتة، كما لو كان مجرّد مقر إقامة مؤقت. لم يكن هنالك مكان للضيوف أيضًا. لكن أمي كانت ضد الفكرة. متعلّلة أن بيتنا من أفضل المنازل في القرية، وأننا إذا هدمناه وبنينا آخر جديدًا، فلن ينظر أهل القرية إلى الأمر بلطف. لكن الشرفة ضيّقة جدًا وتسمح بنفاذ الكثير من ضوء الشمس إلى داخل الحجرات لهذا نحتاج إلى توسيع الشرفة، وذلك كل شيء.

في البداية، اتخذتُ جانب أمي ثم أبي، وهلم جرًّا. تقول أمي إنهما لا يمتلكان الكثير من الوقت في الحياة، ولا يمتلكان رفاهية الوقت ليهدما البيت ويبنيا آخر جديدًا، وأنه يجدر بهما أن يستخدما المال ليشتريا لابنهما الأصغر شقة عندما يتخرج ويعثر على زوجة. يقول أبي إنه لن يستطيع العيش أبدًا في أي مكان آخر، وأنه إذا لم يشيّد بيتًا جديدًا، فلن يزور أي أحد البيت بعد موته. كنت أميل أكثر وأكثر تجاه رأي أبي. بدا أنه يتناقش مع أمي، لكن يمكنني أن أميّز أنه قد حسم قراره بالفعل، لم يكن أبي رجلًا يتحدّث كثيرًا. كانت هذه هي المرة الأولى التي أراه ينخرط في محادثة طويلة هكذا مع أمي. لم يكن يناقش الموضوع مع أمي بل كان يحاول إقناعها.

«هل أرغب في بناء البيت الآن من أجلنا نحن فقط؟ لا يهم في أي بيت نعيش. أريد ذلك من أجل أبنائنا، إنهم يزوروننا لأننا نعيش هنا الآن، لكن هل تعتقدين بأنهم سيأتون لزيارة البيت عندما نموت؟ علينا أن نترك لهم بيتًا جديدًا كي يأتوا لزيارته بعد رحيلنا».

«من سيأتي للعيش هنا عندما نموت؟».

«ماذا لو لم يعِش أحدًا هنا؟ سنصنع مفتاحًا لكل منهم...».
عدّ أبي أبناءه الستة كما لو كان يعدّ نجومًا.
«ستة. إذًا لو زار كل منهم البيت مرة في السنة فتلك ست زيارات على الأقل. وإذا كان يوجد بيت هنا فسيرغبون في القدوم. سيلتقون هنا حتى لو لم يستطيعوا رؤية بعضهم كثيرًا في سول».
مرة أخرى كنتُ أنحاز إلى أبي أكثر وأكثر. لم تكن أمي من أقنعها أبي لكن تفكيري أنا هو ما نجح في تغييره.
أجلس هنا في نسيم الليل مستمعة إلى أفكار أبي عن البيت، ينتابني الفضول عن الألعاب التي كنتُ ألعب بها عندما كنتُ طفلة، أول شخص ابتسمت في وجهه، أي ركن في هذا البيت تشبّثت به حين بدأت المشي لأول مرة، ما لون الحذاء الذي انتعلته في أول يوم خطوت فيه خارج هذه البوابات؟

***

استيقظ في منتصف الليل. كان عليّ الذهاب إلى الحمام. ربما بسبب البطيخ الذي تناولته.حين فتحت باب حجرة النوم ثم الباب المؤدي إلى الشرفة ومشيت في الفناء حتى الحمام الخارجي، تذكّرت أنه قد أُغلِق وشُيّد حمّام بجانب شرفة أواني الصلصة الفخارية ورُكِّب مرحاض فيه. كان هذا التجديد قد تم منذ مدة طويلة، لكنني كنت أنسى التغييرات الجديدة في هذا البيت، وأبحث عن الآثار القديمة. لم أستطع الانتظار فجلست القرفصاء تحت شجرة الكاكي، وراقبت نجوم الصيف المضيئة في سماء الليل. من القائل إن الأشياء التي تُرِكت من دون أن تُقال داخل القلب، تصعد إلى السماء وتصبح نجومًا؟ عندما تتجمّع أشياء ضئيلة بعدد كبير، فإنها تعكس حزنًا ما. الحصى، الرمال، حبات الأرز، الصدف، وكذلك النجوم في السماء. لكن تختلف النجوم عن كل هذه الأشياء في أنه يوجد عدد لا حصر له من النجوم، ولكل منها بريقها الخاص.

لا أستطيع حمل نفسي على العودة إلى الداخل. كنت أجلس في الشرفة عندما لمحت البئر. لا دلو بجواره. الآن أصبح هناك محركٌ يسحب الماء من البئر. ظل البئر يكبر ويكبر حتى ملأ مجال بصري. مشيت بهدوء عبر الفناء إلى البئر. رفعت لوحة الصفيح من فوق سطح البئر وحدقت إلى الداخل ببطء. لا شيء سوى الظلام. كان البئر مغطّى منذ وقت طويل. اخترقت رائحة الرطوبة أنفي. عندما كنا نستخدم دلوًا لاستخراج الماء، لم نفكّر أبدًا في وضع غطاء فوق البئر. وقتها كنت أشعر بتيار هواء بارد حول البئر حتى قبل أن أقترب منه. أجلس وأترك ذراعيّ تستريحان فوق حافة البئر.

عندما كنتُ صغيرة، كان البئر يبدو عميقًا جدًا. في كل مرة كنتُ أبكي فيها، كانت أمي تحاول إخافتي وتشتيتي عن سبب بكائي بأن تحكي لي قصة عن شبح امرأة داخل البئر، ستطاردني لأنها ترغب في أن تكون صديقتي. لم تخفني هذه القصة أبدًا. أحببت البئر وإذا كان هنالك شبح هناك، فكّرت أنني سأستطيع أن أكون صديقتها. لو كانت تعيش داخل البئر، مختبئة من السماء عميقًا داخل البئر، فربما كانت تشبه البئر.

عادت الذكريات إليّ، استخراج الماء حيث كنت أضع الدلو بعيدًا وقطرات الماء تتساقط منه لأبحث عن السماء المختبئة داخل البئر، فكنتُ أجلس كما أجلس الآن وأحدّق إلى الداخل في هدوء. عندما كنتُ أعيش داخل هذا البيت، كانت البئر والسقيفة مكاني المفضلين. كان بإمكاني الاختباء هناك أو إخفاء أشياء بداخلها. كنت أخبئ داخل البئر أشياء لا أستطيع أن أخبئها في ثيابي. هارمونيكا أخي، أو بروش أمي، أو سمكة الشبوط الذهبية التي اصطادها أبي من المستنقع، أو بتلات أزهار الأزالية التي قطفها من جبال الربيع.

أريح وجهي فوق ذراعي على حافة البئر وأحدّق داخلها لوقت طويل.

لاحقًا، بينما أتمشّى بطول النهر، كان الحصى يبرز في كل مكان،

يتدحرج ويرتد. بينما أحدّق داخل البئر، كانت الأفكار تبرز هنا وهناك تمامًا مثل تلك الحصى.

***

ترمقني **يون سون-إم** بنظرة متحيّرة وأنا أخبرها أنني أريد أن سأستقيل. تقول لي أن انتظر حتى استلم راتبي ومكافأة نهاية الخدمة.

«لا أمتلك الوقت.».

مكتبة
t.me/t_pdf

«الوقت لماذا؟».

«لديّ فرصة للدراسة».

«هل ستذهبين إلى الجامعة؟».

«إذا قُبلت».

تكف **يون سون-إم** عن محاولة إثنائي. أُخرج زي العمل الشتوي الأرجواني المعلّق داخل خزانة ثيابي وأغسله. يجب أن أسلّمه مع استقالتي وزي العمل الصيفي الأزرق أيضًا. بينما أطوي الزي بعد أن غسلته وجففته في الشمس، دسست يدي داخل أحد جيوبي. أفكر من أول من اخترعها؟ تلك الجيوب التي أراحتني طوال سنوات عملي الأربع في مصنع إلكترونيات **دونجنام**، سواء كنتُ أرتدي الزي الأزرق في ساعات عملي، أو الأحمر في ساعات العمل الإضافي. بعد أن سلّمت استمارة استقالتي من الاتحاد العمالي، عندما لم أستطع الانضمام إلى الآخرين في إضرابهم عن العمل الإضافي، وكلما كان كبير العمال يوبّخني، وكلما كنت أتوجّه إلى الكافيتيريا فوق السطح لتناول الغداء، كنتُ أدسّ يديّ داخل هذه الجيوب.

أسلّم استقالتي وأعيد زي العمل. بينما أمشي إلى الخارج عبر بوابات إلكترونيات **دونجنام**، ألاحظ أن **يون سون-إم** تتبعني.

«ماذا عن المذاكرة هنا؟... لا يبدو أن عليكِ المذاكرة في البيت».

«...».

«ستخسرين راتبك ومكافأة نهاية الخدمة. ذلك أمر مؤسف. لم تحصل ابنة خالكِ على مستحقاتها أيضًا».

«أتمنّى أن تساعدينا بالحصول على مستحقاتنا».

«تعرفين كيف تسير الأمور هنا. لماذا تعتقدين بأن أولئك اللواتي استقلن بالفعل يواصلن القدوم إلى العمل كل يوم؟ لأنهن قلقات من أنهنّ لو لم يأتين، فلن تدفع لهن الشركة أبدًا. الشركة في وضع متأزم، ولن يغض البنك ولا الحكومة الطرف عن الأمر. إذا تولوا الإدارة فسوف يدفعون للجميع مكافأة نهاية الخدمة. لذا لماذا لا تأتين وتذاكرين هنا حتى يحدث ذلك».

«...».

«اصبري قليلًا فقط...». تصرّ مرة أخرى أنه ليس عليّ المذاكرة في البيت.

أقول إنني سأفعل كما تقول. في اليوم التالي من باب العادة أحاول ختم بطاقتي لتسجيل الحضور. لكن البطاقة تختفي داخل الشق. قطاع أجهزة التلفاز المكان الوحيد الذي لا يزال يستمر في الإنتاج داخل المصنع. حتى هناك أُوقف خطّا إنتاج ولم يتبقَ سوى خط واحد فقط يعمل. أجلس في مكان هادئ، سواء فوق السطح أو على دكة خشبية، أو في الكافيتيريا أقرأ كتاب امتحان مادة فن الكتابة، ثم أتوجّه عائدة إلى البيت. عندما أرى العاملات المستقيلات تتجمّعن أو يُحدثن ضجة، أطل برأسي لأرى ما يحدث.

ذات مساء يسألني أخي الأكبر لماذا أواصل الذهاب إلى العمل حتى بعد استقالتي. أخبره أنني أحاول الحصول على مكافأة نهاية الخدمة. يقول متنهّدًا، إنني يجب أن أتوقّف عن الذهاب. إن الأهم هو التركيز في دراستي من دون إضاعة أي وقت. عندما أستمر في الذهاب إلى المصنع، يفقد أعصابه ويسألني إذا كانت مكافأة نهاية الخدمة، والتي ستكون مبلغًا بخسًا في النهاية، تستحقّ كل ذلك العناء.

أذهب إلى العمل لآخر مرة من دون أن أخبر أخي الأكبر كي أعلم **يون سون-إم** أنني لن آتي مرة أخرى.

«أخوكِ مخطئ. الحصول على مكافأة نهاية الخدمة أمر مهم جدًا بالنسبة إلينا حتى لو كان مبلغًا بخسًا».

أشعر بالذنب وأخفض رأسي من دون أن أقول أي شيء.

«سوف نلتقي مجددًا». تبتسم **يون سون-إم** وهي تودّعني. أقول لها وداعًا.

«في الماضي كنا لنقيم حفلة وداع من أجلك». يتردّد صوتها في أذنيّ.

يون سون-إم... لم أرها مرة أخرى أبدًا. لم تكن لتبقى داخل اللوحة النوعية للعمل في المصنع التي أحتفظ بها في رأسي. كانت لتبني بيتًا لها في مكان ما من العالم. حتى حين كانت تجلس أمام الحزام الناقل، كانت تفوح منها رائحة البيت. حتى حين كانت عيناها مثبتتين لساعات على دوائر الأسلاك، المتشابكة كدهليز، تربط وتثبّت وتلحّم أسلاكًا جديدة، كان يمكنني أن أتخيلها تقشر الثوم أو تغسل البقدونس. في مكان ما كانت لتعيش في كوخ مريح. كانت لتلتقط وتنقع وتنشر وتطوي أطنانًا من الغسيل. كانت لتحتفظ بقماط طفلها الأول ملفوفًا في نسيج قطنيّ أبيض، وتخرجه عندما يولد طفلها الثاني. في الصيف كانت لتهبط إلى القبو المكدّس بالأدوات المنزلية لتحضر المروحة، وتجلس القرفصاء لتنهي الكيّ وعنقها تتصبب عرقًا. في المساء ستعِد مائدة العشاء وتخرج لتحضر طفلها، وهي تمسح يدها التي لا تزال تحمل رائحة الصلصة والتوابل. أحيانًا تستمع إلى صوت الطبيعة في هدوء، عيناها مغمضتان، وفي أيام أخرى تزيد من سرعتها فوق الطريق وهي تقود دراجتها. كانت لتستخدم الصفاء والحزم الذي تحتفظ بهما بداخلها لتبني بيتًا جميلًا من أجلها. ستكون في مكان ما من هذا العالم، تبذل قصارى جهدها لفهم الناس من حولها، وتصارع فراغ العلاقات العابرة. حركات النساء داخل بيوتهن... هكذا كنتُ أتصوّرها.

حتى حين كانت تجلس أمام الحزام الناقل، كان في حركاتها إحساس بالسلام والحنين إلى حياة منزلية تقليدية.

***

كان معلمي السيد **تشوي هوانغ-أي** من أخبرني عن كلية فنون سول فوق جبل **نامسان**. قال لي إن في الكلية قسمًا للكتابة الإبداعية. كانت درجات تحصيلي المدرسي منخفضة للغاية، ولم أهتم بالتقدّم إلى جامعات الصفَّين الأول والثاني. كان رقمي في استمارة التقدم هو 155. كان امتحان الالتحاق بالكلية عبارة عن موضوع تعبير. كان الموضوع الذي كان علينا الكتابة فيه هو «حلم». يمكننا كتابة نثر أو شعر بحسب اختيارنا. كتبت -أنا في التاسعة عشرة- عن معلّمة السنة الرابعة التي كنت معجبة بها. كتبت أنها كانت إنسانة جميلة، وأن حصص العلوم التي كانت تدرِّسها، كانت تعجّ بقصص غزيرةٍ وحزينة عن المجرّات والسُدُم، وأن حلمي هو أن أصبح راوية لقَصص جميلة مثلها.

لاحقًا، خلال المقابلة الشخصية، نظر إليّ الأستاذ الجامعي الذي أصبح بعد ذلك معلمي، وعلّق: «درجات تحصيلك المدرسي منخفضة». بينما أخطو خارج الحجرة، دارت كلماته في رأسي. لقد انتهى الأمر الآن. تهرب دمعة من عيني بينما أسير هابطة جبل **نامسان**. كي أعود إلى البيت، كان عليّ أن أركب الحافلة عند مجمع **لوتي** التجاري. أعجز عن العثور على المعبر من جادة **تويجاي إلى لوتي**، رحت أجوب منطقة سوق **نامدايمون** عدة مرات كمتسلّق جبال، فقد إحساسه بالاتجاه في طريق دائري. في كل مرة أخرج فيها من نفق المشاة، أجد نفسي في المكان نفسه فأهبط إلى النفق ثانية لأنتهي عند المخرج ذاته وهلم جرًا. عندما أصل إلى البيت أخيرًا، أتسلل إلى تحت البطانية وأبكي بصوت مسموع. يسألني أخي الثالث كيف كانت المقابلة الشخصية فأصرخ في وجهه، «لا تكلمني». وهو ما صدمه.

يذهب أخي الثالث ليرى نتائج اختبار الالتحاق بالجامعة خشية أن أتوه

ثانية في أماكن غير مألوفة من المدينة، وأعجز عن العودة بسهولة. يهاتفني أخي ويقول: «لقد قُبلتِ في الجامعة. مبروك».

***

كُنت قد بدأت الجامعة للتو. يخبرني أخي الأكبر أنه سيسافر في رحلة عمل. لكن في اليوم التالي، بعد أن أخبرني أنه سيكون بعيدًا في رحلة عمل، يتّصل بي من جيونغيوب، أمي إلى جانبه. أعتقد بأنه كان يوم سبت. يقول أخي الأكبر إن خطوبته في اليوم التالي ويطلب أن آتي إلى **جيونغبوب**. خطوبة؟ لم أصدّق الأمر، لكن لا يبدو أنه يكذب لذا أستقل قطار الليل إلى القرية. لا أملك الوقت حتى كي أخبر ابنة خالي. في اليوم التالي التقي بخطيبة أخي المرتقبة في مطعم في **جيونغيوب** لأول مرة. كان احتفالًا بخطبتهما، لذا التقينا كأسرة لأول مرة. كانت قصيرة القامة، لها عينان واسعتان وبشرة فاتحة. يبدو أن أخي الأكبر لا يعرف الكثير عنها، فقط أنها ارتادت الجامعة في سول، ثم عادت إلى القرية لتعيش مع أبيها. إنها امرأة رقيقة ومتفهّمة تمقت طبيعة أبيها القاسية، ولم تُغضبه أبدًا ولو مرة واحدة. ماذا كان يمكنه أن يعرف عنها وقد التقيا لأول مرة يوم الجمعة وها هما يُخطبان يوم الأحد. أُعجَب بخطيبة أخي الأكبر من اللحظة الأولى، لكن حتى أثناء تقطيع الكعكة، وقفت هناك بوجه جامد، غير قادرة على أن أصدّق أنه سيتزوج. ثم عندما وضع خاتم الخطوبة في إصبعها، بدأت أبكي بصوت مسموع. لا أستطيع فهم سبب بكائي، لذا لا أعرف كيف أتوقّف. التفت الناس وحدّقوا إليّ. تأتي أمي إليّ وتطلب مني أن أكفَّ عن البكاء، لكن لا أستطيع. تدمع عينا أمي بدورها وهي تحاول تهدئتي. كانت تلك هي خطوبتهما؛ ثم بعد شهر تزوجا. في حفل الزفاف بدأت ابنة خالي تبكي بصوت مسموع كما فعلتُ في الخطوبة. بكت بغزارة. توليت أنا هذه المرة دور تهدئتها. كانت زوجة أخي الأكبر جميلة، عيناها صافيتين ولطيفتين.

فجأة بدأ الناس يدعونني أخت الزوج. أصبح كل شيء -لوح التقطيع وسكين المطبخ- ملكها الآن. فقط حينها أدرك كم كنتُ استمتع بشحذ

السكين المثلوم فوق صخرة صغيرة أعطاها أبي إليّ، ونقع الأرز قبل طهوه بالبخار في قِدر، وتقطيع وتتبيل الفجل لأعدَّ السلطة. أدركت أنني بينما أركز على تحريك يدي لأخرج الحبوب غير المقشورة في الأرز، كنت أهدّئ العزلة المتضخّمة بداخل قلبي. هل السبب أن حجرتي كانت الأقرب إلى المطبخ؟ بعد أن لم يعد مسموحًا لي بالعمل في المطبخ، بدأت أسمع أهون الأصوات التي تصدرها زوجة أخي. صوت مسح يدها في مئزرها، وصوت تنورتها تحتك بالثلاجة. في وقت مبكر ذات صباح بعد أيام من المكوث في حجرتي، أخمِّن إذا كانت مغرفة أم مصفاة أم مغرفة الأرز التي تنزلها من فوق الرف في خزانة المطبخ، قبل أن أقرر أن ألصق على نافذتي ورقًا مقوّى أسود بالحجم نفسه. يحجب الورق المقوّى أشعة الشمس وقت الفجر محوِّلًا حجرتي إلى كهف. بينما أنا في الخارج، تنزع زوجة أخي الورق المقوّى. أعود إلى البيت فأعيد وضعه. تنزله ثانية فأضعه من جديدة. كانت تستنكر الأمر. كم إنه من غير المناسب أن توجد حجرة مظلمة كالكهف في بيت عروسين جديدين، حيث الملاءات الوردية والستائر البيضاء ملائمة أكثر. ذات يوم ترمي الورق المقوّى إلى الخارج، أذهب لرؤيتها بجوار آلة الغسيل، حيث كانت تغسل ثيابها، وأطلب منها بصوت يكاد يُسمع، ألّا تدخل إلى حجرتي. تنحني إلى أسفل تجاهي.

«لا يمكنني سماعك أيتها الشابة الصغيرة، ماذا كنت تقولين؟».

«لا تدخلي إلى حجرتي». هده المرة أصرخ من دون مقدمات. كانت محاطة برائحة مسحوق الغسيل عندما بدأت تذرف الدموع. يخرج أخي الأكبر من حجرتهما ويقودها إلى الداخل. بعد برهة يأتي إلى حجرتي. ينظر في عينيّ مباشرة، ويقول إنه يرغب في شراء هدية من أجلي للاحتفال ببدايتي الجديدة في الجامعة، ويسألني إذا كان هنالك أي شيء أرغب فيه. أخبره أنني أريد كتبًا.

«أي نوع من الكتب؟».

«روايات».

في اليوم التالي وصلتني المجموعة الكاملة من الأعمال الأدبية الكورية المعاصرة التي نشرتها دار سامسونغ للنشر. عددت الكتب بأغلفتها العاجية والقرمزية بينما أرتّبها فوق رف كتبي. إجمالي مائة مجلّد.

انتهى خلافي مع زوجة أخي الأكبر بسرعة بفضل الكتب. لم أعد أضع الورق المقوى الأسود على النافذة، وقد انهمكت في قراءة الكتب. بينما أقرأها، أنسى كل شيء عن المطبخ.

***

بينما تتعوّد عيناي على الظلام داخل البئر، يمكنني تمييز سطح الماء الأسود. وبينما تتعوَّد عيناي على السطح الأسود، يمكنني تمييز العدد اللانهائي للنجوم التي تومض فوق سطح الماء. كانت النجوم تطفو فوق الماء كعبارة ما. للحظة اهتزت النجوم داخل البئر وتقلّبت كما لو أن ريحًا تكتسح السماء.

كانت تلك هي العبارات التي طاردت ناشري كي يحذفها من مجموعة مقالاتي مباشرة قبل أن تُطبع.

الجرح الذي خلّفه موت هِي-جاي الذي تورّطتُ فيه من دون قصد أحالني إلى فراغ أبديّ. لا تزال آثارها تؤثّر عليّ. منذ موتها، تملّكني خوف عظيم من إقامة علاقات مع الآخرين. كانت جزءًا خربًا من قلبي منعني من بناء روابط حميمة. كلّما اقتربت من شخص ما، شعرت بأنني مرغمة على أن أكون من يغلق ذلك الباب، وخفت من أن هذه العلاقة الجديدة قد تفرض عليَّ من دون أن تمنحني الاختيار، دورًا لا يمكنني استيعابه. فكرت أن سرّي قد ينكشف بعد موتي. يمكنني تقبل إفشائه، لكن خشيت من تحريفه. كي أمنع سرّي من التحريف، اخترت ألا أخبر به أي أحد. ألا أخبر أيّ أحد أبدًا كان يعني ألّا أقيم علاقات البتة مع أي أحد. أبقيت شفتيّ مطبقتين لعشر سنوات، أعاني وحدي من الذنب والحقد والحنين. ثم بعد عشر سنوات، حاولت الكتابة

ليس إلى شخص لكن من خلال عملي أنني قد أغلقت القفل فوق ذلك الباب. تراكم المزيد من السنوات. بعد أن احتفظت به طويلًا جدًّا بداخلي، لا أسمح له بالخروج، يبدو لي السرّ الآن مثل حلم. ربما كان حلمًا... أحاول أن أفكّر هكذا... أجل، ربما كان حلمًا... يصرّ قلبي على ذلك، وتبتسم يداي بسخرية. تتذكّر يديَّ. ما شعرت به عندما أغلقت القفل، صوت التكّة التي أحدثه. أمعن النظر إلى يديّ.

الجسد يتذكّر بطريقة صافية وحازمة ودقيقة ومتواصلة أكثر من الطريقة التي يتذكّر بها العقل. الجسد أكثر صراحة.

منذ أكثر من عشرين سنة تعلّمت في هذا البيت ركوب الدراجة. قبل أن أستطيع قيادة الدراجة بطول التل، كسرت أنفي وجرحت ركبتَيّ مرات عدة. في اليوم الذي قدت فيه الدراجة إلى المدرسة لأول مرة، ارتبكت فوق طريق أسفل التل في طريق عودتي إلى البيت لدرجة أنني قد نسيت أن أدوس على المكابح. زادت سرعة الدراجة وقذفتني بزيّ مدرستي الأبيض داخل حقل أرز، ويداي ترتعشان وهما تتشبّثان بمقود الدراجة. تبللت الكتب داخل حقيبتي بماء الحقل واضطررت إلى المذاكرة من هذه الكتب المصفرّة طوال العام. لكن بعد هذه الحادثة، أصبحت قادرة على الدوس على المكابح في اللحظة المناسبة، وخلال سنوات المدرسة المتوسطة الثلاث، قدت دراجتي إلى المدرسة وحقيبة مدرستي على ظهري، لاحقًا كنت أرفع كلتا يديّ حتى عن مقود الدراجة بينما أقود الدراجة شاعرة بالرياح على وجهي. لم تسنح الفرصة لي كي أركب دراجة منذ وصولي إلى المدينة. لم ألمح حتى واحدة. بدا كأن عقلي قد نسي ركوب الدراجات. لكن، كان جسدي الذي جُرح وتألّم بينما أتعلّم ركوب الدرجة، من لم ينس أبدًا. لم أكن أركب دراجة لسنة، وأحيانا لسنتين، ثم

حين أصادف دراجة، كنت أبدأ في قيادتها فتندفع الدراجة إلى الأمام بأزيز مسموع.

كنت أفكّر مرارًا طوال هذا الوقت. لو فتحت الباب، مرة واحدة فقط، قبل أن أغلق القفل، أكانت الأمور لتختلف؟ أكانت؟!

***

داخل البئر تهب ريح الليل وتستقر السماء. تتدفّق رائحة طازجة بداخلي. أنسى أنني كنتُ أحدّق داخل البئر، والتفت حولي، أحاول العثور على مصدر هذه الرائحة التي تسري بداخلي. بطريقة ما شعرت لو أنني لم أحاول التعرف على هذه الرائحة في الحال، فسوف أندم على ذلك لوقت طويل. كانت رائحة الماء، رائحة العثة. انظر داخل البئر من جديد. لا بد أن الرائحة الرطبة للماء والعثة بعد أن غُطي البئرّ لوقت طويل تحت لوح القرميد قد شفطت كل الهواء النقي والنجوم الجديدة بعد أن رُفع الغطاء. الرياح داخل البئر قد همدت والنجوم قد تلاشت. وجه هِي-جاي يطفو داخل البئر كجملة. يعلو وجهها تعبير الخجل الذي كان يعلوه عندما تقول شيئًا نابعًا من القلب.

«... لا حاجة إلى الشعور بالأسف عليّ. لقد عشت في قلبي لوقت طويل. افتحي قلبكِ وفكّري في الحياة. المفتاح إلى حكاية الماضي بين يديكِ لا يديّ. انقلي حزن وأسرار من قابلتِ في الماضي إلى الأحياء. ستغيّرك حقيقتهم».

هبّت ريح، خلقت تموّجات داخل البئر. كانت داخل الماء الطازج الرائحة، تبحث.

«عما تبحثين؟».

«عن المذراة التي ألقيتها في الداخل؟».

«لماذا؟».

«سوف أخرجها من البئر... بعد ذلك لن تؤلمك قدماكِ أبدًا».

ترفع المذراة من قاع أعمق مضيق داخل البئر. كم من ممر مائي صغير

يقع داخل معبر مائي أكبر! تُسحب المذراة داخل قبضتها، فتكشط الأرضية. رذاذ ماء. كل ما غاص في قاع البئر يتحرك في دوامة.

أين ستتوجه الآن بينما تغادر قلبي؟ لا أعرف أين، لكن أتخيّل أنه لن يكون مكانًا داخل دوامة، أو أسفل رواسب، أو داخل صمت مطبق. تغادر لأن داخل قلبي تُولد الآن قصص جديدة، قصص الآمال والأمنيات.

صادفت رجل **هِي-جاي** مرة واحدة فقط. كان ذلك في شارعٍ مزدحم في **ميونجدونغ**. كنت على متن حافلة. بينما أقف، يرتجّ جسديٍ، ويديً تتشبّث بالمقبض. رأيته يقف أسفل شجرة فوق الرصيف. لأن جمعًا من البشر كان عند موقف الحافلة، وقد تزاحموا في اتجاه واحد كي يصعدوا على متن الحافلة، كان من السهل ملاحظته، وهو يقف هناك على الرصيف أسفل الشجرة. منظره لفت انتباهي. حينها فقط أدركت أنه هو. كان يقف هناك وحسب. لم يحاول أن يصعد على متن الحافلة أو يمشي. كان يقف هناك على قارعة الطريق. ظهره مستندًا إلى الشجرة. يتجهّم كلما مرت سيارة أجرة كما لو أن ضوء كشافها يؤلم عينيه.

هسهست رياح باردة. أشعر برعشة على وجهي في منتصف هذه الليلة الصيفية. بدأت أرتجف حتى. أمشي بعيدًا عن البئر، من دون أن أغلق غطاءه. أعبر الفناء وأخطو داخل الشرفة. عندما أنظر إلى الوراء وأنا أفتح الباب، أرى ضوء النجوم يتدفّق داخل البئر، يملأه. سيكتسب الماء والعثة بعد أن يغذّيها ضوء النجوم رائحة منعشة أكثر. أدلف إلى الحجرة وأدفن وجهي في الوسادة. كان أبي وأمي يرقدان متجاورَيْن نائمين. امتلأت الحجرة بصوت تنفّسهما. لقد خرجت أمي إلى رقعة الخضراوات بعد الظهر وقطفت ملء سلة من براعم البطاطا الحلوة.

***

كنت عائدة إلى المدينة على متن قطار الساعة السادسة وأربعين دقيقة. تقشّر أمي براعم البطاطا الحلوة، وتعد الكيمتشي بالبراعم مباشرة قبل

رحيلي، مصرّةَ أن مذاقها لن يكون جيدًا لو تبّلتها مُسبقًا، ثم خزّنتها داخل حاوية لأحملها معي في حقيبتي.

يخرج أبي دراجته النارية ويشغّل المحرك ويوصلني إلى المحطة. تزداد سرعة دراجته على الطريق الريفي الذي قادنا خارج القرية. أُحكم قبضتي حول خصره كي أمنع جسمي من الاهتزاز. ينوي أبي تشييد منزل جديد. إذا طلب رأينا سرًا، فسوف أدعمه، وأقنع أفراد العائلة الآخرين المتردّدين. للمنزل الجديد في مخيلة أبي، ستة مفاتيح. ستربط المفاتيح بيننا، وتحمينا من الافتراق.

يشتري أبي تذكرة من أجلي، ويحمل حقيبتي إلى رصيف المحطة. «اتصلي بالمنزل عندما تصلين». عندما يصل القطار، يرفع أبي حقيبتي فوق الرف أعلى مقعدي. في المقعد بجواري، يجلس صبي يبدو نائمًا. تتشبّث يداه بمسند المقعد. أظافر يديه متسخة. بدا أنها ملطخة بالزيت، أو لم تُغسل منذ مدة طويلة وقد امتلأت بالوسخ. تعطي ملامح وجهه انطباعًا باردًا، تغطي خصلات شعره جبهته. يظل الطفل نائمًا حتى يصل القطار إلى **سوون**. عندما يعلنون أن المحطة القادمة هي **يونجدونجبو**، أهزّه لأوقظه.

«هل تجاوزنا **يونجدونجبو**؟». حينها فقط يفتح الصبي عينيه، مفزوعاً. جسمه هزيل لكن عينيه واسعتان ولامعتان. أخبر الصبي الهائج أننا قد توقفنا عند محطة **سوون** منذ فترة وأننا سوف نصل قريبًا إلى **يونجدونجبو**. يغوص الصبي في مقعده من جديد وهو يقول: «حسنًا»، وقد بدا عليه الارتياح.

***

إذا هبطتُ في محطة **يونجدونجبو**، سيمكنني الذهاب إلى هناك عن طريق قطار الأنفاق. مرة أخرى أتجاهل الرغبة المتنامية بداخل قلبي. الذهاب إلى هناك حاملة تلك الحقيبة الثقيلة؟ حقيبتي الثقيلة وحاوية كيمتشي براعم البطاطا الحلوة. أنهض لأنزل حقيبتي الثقيلة من على

الرف، يعرض الصبي أن ينزلها من أجلي. التقط الحقيبة من دون عناء ثم وضعها على الأرض. تفوح من جسده رائحة عامل خرسانة ماهر.

« شكرًا».

يبتسم الصبي بحياء، كاشفًا عن صف من الأسنان البيضاء كحبات الرمان. لا يعاود الجلوس بل يتوجّه إلى الباب مباشرة. لا يحمل أي شيء معه ولا حتى حقيبة. ألاحظ من ظهره أنه يمتلك بنية قوية. بينما أتأرجح بين التردّد والترقب والاستسلام، يصل القطار إلى محطة **يونجدونجبو**. أنتقل إلى الجلوس على المقعد الذي كان يجلس عليه الصبي. كان الصبي رشيقًا جدًا إلى درجة أنه قد وصل الآن إلى النهاية البعيدة للرصيف. عندما كان نائمًا متكومًا في مقعده، بدا مثيرًا للشفقة، لكن الآن، يمشي فوق الرصيف مفعَمًا بالنشاط. يخطر ببالي أنه ربما لم يعد صبيًا بعد الآن. مع ارتفاع خصلات شعره عن جبهته، تذكرني ملامح وجهه الطويل الذي بدا باردًا لسبب ما، بزرافة.

بدأ القطار في التحرك من جديد فبدأ الطفل في الركض كما لو كان يسابق القطار.

تجحظ عيناي. أكان هذا سرابًا؟ كانت ساقاه خفيفتين. أسرع من العجلات المعدنية للقطار. كانتا منحوتين بدقة، ومرنتين، مستعدّتَيْن للركض بسرعة سبعين ميلًا في الساعة.

تغادر ساقا الصبي الرشيقتان الرصيف قبل أن يغادر القطار محطة **يونجدونجبو**. تفلت تنهيدة ارتياح من فمي. أضع يدي على نافذة عربة القطار المسرعة، عجلاتها تصلصل برتابة. حركة يدي، صغيرة وعفوية، تجلب إليّ على نحو باهت، وعدًا من الماضي، وعدًا يوشك أن يتلاشى إلى العدم.

في طريقه إلى وجهته الأخيرة، محطة سول، سيعبر القطار محطة مترو أنفاق **جاريبونغ**.

خلال أيام عزلتي التي عشتها داخل اللوحة النوعية التي تمثّل عملي

في المصنع، كانت الصورة التي جاهدت كثيرًا كي أستدعيها إلى ذهني هي صورة الطيور في كتاب التصوير الفوتوغرافي الذي أرتني إياه ابنة خالي في تلك الليلة التي وصلنا فيها إلى المدينة - الطيور الغافية تحت سماء الليل الشاسعة، تواجه النجوم، جالسة على الشجر عالية وجميلة. تحملت تلك الأيام داخل اللوحة النوعية بأن وعدت نفسي أنه سوف يأتي يوم سيمكنني فيه رؤية تلك الطيور بأم عينيّ. في السنوات التالية لذلك حين كنت أشعر بالوحدة وسط متاعب الحياة وغياب الروابط الإنسانية، لم أتخلَّ أبدًا عن أمنيتي بأن أذهب لرؤيتها يومًا، طيور البلشون في الكتاب بين ذراعيّ ابنة خالي، أسراب البلشون في الغابة حيث ساد الظلام، تميل مقتربة من بعضها البعض، تدثّر الأشجار بنومها الوديع، كما لو كانت قد صفَحَت عن كل ما يحدث في هذا العالم. يومًا ما سأنطلق متجاوزة الحافة التي تحجب رؤيتي. ذراعاي المستريحتان فوق عتبة نافذة عربة القطار ترتعشان. أخبر نفسي بذلك في أيام الحزن أو العزلة، ولا أسمح لأحد آخر بأن يعرف. مضت سبع عشرة سنة منذ قطعت ذلك الوعد على نفسي ولا أزال لم أسافر لرؤية الطيور.

هل كنتُ هنا؟ حيث انتظر أخي الأكبر، معتمرًا باروكته، وصول قطار الأنفاق المتجه إلى **أنيانغ**، وحيث رحَلت ابنة خالي إلى **جونغجاك**، بدلًا من القدوم إلى المدرسة أملًا في أن تصبح عاملة هاتف، وحيث وقف أخي الثالث منتظرًا قبل أن يتوجّه إلى المزرعة حاملًا على ظهره حقيبة سفره الممتلئة بالكتب فقط. هل لا تزال **آن هيانغ-سوك** عسراء اليد تكتبُ بيدها اليسرى حتى الآن؟

أنظر خارج النافذة، وعيناي تحملقان باندهاش.

تقف مداخن المصانع على مبعدة عالية وطائشة. كم تمنّيت أن يتباطأ القطار. أن يلقي الضوء على ذلك المكان. أنظر إلى ذراعي فوق عتبة النافذة. كان يرتجف مع اهتزازات القطار. في اللحظة التي خطر ببالي أنني كنتُ هنا، في ذلك المكان، رفرف طائر بلشون بجناحيه داخل قلبي.

حلّقي بعيدًا الآن. لا حاجة إلى التردّد. طيري إلى الغابة. ارتفعي وراء الحافّة التي تحجب رؤيتكِ. اخلدي إلى النوم، تحت سماء الليل الشاسعة، وأنت تواجهين النجوم عالية وجميلة.

لن أنساكِ أبدًا، عامًا بعد عام. عودي يومًا ما، عودي كجملة جديدة. عودي لتنقلي الحقيقة التي ظهرت ثم تلاشي في أماكن لا تستطيع أنفاسي بلوغها. دعينا نقول وداعًا الآن. لم نتمكّن من فعل ذلك حينها.

أرفع ذراعي من فوق عتبة النافذة وأنهض. أتوجه إلى الباب كما لو كنتُ أتبع الصبي الذي بدا كأنه يعدو عبر السهل. أقف حيث خطت ساقا الصبي الدقيقتان والرشيقتان قبل أن أعبر الرصيف وأدفع الباب بكل ما أوتيت من قوة. أمد يدي وأقبض على ملء يدي من الهواء ثم أحرره.

وداعًا... سوف أبقيكِ في مكانة عالية في قلبي بمقدار ما أبهجتني واعتنيتِ بي.

***

في أي موقف، في أي علاقة، لم أستطع أبدًا أن أتحدّث أو أتصرف كما رغبت. عندما رفعت رأسي أخيرًا مصمّمة على قول شيء ما، كان قد أضحى بعيدًا جدًا. ما لم أقله أو أفعله له أصبح رواية... بمعنى آخر لم يسمعني أتكلم أبدًا. أشعر الآن بارتباك شديد. أشتاق للعودة إلى الزمن حيث كان كل ما لم يُقل ولم يُفعل، لا يزال لم يصبح رواية، لا يزال مستقبلًا. إلى زمن حيث المراجعة والإضافة والأسئلة التي أوجهها لنفسي لا تزال ممكنة...

***

8 أغسطس 1995

أنا على جزيرة جيجو. لقد عدت إلى المكان الذي بدأت فيه كتابة هذا الكتاب أول مرة.

26 أغسطس 1995

أتذكر انهماكي في الكتابة قبل عام. في هذا المكان ذاته، «ها أنا هنا على جزيرة جيجو... إنها أول مرة أكتب فيها بعيدًا عن بيتي». أجل، لقد مضى عام بالفعل. لقد مر هذا العام بينما أكتب هذا الكتاب. لم أستطع أن أعمل على أي عمل أدبي سواه خلال هذا العام. انتابتني رغبة من حين إلى آخر للبدء في كتابة قصّة قصيرة لكن لم أشرع في ذلك أبدًا. أثناء كتابة هذا الكتاب، قمعت الكثير من شهوات قلبي مرة تلو الأخرى إلى درجة أنني بدأت أقلق الآن إذا كنتُ سأتمكّن من العودة إلى ما كنت عليه قبل كتابته. أتمنّى، بينما أتواجد هنا، أن أقضي أيامي أعيد قراءة الكتاب وأنقّحه، أن أنفض الغبار عن طبقات قلبي المدفونة. خطر ببالي أيضًا، أن عادتي بالتوقّف في وسط الطريق أينما كنت ذاهبة، ومحاولة العودة من حيث بدأت، قد باتت ترفًا يقع الآن خارج حدود الحياة. إنه السادس والعشرون من أغسطس 1995... ذهبت للسباحة في شاطئ **هيوبجاي** ليلًا. كانت أول مرة أسبح فيها في البحر. أعاني من صداع لا يُحتمل من حين إلى آخر. لم يعد متكرّرًا كالسابق لكن كانت هنالك فترة كنت أصارع فيها الألم كل يوم. عندما يداهمني الصداع، أفقد سيطرتي تمامًا وتنهار ركبتاي أينما كنتُ. عندما يصل الأمر إلى حد شعوري بارتجاج عنيف داخل رأسي ومواجهة صعوبة في النهوض من السرير ومغادرة حجرتي، أوصاني الطبيب بالسباحة. نفّذت أوامره. لم يكن هنالك شيء لست على استعداد لتجربته إنْ كانت رأسي ستتوقّف عن الألم. لهذا ذهبت إلى حمام سباحة وتعلمت كيف أسبح. سباحة حرة وسباحة ظهر وسباحة صدر. عندما كنتُ داخل الماء، كنتُ أتمكّن من نسيان كل شيء. مسَّدَت المياه صداعي بدفئها. سباحة الظهر أراحت أعصابي إلى درجة أن النوم كان يداعبني. منذ ذلك الوقت، اعتبرت السباحة علاجًا لكل الآلام، وصرت أتوجّه إلى حمام السباحة لعلاج ألم ظهري أو وجع كتفي. لكن لم أتوقّع أبدًا أنني سأسبح من أجل الاستمتاع فقط في البحر في منتصف الليل، ولم أتوقّع أيضًا أن

أول سباحة لي في البحر ستكون ليلًا. طفوت على ظهري وأنا أخوض في البحر إلى أبعد نقطة يمكن لذراعيّ أن تحملاني إليها. إحساس الماء على ظهري بعث الدفء في قلبي. شعرت بينما أطفو فوق سطح الماء، أن المدينة التي تركتها منذ عشر ساعات فقط قد أضحت مكانًا بعيدًا. شقتي الخالية، وحياتي المزدحمة في المدينة، بدا كل ذلك غير حقيقي. مكتبي مرتَّب، والبوتاجاز ساكن. سيرنّ الهاتف وستجيب آلة الرد الآلي بدلًا مني. يتدفّق ضوء النجوم في سماء الليل داخل عينيّ. اللحظة التي ركّزت فيها على النجوم المتلألئة، فقدت اتزاني، وتخبّطت في مكاني. وجد ماء البحر المالح طريقة إلى داخل فمي وعيني. من القائل إن ماء البحر هو أقرب سائل شبهًا بالسائل السلوي[1]؟ قضيت النهار التالي جالسة على الشاطئ في مواجهة البحر.

28 أغسطس 1995

استقللت الحافلة إلى البلدة في هالليم حيث اشتريت صندوق أدوات خياطة من بائع في الشارع، فيه خيوط مختلفة الألوان وإبر متعددة الأحجام. كنت أبحث عن واحدٍ في كل مكان، لكن كل ما تمكنت من العثور عليه في المدينة هو أطقم خياطة للاستخدام مرة واحدة فقط، وها هم هنا يبيعونها في الشارع. عندما كنتُ صغيرة، اعتدت على العبث بصندوق خياطة أمي. كانت هناك أشياء كثيرة بداخله. خيوط ملوّنة وأزرار مكسورة، ودبابيس وقصاصات قماش ومقصّات وكشتبان وإبر كبيرة وصغيرة، إلخ... عندما يسألني أحدهم هذا السؤال عن أسلوبي في الكتابة، وإذا كنت أخطّط هيكل الرواية بالكامل قبل أن أشرع في الكتابة أم لا، أفكّر في صندوق خياطة أمي. لا أخطّط هيكل الرواية ولا أدوّن ملاحظات. إذا كنت أمتلك ملاحظات أعمل وفقًا لها، فستفقد أفكاري انسيابيتها وستأبى التحرّك إلى الأمام. غالبًا ما يظهر فجأة في عقلي الباطن أو لا وعيي هو ما يشكّل عباراتي.

(1) السائل السلوي: سائل يحيط بالجنين، ويساعد على نموه داخل الرحم.

أحيانًا تكون متفجرة، تبرز من دون علمي بينما أتبع العبارة السابقة بعبارة أخرى. لهذا السبب لا أعرف أحيانًا كيف ستصبح كتابتي حتى أفرغ منها. كل ما أفعله هو أن أفتح ببساطة صندوق الخياطة وأتأمّل الخيوط الملونة والمقصّات والإبر والأزرار المكسورة. بينما أتبع العبارة السابقة، وأشقّ طريقي عبر صندوق الخياطة. ثمة خيوط أو أزرار معينة تختبئ في مكان أعمق من طبقات ذهني... كسلحفاة تسحب عنقها عميقًا داخل درعها، أعجز عن انتزاع ما يبقى مختبئًا عميقًا إلى الخارج حتى النهاية. لكن كان ذلك ما يجذبني. أؤمن بأن الحقيقة الكامنة وراء ما يختبئ بعيدًا ويرفض أن يُسحب إلى الخارج سوف تأتي إليّ ذات يوم، كإحساس جماليّ سيسمح لي برؤية الحياة من منظور مختلف. إنه أينما كنت، ومهما كانت الحياة التي أحياها، لن يتغاضى هذا الإحساس عن نبل الحقيقة.

توغّلت أكثر داخل السوق واشتريت منشفة كبيرة. اشتريت أيضًا موقدًا محمولًا للتخييم وعبوة وقود من أجل الموقد، وغلاية ماء وصندوق قهوة **ماكسويل هاوس**. اشتريت من متجر آخر طبقين من الشعيرية الجاهزة للتسخين وعلبة بسكويت ثم غادرت بعد أن دفعت ثمنها، ثم أخيرًا اشتريت زجاجتَيّ بيرة **هايت**.

29 أغسطس 1995

خرجت من الفندق في منتصف الليل وفي جعبتي كل النقود المعدنية التي امتلكتها، واتصلت بأشخاص في المدينة. قالت «ب» إن حياتي سهلة للغاية»، وسألتني «ج»: «هل تناولت عشاءك؟». قالت «هـ» إنها سوف تزور قبر أبيها، فقد مضت ثلاث سنوات على آخر مرة زارته فيها. سألتني أختي الصغيرة إذا كنتُ في **هالليم** بمفردي. عندما قلت لها نعم. سألتني بنبرة حزينة: «هل تريدينني أن آتي إليكِ، يا أوني؟». شعرت بدوري بدفقة من الحزن تسري بداخلي وسألتها: «أتريدين أن تأتي؟». وراء كابينة الهاتف كان بحر الليل يرتفع وينحدر.

30 أغسطس 1995

كنت أتناول الإفطار في ردهة الفندق وأتصفّح جريدة الصباح عندما شعرت بحبة أرز تقف في حلقي. كانت صورتي في الجريدة. متى سأتوقّف عن الاندهاشٍ من مصادفة صورتي في أماكن غير متوقّعة؟ كانت الكلمات المطبوعة بخطٍ كبير بجوار صورتي تقول.

«فتاة مصنع ريفية حلمت بأن تصبح كاتبة».

شعرت باحمرار خديّ. انتابني القلق من أن يتعرف موظف الاستقبال عليّ، نزعت الصفحة التي تحوي صورتي وصعدت بها الدرج إلى حجرتي.

31 أغسطس 1995

كنتُ أتمشى في الخارج متبعة اللافتة التي تقود إلى حديقة **هالليم**. بمجرّد أن أخطو داخل الحديقة، تصيبني الصدمة. لم تكن مجرد حديقة. كانت توجد آلاف الأشجار الاستوائية النادرة تتنفس وتتنهّد. كان شجر الحديقة قد زُرع فوق أرض قفر مهجورة عن طريق نقل حمولة ألفي شاحنة من التربة وقضاء عشرين سنة في رعاية تلك الأشجار الاستوائية بعد غرس بذورها. ولم يكن هذا كل شيء. كان هنالك عدد مهول من الكهوف المحيطة بالأشجار كما تحمل الأشجار زهورًا خلّابة، ألوانها تنضح بحيوية لا يمكن أن تجسّدها أي لوحة. كانت تمتد يدي من دون أن أعي ذلك لتلمسها ولسان حالي: «أيمكن أن تكون حقيقية؟»؛ لبعض النباتات أوراق صلبة وحادة إلى درجة أنه يمكنها جرح يدك، تلعب دورًا ضروريًا -كما أعتقد- لنجاتها في الصحراء. جرحت ذراعي بينما أعبر أمام صبار مكسيكي. نزف الجرح إلى درجة اضطرتني لوضع ضمادة عند عودتي. جعلتني هذه النباتات أدرك كم كانت نباتاتنا المحلّية أليفة ووديعة. عند بركة المياه حيث كانت تسبح عشر سمكات شبُّوط، كانت ترقد سلحفاة برية فوق صخرة، وترفع عنقها نحو السماء، أكانت سلحفاة برية أم مائية؟ أجد صعوبة في التمييز بينهما. سرتُ برفقة مرشد لإلقاء نظرة على الكهفين:

هيوبجاي وسانجيونغ. بينما نقترب من مدخلها، أمكننا الإحساس بتيار هواء بارد. عند أول خطوة داخل الكهف، شعرت برعشة. وجّه المرشد ضوء الكشاف نحو جزء من الكهف وأشار أنه تنمو هنا أعمدة **ستلكميت**، لا يمكن أن تتكون داخل قنوات الحمم البركانية حتى. أعمدة **ستلكميت**؟! كيف تنمو؟ شرح المرشد أن أعمدة **الستلكميت** هي رواسب تكوِّنها مياه المطر على أرضية الكهف، تحوي مواد مُذابة من الطبقة الكثيفة للرمل فوق سطح الأرض، وأنها تنمو بمعدل سنتيمتر واحد كل مائة سنة، تغذّيها ماء الجير المتقاطر من السقف. سنتيمتر واحد كل مائة سنة؟! كنتُ مرعوبة من العدد اللانهائي من الصخور المتراكمة بأحجام مختلفة الذي كشفه ضوء كشّاف المرشد. يشير المرشد إلى أحد أعمدة **الستلكميت** ويقول: «هذه طولها عشرون سنتيمترًا، مما يعني أنها تنمو منذ ألفي سنة. أرضية كهف **سانجيونغ** لم تكن مجرد رمل بل رمل صدَفي. ما العملية التي يخضع لها صدف البحر كي يتحوّل في النهاية إلى هذا الرمل الرقيق جدًا؟». وجّه المرشد ضوء كشافه إلى السقف تجاه ما شرح أنه أثر تركه وراءه زوج من التنانين خلال هروبهما من حِمم بركان مُتفجر. كشف ضوء الكشاف عن ظلّين طويلين لتنينين. تمتد رأس أحدهما وذيل الآخر نحو الضوء خارج الكهف. كانت الحركة سريعة. تسرّب الضوء فقط عبر جزء السقف الذي هرب منه التنينان. سرَت قشعريرة في جبهتي وأنا أفكر أن تنانين قد عاشت هنا ذات يوم. مع تدفّق حمم البراكين الساخنة حد الغليان، كيف تمكّن التنينان من الفرار نحو الضوء، مصدرَيْن أي نوع من الأصوات، شاعرَيْن بأي نوع من الأحاسيس في تلك اللحظة؟ كنت مرعوبة من قوة الطبيعة التي تلتهم الكهف. الصخور الملتوية التي تكونت من الحمم المغلية التي بردت بسرعة تبدو تارة دقيقة الصنع، وتارة أخرى مشوَّهة. يوجد أيضًا فجوات لا حصر لها في أرضية الكهف شكّلتها قطرات لا نهائية من ماء الجير تسقط فوق البقعة نفسها لمئات السنين. راعني أيضًا مشهد القطرات الباردة لماء الجير. كانت الصخور المتكوّنة بشكل طبيعي هدّأت خوفي بطريقة ما.

كيف لمثل تلك الأشكال والظلال أن تبرز على السطح بشكل طبيعي؟ كان هنالك حجر يبدو كما لو كان نسخة طبق الأصل من منحوتة بييتا. الأم تقف يملأها الأسى، تحمل ابنها. التقطت صورة فورية أمام صخرة تشبه دب محني الظهر، وأخرى تشبه سلحفاة تحمل أرنبًا فوق ظهرها. كنت جاحظة العينين من الدهشة في الصور التي التقطتها.

1 سبتمبر 1995

تصل أختي الصغرى وزوجها مع طفلهما لزيارتي. مضى أقل من سنتين على وجوده في هذا العالم. يبقى دائمًا على مبعدة متر مني. أرغب في حمله لكنه يريد أمه فقط. يلين بين ذراعيّ فقط حين أصفق أو أنبح راسمة ملامح غريبة على وجهي أو أغني بطريقة مضحكة، «أخرج إلى البحر كي أصطاد». وحتى مع هذا لا بد من وجود أمه بجواري. أجد الأمر مؤثرًا كيف أن غريزته تستشعر فورًا مكان أمه. يبدو أن الطفل قد وضع كل ثقته في هذا الكائن المدعو أم. حتى أثناء نومه، ينادي، «أمي». حين تجيب: «نعم» من حيثما كانت، يعود إلى النوم. لكن إن لم يسمع ردّها، يفتح عينيه في الحال ويلتفت هنا وهناك مناديًا: «أمي...». وعندما لا تقع عيناه عليها، يفيق تمامًا، يتهادى نحو الباب ويضرب بيده، ويبكي: « أمي!». صبي يذرف الدموع، ووجهه مغطى بيديه. مهما حاولت تهدئته، لا يتوقّف عن البكاء. لكن حين تأتي أمه وتحمله، يتبخّر حزنه. يبتسم حتى مع تنهيدة ارتياح ويغمز بعينيه السوداوين الدامعتين.

كنتُ مثله في فترة ما. عندما كانت رائحة أمي هي كل ما أؤمن به، عندما كان كل ما عليَّ فعله هو أن أتبعها حيثما تذهب. عندما كان كل ما أحتاجه هو أمي.

مكتبة
t.me/t_pdf

الثاني من سبتمبر 1995

كنتُ أحدّق في الماء.

وقعت عيناي على قواقع بحر تدور بداخل المياه. ليست واحدة بل

الكثير منها. التقطت محارًا ونظرت داخلها لأجد سلطعون ناسك. التقط أخرى. داخلها سلطعون ناسك آخر. سلطعون ناسك يزحف داخل الصدفة، ينهش المحار ويصنع بيتًا له.

3 سبتمبر 1995

غادرت أختي الصغرى وزوجها مع طفلهما في الصباح.

عندما وصل، كان كل ما يمكنه قوله هو «**تشو-تشو**»، أمي «**أومّا**»، والمقطع الثاني من كلمة أبي «با». أثناء الأيام الثلاثة التي قضاها هنا، كنت أهمس في أذنه في كل فرصة تسنح لي وأنا أشير إلى البحر «بحر» «**بادا**». أخيرًا يوم الأمس قال «**بّا-دا**» وهو يضغط على المقطع الأول. لم يمكن بمقدوري أن أعرف إذا كان يشير حقًا إلى البحر، أم قمة إصبعي. لكن بينما نتبادل كلمات الوداع، أشار إليّ وهتف: «**با-دا.**»

با-دا. كل حركة من حركات الطفل تعكس قدرًا عظيمًا من الشفقة والمحبة. مؤخرته الناعمة، وعيناه اللامعتان، وأصابعه الجميلة والضئيلة. هذه الهشاشة تبدو وسيلة الطفل للنجاة. حركات فطرية ترغم من يملك القوة أن يشمله بالحماية.

في حديقة المنحوتات بينما تأسرنا الأعمال الفنية البديعة، اندفع ليطارد الفراشة الصفراء فوق العشب. في متحف منمنمات الشجر، بينما تهنا وسط صفوف الشجر المشذّب بالمقصات على نحو مثالي، يجثو على الأرض ليشاهد النمل الأسود يزحف. في الشاطئ بينما نسترخي متأمّلَيْن البحر البعيد، يتهادى وراء أسماك المنوة المتناثرة قرب قدميه. لا يظهر اهتمامه إلا بما هو بسيط غير مُزيَّن؛ بما يتحرك.

عدت إلى الفندق ونمتُ طوال اليوم. لا تزال لطخة تركها لعاب الطفل على ملاءة الفراش، ولا تزال رائحة الطفل في مخدتي.

في كل مرة يوقظني فيها نور الشمس، يتراءى الطفل أمامي يومض هناك في النور.

6 سبتمبر 1995

كم نحن محظوظون أن جزيرة **جيجو** جزء من هذه البلد.

غدًا عيد التشوسوك. كنتُ هنا أيضًا خلال أعياد الحصاد في العام الماضي، أحاول بدء كتابة هذا الكتاب. للعام التالي على التوالي أقضي عيد التشوسوك على سطح هذه الجزيرة.

8 سبتمبر 1995

أهذه علامة على أنني أشيخ؟ حين أتذكّر أنه التشوسوك، يداهمني فجأة شعور كم أنا وحيدة لأكون هنا بمفردي.

قرب الظهر، أهبط إلى ردهة الفندق وأطلب غداء لكن طعم الحساء مرّ كما لو كان بقايا حساء الأمس. أنزل الملعقة وأعود إلى غرفتي. على شاشة التلفاز، تنخرط نساء تعملن في مطعم كعك الأرز التقليدي في **ناكوون-دونغ** في مسابقة لصنع كعك عيد التشوسوك. يأخذ الكعك هلاليّ الشكل في أيديهن شكله بسرعة مكتسبًا طبقة لامعة. انتظرت طوال اليوم. انتظرت ماذا؟ مكالمة هاتفية؟ زيارة؟ في الخارج على الشاطئ يلعب القرويون كرة الطائرة على أرض مخيَّم. أراقب بعينيّ شاب يُطلق ضربة إرسال قوية، متمنية فوزه. لم يرن الهاتف. أرتدي معطفي في وقت متأخّر من بعد الظهر وأتوجّه إلى الشاطئ. البحر في حالة جَزْر، قد عرّى نحو ألف متر من قاعه الطيني.

في الموجة الأخيرة للجَزر، كان الأطفال يطاردون سلطعون القمر، وزوج من السيّاح الأجانب، رجل وامرأة يجلسان فوق مقعدين قابلين للطي، ظهراهما مكشوفان. يقف رجل وقدماه في الماء بعد أن ألقى صنارته. تعرَّف عليّ أحد الأطفال الذين يطاردون السلطعون، فتاة. كانت تجمع الصدف على الشاطئ برفقة أخيها قبل عدة أيام. وانضممت إليها في التنقيب عن الصدف داخل الرمل. «انظري». فتحت الفتاة حقيبة بلاستيكية كي ألقي نظرة، كان فيها عشرة سلطعونات قمر تهتز بداخلها.

كانت أصدافها رملية اللون زاهية. لم أر سلطعونًا رمليّ اللون من قبل. وضعت إصبعي داخل الصدفة للمتعة فأغلق أحدها مخلبَيْه. حفرت في الرمل محاولة أن أصطاد واحدًا من أجلها، لكن لا أتمكن من ذلك. هناك حيث ينتهي القاع الطيني، تلتقط امرأتان الصور. تخليت عن مطاردة السلطعون ومشيت على الشاطئ بمحاذاة المدّ عندما طلبت مني المرأتان أن ألتقط صورة لهما. أرى البحر البعيد عبر عدسة الكاميرا. للحظة أنسى الضغط على الزر وقد استولى عليّ مشهد البحر داخل العدسة وأنا أقف هناك وقدمي داخل المد المنحسر. تستعيد المرأتان الكاميرا مني وتمشيان باتجاه الجانب الآخر من القاع الطيني. يتبادلان النظرات ويضحكان كما لو كانا يتشاركان دعابة، وهما تمسكان الواحدة بيد الأخرى وتصفع كل منهما الأخرى على ظهرها بلطف. أمامهما يلعب كلبان مغطّيان بالرمل. الرجل الذي يقف وقدمه في الماء وقد ألقى صنارته في البحر، يرمقني بنظراته. أواصل المشي ثم أنظر إلى الوراء من دون أن أعير الأمر أي اهتمام ثم أدرك أنه كان ينظر إليّ من جديد. أمشي بسرعة أكبر مبتعدة عنه أكثر. كنتُ أفكّر في كل مرة أكون فيها في الخارج على الشاطئ، أن كل المخلوقات، بشر أو حيوانات، تكون طبيعية أكثر وأقل لفتًا للانتباه في صحبة الآخرين. حتى الصدف وسلطعون القمر. حتى صخرة في البحر تجذب الانتباه إليها عندما تكون وحيدة بمفردها. وينطبق الأمر عليَّ أكثر كإنسان. بينما أغادر الشاطئ الطيني، ألاحظ أن الشمس قد أخذت في الغروب لكن مباراة كرة الطائرة فوق أرض المخيم لا تزال مستمرة.

9 سبتمبر 1995

يبدو أن الخريف قد وصل. تسري قشعريرة في ذراعيّ صباح مساء. رياح البحر أكثر برودة أيضًا. لا أحمل أي ملابس خريفية في حقيبة سفري. لا بد أن الوقت قد حان للعودة إلى المدينة.

10 سبتمبر 1995

فقط الآن أدعوهن «صديقاتي»، هن اللاتي اضطررن إلى الاستمرار في تحريك أصابعهن، أصابعهن العشرة كلّها، ومواصلة إنتاج أشياء من دون توقّف. اسماؤهن قد نُسيت، ومجهوداتهن قد ذهبت هباء دون تقدير حقيقي. لن أنسى الإرادة الاجتماعية التي نشروها بداخلي. إنهن -صديقات مجهولات- قد أنجبن جزءًا من عالمي الداخلي، تمامًا كما أنجبت أمي كياني المادي... ومن جانبي، يجب أن أنجب من خلال كلماتي، مكانًا كريمًا لهنّ في هذا العالم.

10 سبتمبر 1995

في وقت مبكر من الصباح بعد أن أغسل قميصًا أبيض وأعلّقه على حبل الغسيل في الشرفة ليجفّ، أخرج إلى الشاطئ. كان المَدّ الذي انحسر طوال الليل قد بدأ في التقدّم ليملأ البحر من بعيد. يمكنني سماع صوت هدير المد الأزرق يتدفّق فوق الشاطئ الطيني الأبيض. الماء والرمل. أي ثنائي آخر يتشارك علاقة مثالية كعلاقة التقدّم والتقهقر بين الماء والرمل؟ يتسرّب الماء إلى داخل الرمل ثم يتلاشى في لمح البصر.

الرمل الأبيض على هذا الشاطئ رقيق جدًا، إلى درجة أنه قد شكّل كتلة جامدة كثيفة. أقف على الشاطئ أشاهد المَدّ ثم أخلع حذائي. اعتقدت أن الماء سيكون باردًا، لكن بدا لي دافئًا. كان للرمل ملمَس لطيف على باطن قدمي فواصلت المشي. تركت قدماي آثارًا على الضفة الرملية الناعمة. ركضت تجاه المد ثم التفتّ لأتفقد آثار أقدامي. كانت قد تتبّعتني قبل أن تنقطع تمامًا حيث وقفت. جلست على الشاطئ الطيني. شعرت كأن شخصًا يجلس بجواري وهو ما شتَّت رؤيتي للحظة. لا يزال هنالك وقت طويل حتى يصلني المد الصاعد. بينما أنتظر، واصلت النظر إلى جانبي. لماذا يلازمني شعور بأن شخصًا ما يجلس بجانبي بينما لا يوجد شيء حولي سوى الرمال؟ ارتفع الماء. شعرت بنعومة حيث لامس قدميّ.

حرّرت ركبتيَّ المرتفعتين وتمدّدت. بينما يفيض الماء، مداعبًا قمة قدمي، وساقي وفخذي وخصري، أردت أن أنادي على اسمه. بدا أنني أعرف اسمه لكن ربما لا أعرف. أردت أن أنادي على اسمه برقّة لكن بدا لي أيضًا أنني قد نسيت اسمه. بدا لي أنه كان قريبًا جدًا مني، وفي الآن نفسه بعيدًا جدًا. كان الأمر مؤلمًا. كان دائمًا على الجانب الآخر من الخط. بعد أن اكتسحت وعيي رغبةٌ حسّية، لا يبقى لي سوى عزلة، قريبة جدًا من الموت، مثل الشاطئ الطيني الأبيض ورائي. على الرغم من هذا، فإن إحساسي بوجوده يجعلني قادرة على تذوق نشوة اتخاذ خطوة أعمق داخل ذاتي. مضى المد قدُمًا ليتجاوزني. لقد مضى بدوره إلى الأمام وتجاوزني. حتى حين توقّفت في مكاني، عاجزة عن التدفق مع الزمن، تمامًا كما أجلس فوق الشاطئ الطيني الآن، مضى هو إلى الأمام وتجاوزني مثل هذا المد الصاعد. تداخل هو والمد خلفي. أنظر إلى الوراء لأجد المد قد محا آثار أقدامي.

خرجت إلى الشاطئ ثانية عند الغسق. كان المد ينحسر. الشاطئ الذي كان مغمورًا بالماء طوال النهار، كشف عن قاعه الأبيض مع تقهقر المد، تمامًا كما بدا في الصباح.

المد والجزر ظاهرتان متناقضتان، لكن عند لحظة معينة، يبدوان متشابهَيْن كتوأمين متماثلين. ثم بمجرّد أن تنتهي تلك اللحظة، ينطلقان في طريقَين متضادَين تمامًا، لكن في لحظة واحدة قبل أن يمضيا في اتجاهين متضادَيْن، يكشفان المنظر نفسه، منظر عابر وبرّاق.

هو وهي، المد والجزر، الأمل واليأس... الحياة والموت. أليست أزواجًا من الكلمات تمثّل وجهين للشيء نفسه؟

على الشاطئ الرملي وقت الغسق، يوجد طفلان ينقّبان عن الصدَف مع أمهما. لو تبعت المد المنحسر حتى النهاية، إلى أي مسافة سيمكنك الذهاب؟ أنظر إلى الوراء. تركتْ قدماي آثارًا كما تركت في الصباح. أركض بجموح داخل الشاطئ الطيني. تركض آثار أقدامي بجموح، تتبعني

مباشرة كظلّي. أركض وأركض حتى ألحق بالمدّ المنحسر ثم أندفع داخل الماء قبل أن أنقلب بجسدي. تصل المياه إلى صدري. رفع الصبي الذي ينقِّب عن الصدف جسمه ونظر نحوي، ربما يفكّر أنني أتصرّف بغرابة. انسحب المد ببطء. غادرت المياه نهديَّ وخصري وفخذيَّ ثم قمة قدميَّ. تركتني المياه وراءها وحيدة تمامًا فوق الشاطئ الطيني الأبيض، وابتعدت أكثر فأكثر. عندما بات المَدّ بعيدًا، نظرت إلى الوراء. كان الشيء الوحيد الواضح فوق الشاطئ الطيني هو آثار أقدامي. بدا أن المد -بخلاف ما حدث في الصباح- قد انحسر كي يحافظ على آثار أقدامي سليمة.

أجل، لقد صمَمْتُ أذني بصمتي عن مرحلة صباي. كانت فترة عجزت فيها عن حب نفسي، لذا اضطررت إلى الانتقال مباشرة من سن الخامسة عشرة إلى سن العشرين. سواء بدأت السير خارج ماضيَّ أو السير إلى داخله قادمة من الحاضر، كانت آثار أقدامي تتوقّف دائمًا في المكان نفسه. أنتقل مباشرة من الخامسة عشرة إلى العشرين أو من العشرين إلى الخامسة عشرة. إذا انطلقت من الماضي، اضطرّ إلى تجاهل السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والقفز مباشرة إلى العشرين. وإذا انطلقت من الحاضر، اضطر إلى تجاهل التاسعة عشرة والثامنة عشرة والسابعة عشرة والسادسة عشرة، والقفز مباشرة إلى الخامسة عشرة. ظلت تلك السنوات فارغة دائمًا مثل أشعة شمس عارية، مثل بئر قاعها مغطى تمامًا.

لوقت طويل، لم تترك مرحلة صباي بداخل ذهني أي روابط إنسانية سوى روابطي بعائلتي. بذلت جهدًا حتى لا أتذكّر أي أحد من ذلك الزمن، حتى لا أتذكّر أوني هِي-جاي. لكن وعيي كان يميط اللثام فجأة وبوضوح عن تلك الروابط الماضية، وكنت أتصرّف كشخص أصيب بفقدان الذاكرة.

تواصلت آثار الأقدام فوق الشاطئ الطيني إلى ما لا نهاية. ما نوعية الحياة التي يعشنها الآن، وأين؟

لوقت طويل، كلما فكّرت فيهنّ، أجد نفسي أصارع إحساسًا بعزلة لا

يمكن وصفها، تمنعني من التفكير أن الحياة جميلة. لم أعي ذلك لكنّهن كن دائمًا جزءًا من حاضري. لقد منحنني الشجاعة لتقبّل قذارة الحياة التي واجهتها منذ كنتُ في العشرين، وساعدنني على اختبار ذاتي ومواصلة حياتي. أنهض من على الشاطئ الطيني وأسير مغادرة البحر، أضع قدمًا أمام الأخرى. بدت لي آثار الأقدام التي صنعتها على الشاطئ اليوم متّصلة بالحجرة المنفردة. بذلك المكان الذي فررت منه ثم عجزت عن العودة إليه مرة أخرى أبدًا.

اليوم، حاضري الأكثر وضوحًا، أشعر كأنني إذا اتبعت آثار أقدامي التي صنعتها اليوم فسوف أستطيع خلق طريق مستقيم سيسمح لي بالخروج من الحجرة المنفردة للأبد. هذا الطريق يواصل الظهور أمامي. أسير مغادرة الشاطئ الطيني، خطوة تلو الأخرى، أضغط بقدمي بحزم داخل الرمل.

لوقت طويل كانت هِي-جاي بالنسبة إليّ تجسيدًا لكل لحظات قدري. بالنسبة إليّ كانت المد والجزر. كانت الأمل واليأس. كانت الحياة والموت. وكانت في كل هذا، حبًا.

11 سبتمبر 1995

أخطو خارج الشاطئ إلى فوق الطريق المعبّد، وأمشي حتى لا أعود أقوى على المشي، مثل شخص قد تعلّم المشي لأول مرة. فوق أحد الطرق الساحلية، تربض طيور البحر في صف. عندما أدنو منها، تحلّق الطيور عاليًا في الهواء، كلّها في اللحظة نفسها قبل أن تهبط على مسافة بعيدة قليلًا. أدنو منها ثانية فتطير مجددًا. أجول ببصري في الشاطئ. توجد الآلاف من الطيور قرب البحر أجنحتها مطوية. أحدّق إلى حافة البحر بينما أتبع أثر الطيور في السماء الأشبه بطفل فوقها. شعرت بالماضي، الذي سُجنت بداخله، يمتزج الآن بالسحب المتناثرة. شعرت بميلاد كائنات جديدة تدخل العالم عند حافة الذاكرة، تفوح منها رائحة جديدة.

في طريق عودتي ألمح طفلة تبكي على أحد الشواطئ. بدا أنها ترغب

باللعب على الصخور بجوار الماء لوقت أطول، لكن كانت أمها تأخذها إلى البيت. داخل سيارة مركونة على مبعدة، كان والد الطفلة يضغط على بوق السيارة، بيب... بيب. لقد حُمِلت الطفلة بعيدًا عن الشاطئ بين ذراعيّ أمها، مبتعدة أكثر فأكثر عني بينما تواصل البكاء. هل ستتذكّر أنها قد بكت يومًا على هذا الشاطئ؟ إنها قد كانت موجودة حتى على هذا الشاطئ؟

13 سبتمبر 1995

كان جسدي يئنّ من الإرهاق لكن رأسي تصفو وتصفو.

أؤمن بأن هذا الكتاب ليس حقيقة تمامًا، ولا متخيَّلًا تمامًا، بل شيءٌ وسطٌ بين الاثنين. أتساءل إن كان بالإمكان أن أسمّيه أدبًا. أتأمّل فعل الكتابة وأسأل: ماذا تعني الكتابة بالنسبة إليَّ؟

تمت

مكتبة
t.me/t_pdf

#903

مكتبة | سُر مَن قرأ

تهتم كيونغ سوك شين بالتساؤل عن جدوى الكتابة وعن الخيط الرفيع الفاصل بين الماضي والحاضر.. تكتب الماضي بصيغة المضارع، والحاضر بصيغة الماضي. لكنها تدرك أنه من المستحيل تجنب مواجهة جراح الماضي مهما كانت المواجهة صعبة. فتاة كتبت العزلة، مساءلة لقدرة الكتابة على بناء جسر يربط بين الماضي والحاضر.

على خلفية ظروف عمل ملايين الفتيات الريفيات اللواتي انتقلن إلى سول ليعملن في المصانع، وتعرضن للنسيان والتجاهل، تكتب كيونغ سوك شين رواية يغلب عليها طابع السيرة الذاتية، حيث تواجه ماضيها بالتوازي مع التغيير الذي شهدته كوريا في النصف الثاني من القرن العشرين.

هذه الرواية جعلت سوك شين من أهم الكتاب المعاصرين في كوريا، لتتوَّج لاحقًا بفوز روايتها "أرجوك اعتني بأمي" بجائزة المان بوكر الآسيوية.

المترجم

***

لكل منا وحشه الخاص الذي يحاول تجنّبه. ترسم شين في فتاة كتبت العزلة ملامح وحشها من أجلنا جميعًا.

New York Times Book Review

تجيد كيونغ سوك شين الكتابة في المساحة المتشابكة بين الخيال والواقع... من دون أن تسمح للراوية ولا للقارئ أن يتوقف عن التساؤل عما هو واقع وما هو خيال. رغم الإشارات الكثيرة إلى طابع السيرة الذاتية فيها، فإن فتاة كتبت العزلة تحمل بين طيّاتها أشباح رواية مميزة وآسرة.

NPR

تتشبث كيونغ سوك شين بالذكريات رغم قسوتها، وتحاول أن تجلبها إلى السطح من خلال فعل الكتابة الذي لا تتوقف عن التشكيك في جدواه. ربما الكتابة هي ذلك الفعل المؤلم الذي يمكننا التحرر من خلاله.

The Economist

telegram @t_pdf

ISBN 978-614-472-182-7
9 786144 721827
التنوير
daraltanweer.com